

يتيمة الدهر
في محاسن أهل العصر

تأليف

أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري

المتوفى ٤٢٩ هجرية

شرح وتحقيق

الدكتور مفيد محمد قميحة

الجزء الثاني

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
نيو ملكارت سنتر - الرملة البيضاء - قرب محلات سبينيز
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ الوزير أبو مروان عبد الملك بن جهور

أنشدت له [من البسيط] :

أسقمْتَ قلبي فكن أنت الدواءَ له ... ولا تدعْه بأيدي الشوق مخترما(١)

عيناي أورثتاه سقمه نظرا ... رضيت دمعيَ من عينيَّ منتقما

وقوله [من الكامل] :

ألحاظه منهوكة النظر ... ضعفت نواظرها من الخَفَرَ(٢)

وحديثه أشهى لسامعه ... من نغمة الشّادي على الوتر

ورضابه أشهى على كبدي ... من ريٍّ عذبٍ باردٍ خَصِرِ(٣)

وكأنَّ قلبي حين يفقده ... ما بين ذي نابٍ وذي ظفر

وقوله [من البسيط] :

يا أحسن الناس في عينيَّ مبتسماً ... وأعذب الخلق عندي منطقاً وفما

حلَّت بقلبيَ من عينيك نازلةٌ ... من الهوى صيَّرتني في الورى علما

---

(١) المخترم : اسم المفعول من مصدر اخترمته المنيّة مثلاً ، والمقصود أنّه هالك .

(٢) الخفر : الحياء .

(٣) الخصر : البارد .

لم تبقَ جارحةٌ منّي أقلّبها إلاّ بعثت عليها بالهوى سقما
فارحمْ مقام محبٍّ ما شكا وبكى تبرّماً بالذي يلقى ولا ندما[1]

وقوله [من السريع] :

أملح ما تنظر عيناكِ شاكٍ شكا الحبّ إلى شاكي
يَقْصُرُ من ذكرك ليلي على أنّيَ فيه ساهرٌ باكي
ولي فؤادٌ يستجير من الشوق إلى برد ثناياك
سيدتي لو كنت أبصرت ما يصنع بي حبّك أبكاك

وقوله [من البسيط] :

أنار لي وجهه ليلاً فخلت به بدراً تماماً على الآفاق يطّلع
ومرَّ يمشي دقيق الخصر يجذبه ردفٌ ، فقلت : أدْركوه قبل ينقطع[2]

وقوله [من الوافر] :

أجلّك أن تحلَّ بك الأماني فكيف بأن أراك وأن تراني
وأكره أن يمثّلك التمنّي حذاراً أن يبوح به لساني
ولو أني ستطعت لفرط شجوي عليك لما رآك الحافظان
وما أشكو إليك بغير دمعي بيانُ الدمع أعربُ من بياني

وقوله [من البسيط] :

اليوم منقبض والدمع منبسط وحب من شفّني بالروح مختلط
حمّلت قلبيَ أن يسلو تذكُّرَه فقال : إن الذي حمّلتني شطط[3]

---

(١) التبرم : الملل والضجر .
(٢) وصل الهمز من « أدركوه » ليستقيم له الوزن .
والردف : العجز .
(٣) الشطط : البعد والجفاء .

تسومني الصبر عن روحي وتمنعني عن ذكره ، إن ذا من رأيك الغلط

وقوله [من الوافر] :

ترى العشّاق لاقوا ما ألاقي فقد بَلَغَتْ بيَ النّفس التّراقي ؟[1]
خصصت من الهوى بأمرٍّ شيءٍ وكنت أرى الهوى عذبَ المذاق
أنا العبد الذي لا عتق يرجو ولا يجد السبيل إلى الإباق[2]

وقوله [من الطويل] :

وما سرَّني أن الهوى غير صاحبي وأنَّ خراج العبشميين في ملكي[3]
ولا كنت أرضى أن أرى متخلياً من الحبّ لو أعطى به خاتم الملك
نسيم الهوى أذكى وإن جار واعتدى على أُنُف العشاق من نفحة المسك

وقوله [من الطويل] :

ومن يحمد الصبر الجميل على الهوى فإنّ خلاف الصبر عنديَ أحمد
إذا كان قلب المرء لا يألم النوى ويشكو لظى نيرانها فهو جلمد

وقوله [من الكامل] :

أحوى النواظر ألعس الشفتين عذب الريق آلمى[4]
مخضرٌّ شاربه علا درّاً يريك الدرَّ نظما
لو زارني طيفٌ له عند الهجوع ولو ألمّا
لأعاد روحاً أو لفرَّ ج من هموم النفس همّا

* * *

(١) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .
(٢) الإباق : الهرب .
(٣) العبشميين : كلمة منحوتة من « عبد شمس » .
(٤) الأحوى : شديدُ بياض العيان وسوادها ، واللعس : سواد مستحسن في الشفة ، واللّمى : سمرة في الشفة .

٢ ـ أحمد بن عبد ربه الأندلسي ، رحمه الله تعالى !

أنشدت له [من الكامل] :

بكَرَتْ علـيَّ عواذلـي تلحينني ... وعلى الـذي لم يعـد بي أعدينني[١]

إيهـاً عليك فقـد كبـرت عن الصّبا ... ونهـى المشيب عن الـذي تنهينني[٢]

أنَّـى وكيف وقـد رأين تغيّري ... عن عهدهـنّ إذا العيون رأينني

وعلى مفارقـة الشبـاب شمتْـنَ بي ... وعلـى معـاداة الصبـا عاديْنني

أَدْنَيْنني حتـى إذا التهـب الجوى ... أقصيننـي أضعـاف ما أدنينني[٣]

وفتَّنني بلواحـظٍ تشـكو الضنى ... دائـب بهـن وربمـا داوينني

يُذْكين في قلبـي وبين جوانحي ... حُرَقـاً بنـار جحيمهـا أصلينني[٤]

ومنها أيضاً :

يا ابـن الخـلائف ، إن أيام الغنى ... أيامـك الغـرُّ التـي أغنينني

بنـوالهـا وسجـالهـا وثمالهـا ... أسـقينني حتـى لقـد أروينني

وقوله [من الكامل] :

وصحائحٍ مرضـى العيون شحائحٍ ... بيض الوجـوه نواعـم الأبشار

أضنينني بلواحـظٍ تشـكو الضنى ... وكسوننـي ما هنَّ منـه عواري

بجـوى حوتـه مهجتـي عن مقلتي ... والجـار قد يشقـى بذنـب الجار

---

(١) بكرت : أسرعت . وتلحينني : تلومني .

(٢) إيهاً : أمر بالسكوت .

(٣) الجوى : العشق والحرقة .

(٤) أصلينني : أي أسعرت النار بين الجوانح .

وله في العذار [من الكامل] :

يا ذا الــذي خط الجمــال بخده ... خطين هاجـا لوعـةً وبـلابلا
مـا صح عنـدي أنّ لحظـك صارمٌ ... حتى لبسـتَ بعـارضيك حمائلا[1]

وفي مثله [من الكامل] :

ومعــذرٍ نقش الجمــال بمسكه ... خداً له بدم القلـوب مضرَّجا
لمـا تَيَقَّـنَ أن سيف جفونه ... من نرجسٍ جعل النّجاد بنفسجا[2]

وقوله [من الوافر] :

تعللنـا أمـامـة بالأمانـي ... ولـجَّ بنـا البعـاد من التداني
إذا ما قلت : أين الوصل؟ قالت : ... طلبـت العـز في دار الهوان

وقوله [من الخفيف] :

بذمـام الهـوى أمتُّ إليه ... وبحـكـم العقـار أقضـي عليه
بأبـي من زهـا علـيَّ بوجهٍ ... كاد يدمـي لمّـا نظـرت إليهِ
كلّمـا علّنـي من الـراح صرفا ... علنـي بالرضـاب مـن شفتيه
نـاول الـكأس واستمـال بلحظ ... فسقتنـي عينـاه قبـل يديه

وقوله [من الرمل المجزوء] :

أيّهـا البـدر الـذي ضـنّ علينا بالطلـوع
ابـغِ لي عنـدك قلباً طار مـن بيـن ضلوعي
يا بديعَ الحسـن كم لي فيك من وجـدٍ بديع

---

(١) العارضين : الخدّين ، والحمائل : علائق السيف .
(٢) النجاد : حمائل السيف .

وقوله [من الطويل] :

وساحبةٍ فضل الذيول كأنّها قضيبٌ من الريحان فوق كثيب
إذا ما بدت من خدرها قال صاحبي : أطِعْني وخذ من وصلها بنصيب

وقوله [من الكامل] :

ينبيك أنك لم تجد وجدي ما خَدَّت العبرات من خدِّي[1]
نام الخليُّ عن الشجيِّ به وجفا الملول ولجَّ في الصدّ
كنت الشفاء فصرت لي سقماً أبداً تتوق إلى هوىً مُرْدي[2]

وقوله [من الطويل] :

سقوني حمامي يوم ساقوا حمولهم فرحت وراحوا بين ساقٍ وسائقِ
وأَخْرَسَ لفظي وهو ليس بأخرسٍ وأَنْطَقَ دمعي وهو ليس بناطق
فيا بأبي تلك الدموع التي همت فدلَّت على مكنون تلك العلائق

وقوله [من الكامل] :

أزف الرحيل فودَّعتني مقلةٌ أوحت إليَّ جفونها بسلامِ
وتطلعت بين الحدوج كأنها شمس تطلّعُ في خلال غمام[3]
وشكت تباريح الصبابة والهوى بمدامعٍ نطقتْ بغير كلام
كمهاة رمل قد تربّعت الحمى بين الظباء العفْر والآرام[4]
حتى إذا ضربَ المصيف رواقه صافت بظلّ أراكةٍ وبشام[5]

---

(١) ينبيك : يخبرك ، والوجد : شدّة العشق وخدَّت : تركت آثاراً في الوجه والعبرات : الدموع .
(٢) تتوق : تشغف وتميل أشدّ الميل ، والمردي : المهلك .
(٣) الحدوج : مراكب للنساء .
(٤) الظباء العفر : هي التي يعلو بياضهاحمرة، أو في سرّتها احمرار ، والآرام : جمع رئم وهو ولد الظبية .
(٥) صافت : أي قضت زمن المصيف ، والبشام بفتح الباء : شجرٌ عطر الرائحة .

وقوله [من الطويل] :

ألا إنما الدنيا غضارة أيكة | إذا اخضر منها جانب جف جانب
هي الدار ما الآمال إلا فجائع | عليها ، ولا اللذات إلا مصائب
فكم سخنتْ بالأمس عينٌ قريرةٌ | وقرت عيونٌ دمعها اليومَ ساكب
فلا تكتحلْ عيناك منها بعبرة | على ذاهب منها فإنك ذاهب

وقوله [من الطويل] :

صحا القلب إلا نظرةً تبعث الأسى | لها زفرة موصولة بحنينِ
بلى ربّما حلّت عرى عزماته | سوالف آرامٍ وأعين عين[1]
لواقط حبّات القلوب إذا رنت | بسحرِ عيونٍ وانكسار جفون
وريطٍ من الموشيِّ أينع تحته | ثمار صدورٍ لا ثمار غصون[2]
برودٌ كأنوار الربيع لبسْنها | ثياب خضابٍ لا ثياب مجون
قرين نجوم ديم عن نور أوجهٍ | تجنٌّ بها الألباب أيَّ جنون[3]
وجوه جرى فيها النعيم فكلّلتْ | بورد خدودٍ يجتني بعيون
سألبس للأحزان ثوبَ تصبُّر | وإن لم يكن عند اللّقا بحصين
وكيف ولي قلب إذا هبت الصبّا | أهاب بشوقٍ في الفؤاد كمين

وقوله [من البسيط] :

ونائحٍ في غصون السّدر أرقّني | وما عنيت بشيءٍ ظَلَّ يعنيه
مطوّقٌ بعقودٍ ما تزايله | حتى تزايله إحدى تراقيه[4]

---

(١) العرى : ما يصل الشيء بالشيء ومنه العروة .
(٢) الريط : كل ملاءة من نسجٍ واحد وقطعة واحدة .
(٣) ديم : يقال ديم به : أي أخذه الدوّار في رأسه .
(٤) تزايله : تفارقه .

قد بات يبكي لشجوٍ ما دريت به وبتُّ أبكي لشجوٍ ليس يدريه

وقوله [من الخفيف] :

وقضيب يميس فوق كثيب طيّبِ المجتنى لذيذ العناقِ
قد تغنّى كما استهلّ يغنّي ساق حرٍّ مغرّدٍ فوق ساق[1]
ينثر الدر في المسامع نثراً بين درٍّ منظّمٍ مستاق[2]
وافتضضنا من العواتق بكرا نكحتْ أمها بغير صداق[3]
ثم بانت ولم تطلّق ثلاثاً لم تبنْ حرة بغير طلاق
ديننا في السماع دين مدينيٌّ ، وفي شربنا الشراب عراقي[4]

وقوله [من الوافر] :

سرى طيف الحبيب على البعاد ليصلح بين عيني والرقادِ
فبات إلى الصباح يدي وسادٌ لوجنته كما يده وسادي
بنفسي مَن أعاد إليَّ نفسي وردَّ إلى جوانحه فؤادي
خيالٌ زارني لما رآني عَدَتْني عن زيارته عوادي
يواصلني على الهجران منه ويدنيني على طول البعاد

وقوله [من الطويل] :

وريّانَ من ماء الشباب تهاتفت به نشواتٌ من صبا ودلال[5]
كما اهتزَّ بانٌ من أكاليل روضةٍ تلاعبه ريحا صَبا وشمال

---

(١) ساق حر : هو ذكر القماري المعروف بالحمام القمري ، سمّيَ بذلك لأن حكاية صوته ساق حر .
(٢) مستاق : متتابع بعضها بعد بعض .
(٣) العواتق : الفتيات أوّل إدراكهن والصداق : المهر .
(٤) يريد بالمديني المنسوب إلى علم المدينة الامام مالك إذ يبيح السماع ، وبالعراقي المنسوب إلى عالم العراق أبي حنيفة إذ لم يحرم غير المسكر من النبيذ .
(٥) الرّيان : الكثير الارتواء ، وتهاتفت : تداعت وثبّت .

تعلّم منه الهجرَ طيفُ خياله هدواً فما يلقاه طيف خيال
وأعرض حتى عاد يعرض في المنى ويمنع ذكراه الخطور ببالي

وقوله [من الكامل] :

بأبي غزال صدَّ بعد وصاله وزها عليَّ بحسنه وجمالِهِ
سلب الكرى عيني وألبسها الكرى وحمى خيالي من لقاء خياله[1]

وقوله [من البسيط] :

مستوحشاً من جميع الناس كلّهمِ كأنما الناس أقذاءٌ على بصري[2]

وقوله [من الطويل] :

أما والذي سوّى السماء مكانها ومن مرج البحرين يلتقيانِ
ومن قام في الأوهام من غير رؤية بأثبت من إدراك كل عيان
لما خلقت كفّاك إلا لأربع عقائل لم يخلق لهن يدان
لتقبيل أفواه ، وإعطاء نائل ، وتقليب هنديٍّ ، وحبس عنان

* * *

٣ ـ عبد الملك بن سعيد المرادي

أنشدت له [من المديد] :

قد بلوت الحب مختبراً فأنا المسئول عن خبرهِ
هو عذب عز موردُه غير أن الموت في صَدْرِهِ
نظري أذكى جوى كبدي وهلاك الصَّبِّ في نظره[3]

---

(١) الكرى : من الأضداد يطلق على الأرق والسهاد ، ويطلق على النوم .
(٢) القذى : ما يقع في العين من وسخٍ وغيره .
(٣) أذكى : أوقد وأشعل وأهاج والصب : العاشق .

وقوله [من الكامل] :

قمــرٌ بسبــي ذوي العقــول أنيقا ... ورشــاً بتقــطيع القلــوب رفيقا[1]

مــا إن رأيت ولا سمعــت بمثله ... دراً يصير من الحياء عقيقا

وإذا نظـرت إلــى محاســن وجهه ... أبصرت وجهـك في سنـاه غريقا[2]

وقوله [من الكامل] :

برح الخفــاء فأعْتِبـي أو عاتبي ... فهــواك سدٌ علــيّ رحــب مذاهبي

لو كنـت أعلــم لي سوى فرط الهوى ... ذنبــاً إليك لكنــت أول تائبِ[3]

يــا ظالمــاً لا يسـتفيد بظلمه ... متعتّبـاً في الحــبّ غير معاتب

هلاّ عطفــت علــيّ عطفــة راحمٍ ... لمــا ذللــت إليك ذِلـة راغب

* * *

٤ ـ الوزير أبو عثمان عبد الله بن يحيى بن إدريس

أنشدت له [من الطويل] :

أسحراً سقت عيني جفونـك أم خمرا ... فقـد رحـت ملآن الجفــون به سكرا

وشعـراً أرانـي صبـح وجهــك أم دجا ... ووجهـاً جلا إظــلام شعــرك أم فجرا

وجســمٌ تثنّــى بين ثوبيك ناعمٌ ... أم الغُصُنُ اللدن اكتسى ورقاً خضرا[4]

وقوله [من الخفيف] :

رب خمــر شربتهــا من جفون ... ورياض جنيتهــا مــن خدودِ

---

(١) أنيق : متقن ومعجب .

(٢) السناء : الضياء .

(٣) فرط الهوى : شدّته .

(٤) اللدن : الطري .

إذ يشجّ اللثام ريقاً بريقٍ ويلفّ العناق جيداً بجيد[1]
تحت ظل من النعيم ظليل وبفيء من السرور مديد

وقوله [من الخفيف] :

إنّ بين الضلوع نيران شوقٍ وغليلاً يذوب منه الغليلُ[2]
وحنيناً إليه في طول ليلٍ ما إلى الصبح من دجاه وصول
غاب صبري الجميل إذ غاب فيه وجهه عنّيَ المليح الجميل

وقوله [من الخفيف] :

إنّ بين الضلوع شوقاً دفيناً ترك القلب والهاً مستكينا
يا غزالاً يصبي القلوب هواه وهلالاً يُعشي سناه العيونا[3]
أنت علّمتني الصبابة والبخـ ـل فصرت البخيل فيك الضنينا[4]

وقوله [من البسيط] :

لأنزعنّ وإن لم أقض من وطري إلاّ لبانة أشواقٍ ومُدَّكَرِ[5]
أكفُّ كفي وأثني من تقلّبه قلبي وأقصر من سمعي ومن بصري

* * *

٥ ـ يوسف بن هرون البطليوسي

أنشدت له [من الكامل] :

هو ظالمي لكن أرقُّ عليه من أن أجيل اللحظ في خدَّيْهِ

---

(١) يشجّ : يشق ، والجيد : العنق .
(٢) الغليل : الظمأ .
(٣) أصبى :استمال، وأعشى: أضعف البصر ليلاً ونهاراً .
(٤) الصبابة : رقة الحبّ وشدّته والضنين : الشديد الحرص .
(٥) الوطر : الغاية ، واللبانة : الحاجة .

أعفيت رقـة وجنتيه من أذى عينـي ومـا أعفيت من عينيه
وكأن در الخـد يكسـي حمـرة الـــــياقـوت من نظـر العيون إليه

وقوله [من الوافر] :

أتضـرب بين عينـي واغتماضي بواشٍ من لواحظـك المراضِ
وتخلفنـي بوعـد قد تَقَضّى مدى عمـري وليس له تقاضي
ولـم أسـألك إلاّ النـزر ، إنّي بذاك النّـزر مغتبـطٌ وراض[1]
أبـحْ تفـاحتيك للحـظ عيني وأعـطيك الأمـان من العضاض

* * *

٦ ـ عبد الله بن إسمعيل بن بدر

قال [من البسيط] :

أشكو إلى الله من سمعي ومن بصري ما يجلبـان إلـى قلبـي من الفِكَر
قد كنت أسمـع عمّـن لسـت أذكره خوفـاً عليه من التصـريح بالذكر
سمعت حتى إذا أبصـرت قلـت له : يا حاش لله ما هذا من البشر

* * *

٧ ـ سعيد بن محمد بن فرج

أنشدني له [من البسيط] :

سمعـي فلا كان أعمـى بالبـكا بصري وقـاد قلبـي إلـى الأحـزان والفكرِ
فإن بكت مقلـة مِن فَقْـد من عَرَفَتْ فقـد بكيت بمـن لم أدر بالنظر
يا واصـفيهِ رويداً إنَّ وصفَكُمُ لم يُبْقِ من جَلَـدي شيئـاً ولـم يذر[2]

---

(١) النزر : القليل واليسير .
(٢) الجلد : الصبر .

قالــوا بدا فغلطنــا بالسّــرار له ... لمــا تَبَلَّــج منــه الليل بالقمر[1]

وقوله [من الكامل] :

سقــم الأحبــة للقلــوب سقام ... وإذا القلـوب سقمــن فهــو حمامُ

لله بدرٌ قد تنقص نوره ... بالسقــم ، وهــو بمــا سواه تمام

وقوله [من المتقارب] :

بــكيت ومثلــي بكى للوداع ... وعاصــي العــزاء بشــوقٍ مطاعِ

ولــم أحمــد الصبــر يوم النوى ... ولا كان من قبلــه في طباعي[2]

ولــو كنــت لم أبــك من بينهم ... بكيت علــى عهــد حبٍّ مضاع

وأنشدني لبعضهم شعراً [من الوافر] :

كلامــك مثــل ريقــك ، ذا بهذا ... مزاج سلافــةٍ حلــوٌ بعذبِ[3]

فلــو أنــي إذا أسمعْــتُ هذا ... شربــت بذاك ضاع عليَّ لبِّي[4]

فــإن أبصرْتَنــي منــه صريعاً ... فغالــطْ في هوايَ وشــاةَ صحْبي

وقــل هو نشــوةٌ من خمــر حبٍّ ... فإنّ الــدنَّ قد يدعــى بحبٍّ

* * *

٨ ـ يحيى بن عبد الملك بن هذيل رحمه الله تعالى !

أنشدني له [من الخفيف] :

لا تلمْ هائمــاً قدِ استْحســن الوجــــــــد وكلّ أمــره إلــى استحسانِهْ

---

(١) السرّار : اختفاء القمر والتبلّج : الإشراق .

(٢) النوى : الفراق .

(٣) السلافة : الخمر .

(٤) لبّي : عقلي .

فأنـا الطائـع المشـوق لمـن صـا ... ر يُرينـي الهـوانَ في عصيانه
مـرّ بي خاطـراً يكاد من العجـ ... ـب به ان يُراعَ في ريعانه[1]
فـي ملاءٍ كأنّـه وهـو فيها ... ورد خدَّيْه في جنـى سوسانه[2]
يشتـكي بالفتـور من كسـل المشـ ... ـي ولا يشتـكيه من أجفانه
ولقـد شفَّنـي وأسهـر طرْفي ... لمـع برقٍ يزفّ في لمعانه[3]
شمتـه والظـلام يفتـرّ عنه ... كافتـرار الزنجـيٍّ عن أسنانه[4]

وقوله [من الطويل] :

ألا عودة من طيفـه فيرى حالي ... ألا يا ادّكاري للـكرى لي أتـى تالي
يكاد يضيق الجـو من عظـم زفرتي ... وتهفـو نجـوم الليل من فرط إعوالي
أبـي غير تعذيبـي ولـو أمـر الردى ... أطـاع ولـكن فعلـه هو أنـكى لي

وقوله [من الخفيف] :

والثـريا دنـت من البـدر حتى ... خلتهـا دارعـا يدير مجنّا[5]

وقوله [من الكامل] :

ومزنَّـةٍ والبـرق ينسـج فوقها ... برديْن من نوءٍ وطـلٍّ باكي[6]
مالـت علـى طيّ الجنـاح وإنّما ... جعلـت أريكتهـا قضيب أراك[7]

---

(١) خاطراً : ماشياً بزهوٍ وتبختر، ويراع : من الروع وهو الخوف .
(٢) الملاء : الخمار .
(٣) شفّني : أمرضني وأهزلني .
(٤) شمته : ترقبته وتطلعت إليه .
(٥) المجن : الدرع .
(٦) المزنّة : السحابة ، والنوء ، المطر .
(٧) الأراك : شجر طيّب الرائحة .

وقوله في الخضاب [من الكامل] :

لما رأت شعري تغيّر لونه ورأته محتجباً وراء حجابِ
قالت : خضبت ، فقلت : شيبي إنما لبس الحداد على ذهاب شبابي

* * *

٩ ـ قاسم بن عبد الرحمن العجلي

أنشدني له [من السريع] :

استحيت الأغصان من قدِّه وحار ماء الحسن في خدِّهِ
إنّي لمشتاقٌ إلى ريقه طوبى لمن يرشف من برده

* * *

١٠ ـ محمد بن هشام بن سعد الخير

أنشدني له [من الخفيف] :

يا سقيم الجفون من غير سقمٍ حاشَ لله أن تبوء بإثمي[١]
أنت أذكيت في الحشا نار شوقي وجعلت السّقام يلهو بجسمي
ما أبالي بمن لحاني إذا قا م خطيباً من سحر عينيك خصمي

* * *

١١ ـ عبد الله بن حارث

قال [من الطويل] :

عزائم وجدٍ ما يحلّ لها عقد وجرية دمعٍ ليس يبقى لها خدٌّ

(١) تبوء بإثمي : أي تتحمله .

ومقلة ممنوعِ الرّقاد كأنّما جرى بين عينيه وبين الكرى حقد
وبادية الإعراض لا عن ملالةٍ ولكنَّ إعراضاً يولِّده الود[1]
منعَّمة تزهو بخدٍّ مورّدٍ كأنّ شعاع الشمس من خدها يبدو
وقد وثقت مني بعزم صبابةٍ لها دون عقد الصبر من مهجتي عقد
وما الصَّد إلا كالوصال إذا غدا لغير ملالٍ أو قَلَى ذلكَ الصَّدُّ[2]

* * *

١٢ - عباس بن قرماس

أنشدني له [من الطويل] :

وأحورَ ما يعفى العيون من العشق له كذبٌ في الجدِّ أحلى من الصدقِ[3]
وللحسن في خدَّيه شمس مقيمةٌ وبدر كمالٍ لا يحور إلى محق[4]
وما العيش إلا ميتة الهجر والنوى بأحورَ ما يبقى هواه ولا يُبقي

* * *

١٣ - أحمد بن محمد بن فرج

قال [من الوافر] :

بنفسيَ من يصدُّ بغير ذنب سوى إدلاله ثقةً بحبّي
عجبت لقلبه قاسٍ كجسمي ويحكي جسمه في اللين قلبي
فهلاّ بالتشاكل كان قاسٍ لقاسٍ ، واغتدى رطبٌ لرطْب[5]

---

(١) الإعراض : الصدّ والهجر .
(٢) القلى : البغض والكره .
(٣) الأحور : من كان في عينيه حور ، وهو شدّة البياض وشدّة السواد معاً .
(٤) لا يحور : لا يرجع ، والمحق : من المحاق وهو اختفاء القمر ، وأراد به النقصان .
(٥) التشاكل : التشابه .

وإن لم ينعطف باللين فظٌّ فقولي بالقساوة قلب صَبٍّ

وقوله [من الوافر] :

بأيِّهما أنا في الحب بادي بشكر الطَّيْف أم شكر الرقادِ[1]
سرى وأرادني أملي ولكنْ عففت فلم أنل منه مرادي
وما في النوم من حَرَجٍ ولكنْ جريت من العفاف على اعتقادي

وقوله [من الوافر] :

وما زال الهوى سكناً لقلبي أفرُّ إليه من نوب الخطوبِ
وألتذُّ الغرام المحض منه وأستحلي به حتى كروبي[2]
كذاك الحب ضيفٌ ليس يأتي إلى غير الكرام من القلوب

وقوله [من الطويل] :

بمهلكة يستهلك الجهد عفوها فتترك شمل العزم وهو مبدَّدُ
يرى عاصف الأرواح فيها كأنه من الأين يمشي ظالعٌ ومَقيّد[3]

* * *

١٤ ـ أبو الصخر عبد الله بن محمد

قال [من الخفيف] :

حبذا العيش بين يوم وصالٍ مستجدٍّ وبين يوم صدودِ
وحديثٌ موشَّحٌ بعتابٍ فيهما نزهة الفؤاد العميد[4]

(١) بادي : أراد أن يقول « بادىء » فلم يستقم له الوزن فقلب الهمز ياء .
(٢) المحض : الخالص ، والكروب : الهموم .
(٣) الأين : التعب والاعياء . والظالع : الذي أصابه الظلع : وهو شبه العرج .
(٤) الموشّح : المزيّن ، والعميد :

مــن غزالٍ في مقلتيه سهامٌ هنّ أمضى من مرهفات الحديد[1]

وقوله [من الطويل] :

وكم ليلــةٍ قد نادمتنــي نجومها أديمُ صبوحــاً عندهــا وغبوقا[2]
يعاطيننــي كأســاً ألــذّ من المنى وأعــذبَ من ريق الأحبّــة ريقا

وأنشدني لبعض شعرائهم [من الطويل] :

أيا شمس دنياي التــي كلمــا غدتْ لهــا عزّة المولــى فلــي ذلّــةُ العبدِ
أعالــج داء الدهــر منــك بذلّتي وقد قيل قِدْماً : عالجوا الضِّدَ بالضدِّ

* * *

١٥ ـ زكريا بن يحيى المعروف بابن الطنجية

أنشدني له [من الكامل] : *

صبــراً علــى هجــر الحبيب وصدهِ لا يؤْيِسَــنَّكَ هجــره من ودِّهِ
لا تقنطــنَّ من الصــدود فإنّما لين الزمــان معــرِّضٌ بأشدّه[3]
وأنــا الفــداء لشــادنٍ علّقته حبّيه صيَّرنــي تحلّــة عبدِهِ[4]
مــاء الشبــاب يجــول في وجناته وحســام رونقــه يجــول بخدّه

وقوله [من الكامل] :

قف بالمطــيِّ علــى المنازلْ بالسفــح من حصــنٍ فعاقلْ
دِمَــنٌ أنــاخ بهــا الربيــــع وحــلَّ أثقــال الرواحلْ[5]

---

(١) المرهفات : أي الحادة ، وأمضى : أقطع .
(٢) الصبوح : مشرب الخمر صباحاً ، والغبوق شرب الخمر مساءً .
(٣) القنوط : اليأس ، والصدّ : الإعراض .
(٤) الشادن : الغزال ، وعلقته : عشقته .
(٥) الدمن : الأطلال .

لعبت بها هوج البوا رح بالغدوِّ وبالأصائل[1]
تستنُّ في عَرَصاتها وتجرُّ أذيال القساطل[2]
حتى كأنّ رسومها إخلاق أجفان المناصل[3]
أو أسطرٌ من عهد ذي الـ ـقرنين في الصُّحُف الأوائل

* * *

١٦ ـ فاتك الشهواجي

[قال] في غلام يهواه [من الرجز] :

رسالةٌ من كلف الفؤاد معذَّبٍ بالصَّد والبعادِ[4]
أجفانه وقفٌ على السُّهاد يبكي بدمعٍ رائحٍ وغادي
إلى الذي ممّا لقيت خالي منعَّم العيش رخيٍّ البال
يريد هجري ويرى مطالي لئن سلاني لست عنه سالي[5]
يا غصن بانٍ مخْجل الأغصان ويا رخيم الدلِّ والمعاني
يا قمراً ما إنْ له مداني يا ذا الذي بطرفِهِ سباني[6]
بلغت أعداي الذي أحبُّوا صرت عليَّ والزمان ألْبُ
هذا جزا من بصبيٍّ يصبو عثرْتُ والطِّرفُ الجواد يكبو
يا عبد ما تعرفُ ما ألاقي يا عبد ما شوقك كاشتياقي
نفِّسْ بحقِّ الودِّ عن خناقي ما شَدَّد الهجرانُ من وثاقي

---

(١) البوارح : الآلام .
(٢) العرصات : الساحات ، والقساطل : الغبار الساطع في الحرث .
(٣) إخلاق : إبلاء ، والمناصل : السيوف وغيرها .
(٤) كلف الفؤاد : العاشق والمتيِّم .
(٥) المطل : التسويف .
(٦) سباني : أسرني .

يا ذا الـــذي يمْلكنـــي بطرفِهْ ... يا من يجـلُّ الـوصف عنـدَ وصفِهِ
يا قاتلـي بوعـــده وخُلْفهِ ... ارحـمْ محبّـاً قد دنـا من حتْفه[1]
ارحــم عزيزاً في هواك ذلا ... ألبستــه ثوبـاً فمـا تملّى
قطعــه العــذّال فيـك عذلا ... يا بدرَ تمٍّ في السمـا تجلّى
إرْثِ لقلــبٍ دائـمِ الجراحِ ... ارْعَ انتهـاكي فيك وافتضاحي
لا تقبلنَّ فيَّ قولَ لاحي ... يا ذا الــذي بكفّــه سراحي[2]
فقـد عفـا الرحمـن عمـا قد سلفْ ... فعدٍّ عن زور التصابي والصلف[3]
واحْنُ على الصبِّ بوصلٍ وانعطفْ ... إن لم ينلــه منــك إحســان تلف
بحــق ما في فيك من رضابِ ... يا من غَذَتْــه نعمـةُ الشباب[4]
لا تقطعــنَّ الدهــر في عتاب ... فقــد تقضّى زمـن التصابي
بحــق من أنــزل صُحْفـاً وكتبْ ... إجعـلْ إلـى القلـب طريقـاً وسببْ
يا لعبـةً وافــت علــى كل اللعبْ ... قد مسَّنــي بعــدك بؤس ونصب
لــم يرض بالذلــة غير نذل ... ولســـت أرضــى بقبيح الفعل
إنـــي أرى من دون هذا قتلي ... فاقطع وصالـي أو فجـد بالفضل[5]

وهي طويلة جداً .

* * *

١٧ ـ أبو بكر إسماعيل بن بدر

أنشدت له [من الطويل] :

غزالٌ جنينـا الــورد من وجناته ... علـى أنــه منّـا القلـوب بهـا يجْني

---

(١) الخلف : عدم الوفاء ، والحتف : الموت والرّدى .
(٢) اللاّحي : اللائم ، وسراحي : فكّ أسري .
(٣) الصلف : التكبّر .
(٤) الرضاب بضمّ الراء : الريق .
(٥) جد : تكرّم .

إذا ما بدا والليل منسدل الدُّجا رأيت سناه كيف يفعل بالدّجنِ
أُخَبِّرُهُ بالطّرف أني أحبه فتخبرني عيناه أنْ قد وعى منّي

وقوله [من السريع] :

كيف ترى شوقي وتعذيبي يا غايةً في الحسن والطيبِ
إن الذي قال عليَّ العدى إفك كما قيل على الذِّيب
يا يوسفَ الحسنِ أمَا رحمةً تكْشف عنّي ضرَّ أيّوب ؟[1]

* * *

١٨ ـ مؤمن بن سعيد بن إبراهيم

أنشدت له [من مجزوء الرمل] :

قل لمن لست أُسَمِّي بأبي أنت وأمي
ما على بعض ظباء الـ إنس لو فُرِّجَ هَمِّي ؟
سَيِّدي ، وجهكَ شمسٌ أشرقتْ أم بدر تم ؟

وقوله [من الكامل] :

أودى الفراق بقلبه فكأنّه بعد الظعائن ميتٌ لم يلحدِ[2]
يا ظاعناً ولّى بقلبي إذ غدا ما الصبر من جزعي عليك بأحمد
أفنيت فيك دموع عيني بعد ما أفنيْتُ فيك تصبُّري وتجلُّدي
الله يعلم أن نار صبابتي من يومِ بنْتَ جحيمُها لم يبردِ[3]

---

(١) يوسف الحسن : أي النبي يوسف عليه السلام وتكشف : تزيل ، والضرّ : البؤس والشقاء والعذاب ، وأيوب : أي النبي أيوب عليه السلام .
(٢) أودى : أذهب وأهلك وقضى ، والظعائن : النساء الراحلات ، والظعن : الرحيل والفراق .
(٣) بنت : بعدت وغبت .

وقوله [من الكامل] :

ذكر الرّصافة قلبه فاشتاقا ... وأذاع ماء جفونه مهراقا[1]
كم بالرصافة من أخٍ ليَ مسعدٍ ... لولا النوى ما جئتهم مشتاقا
يا حبذا أرض الرصافة منزلاً ... لقيَ الفؤاد بذكره ما لاقى
لا تنكروا شوقي إلى بلدٍ به ... أهلي فحكم البين أن أشتاقا

وقوله [من الرمل] :

إنما أزري بقدري أنني ... لست من بابة أهل البلدِ[2]
ليس منهم غير ذي مقلية ... لذوي الألباب أو ذي حسد[3]
يتحامون لقائي مثلما ... يتحامون لقاء الأسد
طلعتي أثقل في أعينهم ... وعلى أنفسهم من أحد
لو رأوني قعر بحرٍ لم يكن ... أحدٌ يأخذ منهم بيدي[4]

* * *

١٩ ـ الوزير أبو وهب عبد الوهاب بن محمد

قال [من الرمل المجزوء] :

قتلت عيناك عبدَكْ ... قبل أن تقضيه وعدكْ
حُلْتَ عن عهد محبٍّ ... لم يزل يحفظ عهدك

* * *

(١) أذاع : أسال وأظهر ، ومهراقا : أي أراقها وسفحها .
(٢) أزرى : أعاب وأنقص والبابة : الصنف ، والخصلة .
(٣) ذي مقلية : أي صاحب بغضٍ وكره .
(٤) أي أنهم لو رأوه غريقاً لما ساعدوه .

٢٠ ـ عبد محمد بن حسين بن طلحة العبسي

قال [من الخفيف] :

كيف صبري وأملح الثَّقَلَيْنِ مُخْلِفُ موعدي ولاوٍ بديني[١]
كلما رمت وصلها وصلتني بصدودٍ وذنَّبتني ببين[٢]
هي وسْنى الجفون لكنْ بنومٍ مذ أرتنيهِ أذهبَتْ نومَ عيني[٣]

* * *

٢١ ـ الوزير أبو عثمان عبيد الله بن محمد بن أبي عبيدة

أنشدت له [من المتقارب] :

أمولاي حتى متى أضرعُ وأشكو إليك فما تسمعُ
نبا بي الوساد وطول البعاد وطار الرقاد فما أهجع[٤]
أودُّ بأن المنايا أتت وأين يرى اللحد لي مضجع
يُقَطِّع قلبي صدودك عني فما ليَ في عيشةٍ مطمع

وقوله [من الوافر] :

صدودٌ ليس يبلغه عقاب وعتبٌ ليس يثنيه عتابُ
وإبعادٌ بلا ذنبٍ طويلٍ وإعراضٌ وصدٌّ واجتناب
فلا سهرٌ يطيب ولا رقادٌ ولا أكلٌ يسوغ ولا شراب

* * *

---

(١) الثقلين : الجن والانس ، ولاوٍ بديني : مماطل به ، ومنكر لهُ .
(٢) ذنبتني ببين : أي زاد البعد بعد الصدّ .
(٣) الوسن : النعاس .
(٤) نبا : جفا وباعد ، والهجوع : الرقاد .

٢٢ ـ محمد بن مطرق بن شخيص

أنشدت له [من الطويل] :

يقولــون كم تدعــو إلــى غير راحم ... وما كل من يشكو إلـى النـاس يرحمُ
وددت بأن يرضــى فإن جاد بالرضا ... تفــكّرٍ في ذنــب المحــب فيندم

وقوله [من الخفيف] :

كان في كثـرة العتــاب دليلٌ ... لي علــى أنَّ من هويْتُ ملولُ
مــن نوى جفــوةً تقــوَّل في الحــ ... ـب علــى من يحبــه ما يقولُ[١]
فاقطعـي الوصـل أو صلـي فبقائي ... مع طول العتــاب منــك قليل
واسلــكي بي سبيل عروةَ إن لم ... يَتَّجِــه لي إلــى رضــاك سبيل[٢]

وقوله [من الطويل] :

ولـم أدر إذ زمّـوا الهــوادج بالضّحى ... أطرْفِـيَ أعمـى أم نهــارِيَ مظلمُ ؟[٣]
فيا جفن عيني كيف تطمـع في الهوى ... بنــوم ونــوم العاشــقين محرَّمُ ؟

* * *

٢٣ ـ علي بن حتفان بن أخت النظام

أنشدت له [من الكامل] :

وذكرت ما يلقــى المحــبّ مخلِّفاً ... بعــد الأحبــة من جوى وسهادِ
بالله لا تنس الــوداد فإنّني ... باقٍ علــى عهــدي ومحض ودادي

* * *

---

(١) تقوّل : اختلق الأقوال .
(٢) عروة : هو عروة بن حزام أحد متيّمي العربِ وصاحبته اسمها عفراء .
(٣) زمّوا : شدّوا وأزمعوا الرحيل .

٢٤ ـ محمد بن عبديس الجناني
رحمه الله !

أنشدت له [من المتقارب] :

إليك أمدُّ بشجْوي يداً ... فقد بلغ الحبُّ منّي المدى[1]
فريد المحاسن أنت الذي ... قَد اثبْتَّني في الأسى مفردا
ترفَّقْ فلو كنت بعض العدى ... وفعلك فعلك ما بي عدا
أرحني فقد بتُّ ممّا لقيت ... وأَرْوَحُ ما أرتجيه الرَّدى

* * *

٢٥ ـ أحمد بن أبي صفوان بن العباس
ابن عبد الله بن عمر بن مروان

قال [من البسيط] :

فلو تراني نشواناً أميل على ... هذا وذاك بلا خوف الرقيبيْنِ
والكأس يسعى ونقر العود يخفرها ... ونقل كأسِيَ من ريق الغزالين
رأيت أحسن مرئيٍّ وأبهجه ... ليث العرين صريعا بين ريميْن

* * *

٢٦ ـ أغلب بن شعيب

أنشدت له [من الخفيف] :

ربَّ ليلٍ أحييتْ فيه سنا الصبـ ... ـح بوجه يُعشي الوجوهَ سناهُ
بات والراح في غلائلها البيـ ... ـض تعاطيكها به راحتاه

---

(١) الشجو : الحزن .

فأعـار الـكؤوس توريدُ خدَّيْـ ـه وطيب النسيم مـن رياه
وكأنّ المـدام قد علّمتها كيف تَسْبـي ألبابنَـا مقلتاه[1]

وقوله [من الخفيف] :

قد توقعـت حادث البين إشفا قاً عليه من قبـل حين وقوعِهْ
فرأيت الفـراق دلَّ علـى أن فـراق الحيـاة فـي توديعه

وقوله [من الخفيف] :

مـن مجير المشـوق من أشواقهْ ويكـف الدمـوع مـن آماقِهْ
بان عنـي من غادر القلـب مني فَرَقـاً مـن تأسُّفـي لفراقه[2]

وأنشدني لبعض أدبائهم [من الطويل] :

وليلـة أنسٍ كاد يسبقهـا الفجر وتسفـر في عينـي بهـا الظُّلـم الكُدْرُ
لقيتـك منهـا بالأمانِـيِّ ذاكراً فيا طيب ليلـى من لقـاءٍ هو الذكر
أقمتـك في نفسـي لنفسـي تذكُّرا ففـزت بوصـل ما يغالبـه الهجر
ألسـت نظير البـدر حسنـاً وبهجةً فمالك لا تسـري كمـا يفعـل البدر ؟

* * *

٢٧ ـ محمد بن سليمان الفاني الأكبر

قال [من المنسرح] :

أمثـل شوقـي إليـك ينفرج وهـو بروحـي والجسـم ممتزجُ ؟
أيـن لقلبـي من الهـوى وزر ولوعـة الشـوق فيـه تعتلج ؟[3]

---

(١) المدام : الخمر ، وتسبي : تأسر .
(٢) الفرق : الخوف .
(٣) وزر : مساعد ، تعتلج : تتلاعب .

وابأبـي من يذيب نفسـيَ بالتَّـــكريه منـه الـدلال والغنج
عَلَّـمَ طرْفـي السهـاد من طرفـه السـاحـر ذاك الفتـور والدَّعَج[1]

* * *

٢٨ ـ حسن بن محمد بن ربيع الفاني

قال [من البسيط] :

لولا جفونـك ما استولـى بيَ الكمد ولا تَحَـكَّمَ في أجفانِـيَ السَّهَدُ[2]
الهجـر يذكي جوى قومٍ فيا عجباً للوصـل يذكي جوى قومٍ فيتَّقد
كأنـه ليس يبقـى في جوانحه إلاّ ليشقـى بمـا يلقـى ومـا يجد
هذا مقـام فؤادي في تشوُّقه فلا تسـلْ بعـد ذا ان كان لي كبد

* * *

٢٩ ـ عبد الله بن بكر
رحمه الله تعالى !

أنشدت له [من الخفيف] :

حَسَـدَتْ نفسِيَ الـطبيب وقالت ليت كفـي مكان كفٍّ الطبيبِ
عجبـاً كيـف ساعدتْـه يـداه فصَـدْ ذاك المطـرَّفِ المخضوب[3]
ليت وجـه الحبيب كان من الدنـيا ومـن جنـة الخلـود نصيبي

---

(١) الفتور : الضعف والإنكسار ، والدّعج : سعة العين مع اشتداد بياضها وسوادها .
(٢) الكمد : الحزن والغمّ ، والشهد : الأرق والسهر .
(٣) الفصد : من الفصاد وهو إخراج الدم من الجسد بآلة حادة والمطرّف المخضوب : أي الكفّ المخضّب بالخضاب .

وقوله [من الكامل] :

لمـا رأيت شعـاع وجهـك قد بدا | متهلـلاً كتهلـل البـرقِ
سَبَّحْـتُ من عجـبٍ وقلـت : متى | للشـمس مُطَّلَـعٌ سوى الشرق ؟
ما كنـت أحسـب مثـل صورتها | متكوِّنـاً أبـدا مـن الخلق

وأنشدني للكلبي [الوافر] :

بنفسِـيَ من هواك لهيب شوقٍ | ومـا يخبـو كمـا يخبـو اللهيبُ[1]
هو الـداء الـذي لم يشف منه | لقـاء يلتقيـه ولا مغيـب
وتـروي بالعنـاق قلـوب قومٍ | وتظمـأ لو تعانقـت القلوبُ
علـى أنـي إذا ما غبـت عني | وان أصبحْـت في أهلـي غريب

قال : وعتب الحكم ولي العهد على الكلبي في بعض الأمر فأقصاه وأبعده ، فكتب إليه كتاباً متنصلاً[2] ، وجعل عنوانه « عبده الكلب إلا أن يمنحه مولاه ياء نسبته » فاستظرف الحكم كتابه ، وضحك منه ، ودعاه فأعتبه[3] ، ووصله .

* * *

٣٠ ـ محمد بن حفص بن فرح

قال [من البسيط] :

يا من غدت نفسه نفسي فإن سَلِمَتْ | سلمـتُ أو أَلِمَـتْ قاسمتُهـا الألما
ما إن علمـت الذي تشكوه من سقمٍ | حتـى وجـدت بنفسـي ذلك السُّقما

---

(١) يخبو : يخمد وينطفىء .
(٢) متنصّلاً : متبرئاً .
(٣) أعتبه : أرضاه وأزال سبب عتبه .

وله [من الخفيف] :

فـي المنـى راحـة لكل عميد | شفـه الحـب بالنـوى والصدودِ
إن تنـاءى الحبيب أدْنته منه | فغـدا في العبـاد غير بعيد
أو جفـاه فإنـه لمناه | واصـل حبلـه برغـم الحسود

* * *

٣١ ـ عبد الله بن محمد بن فرح الأندلسي

قال [من الطويل] :

شكا السقم من أهوى وجدٌ به الصبا | ولا مثـل ما جدّ الصّبـا بي في الحبِّ
ومـا عدتـه إلاّ وسقمِـيَ واحدٌ | وأُبْتُ ولي سقمان بالحـب والكرب[١]

وقوله [من الخفيف] :

ما لهـذا الصـدود من غير معنى | يا حبيبـي ، إلـى متـى تتجنّى ؟[٢]
أنـت غصـنٌ فكيف تقسـو لجانٍ | مدَّ كفـاً وأنـت تهتـزُّ لدنا[٣]
إن تكن قد مللـت قربـي تباعد | ت قليلاً لعلنـي سوف أدنى
أيهـا الباخـل الممانـع جُدْ لي | من حياتـي ببعـض ما أتمنّى
أو أرحني بالمـوت فالمـوت عندي | هو خير من أن أعيش مُعَنَّى[٤]

وقوله [من الطويل] :

رحلـت وقلبـي عنـك ليس براحل | وزلـت وصبـري عنـك أوّل زائلِ

---

(١) أبت : عُدت .
(٢) تتجنّى : تتحامل وتتهم .
(٣) الجاني : القاطف ، واللدن : الطري الناعم .
(٤) المعنّى : المعذّب .

وجَـدَّتْ بنـا العيس العتـاق وإنما رحيلـي من الـدنيا بتلك الرواحل[1]
ومـن عجـب أختـار فيك منيَّتي وما في الـدنيا من خيارٍ لعاقل

وقوله [من المتقارب] :

نظـرت إلـى عقـدات الكثيبِ بعينـيْ مشـوقٍ إليهـا كئيبِ
وكم نظـرة ملأتْ ناظري إليهـا دمـا مستهـلٍّ الغروب
رعـى الله أهـل كثيب اللوى كرَعْيك منهـم عهـود الحبيب[2]
وشقّـق فيهـم جيوب السماء كمـا شقـق البين رتـق الجيوب[3]

وقوله [من الطويل] :

أرى نار ليلـي بالعقيق تلوح فتدنـو النّوى بالشـوق وهـي تروحُ
نظـرت إليهـا وهـي تسْبح في الدجى وإنسـان عيني في الدمـوع سبوح[4]
فسلني بوجـد لو تقسّـم في الورى لمـا بات بين الخـافقين صحيح
فيا لك ناراً تصطليهـا جوانحي ودون الصّـلا منهـا مهامـه فيح[5]

* * *

٣٢ ـ محمد بن أحمد بن قادم

قال [من الخفيف] :

لـم أبـح باسمـه لأنّـي ضنينٌ باسمـه أن تذيلـه الأفواهُ

---

(١) العيس العتاق : النوق الكريمات .
(٢) الكثيب : التلّ من الرمال ، واللوى : ما التوى من الرمال .
(٣) الرتق : ضدّ الفتق .
(٤) إنسان عيني : ناظرها . وسبوح : سابح وغارق .
(٥) الفيح : الواسعة ، والمهامه : الفلوات والقفار .

أنـا من خاطـري أغـار عليه   عنـد ذكـري له فكيف سواه
سـاء ظنـي لفـرط غيرة قلبي   مَعَ علمـي عفـافَ من أهواه
وإذا ما سمعـت من يتشكّى   حرقـةً خلـت أنهـا شكـواه

وقوله [من البسيط] :

إنّـي زعيمٌ لمـن أسهـرْتَ مقلتَهُ   أن لا يطيف به طيف من الوسنِ [1]
سبحـان رب الـورى ما كان أغفلني   حتـى رمتنـي الليالـي فيك بالمحن

وقوله [من الخفيف] :

قفْ بربـع البلـى وربـع الهموم   واسفـحِ الدمـع فيه سفـح الغيومِ
غيّرت آيَـهُ صروفُ الليالي   ومحاهـا الغمـام محـو الرّقيم [2]
ساء ما اعتـاض بالسحائـب من نبـ   ـت المعالـي بمنبـت القيصـوم [3]
فالأسـى حين يعـدم الشـيء محمو   لٌ علـى قدر جوهـر المعلـوم

وقوله [من الوافر] :

أمـا والبيت والشهـر الحرام   وزمـزم والمشـاعـر والمقامِ [4]
لقـد حنَّـت ركاب الـركب حتى   شجـت قلـب الخلـيِّ من الغرام [5]
إذا شاق الحنين فؤاد خلوٍ   فكيف نـرى فؤاد المستهام ؟
تحـنُّ إلـى حنين العيس نفسي   ويبعـث شجوهـا نوحُ الحمام [6]
وإنّ حياة نفسٍ كلّ شيءٍ   يُشوِّقُهـا لموشـكـة الحِمام

---

(١) زعيمٌ : كفيل ، والوسن : النعاس .
(٢) الصروف : الأحداث والتقلّبات ، والرّقيم : الخطّ والكتاب .
(٣) القيصوم : نبات ذهبيّ الزهر طيب الرائحة يُتداوى به .
(٤) يجمع الشاعر في هذا البيت الحجّ ومناسكه .
(٥) الخليّ : الذي لا يعرف العشق .
(٦) يبعث : يثير ، والشجو : الحزن .

وقوله [من الكامل] :

ما كان تركي للعيادة عن قلى ... مني ولا لتبدل وتغيُّرِ
لكنْ علمت إذا سمعتك تشتكي ... أن لا يقوم به جميل تصبُّري

* * *

٣٣ ـ محمد بن عبد العزيز العتبي

قال [من الكامل] :

فاسأل بهن ربوعهن ، وما الذي ... يجدي عليك سؤال ربع داثرِ ؟
عَفَّتْ معالمه الليالي مثل ما ... عفَّى سواد الشعر بهجة عامر

وقوله [من الكامل] :

حوراء خوْدٌ تستعير إذا مشتْ ... لينَ القضيب الناعم الميّاسِ (٢)
لانت أناملها ولكنْ قلبها ... في قسوة الحجر الصَّلود القاسي

وقوله [من الكامل] :

ألا في سبيل الله قلب متيم ... أصيبت ببين الظاعنين مقاتلُه
هوى صبره بالبين من ذروة الهوى ... وغالته إذ بان الخليط غوائله (٣)
وبين الحمول المستقلّة شادنٌ ... أغنُّ غليظ القلب رخصٌ أنامله (٤)
تيقنت أن الصبر عنِّيَ زائلٌ ... عشيةَ زَمَّت للرحيل رواحله

* * *

---

(١) لموشكة الحمام : لقريبة إلى الموت .

(٢) الحوراء : من الحور ، وهو شدّة بياض العين وشدّة سواد ، والخود : الشابة الجميلة الناعمة والمياس : المتمايل .

(٣) غالته : أهلكته وقضت عليه وبان الخليط .

(٤) الأغنّ : من في صوته غنّة كغنّة الظبي والرخص : الناعم اللين .

٣٤ ـ محمد بن مروان بن حرب

قال [من مخلع البسيط] :

مـن فرط شحِّـي عليك أنّي رسـول نفسـي إليك عنّي
فلـو سألـت الرسـول ممـن أتـى لقـال الرسـول منـي

* * *

٣٥ ـ المكفوف محمد بن محمود بن أيوب الغنوي

قال [من البسيط] :

لا يبعـد الله أيامـاً نعمْـت بها بين الغوانـي وشمـل الحـي ملتئمُ[1]
بكلّ ناعمـة الأطـراف مشرقة تكاد تسفـر من إشراقهـا الظُّلم
كأنّهـا دميةٌ بل كوكبٌ شَرِقٌ بل روضـةٌ أُنُفٌ زهـراءُ بل صنم[2]
فمـا لمثلِـيَ لا يبـكي لفرقتها والعهـد منهـا ولـو أن البـكاء دم

* * *

٣٦ ـ مازن بن عمرو بن مروان بن محمد بن عاصم

قال [من السريع] :

كم لي بمـن أهـواه مـن وجدِ بينٍ إلـى هجـرٍ إلـى صدٍّ
وعبـرةٍ لو أنهـا جمرةٌ ما أطفئـت مـن شدَّة الوقد
إن حالـت الـريح إلـى غيرها أقـول قد حال عن العهد
وإن دنـا دانٍ توهمته دنـا ليثنيـك عـن الودّ
كأن سوء الظـن مستجمعٌ من بين هذا الخلـق لي وحدي

---

(١) ملتئم : مجتمع .

(٢) روضة أنفٌ : أي لم ترعَ .

وقوله [من الكامل] :

ومنعم للحسن في وجناته ... فجر ينم صباحه ونهارُهُ
قد تاه قرطقه بنهدَيْ صدرِهِ ... وزها بلعبة خصره زناره[1]
أمسى يعلّلني المدام وعنده ... عود ترنٌّ بشجوه أوتاره
فيهيج منّي لوعةً لو أنها ... بصفا المقرّر ضعضعت أحجاره
والدنٌّ مقطوع الوتين ترى له ... علقاً يجود بصوبه مدراره[2]
طفئت مصابحنا فكان سراجنا ... مصباحه حتى الصباح وناره

* * *

٣٧ ـ أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز ابن أمية بن الإمام الحكم

قال [من الطويل] :

لئن منعوا من ناظر نور ناظري ... فما منعوا ما بيننا في الضمائرِ
نموت ولا نشكو الهوى غير أننا ... إذا ما التقينا نشتكي بالمحاجر[3]

وقوله [من السريع] :

ودّعني إذ ودّعوا صبري ... وجمّعوا البين إلى الهجر
واستخلفوا في كبدي لوعةً ... لاعجها أذكى من الجمر[4]
لولا دموع العين يوم النوى ... لأحرقت من حرّها صدري
وكيف صبري في هوى شادنٍ ... مكتحل الأجفان بالسّحر

* * *

---

(١) القرطق : الثوب أو نوعٌ من الثياب .
(٢) الوتين : شريان في القلب يسقي عروق الجسد كلها . والصوب : المطر .
(٣) المحاجر : يعني العيون .
(٤) اللاعج : حرقة الحبّ .

٣٨ ـ محمد بن عبد الله بن عبد الواحد المعروف بعرجون

قال [من الخفيف] :

يا رسولي أبلغ إليها شكاتي واسْأَلَنْها ولو بقاء حياتي

قل لها قد قضى هواك عليه فهو مَيْتٌ أو مؤذِنٌ بالممات

فالحظيه ترين إن شئت ميتاً كان يحيا بأيسر اللحظات

واعجبي أن تكون لحظة عينٍ منك تهدي الحياة للأموات

* * *

٣٩ ـ عيسى بن أبي جرثومة

قال [من البسيط] :

يا من سقتنِيَ كأسَ الحبِّ عيناه صرفا وَثَنَّى بأخرى طيب ريّاهُ[١]

وزادني وردتي خديه ثالثة فأسكَرَتنِيَ عيناه وخدّاه

يا من كساه ضياء الحسن خالقه فبالملاحة حيَّاه وردَّاه[٢]

حيٌّ يرجّي سلاماً في ملاحظةٍ تشفي به سقم قلبٍ طال بلواه

* * *

٤٠ ـ أحمد بن عبد الملك بن مروان

قال [من الكامل] :

ولقد نَفَسْت على الأراك ، وحق لي لما اجتني بالذوق طيب جناكِ

وبِيَ الصَّدى لا بالأراك ، فما له رشف اللّمى وحرمت رشف لماك ؟[٣]

---

(١) الصرف : الصافي الذي لم يمزج بغيره .

(٢) ردّاه : ألبسه .

(٣) الصّدى : الظمأ .

أشعرت لو أنّي حللت محله ... لم أمتهنك بأن أقبِّل فاك

وقال [من الطويل] :

على صدع شملي منك قلبي تصدعا ... فعن أي حال منك أبدي التوجُّعا ؟[1]

على النَّأي منكم أم على قرب داركم ... بهجرٍ يزيل الصبر عنِّيَ أجمعا ؟

بلى إن في قرب الديار لراحةً ... وإن لم يَدَعْ فيك هجرك مطمعا

كما أن أيام النوى تبعث الأسى ... ويدعو التصابي للمحب إذا دعا

وقوله [من البسيط] :

هبّت لنا الريح من تلقاء كاظمة ... وهناً فكم ردّ نفح الريح من روح[2]

وما عرفت نسيم الريح من بلدي ... إلا بعرف حبيب هَبَّ في الريح

* * *

٤١ ـ عيسى بن جوشن

قال [من البسيط] :

أذاع سافحُ دمع العين حين همى ... من الجوانح سراً كان مُكْتَتَما[3]

لا تحسبي أنّه سرٌّ بذلت به ... ولا فتحت به للكاشحين فما[4]

لولا عواصي دموع لا تطاوعني ... ما ذاع سرُّكِ عندي لا ولا عُلِما

لؤمٌ بذي الحب أن يُبْدي سرائر ما ... يهوى ومن صانها حفظاً فقد كرما

سجيّتي أنني أرعى ودائعكم ... وأحفظ العهد منكم كلما قدُما[5]

---

(١) صدع الشمل : تفرّقه .

(٢) كاظمةِ : إسم موضع ، والوهن : الضعف .

(٣) همى : نزل وانذرف والمكتتم : المستتر .

(٤) الكاشح : المبغض .

(٥) السجيّة : الطبع .

وأننــي أمنــح الواشــي بكم أذناً معــارةً فيكُمُ عن قولـه صمما[1]

* * *

٤٢ ـ عبد الله بن سعيد الكاتب المعروف بابن الأخرس

قال [من الخفيف] :

ما لعــذري يزيد في قدر ذنبي وعتابــي يغــريك فِيَّ بعتْبِ
ولمــاذا اشتــريت ودِّي وقــد أعــــــــطيتك الــود من لسانــي وقلبي
حسبِــيَ الله من أعــادٍ وحسَّا دٍ ، وبالصــدق في ترضيك حسبي
أنــت شربــي وليس فــي العيش حظ لِيَ يصفــو إذا تكدَّرَ شربي

* * *

٤٣ ـ عبد الله بن حسين بن عاصم بن طاهر

قال [من المجتث] :

أبـدى الصــدود حبيـبٌ قـد خان عهـدي ومـلاّ
ولــي فمــن لي بروحي يـردّهـا إذ تـولّـى !
لا آخـذ الله منــه مـن بالجفـاء تحلّــى

وقوله [من البسيط] :

أغــرى بِيَ الشــوق فِكْر ما يسالمني أقــام بين ضلوعــي حرب صفينا[2]
هذا ومـا خان أحبابـي الأولـى ظلموا وإنّهــم لعهــود الحــبّ راعونـا[3]

---

(١) الصمم : الوقر .

(٢) صفّين : مدينة على الفرات كانت بها الواقعة العظمى بين جيشيْ عليّ ومعاوية سنة ٣٧ هـ .

(٣) راعون : محافظون .

يا أهـل ودّي عدا بي عن زيارتكم هوى يلـحُّ بإبعـادي أحايينـا
ما لي علـى الحـبّ من عونٍ يوازرني فيه سوى أدمـع تجـري أفانينا[1]

* * *

٤٤ ـ الوزير أبو الحزم جهور بن عبد الله

قال [من الكامل] :

يا عائبـاً لي بالصدو د إذا ذكرت قبيح عذركْ
أخليت من قلبـي مكا ناً كان معمـوراً بذكرك
وأنـا أحبّـك لو وثقـــت وأستـديم بقـاء عمرك

* * *

٤٥ ـ عيسى بن عبد الملك بن قزمان

قال [من السريع] :

كم من حبيبٍ كان لي قُرَّةً مقتـرب الـود لطيف المكانْ
يرى علـى الأعـداء فيمـا يرى كالصـارم الهنـدي أو كالسّنانْ
حتـى إذا الدهـر نبـا نبوةً حال فحلنـا بانقـلاب الزمان[2]
كان صديق الغيب فيمـا يرى وإنّمـا كان صديق العيان[3]

وقوله [من المتقارب] :

تقـول : بعـدتَ فأنسيتنـا ولـم يك حبـك بالدائمِ

(١) الأفانين : جمع أفنان الذي هو جمع فنن وأصله الغصن من الشجرة .
(٢) نبا نبوةً : جفا جفوةً، والصارم : السيف القاطع .
(٣) صديق الغيب : أي من يودك في القرب والنأي . وصديق العيان : من لا يودك إلاّ في القرب والمشاهدة .
أي صديق المصلحة .

فقلـــت لهـــا : لو علمـــت الهوى   لمـــا جرْتِ فيه علـــى العالم[1]
لأن الهـــوى وانتـــزاح النوى   يزيدان في لوعـــة الهائم[2]
كفعـــل الـــرحيق وســـكر الكرى   إذا ما استعانـــا علـــى النائم[3]

* * *

٤٦ ـ محمد بن عبد الجبار النظام

قال [من الخفيف] :

إنَّ جهـــلاً بالمـــرء ذي الحـــزم والرأ   ي رجـــوعٌ في الغـــيِّ بعـــد نزاعِ[4]
ومحـــالاً بأن يطيع هواه   والهـــوى ـ ما علمـــت ـ شرُّ مطاع

وله [من الخفيف] :

أوْدَعَـــتْ مهجتـــي غداة الوداع   حرقـات تجنُّهـا أضلاعـــي
طفلـة تستبـــي العقـــول بدلٍّ   آخـــذٍ للقلـــوب والأسمـــاع
كشف البينُ ما كتمـــت ومـــا كنـــــــت قديمـــاً أصونـــه في قناعي[5]

* * *

٤٧ ـ الوزير أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد[6]

أنشدنـــي له أبـــو سعيد بن دوســـت ، قال : أنشدنـــي الـــوليد بن بكر الفقيه الأندلسي قوله من قصيدة يمدح فيها [من الطويل] :

---

(١) جرتِ : ظلمت من الجور .
(٢) انتزاح النوى : كدر البعد وطول مدّته .
(٣) الرحيق : الشراب .
(٤) النزاع : وهو النزوع عن الشيء والإقلاع عنه .
(٥) البين : البعد ، وأصونه : أحفظه والقناع : يريد به الصدر موضع الأسرار .
(٦) له ترجمة وافية في ذخيرة ابن بسّام (١ ـ ١٦١) وما بعدها .

وأخـــرى اعتلقنـــا دونهـــن، ودونها قصـــور وحُجّـــابٌ ووالٍ ومعشرُ
يزيِّنهـــا مـــاء النعيـم وحَفَّها من العيش فينـــان الأراكة أخضر[1]
إذا رامهـــا ذو حاجـــة صدَّ وجهه ظبـــا الباتـــرات والـــوشيج المكسَّر[2]

ومنها :

ومـــن قبـــةٍ لا يدرك الطـــرف رأسها تزلُّ بهـــا ريح الصبـــا فَتَحَدَّر
إذا زاحمـــت فيهـــا المخـــارم صوَّبت هبوباً على بعد المـــدى وهـــي تجأر[3]
تكلّفتهـــا والليل قد جاش بحره وقـــد جعلـــت أمواجـــه تتكسّر
ومن تحت حضنـــي أبيضُ ذو شقاشقٍ وفي الكف من عسّالـــة الخـــط أسمر[4]
إلـــى بيت ليلـــى وهـــو فرد بذي الغضا يضـــيء كعين المستهـــام ويزهر
همـــا صاحبـــاي من لدنْ كنـــت يافعاً مقيلان من جدّ الفتـــى حين يعثر
فذا جدول في الكفّ تشفـــي به المنى وذا غُصُـــنٌ في الـــكفّ يجنـــي ويثمر
فبتنـــا علـــى ضمٍّ اشتياقنا تكاد له أكبادنـــا تتفطّـــر

ومنها :

ودَوِّيةٍ من فتنـــةٍ مدلهمَّةٍ دريس الصُّـــوى معروفهـــا متنكَّر[5]
إذا جابهـــا الخِـــرِّيت في طرقاتها يظـــل بهـــا أعمـــى وإن كان يبصر[6]
ترى ثابتـــات الحـــكم عنـــد اعتسافها تركُّ علـــى إدفافهـــا فتهوّر
وإن سلـــكت أضواجهـــا عَيَّيَتْ بها غوارب من ذي مطـــريات تزجّر[7]

---

(١) الفينان : وصف للغصن الرطيب الطويل الكثير الحسن .
(٢) الظبا : الحد ، والباترات : القاطعات ، والوشيج : شجر نتخذ منه الرماح .
(٣) المخارم : جمع مخرم ، وهي الطرق والأنفاق في الجبال .
(٤) الحضن : الجانب وبين الإبط ، والأبيض : السيف ، والأسمر : الرمح .
(٥) الدّوية : القفر والصحراء ، والصّوى : الطريق والمعالم .
(٦) الخرّيت : الدليل الحاذق الماهر .
(٧) أضواجها : منعطفات الأودية وغوارب : المطيّ النشيطة .

وسرنـــا نجـــوز النهـــج حتـــى بدا لنا بغـــرَّة يحيى ساطـــع اللـــون أزهر

وله من أخرى أولها [من الطويل] :

* أمن رسم دار بالعقيق محيل *

ولمـــا هبطنـــا الغيث يذعـــر وحشه علـــى كلّ خوَّار العنـــان أسيلِ[1]
مســـومَّـــة نعتدُّهـــا مـــن جيادنا لطـــرد قنيص أو لطـــرد رعيل[2]
إذا ما تغنـــى فوق متونها ضُحَيّاً أجابـــت تحتهـــم بصهيل
تدوس بنـــا أوكار نوء كأنه رداء عروس أوذنـــت برحيل
رمينـــا بهـــا عرض الصـــوار فأقعصتْ أغـــنَ قتلنـــاه بغيـــر قتيل[3]
وبـــادر أصحابـــي النـــزول فأقبلـــت كراديس من غضٍّ الشِّـــواء نشيل[4]
فقلـــت لساقيهـــا أدرهـــا سلافـــةً شمـــولاً ومـــن عينيك صرف شمول
فقـــام بكأسيه مطيعـــاً لإمرتي يميلِ به الإدلال كلّ ميـــل
وشعشـــع راحيه فمـــا زال مائلاً برأس كريمٍ منهـــمُ ونبيل

وله من أخرى[5] [من الطويل] :

منازلهـــم تبـــكي إليك عفاءها سقتهـــا الثـــريا بالعُـــرِيٍّ نحاءها[6]
أَلَثَّـــتْ عليهـــا المعصـــرات بقطرهـــا وَجَـــرَّتْ بهـــا هوج الـــرياح ملاءها[7]
حبســـت بهـــا عدواً زمـــام مطيتي فحلَّـــت بهـــا عينـــي علـــيٍّ وكاءها[8]

---

(١) الأسيل : الليّن المستوي الأملس .
(٢) المسوّمة : المعلّمة ، والرعيل : القطيع .
(٣) الصوار : القطيع من البقر الوحشي ، فأقعصت : قتلت في مكانها .
(٤) الكراديس : القطع .
(٥) ورد كثير من هذه الأبيات في الذخيرة (١ - ٢١٦) مع اختلافٍ يسير .
(٦) العفاء : زوال آثارها ، والعري : اسم مكان والنحاء : الزقّ والجرّة .
(٧) ألثت عليها المعصرات : أي دام المطر بها أيّاماً متتابعة دون انقطاع .
(٨) الوكاء : رباط القربة والوعاء والكيس وغيره .

رأت شدَنَ الآرام في زمـن الهوى ... ولـم تر ليلـي فهـي تسفـح ماءها

خليلـيَّ عوجـا بارك الله فيكما ... بدارتهـا الأولـى نُحَـيٍّ فناءها

ولا تمنعانـي أن أجـود بأدمعٍ ... حواهـا الجـوى لمـا نظـرت جواءها

فأقسـم ما شمـت الغـداة وقودها ... وقـد شمـت ما راب الحمـى وأساءها

ميادين أفـراس الصبـا ومراتعُ ... رتعـت بهـا حتـى ألفـتُ ظباءها

ولـم أر أسرابـاً كأسرابهـا الدمى ... ولا ذئـب مثلـي قد رعـى ثَمَّ شاءها

ولا كضـلالٍ كان أهـدى لصبوتي ... ليالِـيَ يهدينـي الغـرام خباءها

ومـا هاج هذا الشـوق إلاّ حمائمُ ... بكيت لهـا لمـا سمعـت بكاءها

تغـنَّ فلا يبعـدْ بذي الأيك عاشقٌ ... بكى بين ليلـى فاستحـثَّ بكاءها

أنا البحـر لا يستوهـن الخطـب طاقتي ... وتأبـى الحسـان أن أطيق لقاءها

تيمّـم قصـدي النائبـات فردَّهـا ... فتـى لم يشجَّـعْ حين حان رياءها

إذا طرقتـه الحادثـات أعارهـا ... شبـا فكرات قد أطـال مضاءها[1]

أمـا وأبـي الأعـداء ما دفعتهم ... يد سبقتهـم يَتَّقـون عداءها

جزاهم بمـا حازوا من الجهـل حلمه ... كريم إذا رَأْيُ المـكارم جاءها

ومنها :

وكم لك من يوم وقفـت بظله ... وقـد نازلتنـا الحادثـات إزاءها

ومن موقف ضنـك زحمـت به العدى ... وقـد نفضـت فيه العقـاب رداءها

وكم أمـةٍ أنجدتهـا وكأنها ... يرابيع سدَّتْ خيفـةً قصعاءها[2]

ومـن خطبـة في كبَّـة الصَّـك فيصلٍ ... حسمـت بهـا أهواءهـا ومراءها[3]

---

(١) الشبا : يقال شبا النار : أوقدها وهنا يقصد قوّة الفكر والرأي ومضاءها : إعمالها وحدّها .

(٢) يرابيع : جمع يربوع ، وهو حيوان قاضم يشبه الفأر ، قصير اليدين طويل الرجلين وطويل الذنب .

(٣) كبّة الصك : الكبّة : الزحمة والجماعة والشدّة والصك : الكتاب ، والمراء : المزاج والهوى .

ومن أخرى أولها [من الكامل] :

* أنكيت - إذ ظعن الفريق - فراقها *

يقول فيها :

إنـي امـرؤٌ لعـب الزمـان بهمّتي   وسـقيتُ من خمـر الخطـوب دهاقَها
فإذا ارتمـتْ نحـوي المنـى لأنالها   وقف الزمـان لهـا هنـاك فعاقها
فإذا أبـو يحيى تأخّـر سعيه   فمتـى أؤمِّـل في الدّنـا إلحاقها[1]
الملبسـي ذهبيَّةً مـن فضله   ثنـتِ العيون فلـم تطـق رقراقها
والمانعـي من صرف دهـري بعدما   قلبـتْ إلـيَّ الحادثـات حداقها[2]
حتّـام لا تزوي جيادك للوغى   وتشيم من بيض السيوف رقاقها[3]
وتسـدّ طرق الأرض منـك بجحفلٍ   يذر الملـوك مديمـةً إطراقها
بحـرٌ إذا خفقـت عقـاب لوائه   بتخـوم أرضٍ لم تخف إخفاقها

ومنها :

بطـلٌ إذا خطـب النفـوس إلـى الوغى   جعل الظُّبا تحـت العجـاج صداقَها[4]
لو عارضـت هوج الـرياح بنانه   يومـاً لسـدَّ ببعضـهـا آفاقها
وإذا الملـوك جرت جياداً في الوغى   والجـود قطّـع غفـوةً أعناقها
ولَـو أنَّ أفـواه الضراغـم منهلٌ   للـورد أورد خيلـه أشداقهـا[5]

وقوله [من الطويل] :

أفـي كلّ عامٍ مصـرعٌ لعظيم   أصـاب المنـايا حادثـي وقديمي

---

(١) كذا ، وفي الذخيرة « فمتى أؤمل في الزمان لحاقها » .
(٢) الحداق : جمع حدقة ، وهي سواد العين .
(٣) تزوي : تجمع وتهيّء .
(٤) الصداق : المهر .
(٥) المنهل : مشرع الماء ، والورد : حيث ترد الحيوانات للإرتواء من الماء .

فكيف لقائي الحادثات إذا سطت وقد فلَّ سيفي منهم وعزيمي[1]
مضى السَّلَف الوضّاح إلاّ بقيةً كغرَّةِ مُسْودٍّ القميص بهيم[2]
وكيف اهتدائي في الخطوب إذا دجتْ وقد فقدت عيناي ضوء نجومي
أما وأبي الأيام لولا اعتداؤها لظاهرتُ في ساداتها بقروم[3]
وقارعت من يبغي قراعِيَ منهمُ بأحلام بطشٍ أو بطيش حلوم
أحلُّوا ملامي لا أبا لأبيهمِ وإنِّي وربٍّ المجد غير ملوم
فلا تعذلوني إن ولهتُ فإنها علاقة حبر لا علاقة ريم

وقوله [من الخفيف] :

قد تركنا الصبا لكل غَوِيٍّ وانسلخنا من كل ذام وعابِ
وانقطعنا لواعظات مشيب آذنتنا حياتها بذهاب
وإذا ما الصبا تحمَّل عنا فقبيحٌ بما ارتضاه التصابي
وفُتُوٍّ سروا وقد عكف الليل وأقعي مغدودن الأطناب[4]
وكأن النجوم لما هدتهم أشرقتْ للعيون من آدابي
وكأنّ الصباح قانصُ طيرٍ قبضت كفّه برجل غراب
وكأن البروق إذ طالعتهم أوقدت في سمائها من شهابي
يتقرُّون جوز كلّ فلاة جنح ليل جوزاؤه من ركابي[5]
عَنَّ ذكري لمدلجيهم فتاهوا من حديثي في عرض أمرٍ عجاب[6]

---

(١) سطت : من السطوة : أي بطشت وفتكت ، وفلّ : تشقق وتقطّع .
(٢) أي كغرّة الفرس .
(٣) القروم : الأسياد ، وظاهرت : استعنت ، وطابقت .
(٤) الفتو : جمع فتى ، والمغدودن : الناعم .
(٥) يتقرّون : يتلمّسون ويتفحّصون وجوز الفلاة : وسطها .
(٦) الإدلاج : المسير في الظلمة .

همـةٌ في السمـاء تسحـب ذيلاً   من ذيول العـلا وجـدٌ كابي[1]
وفتـىً أرهفـت ظبـاه المعالي   فثنتـه بالبـاتـر القرضـاب[2]
نيَّبتـه   أيامـه   ولياليـــــه بظَفْـرٍ مِنَ الْخطـوب وناب
حُـوَّنٍ لو رآه صرف الليالي   لتـوارى من خوفـه في حجاب
ذاق   أيامــه   فكان   سواء   عنـده طعـم شهدهـا والصّاب
ولَـو آنَّ الـدنيا كريمـة نجرٍ   لم تكن طعمـة لفـرس الكلاب[3]
وإذا ما نظـرت ما حاز غيري   قلٌ عمـا حملتـه في ثيابي

وقوله [من الرمل] :

أصـفيحٌ شيمَ أم برقٌ بدا   أم سنـا المحبـوب أورى أزندا[4]
هـبَّ من مرقـده منكسراً   مسبـلا للـكُمِّ مُرْخٍ للرّدا
يمسـح النعسـة من عينـيْ رشأ   صائـد في كل يوم أسـدا
كاد أن يرجـع من لثمـي له   وارتشافـي الثغـر منـه أدردا[5]
قـال لي يلعـب : صدْ لي طائراً   فترانـي الدهـرَ أجـري بالكدا[6]
فـإذا استنجـزت يومـاً وعده   قال لي يمطـلُ : ذكِّرنـي غدا
شربـت أعضـاؤه خمـر الصبا   وسقـاه الحسـن حتـى عربدا
وأنـا المجـروح من عضته   لا شفانـي الله منهـا أبدا !
ومـكانٍ عازبٍ من جيرةٍ   أصدقـاء وهـمُ عين العدا
ذي نبـاتٍ بلبلـت أعرافه   كعـذار الشعـر في الخـدّ بدا[7]

---

(١) وجدٌ كابي : أي خط عاثر .
(٢) أرهفت : أمضت ، والباتر : القاطع .
(٣) النجر : الأصل .
(٤) أورى أزندا : أشعل الزند ، والزند شجر سريع الاحتراق وشديد الحرارة .
(٥) الأدرد : ذاهب الأسنان .
(٦) الكدا : الاستعطاء .
(٧) الأعراف : تيجان النبات والعذراء : الشعر الذي يحاذي الأذن من جانب اللحية .

قلـت إذ خيَّمْـتُ فيه قاطناً ... وتلاقتنـي الأمـانـي سُجَّـدا
ورأيت الدهـر خوفـي ساكناً ... وبنـى الأحـرار حولـي أعبدا
جـاد من أصبحـت في أيامه ... والـردى يحـذر من خوفـي الردى
ملكٌ يحسـب عدلاً ملكاً ... وإمـامٌ أَمَّ فينا فهدى
خلتـه والرمـح في راحته ... قمـراً يحمـل منـه فرقدا
نِعْـمَ ما اختـرت لنفسـي فاعلموا ... إنْ زمـان جار أو صرفٌ عدا
ليس من يعشـو إلـى نار القرى ... مثـلَ من يعشـو إلـى نار الهدى [1]

ومن شعره [من الطويل] :

أبـرقٌ بدا أم لمـع أبيضَ قاصل ... ورجعٌ شدا أم رجـع أشقـرَ صاهلِ
ألا إنهـا حرب جنيت بلحظة ... إلـى عُرُبٍ يوم الـكثيب عقائل
هوى تغلبـيٍّ غالـب القلـب فانطوى ... علـى كمـدٍ من لوعـة القلـب داخل
ردى تعلمـي بالخيل ما قرِّب النوى ... جيادك بالثرثـار يا ابنـة وائل
جزينـا بيوم المـرج آخـر مثله ... وغصـنٍ سقينا ناب أسمـر عاسل [2]

ومنها :

سهـرت لهـا أرعـى النجـوم وأنجماً ... طوالـع للـراعين غير أوافل
وقـد فغـرت فاهـاً بهـا كلّ زهرة ... إلـى كلّ ضرعٍ للغمامـة حافل [3]
كأنّ الدجـى همِّـي ودمعـي نجومه ... تَحَـدَّرَ إشفاقـاً لدهـرٍ مماحل [4]
ومـا بِيَ إلاّ همـةٌ أشجعية ... ونفسٌ أبـت لي من طلاب الرذائل
وكيـف ارتضائـي دارة الجهـل منزلاً ... إذا كانـت الجـوزاء بعض منازلي

---

(١) يعشو : يقصد ليلاً ، والقرى : الضيافة .

(٢) العاسل : الرمح .

(٣) فغرت : فتحت ، والضرع : الثدي في الحيوانات اللبونة .

(٤) هميٌّ : من هما المطر : أي نزل .

وصبري على محض الأذى من أسافلٍ ومجـدي حُسامـى والسِّيادةُ ذابلي
ولمـا طمـى بحـر البيان بفكرتي وأغـرق قرن الشـمس بعض جداولي
زففْـت إلـى خير الـورى كلَّ حرةٍ من المدح لم تخمل برعي الخمائل[1]
ومـا رمتهـا حتـى حططـت رحالها علـى ملكٍ منهـم أَغَـرَّ حلاحل[2]

وقوله من قصيدة أولها [من الكامل] :

* هاتيك دارهم فقف بمغانها *

يقول فيها :

ودَّعتُهُـمْ وزنـاد قدح في الحشا دون الضلـوع يشـبُّ من نيرانِها
يا صاحبـيَّ إذا ونـى حاديكما فتنشَّقـا النفحـات من ظيَّانها[3]
وخـذا بمرتبَـع الحسـانِ فربما شفع الشباب فصرت من أخدانها
وكأنمـا الشعـرى عقيلـة معشرٍ نزلـت بأعلـى النسـر من ولدانها
وكأنّمـا طرق المجـرة منهجٌ للعامـرية ضامـنٌ فينانهـا
المعجليـن عداتهم برماحهـم والجـاعلين الهـام مـن تيجانها
أنـا طودهـا الراسـي إذا ما زلزلت أيدي الحـوادث من فؤاد جبانها
وعلـيَّ للصبـر الجميل مفاضـةٌ زغفٌ أفـلُّ بهـا شبـاة سنانها[4]
وكأنّني لمـا كرمـت وقـد شكت أرضى الحوادث غبت من حدثانها
وقضـت بعـزّ النفس منـي دوحةٌ من عامـرٍ أصبحـت من أغصانها
أسـري لهـم بالخيل حتـى خيّلوا أنّ الجبـال رمتهـمُ برعانها[5]

---

(١) زففت : قدّمت وأنشأت أحسن القصائد والأفكار ، لم تخمل : تزول آثارها .
(٢) حلاحل : السيّد الشجاع .
(٣) ظيّانها : عسلها .
(٤) المغاضة : الدرع . والزغف : الدرع الواسعة الطويلة .
(٤) المفاضة : الدرع ، والزغف : الدرع الواسعة الطويلة .
(٥) خيّلوا : حسبوا ، والرعان : جمع رعن وهو أنف الجمل .

ورمى العـدى بكتائـبٍ ملء الفضا   أعمدن نصـل الصبح في رهجانها[1]
مــن كلّ سلهبــةٍ تطير بأربعٍ   ينسيك مُؤْخَرهـا التمـاح لبانها[2]
نشـأوا بزاهـرة الملـوك ومائها   وكأنهـم نشـأوا علـى غسَّانها[3]
وأَرَتْهُـمُ العـرب الـكرام مصاعها   فتعلَّمـوا من ضربهـا وطعانها[4]

وقوله من قصيدة أخرى [من الطويل] :

خليليَّ ما آنفـك الأسى منـذ بينهم   حبيبِـيَ حتـى حلَّ بالقلـب فاختطا
أريد دنـواً من خليلي وقـد نأى   وأهـوى اقترابـاً من مزار وقـد شطا[5]
وإنـي لتعرونـي الهمـوم لذكركم   هدوّاً فلا أستـطيع قبضـاً ولا بسطا
وإن هبـوط الـواديين إلى النقا   بحيث التقى الجمعان واستقبل السقطا
لمسرح سربٍ ما تقـرَّى نعاجه   بريراً ولا تقـرو جآذره خمطا[6]
ومرتجـزٍ ألقـى بذي الأثـل كلكلاً   وحـطّ بجرعـاء الأبـارق ما حطّا[7]
سعـى في قياد الـرّيح يسمـح للصبا   فألقَـتْ على غـير التِّـلاع به مرطا[8]
وما زال يروي الترب حتى كسا الربى   درانـك والغيطـان من نسجـه بسطا[9]
وعَنَّـتْ له ريح فأسقـط قطره   كما نثـرت حسنـاء من جيدهـا سمطا
ولـم أر درا بدَّدتـه يد الصبا   سواه فبـات الزهـر يجمعـه لقطا

---

(١) الرهج : الغبار .
(٢) السلهبة : الطويلة الجسيمة ، واللبان : الصدر .
(٣) غسّانها : رجالها ، والغسّان : ريعان الشباب وحدّته .
(٤) المصاع : الجلاد والقتال .
(٥) شطا : بعُدَ .
(٦) تقرى: تطعم، والبرير: الأول من ثمر الأراك ، والخمط : نوع من الشحر .
(٧) الكلكل : الصدر ، والجرعاء : أرض حزنة بها رمل وحجارة .
(٨) التلاع : المرتفع والمنتصب من الأرض والمرط : الثوب الطويل الذيل .
(٩) الدرانك : ضربٌ من الثياب .

وقوله يصف الذئب وأحسن [من الطويل] :

أزلٌّ كسا جثمانه مستترا طيالس سوداً كالدجى وهو أطلسُ[1]

فدلَّ عليه لحظ خِبٍّ مخادعٍ ترى ناره من ماء عينيه تقبس[2]

وقوله [من مجزوء الكامل] :

وأغرَّ قد لبس الدجى برداً فراقك وهو فاحمْ

يحكي بغُرَّته هلا ل الفطر لاح لعين صائم

أرمي به بقر الحمى وأصدُّ عن عصم العواصم[3]

وتجانبي فتق النفو س من المهاريت الدلاقم[4]

حتى إذا علم الصبا ح أشار من تلك المعالم

وتمايلت أيدي الثريّا وهي مُذْهبة الخواتم

ورنت ذكاءُ بناظرٍ رمدٍ من الأقذاء سالم[5]

قلت : ومن رسائله العجيبة قوله يصف البرد والنار والحطب :

أطال الله بقاء مولاي الذي أهتدي بمصباحه ، وأعشو إلى غرره وأوضاحه ، صبحتنا اليوم خيل البرد مغيرة ، فانقبضت إلى أخريات الإيوان ، وقد كدسني بصارم وسنان . فجعلت مجني حطباً دل على نفسه ، وتشظى من يبسه[6] فسلطت عليه صاحب الشرر[7] ورميته منها ببنات الحديد والحجر . فواقعه قليلاً، وعاركه طويلاً . فكان لها عجيج ، وله من حرها ضجيج . ثم خلا لها صريعاً ، واستولت

---

(١) الأزلّ : الضيق .

(٢) الخبّ : الخداع والخبث .

(٣) أصدّ : أمنع ، والعصم : جمع أعصم ، وهو من الغزلان وغيرها ، ما في ذراعيه أو احداهما بياض وسائره أسود أو أحمر .

(٤) المهاريت الدلاقم : الأسود المغيرة .

(٥) ذكاء : هي الشمس .

(٦) تشظى : تشقّق .

(٧) صاحب الشرر : الزناد .

عليه صعباً منيعاً . فبددت شمله وألفت شملها ، واستحالت حية لا يستلذ قتلها . ترمي بألوان وتتهدد بلسان ، فلذعت البرد لذعة ، ونكرته على فؤاده نكزة ، خرّ لها على جبينه ، ومات بها من حينه . وغشينا من فائض حمتها حر كان لنا حياة ، ولذلك وفاة . فالحمد لله على نعمته ، وما أرانا من غريب قدرته ، ودلنا به من لطيف صنعته . ولما استحال جمرها رماداً ، وقد مهد لنا من الدفء مهاداً ، ولمحته العين كالورد ، وذر عليه كافور الهند ، انبسطت نفس شاكرك فتذكر لما كلفته ، من الزيادة في المعنى الذي اعتمدته ، محرماً له لا مقتدياً به ، ومستثنياً فيه لا آخذاً منه .

وله من أخرى يصف فيها البرد والحمام :

لما تلقى اليوم البرد شاكرك بنوع ، ومشى إليه بروع ، وكان بالأمس برداً أجحف[1] ، فابتنى من سحابة أو طف[2] ، قصد بيت النار ، ومورد الأبرار والفجار . فلما رأى الناس أخلاطاً تذكر جهنم ، ولفحها المتضرم ، وقوله تعالى ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ واستعاذ بالله من لهبها ، وسأله أن لا يكون من حطبها ، وإذا بأهلها يتساقون أكواب الحر ، ويتعاورون أثواب القر ، فلما أخذت منهم حمياه ، تهللت الشفاه ، وانطلقت الأفواه ، فأخذوا من تجالدهم ، وأكثروا من عوائدهم ، وكشفت الأبشار ، وهتكت الأستار ، وجعلوا يتجالدون دلكا ، ويتضاربون حكا . حتى إذا خرجوا بجماهرهم ، وانحفلوا بحذافرهم[3] . صب على جسمه من عريض ، وامتد على وضاح ذي وميض ، قاربه الحر حتى احتواه ، وباعده القر حتى اشتهاه . فحينئذ أخذ في طهره ، وقضى من أمره ، وقد لطف حسه ، وتراجعت إليه نفسه . فذكر ما خاطبك به أمس في المعنى الذي كلفته ، على الاختيار الذي قصدته ، فإذا بذلك الكلام لا يدل على سواه ، ولا يقتضي لغير

---

(١) أجحف : مهلك وكثير الضرر .

(٢) أوطف : أرفع .

(٣) انحفلوا : اجتمعوا .

معناه . فأثبتت فقراً مخترعة أرهفت جوانبها ، فسالت غرائبها ، وهي حلة ملبسها المشــكور ، فإن كان ذلك من كريم كان ذلك طرازاً على كمهـــا ، ورقماً على حاشيتها ، فإن زاد أن يكون عن كريم ، فإن ذلك تميمة لوشيها ، وذهب يرف على أرضها ، فالشكر حلوبة مسخرة للمشكور ، دريها أمل ، وملحها[1] عسل . فإن كانت من كريم كان روضها ورداً ، وحوضها شهداً ، وإن زاد أن يكون عن كريم كانت ناقة صالح ، صرها ثواب ، وحفظها عقاب ، والشكر طائـر يتغنـى باسـم المشكور فإن كان من كريم كان شخصه محبوباً ، ورجعه تطريباً . وإن زاد أن يكون عن كريم كان حمامة نوح يغرد بنغم ، ويقع ببشرى ، والشكر درع حصينة يلبسها المشكور ، فإن كان من كريم كان ظلها برداً ، ونفحها نداً ، وإن زاد أن يكون عن كريم كان ثمرها عجوة[2] ، وجناها شهوة ، والشكر واد يسقي أرض المشكور ، فإن كان من كريم استحال أتيا[3] ، وإن زاد آن يكون عن كريم عمر عمر العجـاج ، وأترع الأضواج[4] . والشكر نسيم يهب على المشكور ، فإن كان من كريم كان نشره فوحاً ، ونفحه روحاً . وإن زاد أن يكون عن كريم صاك منه عنبر ، وتنفس منـه مسك أذفر[5] .

وقوله في صفة برغوث :

أسود زنجي ، وأهلي وحشي ، ليس بوان ولا زميل ، وكأنه جزء لا يتجزأ من ليل ـ أو شونيزة[6] ، أو بنتها عزيزة . أو نقطة مداد ، أو سويداء قلب فؤاد ، شربه عب ، ومشيه وثب ، يكمن نهاره ، ويسير ليله ، يدارك بطعن مؤلم ، ويستحل دم

---

(١) الدرى : الدرّ والإدرار ، وملحت الناقة : ذهب لبنها إلاّ قليلاً يجذ ذائقه فيه ملوحة .
(٢) العجوة : التمر المخلوط بعضه ببعض .
(٣) الآتي : السيل الذي يأتي من حيث لا يدرك أو النهر الذي يسوقه الرجل إلى أرضه .
(٤) الأضواج : منعطفات الوديان .
(٥) أذفر : ما ظهرت رائحته واشتدت طيبةً كانت أم خبيثة .
(٦) الشونيزة : الحبّة السوداء .

كل كافر ومسلم ، مساور للأساورة ، ومجرد له على الجبابرة ، يتكفن بأرفع الثياب ، ويهتك كل حجاب ، ولا يحفل ببواب ، يرد مناهل العيش العذبة ، ويصل إلى الأحراج الرطبة ، لا يمنع منه أمير ، ولا ينفع فيه غيرة غيور . وهو أحقر حقير ، شره مبثوث ، وعهده منكوث ، وكذلك كل برغوث . كفى بهذا نقصاناً للإنسان ، ودلالة على قدرة الرحمن .

وقوله في صفة بعوضة :

مالكة لا حس لها سواها ، تحقرها عين من رآها ، تمشي إلى الملك بندبها ، وتضرب بحبوحة داره بطلبها، تؤذيه بإقبالها ، وتعرفه بإراقة مالها ، فتعجز كفه ، وترغم أنفه ، وتضرج خده ، وتفري لحمه وجلده ، زجرتها تسليمها ، ورمحها خرطومها ، تذلل صعبك إن كنت ذا قوة وعزم ، وتسفك دمك وإن كنت ذا حلفة[1] وعسكر ضخم ، تنقض العزائم وهي منقوضة ، وتعجز القوى وهي بعوضة ، ليرينا الله عجائب قدرته، وضعفنا عن أضعف خليقته .

وله يصف ثعلباً :

أدهى من عمرو ، وأفتك من قاتل حذيفة بن بدر . كثير الوقائع في المسلمين ، مغري بإقامة ذم المؤمنين ، إذا رأى الفرصة انتهزها ، وإن طلبته الكماة أعجزها ، وهو مع ذلك بقراط في إدامه ، وجالينوس في اعتدال طعامه . غذاؤه حمام ودراج ، وعشاؤه بذرح[2] ودجاج .

وله يصف ماء :

كأنه عصير صباح ، أو ذوب قمر لياح ، له من إنائه ، انصباب الكوكب الدري من سمائه ، العين كانونه ، والقمر عفريته . كأنه خيط من غزل قلق ، أو مخصرة ضربت من ورق ، يترفع عنك فتردى ، ويصدع به قلبك فتحيا .

---

(١) الحلفة : من الحِلف ، وهو المعاهدة والاتفاق على المساعدة .

(٢) الذرح : اللبن الذي مزج فيه الماء .

وقوله من رسالة يصف فيها الحلوى :

وما أرّقني إلا ليلة أضحيانة دخلت فيها الجامع ، ووقفت موقف الساجد والراكع ، حتى إذا قضيت من حق الله أمراً ، وأتبعت الشفع وتراً[1] . جلت في أكنافه ، وانعطفت في أعطافه ، فإذا أرضه تباهي السماء ، وغبراؤه تضاهي الخضراء ، زجاجة نورية ، كأنها الكواكب الدرية . ورعد قراء الله تعالى وخيرته ، كالرعد يسبح بحمده والملائكة من خيفته . فصحت واويلاه ، واحر قلباه . أين منك المفر ، وأين دونك المقر . لاها الله لا يتركك كريم ، ولا يقلاك إلا لئيم ، بركا كبرك الجمال ، وثباتاً كثبات الجبال . ثم خرجت في تتمة من الأصحاب ، وثبة من الأتراب[2] ، وفيهم فقيه كان ذا لقم ولم أشعر به ، فلما طالعتنا الحلوى صاح : هذا وأبيكم الروض ، فناديته اسكت فضحتنا لا أبالك . فقال : لا وأبيك ، قلت : مالك وما تريد ، قال : ذلك الشهيد العتيد ، واضطرب به الألم واستخفه الشره فدار في ثيابه ، وأسال من لعابه ، وازور جانبه ، وخفق شاربه ، ثم نهض في كر ، وصدر بحر ، ونظر إلى الفالوذج ، فصاح هذا اللص كأنه تألى مجاجة[3] الزنابير ، حدثت على شوابير ، وخالطها لباب الحبة ، فجاءت أطيب من ريق الأحبة ، ثم نظر إلى الخبيص[4] ، فصاح بأبي الغالي الرخيص ، أنظر فيه ذا التماع ، أكرم به من شعاع . هذا جليد سماء الرحمة ، تمخضت به فأبرزت منه زبد النعمة ، تجرحه اللحظة ، وتدميه اللفظة ، بماء أبيض ؟ قالوا : بماء البيض البض ، فقال : غض من غض . أنظروه له إشراق ، هذا وأبيكم بقية العشاق . ما أطيب خلوة الحبيب ، لولا حضرة الرقيب . ثم نظر إلى الزلابية . فصاح ويل لأمه الزانية ،

---

(١) الشفع : المزدوج ، والوتر : المفرد .

(٢) الثبّة : الجماعة .

(٣) المجاجة : ما يقذفه الإنسان من فمه ، ومجاجة الشيء عصارته .

(٤) الخبيص : حلواء تتخذ من تمرٍ وسمن .

أبأحشاء نسجت . أم صفاق قلبي ألفت ؟ بأبي أجد مكانك من نفسي مكيناً ، وجبل هواك على كبدي متيناً ، من أين خلصك كف طابخك إلى باطني ، فأقطعك مني دواجني ، والعزيز الغفار لأطلبن بالثأر ،وتلمظ[1] له لسان الميزان، فجعل يصيح الثعبان الثعبان . فلما عاينته قد ألبس، وهو ينظر نظر المفلس ، حنت له ضلوعي ، وعلمت أن الله فيه غير مضيعي . وقد تحل الصدقة على ذي الوفر ، وفي كل كبد رطبة أجر. فأمرت الغلام بابتياع أرطال تجمع أنواعها التي أنطقته ، وتحتوي على ضروبها التي أخرعته. فجاء بها فوضعها بين يديه ، فلما عاينها انحنى عليها بليانه ، وألقى عليها بجرانه ، وجعل يركل برجليه ، ويجاحش بفخذيه ممانعاً ، ومدافعاً عنها . فصحت به لا عليك حكمها ، فجعل يقطع ويبلع ، ويوجر فاه ويدفع . وعيناه تبضان ، كأنهما جمرتان ، وقد برزتا عن وجهه كأنهما خصيتان ، وأنا أقول : على رسلك يا فلان . البطنة تذهب الفطنة . وهو يقول (أُكلها دائم وظلها) حتى التهم جماهرها . وألحق أولها بآخرها . وهبت منه ريح عقيم . أهبا لنا بالعذاب الأليم، وفرقتنا شذر مذر[2] . وسربتنا في كل شعب شغر بغر[3] ، فانتحينا منه الطرفان ، وصدق الخبر فيه العيان ، نفخ ذلك فبدد النعام ، ونفح هذا فبدد الأنام ، فلم نجتمع بعد هذا والسلام .

وله يصف جارية :

أخت نعمة ، وربيبة نعمة ، كأن شعرها على غرتها الغراء ، غراب يسفد[4] حمامة بيضاء. وكأن خدها على جيدها المشرق، تفاحة قدم بها إبريق من راووق تكلمك بألحاظها، وتأسوك بألفاظها. تقابلك من خدها بوردة، ومن عينها بنرجسة .

---

(١) تلمّظ : أصل معناه أخرج لسانه فمسح به شفتيه .

(٢) شذرمذر : أي ذهبوا في كلّ وجه .

(٣) شغر بغر : أيّ تفرّقوا في كل وجه .

(٤) يسفد : يجامع .

كأنما ثغرها من جوهر ،وشفتها خيط حرير أحمر . وتقبل إليك بقضيب بان ،ثمرته رمانتان، وتنفتل عليك بكفل مائج ، كأنه كثيب عالج [1] ، تنطوي بقبطية ، وتقوم على أنبوب بردية ، أن استقبلتها بركان ، تضحك لك عن فلقة رمان . أو يطحنك جبهة أسد غرير، فيقبض روحك قبض أرواح المؤمنين . ويتوفاك بكدّ كالفقيه المشرف على المذاهب ، ركبت فيه اخلاق كاتب . فإن كنت شافعياً سددتك ، وإن كنت مالكياً قلدتك ، المنظر غلام ، والمخبر فتاة ، إن علوتها تدفعت إليك ، أو علتك تداركت عليك ، وإن أعطشك فراشها سقتك من شراب ، إن شئت قلت خمرة أو رضاب ، أو أجاعك عراكها أطعمتك من لسانها ، يصل إليك وصول الإيمان .

فنثره في غاية الملاحة ، ونظمه في غاية الفصاحة .

* * *

ومن شعره ما أنشدنيه الشيخ أبو سعيد بن دوست عن الفقيه الوليد أبي بكر الأندلسي قوله [من الخفيف] :

قل لمن زاد إذ تباعد بعدا ... وتناسى عهدي ولم أنس عهدا
لا يغرنّكَ ما ترى من ودادي ... فلعلّي إن شئت غيرَت ودّا
لا وحق الهوى وحق لياليـ ... ـه ومن صاغ حسن وجهك فردا
ما أطيق الذي آدّعيت ولو ملّـ ... ـكته لم أكن لغيرك عبدا

وله [من الكامل] :

ما أطربت فوق الغصون حمامةٌ ... ألا رأيت دموع عيني تسكبُ
وإذا الرياح تناوحت ألفيْتني ... بين الصبابة والأسى أتقلّب
يا عاذلي في الحب مهلا بالأذى ... لو كنت تعشق ما ظللت تؤنب

---

(١) الكفل : الأرداف ، والكثيب : التلّ من الرمل .

كم حاولــت نفسي السلــوَّ فطالبت   أسبابــه جهــداً فعــزَّ المطلب

* * *

٤٨ ـ غسان بن سعيد

قال [من البسيط] :

من خانــه حســبٌ فليطلــبِ الأدبا   ففيه منيتــهُ إن حلَّ أو ذَهَبا
فاطلــب لنفســك آدابــاً تعــزُّ بها   كيما تســود بهــا من يملك الذهبا

* * *

٤٩ ـ محمد بن يحيى النحوي
المعروف بقلفاط

قال [من الوافر] :

طـوى عنّــي مودتــه غزال   طوى قلبــي على الأحــزان طيًّا
إذا ما قلــت يســلاه فؤادي   تجــدد حبــه فازددت غيّا[1]
أحيّيه وأفــديه بنفسي   وذاك الوجــه أهــلٌ أن يُحيًّا

وقوله [من الوافر] :

أيا طيفــاً سما وهنــاً إليّا   لقــد جدّدت لوعاتــي عليّا
ألــمَّ مواصــلاً كأخــي غرامٍ   سيذكر وصلــه ما دام حيّا
غــزالٌ لو رأى غيلانُ يوماً   محاســنــه إذاً أنســاه ميّا[2]

* * *

٥٠ ـ شهيد بن المفضل
عفا الله عنه

قال [من الكامل] :

كم ذا تردُّ عنــان شوقــك صابرا   وأخــو الصّبابــة لا يكون صبورا

---

(١) يسلاه : يصبر على بعاده والغيّ : الضلال .   (٢) غيلان : هو ذي الرّمة ، ومي : معشوقته .

فاخلع عذارك في هواه فربما كان المحبّ على الهوى معذورا
ما العزّ إلا أن تذلّ مع الهوى شحّاً عليه وإن ظللت أسيرا

* * *

٥١ ـ منصور بن أبي الهول

قال [من مجزوء الرمل] :

كم إلى كم أتسلى ليس لي صبرٌ، أجل لا
بأبي أنت وأمّي أترى قتلِيَ حلاّ
حاش لله بأن أسلو عن الحبّ وكلاًّ !

وأنشدني لبعض شعرائهم [من المتقارب] :

إسار الهوى لا إسار العدا هو التارك الحرَّ مستعبدا
عبوديةٌ تُؤْيس الآملين له أن يباع وأن يفتدى
فليس له فرجٌ يرتجيه من الأسر غير تمنّي الردى
فيا غصن بانٍ إذا ما مشى ويا بدر تمٍّ إذا ما بدا
ويا عارضاً كلما أطمعت بوارقه زاد قلبي صدى [1]
أسرت فهلاّ بحكم الكتا ب قضيَّتَ بالمنِّ أو بالفدى
ولكن أبيت سوى قسوةٍ يفوت بها قلبك الجلمدا [2]

* * *

٥٢ ـ غريب بن سعيد

أنشدني له [من مجزوء الكامل] :

وجدٌ دخيل واكتئابُ وفراق شملٍ واقترابُ
ما بين قلبي إذ نأيت وبين إخواني حجاب

---

(١) العارض : السحاب الممطر .
(٢) الجلمد : الصخر الصلب .

فـإذا خلا وَلَجَـتْ عليـــــه همومـه من كلّ باب[1]

يا عاذلي لمّا رأى ... دمـع العيون له انسكاب

مـا لي على برح النوى ... جلـدٌ فأقصرْ في العتاب[2]

وله [من المنسرح] :

ألان يوم الفـراق قسوته ... حتّـى جرى دمعـه ومـا شعرا

فخلـت ما سال من مدامعه ... درّاً على وجنتيه منتثرا

لـم يبـك شوقـاً لكن بكى حزناً ... لهـول يوم الفـراق إذ حضرا

في مشهـدٍ لو أطـاق شاهده ... فيه استتـاراً لوجْـدِهِ استترا

أبـى أسـاه وفيض أدمعه ... إلاّ اشتهـاراً في الحـبّ فاشتهرا

وقوله [من الطويل] :

أستـودع الـريح الجنـوب تحيةً ... إليكم تؤدي من سلامـي ومـن شكري

وكم بلغـت ريح الشمال نسيمكم ... فأهـدتْ إلينـا منـكمُ أطيب النَّشْرِ

رعـى الله أحبابـاً تألّف شملهم ... بقرطبـةٍ بـين الرُّصافـة والقصر

تعوَّضت من أنسي بهـم وحشـة النوى ... ومـن قربهم قرب المهامه والقفر[3]

* * *

٥٣ - إدريس بن الهيثم بن براق الكلاعي

قال [من الطويل] :

ولـم أنسهـا يوم الـوداع ومسحَها ... بوادرَ دمـع العين والعين تذرفُ

أفـانين تجـري من دمـوعٍ ومـن دمٍ ... علـى الخـدِّ منهـا تستهـلُّ وترعف

وتكرارنـا نجـوى الهـوى ذات بيننا ... وكلٌّ إلـى كلٍّ يلين ويعطف

---

(١) ولجت : دخلت .

(٢) الجلد : التصبُّر .

(٣) المهامه : القِفار ، والنوى : البعد .

جعلنا هناك الهجر منا بجانبٍ وللبين داعٍ بالترحُّل يهتف
ولولا النوى لم نشك ضعفاً عن الأسى ومن يحمل الأشجان بالبين يضعف
فقلت كلانا مشتكٍ من صبابةٍ ولكنّني عن حملها منك أضعف

قال : وحدثت أن إدريس بن الهيم غنى بأبيات أولها [من الطويل] :

ألا إنّما أنسى إذا ما نأيتُم بأقرب من لاقيته بكمُ عهدا[١]
إذا حصلتْ روحي إليكم وقد أتتْ على أرضكم ألقتْ على كبدي بردا
ويوحشني قرب الجميع وإنّها لتأنس نفسي إن ذكرْتكمُ فردا
وما كان قلبي إذ تبدَّيتُ صخرةً فينبو الهوى عنه ولا حجرا صلدا[٢]
فقد آن فقداني لنفسي فلو أتى عليها حِمامٌ ما وجدت لها فقدا

* * *

٥٤ ـ محمد بن سعيد بن مخارق الأسدي

أنشدني من أبيات [من الوافر] :

يظل الدمع من جزعٍ عليهمْ وقد بانوا يسحُّ ويستهلُّ[٣]
سأتبع إثْرهم شوقاً إليهم وأقتصُّ المناهل حيث حلُّوا
فما لي أشتكي بالبين منهم كأنّي ليس لي زادٌ ورحل

* * *

(١) النأي : البعد .
(٢) ينبو الهوى : يجافيه .
(٣) يسحّ : يهطل ويذرف .

٥٥ ـ قاضي الجماعة محمد بن يحيى بن يحيى

قال [من الرمل] :

نازح الـدار بنـا بي واغتربْ ... ورمـاه الدهـر رشقـاً من كَثَبْ
بعـدتْ عن دار ليلـى داره ... وهـو في حبـل هواهـا مضطرب
فرجـتْ نفسِـيَ أن تشفـى بكم ... فرحـة في الحـب شيبـت بكرب
كنـت لي بدراً بدا في سجفه ... طلـع البينُ عليـه فغرب[١]

* * *

٥٦ ـ أحمد بن نعيم

قال [من الخفيف] :

ليت أن الـرياح إن نفـد الصبـــــر وشطّـتْ عن أرضهـا أوطاني
بلّغتهـا تحيتي وسلامـي وسـلام الإلّـه كلَّ أوانِ

* * *

٥٧ ـ سعيد بن محمد بن العاص المرواني

قال يصف الهلال وأجاد [من الكامل] :

والبـدر في جوِّ السمـاء قد انطوى ... طرفـاه حتـى عاد مثـل الزورق
فتـراه من تحـت المحـاق كأنّه ... غرق الـكثير وبعضـه لم يغرق[٢]

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز (من الكامل] :

انظـر إليه كزورق من فضة ... قد أثقلتـه حمولـةٌ من عنبر

---

(١) السجف : الستائر ، والظلام .
(٢) المحاق : الوقت الذي يكون فيه القمر مختفياً .

وأنشدت له [من الكامل] :

رفعـوا الهـوادج للـرحيل وأعتموا ... فغـدت لبينهـمُ المدامـع تسجمُ[1]

وسـرّوا وأروقـة الظـلام تكنُّهم ... فكأنهـم من تحـت ذلك أنجم[2]

واستكتمـوا بمسيرهـم تحـت الدجى ... فأبـى نسيم المسـك أن يستكتموا

ومـن العجائـب أنّنـي متأخِرٌ ... عنهـم وقلبـي عنـدهـم متقدّم

وهـي النّـوى لم يبـق لي من بعدها ... غيـرُ الهـواء بنفحـهِ أتنسَّم

وإذا الصبّـا أسـرتْ أقـول لعلّها ... تلقـاهـم بتحيتـي فيُسلِّمـوا

* * *

٥٨ ـ عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن حسان

أنشدت له [من الطويل] :

لقـد هاجنـي للشـوق نوح حمائمٍ ... مطوّقـةٍ من مشْرقـات الحمائمِ

وناحـت ومـا أذرت دموعـاً قد رأتْ ... عيونِـيَ تجـري بالدمـوع السَّواجم

إذا ما تراجعْـن الحنيـن حسبتها ... نوادب رجَّعْـنَ الصَّـدى في المآتم

* * *

٥٩ ـ سعيد بن عباس

أنشدت له [من الوافر] :

بنفسـي من يجرِّعنـي منوني ... ويرجمنـي بأحجـار الظُّنـونِ

ويصرمنـي ولا يرثـي لمـا بي ... وينفـي النـوم ظلمـا عن جفوني[3]

* * *

---

(١) تسجم : تذرف .

(٢) تكنّهم : تسترهم .

(٣) يصرمني : يهجرني .

٦٠ ـ عمر بن يوسف الحنطي

أنشدت له [من الكامل] :

أو ميض برقٍ أم سيوفٌ تبرق   في عارضٍ أكنافه تتألّقُ
دِيَمٌ إذا ارتدَّتْ إليك وجوهها   أضحت وجوه الأرض منها تشرق
ترمي بأجفان الوميض كما انثنت   أجفان عاشقةٍ إلى من يعشق

* * *

٦١ ـ يحيى بن عباد البسري

قال [من الطويل] :

إذا بارقٌ هاج الفؤاد المعذَّبا   فَطَرَّبَ قلباً هائماً فتطرَّبا
بنفسي بلادٌ رحت من نحو أرضها   بعيني مشوقٌ ما ألذَّ وأطيبا
بلادٌ بها قلبي رهينٌ معذّبٌ   وإن جلْت في الآفاق شرقاً ومغربا[1]

* * *

٦٢ ـ الغزال بن الحكم

أنشدت له [من الخفيف] :

ريع قلبي لما ذكرت الديارا   وتنوّرْتُ بالنخيلات نارا[2]
وازدهتني ذات السنا ببروق   من لظاها فما أطيق اصطبارا
والقريح الفؤاد يزداد للنا   ر وميض السعير منها استعارا

* * *

---

(١) جلت : رحلت وتنقلت .

(٢) ريع قلبي : أي اضطرب .

٦٣ - يحيى بن زكريا بن شماس

قال [من الكامل] :

نعـب الغـراب ببينهـم فتحمّلوا   ونـأى المحـل بهـا فكيف تزارُ
بكروا وفـي الأظعـان يوم تحملو   هنّ القصـور تكنُّهـا الأستار
صفـر النحـور من العبير روادعٌ   بيض الثغـور كواعـبٌ أبكار[1]

* * *

٦٤ - الوزير أبو المظفر عبد الرحمن بن بدر

قال [من المديد] :

أيُّ طيفٍ في الـكرى طرقا   سام عينـي الدمـع والأرَقا[2]
أنـا أفـدي من بجنـح دجى   جاب في ظلمـائـه الطُّرُقا
لـيَ حـظٌّ فـي زيارته   لي لَوَ آنَّ الـكـرى صدقـا

* * *

٦٥ - الديك النيري مطرق بن محمود

قال [من الكامل] :

طرق الخيال فمرحبـاً بالطارق   قرَّتْ به في النـوم عين العاشقِ
طرق الخيال خيال ليلـى موهناً   رحلي ، فبـات مُضاجِعـي ومُعانِقي[3]
ومنى المشوق أخـي الصبابـة أن يرى   وسنـان أو يقظـان وجـه العاشق

* * *

---

(١) روادعٌ : متطيّبات بأنواع الطيب . والكواعب : النواهد .
(٢) سام : كلّف وترك وشغل .
(٣) الوهن : الضعف والإعياء .

٦٦ ـ أحمد بن إبراهيم بن قلزم

أنشدت له [من الكامل] :

هل تعتـب الأيام منـك بنظرةٍ ... تغـدو بسـرّاءٍ على ضرّاءِ
لولا محابـاة الخيال برقدةٍ ... من طيفها لطـوى الـردى حوبائي[1]
يا ليت أيام النّـوى عادت كرى ... فأنـال من طيف الحبيب شفائي

* * *

٦٧ ـ يربوع بن أسد المالقي

أنشدت له [من السريع] :

يا بأبـي طيفٌ سرى موهناً ... ودونـه جوْب الفـلا والقفارْ
أكرم به من راحـلٍ ذاهبٍ ... يرعـى نوى الـدار وشحـط المزار
لو أنـه شايـع إلمامه ... بطـول مكثٍ دائـم أو قرار
لكنـه هيّج نـار الأسى ... ثم تولّـى بفـؤاد مُطار

* * *

٦٨ ـ الوزير أبو محمد غنائم المالقي

قال وأجاد [من البسيط] :

صيِّرْ فؤادك للمحبـوب منزلة ... سمُّ الخياط مجال للمحبيْنِ[2]
ولا تسامـحْ بغيضـاً في معاملةٍ ... فقلّمـا تسـع الـدنيا بغيضين

* * *

---

(١) الحوباء : النفس .

(٢) سمّ الخياط : أي مكان دخول الخيط في الإبرة « الفتحة » .

٦٩ - غالب بن عبد الله بن عطية

أنشدت له [من الكامل] :

كيف الحياة ولـي حبيبٌ هاجرٌ قاسي الفؤاد يسومني تعذيبا
لما درى أن الخيال مُواصِلي جعل السُّهاد على الجفون رقيبا

وله في عطش البحر [من السريع] :

إنّا إلى الله لقد نالنا همٌّ يذيب القلب إحراقه
يا عجباً مما دهينا به نسكن في الماء ونشتاقه

* * *

٧٠ - محمد بن أبي الحسن العروضي

قال [من البسيط] :

لما تطلع بدر التم أذكرني بدراً تطلَّع وهناً من بني قطنِ
بدر تطلّع والآفاق مظلمةٌ فانجاب إظلامها عن وجهه الحسن
كم مهجةٍ أرهفت ألحاظ مقلته ومقلة منعتها لذة الوسن[١]

* * *

٧١ - إسماعيل بن إسحاق المنادي

قال [من الطويل] :

سلامٌ على خِلٍّ أدين بحبّه وأصفيه من حلو الوداد وعذبهِ[٢]
سلام امرىء أودى الفراق بصبره ولجٌ فأوْدى بالفؤاد ولُبِّه

---

(١) المهجة : النفس ، والمقلة : العين، والوسن: النوم والنعاس .
(٢) أصفيه : أخصّه .

لعـلّ الـذي شتّ الجميع بنأيه ... سيجمعنـا بعـد الشتّـات بقربه[1]
ومـا الأخُ بالأخِ الشـقيق ، وإنّما ... أخـوك الـذي يعـطيك حبـة قلبه

* * *

٧٢ ـ محمد بن وافد

أنشدت له [من الوافر] :

كتابـك هاج لي شوقـاً عجيباً ... وأورثنـي الصّبـابـة والنحيبا
تغـرَّب عن أحبَّتـه محبٌّ ... فأصبـح صبـره عنـه غريبـا
فـكيف بصبـره والقلـب منه ... يكاد من الصَّـابـة أن يذوبا

* * *

٧٣ ـ خلف بن أيوب

أنشدت له [من السريع] :

والله لولا خطـرات المنى ... ما طال يومـاً عمـر أهـل الهوى
وابأبـي من ظَلْـتُ من هجره ... مستشعـراً ثـوب الأسـى والجوى

* * *

٧٤ ـ علي بن أحمد الأندلسي

قال [من الكامل] :

بيض كبيض الهنـد في أفعالها ... فلـذاك قيل ظبـاً وقيل ظباءُ
وتـرى محاسنهـا تروق كأنّما ... نشـرت عليهـا وشيَهـا صنعـاءُ

* * *

(١) الشتات : التباعد والفراق .

٧٥ ـ يحيى بن الفضل

قال [من الطويل] :

وسُفْـــنٍ تثير الــريح منهــا عجاجةٌ   تظــلُّ مياه الأرض وهـــي صعيدُها[١]
تلــوح كأمثــال الشــواهين حلَّقت   علـى دهـم خيل قد أثيرت صيودها[٢]
فللــطير ما قد نشَّرَتْــهُ قلوعها   وللخيل ما قد أظهرتْــه قدودها

وقوله أيضاً [من مجزوء الكامل] :

لا تيأسـنَّ بوفــاة مَنْ   لـم تنتفـع بحياتـه
ولْيجــرِ عنـدك ميّتاً   مجـراه قبـل مماتـه
فـــوفــاتــه كحــيـاتــه   وحيـــاتـــه كــوفــاتـــه

* * *

٧٦ ـ أبو بطال

أنشدت له في العذار [من الطويل] :

وعــارضٍ كافــورٍ تراه كأنّما   يدبُّ به من خالص المســك عقربُ
تنــزّهً عن لســب الجلــود ، وإنما   يغوص علـى حَبِّ القلـوب فيلسب[٣]

وقوله [من البسيط] :

جمعــتَ مالاً ففــكِّرْ هل جمعــت له   يا جامــع المــال أبوابــاً تفرِّقهُ
المــال عنــدك مخــزون لوارثه   ما المــال مالك إلاّ يوم تنفقه

---

(١) العجاج : الغبار .

(٢) الشواهين : الصقـور . والأدهـم من الخيل : الأسـود ، والصيود : ما يصطـاد بواسطـة الخيل من حيوانات كالبقر الوحشي والظباء وغيرها .

(٣) اللسب : اللسع .

إنّ القناعة من يحللْ بساحتها لم يلق في ظلها همّاً يؤرِّقه

وأنشدت لبعض شعرائهم [1] في العذار [من الكامل] :

ومعذِّرٍ نقشَ العذار بمسكهِ خداً له بدم القلوب مضرَّجا
لما تيقَّن أن سيف جفونه من نرجسٍ جعل النِّجاد بنفسجا [2]

* * *

٧٧ - القرشي المعروف بالفرح

أنشدت له [من الرمل] :

رُبَّ كأس قد كست جنح الدجا ثوب بردٍ من سناها يَقَقا [3]
قلت أسقيها رشاً في جفنه سِنة تورث عيني أرقا
أشرقتْ في ناصع من كفِّهِ كشعاع الشمس وافى الفلقا
خفيتْ للعين حتى خلتها تتَّقي من لحظه ما يتّقى
أصبحت شمساً وفوه مغرباً ويد الساقي المحيِّي مشرقا
فإذا ما غربت في فمه تركتْ في الخدِّ منه شفقا
خلع البرق على أرجائه ثوب وشيٍ منه لمّا برقا

* * *

٧٨ - إدريس بن عبد الله بن عباد الليزي

أنشدت له [من الطويل] :

غريبٌ بأرض الغرب منقطع الذكر بعيدٌ من الأهلين في بلدٍ قفرِ

---

(١) هو أحمد بن عبد ربه ، وقد مرّ ذكر هذين البيتين في ترجمته ، وهذه العبارة والبيتان معها لا وجود لها في «ب» .

(٢) النجاد : حمائل السيف .

(٣) اليقق : الأبيض الشديد البياض .

تذكّر في أهـل الجـزيرة أهله | فهيَّجـه طول التشـوُّق والفكر
فصوْت حمـامٍ في الغصـون كأنّما | ندبْـن قتيلا أو روينَ من الخمر
لئـن كن ما تجـري لهـن مدامع | فكل غريب الـدار أدمعـه تجري

* * *

٧٩ ـ عثمان بن إبراهيم بن النضر

أنشدت له [من الطويل] :

ألا يا حمـام الأيْك مالك باكيا | وغصنـك نضـرٌ والجنـاب مريعُ[١]
تغـنَّ ولا تنشـجْ فإلفـك حاضرٌ | قريب وإلفـي غائـبٌ وشسوع[٢]
بكيت بلا دمـعٍ وتـرفض مقلتي | شآبيب منهـا في المصيف ربيع[٣]
وقلبـك خلـوٌ من تبـاريح لوعتي | وقلبـي بلوعـات الفـراق صريـع

* * *

٨٠ ـ المنصور بن أبي عامر

أنشدت له [من الطويل] :

ألـم ترنـي بعـت المقامـة بالسُّرى | ولين الحشـايا بالخيول الضوامرِ[٤]
وبدلّـت بعـد الزعفـران وطيبهِ | صدا الدرع من مستحكمات المسامر
فلا تحسبـوا أنّـي شغلـت بلذّةٍ | ولـكن أطعـت الله في كلّ كافر

* * *

---

(١) الأيك : الشجر الملتف .
(٢) تنشج : تبكي وتصوّت حزنا ،وشسوع : أي بعيد .
(٣) شآبيب : الشؤبوب : الدفعة من المطر.
(٤) السرُّى : المسير ليلاً ، والضوامر : الهزال .

٨١ - الوليد بن الحكم

أنشدت له [من الطويل] :

إلـى رجـبٍ أو غُرَّة الشهـر بعده توافيكمُ بيض المنـايا وسودُها
ثمانـون ألفـاً دين عثمـان دينها بشرذمـةٍ جبـريل فيهـا يقودها

* * *

٨٢ - القاضي محمد بن عبد الله بن أيوب بن أبي عيسى

أنشدت له قوله من أبيات أولها [من الخفيف] :

* لا تلمني على البكا والعويل *

فعلـت زفرتـي وطـال انتحابي وبـدت لوعتـي وهـاج غليلي
ولنعـم البـلاد للنـازح الأو طان دمـعٌ جرى برغـم العذول
وقبيحٌ صبـر الخليل أخـي الوجـــد عن الدمـع عنـد ذكر الخليل
وبنفسي نائـي المحـلّ قريبٌ من فؤادٍ صبٍّ وجسـمٍ نحيل
كان بينـي وبينـه البحـر والقفـــر ووخْد السُّرى وطـول الذميل[1]
يا قليل الإنصـاف في الهجـر مهلاً إنّ وجـدي عليك غـيرُ قليل

وقوله [من البسيط] :

بل ما ادّكارك من وُرْقٍ مغرِّدةٍ على قضيبٍ بذات الهضـب ميّاسِ
هجْـنَ الصبابـة لولا همـةٌ شرفتْ فصيَّرت قلبـه كالجنـدل القاسي[2]

* * *

(١) الوخد : ضرب من العدو . والذميل : السريع .
(٢) الجندل : الصخر .

٨٣ ـ محمد بن فطيس

قال [من الكامل] :

ثكلتــكَ أمّــك هل سمعــت مخلداً ... أم هل رأيت مصحَّحــاً لم يسقمِ
أم هل رأيت من البــريّة ناشئاً ... نال الــذي في مدةٍ لم يهرم
فدعِ الأمانــي إنّهــا مكذوبةٌ ... واجعــل دعــاءك للسـبيل الأقوم
أي امرىءٍ يرجــو البقــاء وقــد رأى ... آثــار عادٍ في البــلاد وجرهم[1]

* * *

٨٤ ـ أحمد بن عبد الله بن أحمد اللؤلؤي

قال [من الطويل] :

لئـن غاب عن عينـي وأعجــز ناظري ... لما غاب عن وهمي، ولا زال عن فكري
وتــالله لو أستــطيع ، محض مودةٍ، ... لأحللتــه قلبــي وأسكنتــه صدري[2]
أتتنــي بصفــو الــودّ منــه صحيفة ... تخبِّــرُ عن وُدٍّ وتنطــق عن برٍّ
تضمّنهــا من جوهــر الشعــر حكمةٌ ... بهــا سحــرت من كاد ينفــث بالسحر
يطــول لهــا لفــظ الــذكيِّ بلاغةً ... ويقصــر بالــراوي لهــا طائــل العمر

وقوله [من الرجز] :

أقبِــلْ فإن اليوم يوم دجنِ ... إلــى محــلٍّ كالضــمير المكْني
ساكنــه كطائــر في وكن ... لعلّنــا نعلــم أدنــى وفن[3]

---

(١) عاد وجرهم : من القبائل البائدة .

(٢) « محض مودة » هو مفعول لأجله عامله أحللته وما عطف عليه .

(٣) الوكن : عش الطائر ، الوفن : القلة في كلّ شيء .

فـــي مجلسٍ مزخــرفٍ ذي كنٍّ　　فأنـــت في سنّــك دون سني[1]

* * *

٨٥ ـ أبو عثمان سعيد بن أحمد بن عبد ربه

أنشدت له [من الكامل] :

لمـــا عدمـــت مواسيا وجليساً　　جالســـت بقراطـــاً وجالينوسا
وجعلـــت كُتْبَهمـــا شفـــاء تفرُّجي　　وهمـــا الشفـــاء لكلّ جرحٍ يوسى

وقوله [من الطويل] :

أمـن بعـد غوصـي في علـوم الحقائق　　وطـول انبساطـي في مواهـــب خالقي
ومـــن بعـــد إشرافـــي علـــى مَلَكوته　　أرى طالبـــاً شيئـــاً إلـــى غير رازقي
وقـد آذنـتْ نفســي بتقــويض رحلها　　واعنف في سَوقي إلى المـوت سائقي
وإنّـــي وإن أيقنـــت أو زغـــت هارباً　　عن الموت في الآفاق فالموت لاحقي

* * *

٨٦ ـ الحسن بن محمد بن بابل

.ال [من الطويل] :

ألا ما لجسمـــي قد علاه شحوب　　ومـــا بال قلبـــي ضامرتـــه كروبُ
ومـــا بال أحشائـــي تَوَقَّـــدُ لوعةً　　ومـــا بال رأســـي قد علاه مشيب
ومـــا ذاك إلا أن رمتنـــي يد النوى　　وأنـــيَ في أرجـــاء مصـــر غريب
أراعـــي نجـــوم الليل لا آنف الكرى　　كأنّـــي علـــى رعـــي النجـــوم رقيب
إذا ما دعـــوت الدمـــع يومـــاً أجابني　　وإن رمـــت دعـوى الصبر ليس يجيب

---

(١) الكنّ : الستر .

وإن رمت كتمان الـذي بي من الأسى جرى هاطـلٌ من مقلتـيَّ سكوب
ألا ليت شعري هل أرى الدهـر منزلاً تبـوّأه بعـد الفـراق حبيب[1]
وهـل أَرِدَنْ يومـاً مياهُ رصافةٍ وهـل يصفُـوَنْ لي عيشهـا ويطيب

* * *

٨٧ ـ عبد النصير بن أحمد

أنشدت له ما كتب به إلى بعض الرؤساء بديهة في عيد الأضحـى ، وكان عوده أن ينفذ إليه كبشاً لأضحيته فأبطأ عليه [من المديد] :

يـا سليل الأكرمين ومن فضلـه فرضٌ فمـا منـه بدٌّ
أزف العيد وعودتـم الـــكبش داري والحبـل معد[2]
ولقـد أبـرزت مديّتنا فهـي من قبـل الصبـاح تحدّ[3]
خيمـك الفضـل وقـد حكموا أنـك الفـرد ومـا لك نِدُّ[4]

فأنفذ إليه ثلاثة أكبش وصلة واسعة .

* * *

٨٨ ـ محمد بن أحمد العطار

أنشدت له من قصيدة يقول فيها من مدح المنصور بن أبي عامر الحاجب [من البسيط] :

يا حاجب الملك الأعلى الذي طفقت به الخلافـة والأيـام تبتسمُ

---

(١) تبوّأه : حلّه وأقام فيه .
(٢) أزف العيد : قرب .
(٣) المدية : السكين .
(٤) الندّ : المثيل .

ومـــن بـه أمـــن الرحمـــن بلدتنا *** من بعد أن فارقـت ملـكاً لهـا العجم
وخامـر المسـلمين الذعـر وانحسرت *** عنهــم عوائــد صنــع الله والنِّعم[1]
حتـى إذا قنـط الإِسـلام وانبسطت *** أعـــداؤه واستبيحـــت منهـم الحُرُم
هبَّـت به ريح نصـر الله عن كثبٍ *** للــدين واستيقظـت من نومهــا الهمم
وجـرد السيف فانحـازت لسلَّتهِ *** من الجسـوم طُلـى الأعنـاق والقمم[2]
إذا تبسَّـم فالأمـوال عابسةٌ *** أو صال ماتــت له الأبطــال والبُهُم
فأيُّ بلــدة شركٍ أمَّهــا قدماً *** ولـم يحــلَّ بهــا في عقرهــا النقم ؟
بقيت للــدين والــدنيا تسوسهما *** ما حنَّــت النيب أو ما أورق السَّلم[3]

* * *

٨٩ ـ موسى بن أحمد المعروف بالوتد

أنشد له يعارض العطار في قصيدته الميمية ويرد عليها فيها [من البسيط] :

يا أيهــا المنتمــى للعطر قَدْكَ فقد *** قدحْـــتَ نيران بغـــيٍ سوف تضطرمُ
زعمْــت أنــك محســود علــى نعم *** أوليتهــا ومحــالٌ أنهــا نعم
فربَّ ذي نقــم يعتدُّهــا نعماً *** بجهلــه وهـــي إمَّــا حُصِّلـتْ نقم
قذفـــت أعـــراض قومٍ جاهـــلاً بهمُ *** يا ظالمـــاً وهـــمُ أعـــلام عصرهم
وقلـــت إنــك قد فارقتهـــم وهمُ *** في حيث قدرك إمّـا حصلـــوا رخم[4]
فمـــا حمـــاك اغتياب القـــوم فضلهمُ *** ولا تحرَّجـــت فيمـــن عرضـــه حرم
مدحــت نفســك فاستنقصتهـــم سفهاً *** ومـــا استـــزلَّك إلاّ فرط حلمهم
أقسمـــت بالله ما يرضـــى بفعلك من *** فيه حشاشـــة إيمـــان ولا كرم[5]

---

(١) خامر : داخل .
(٢) سل السيف : شهر من غمده :
(٣) النيب : جمع ناب ، وهي الناقة المسنّة والسّلم : من شجر البادية .
(٤) الرخم : طائر يشبه النسر كثير الريش أبيض اللون مبقّع بسواد .
(٥) الحشاشة : بقية الروح والنفس .

ما حصحص الحق فيما قد أتيت به لكنها ظلمات فوقها ظلم[1]
وعن قريب ستجني غبَّ ما غرستْ يداك فالبغي غرس طعمه وخم[2]

* * *

٩٠ ـ حبيب بن أحمد الشاعر

أنشدت له من قصيدة يقول فيها في ابن أبي عامر [من البسيط] :

لا ضَيَّعَ الله للمنصور مالكنا حوط الهدى وصلاح الدين بالنظرِ
في كلّ يومٍ له في المسلمين يدٌ غرّاء تخبر عن أفعاله الغرر[3]
فيا لها فرجةً عمَّتْ طوالعها كما يعمُّ ضياء الشمس والقمر[4]
لا زالت الأرض والدنيا بطاعته معمورتين إلى أقصى مدى العمر

* * *

٩١ ـ أبو علي بن حسان الأسنجي

أنشدت له [من الكامل] :

ثَقَّلْتَ نفسك بالذنوب ودونها جسرٌ لعمرك ما تَحير ثقيلا
يا بانيَ الغرفِ التي قد عطّلت ـ لو كنت تعقل ـ دينها تعطيلا
فاقصده إنّك ميتٌ ومشاهدٌ يوماً عليك من الحساب طويلا
تبني مصانعها وأنت مسافرٌ فلمن بناؤك إن أردت رحيلا

* * *

---

(١) حصحص الحق : ظهر وبان .
(٢) غبّ : عاقبه .
(٣) الغرر : البيض
(٤) فرجة : فسحة .

٩٢ ـ أبو محمد الباجي ، رحمه الله تعالى !

أنشدت له [من الطويل] :

إذا كنت لا أعفو عن الذنب من أخٍ ... وقلت أكافيه فأين التفاضلُ
ولكنني أُغضي جفوني على القذى ... وأصفح عمّا رابني وأجامل[١]
متى أقطع الإِخوان في كلّ عثرةٍ ... بقيت وحيداً ليس لي من أواصل
ولكنْ أداريه فإن صحّ سرّني ... وإن هو أعيا كان عنه التجامل

* * *

٩٣ ـ عبد الرحمن بن عمرو الحجري

أنشدت له [من الكامل] :

لما قدمت وقال بعض صحابتي ... قد جاء من علقت يمينك حبلَهُ
قالت قعيدة بيتها يمِّمْ أبا ... إسحق سيّدنا وقبِّلْ نعله
نفسي تعاود نيله الغمر الذي ... هو أهله وعسى به ولعلّه[٢]

* * *

٩٤ ـ عبد الملك بن خزيمة

قال [من البسيط] :

ابرز إلى الناس إنّ الناس في أسف ... إذ ليس بعدك للإسلام من خلفِ
وقد مضت لك أيامٌ ثمانيةٌ ... أشفى لها الناس من وجدٍ على التلف
خوفاً لعلّة حبْرٍ ليس يشبهه ... من البرّية إلاّ خيرة السلف[٣]

---

(١) أغضي : أعضُّ وأطرق ، والقذى : ما يقع في العين من الأذى ، ورابني : جعلني أشك فيه .
(٢) الغمر : العطاء الوفير .
(٣) الحبر : العالم الجليل .

أضحـى الضـلال بإبـراهيم متَّضعاً وصـار بالمشرفـيٍّ الـدين ذا شرف

* * *

٩٥ ـ أبو العباس المرداوي

أنشدت له [من المجتث] :

إنـي رأيت لك اليو م يا كريمـاً أجلُّه
طفـلاً عليه حياءٌ وفـي الحيا الخير كله
سقيتـه الحلـم لدنـاً والفـرع يسـقيه أصله[1]
لا زلـت أثنـي عليه دهـري بمـا هو أهله
فبـارك الله فيـه وفـي محلٍ يحلُّه

* * *

٩٦ ـ محمد بن وهيب البدسمي

أنشدت له وقد حضر مجلس بعض الفقهاء ، وهو محتفل بسراة الناس ، وقد حضروا لعقد نكاح ، فقـال الفقيه لابـن وهيب : لو أمكنـا[2] عقـد هذا النـكاح لشاركتنا في الحسنة ، فقال : نعم وكرامة ، وكيف تريد ذلك : منثوراً أو منظوماً ؟ فقال له الفقيه : سبحان الله ، ويمكن نظم هذا والإتيان على فصوله ؟ قال لي : إي والله . وإنه لأيسر على من نثره ، وإن أردت نظمته الآن بين يديك من أوله إلـى آخره . ولا أخليه من البسملة في افتتاحه ، فقال : إذا أتيت بهذا أتيت بطامـة . فقال له : هات كاتباً أمل عليه ، فأحضره كاتباً فأمل عليه في نسق [نظما] لم يتردد فيه ولا أبطأ كأنه يتلوه من كتاب حفظه ، وذكر الشروط والتاريخ علـى نصهـا في

---

(١) لدناً : يافعاً طرياً .
(٢) كذا ، ولعله أمليتنا .

الصداقات قديماً . كل ذلك بحضرة من شهد المجلس ، فبهت القوم لما رأوه وشاهدوه ، وأقروا أنه نسيج وحده وفريد دهره ، واستكثروا من الثناء عليه والمباهاة به ، وقال له الفقيه : أمرك والله عجيب كاد لولا المشاهدة لم أصدقه .

وركب إلى المنصور بن أبي عامر فأخبره بالمجلس وأراه الشعر ، فعجب من ذلك ، وأمر بصلة جزيلة حملت إليه ، وكان عدة ما ارتجله ثلاثين بيتاً ، وقد كتبت بعضها ، وإن لم تكن من نادر الشعر وبديعه ، وهي [من الطويل] :

لأصدق عبد الله نجل محمدٍ ... فتى أمويّ زوجه البكر مريما

وأمهرها عشرين عجّل نصفها ... دنانير يحويها أبوها مسلّما

وأنكحها منه أبوها محمد ... سلالة إبراهيم من حيٍّ خثعما[1]

وباقي صداق البكر باقٍ إلى مدى ... ثلاثة أعوام زمانا متمّما[2]

مؤخّرة عنه يؤدي جميعها ... إذا لم يكن عند التطلب معدما

ومن شرطها أن لا يكون مرحّلا ... لها أبداً عن دارها أين يمّما

وأن لا يرى حتماً بشيء يضرّها ... يصرِّف فيه الدهر كفّاً ولا فما

وكان ابن وهيب هذا أحد أفراد زمانه ، وكان إذا جلس ابن أبي عامر في الأعياد للشعراء وأذن لهم في الإنشاد على مرابتهم جلس ابن وهيب وبدأ بما يصنعه بديهة فلا تأتيه نوبته حتى يفرغ من قصيدته ويقوم وينشده ، وإن مداده لم يجف ، وهذه مادة عظيمة .

* * *

٩٧ ـ أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي اللغوي

أحفظ أهل زمانه للإعراب والفقه واللغة والمعاني والنوادر ، وله كتب مؤلفة

---

(١) خثعم : اسم قبيلة .

(٢) الصداق : المهر.

منها اختصار كتاب العين ، وكتاب طبقات النحويين واللغويين في الأندلس والمشرق من زمن أبي الأسود الدؤلي إلى زمن عبد الله الرياحي النحوي معلم الزبيدي ، وله كتاب الأبنية في النحو ليس لأحد مثله ، وكان الشعر أقل أدواته .

فما أنشدت له في تكذيب منجم [من المتقارب] :

يقول المنجم لي لا تسرْ فإنك إن سرت لاقيت ضرّا
فإن كان يعلم أنّي جسير فقد جاء بالنهي لغواً وهجرا
وإن كان يجهل سيري فكيف يراني إذا سرت لاقيت شرّا

وله في رثائه لشيخه علي بن إسمعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغوي قصيدة جزلة الألفاظ كثيرة الغريب ، صاغها صوغ فحول العرب ، وضمنها قطعة من غريب كلامهم ، وهي قصيدة طويلة أولها [من السريع] :

تالله لا يبقى لصرف النوى ذو جسدٍ في رأس نيقٍ منيفِ(1)

وقوله في الزهد [من السريع] :

لو لم تكن نارٌ ولا جنّةٌ للمرء إلاّ أنه يقبرُ
لكان فيه واعظٌ زاجرٌ ناهٍ لمن يسمع أو يبصر

وقوله [من السريع] :

الفقر في أوطاننا غربةٌ والمال في الغربة أوطانُ
والأرض شيءٌ كلّها واحدٌ والناس جيران وأخوان

* * *

(1) صرف النوى : كناية عن الصروف والأحداث ، والنيق : أعلى موضع في الجبل ، والمنيف : الشاهق المطلّ .

٩٨ ـ محمد بن يحيى بن يعقوب

أنشدت له قوله في الزهد [من الوافر] :

لقد فاز الموفّق للصواب ... وعاتب نفسه قبل العتابِ
ومن شغل الفؤاد بحب مولىً ... يجازى بالجزيل من الثواب
فذاك ينال عزاً لا كعزٍّ ... من الدنيا يصير إلى الذهاب
تفكَّرْ في الممات فعن قريبٍ ... ينادى بالرحيل إلى الحساب
وقدِّمْ ما تُرَجِّي النفع منه ... لدارِ الخلد واعمل بالكتاب
ولا تغترَّ بالدنيا فعمّا ... قريبٍ سوف يُؤْذَن بالخراب

* * *

٩٩ ـ الفقيه محمد بن عبد الله بن أبي ريمين

أنشدت له قوله في الزهد [من الخفيف] :

أيها المرء إنَّ دنياك بحرٌ ... طافحٌ موجه فلا تَأْمَنَنْها
وسبيل النجاة فيها مهينٌ ... وهو أخذ الكفاف والقوت منها

وقوله [من الطويل] :

خليليَّ إنّ الذي تعلمانه ... زمان التصابي وانطلاق عنانهِ
شديد الأسى حر الجوى محرق الحشى ... فهل من مجيرٍ مخبرٍ بأمانه[1]
رأى مجيرٍ غير من قد عصيته ... فيا أسفى أن لم يعد بحنانه

وقوله [من الطويل] :

وذي حُرَقٍ زادت به زفراتُه ... إذا ما سطت في قلبه خطراتُه

---

(١) من بحيرٍ : من حامٍ وحافظ

له في دجى الإظلام خلوة مخلصٍ   تذكّره فيها الجحيم هناته[1]
ويدفعه ذكر الوعيد إلى الأسى   فتنهلُّ من لوعاته عبراته
إذا ما تلا التنزيل وانكشفت له   عجائبه زادت له عزماته
وإن لحظت عين اليقين معاده   سقت خوفه من مائه لحظاته
بنفسي وليٌّ أنه بمليكه   وفي ذكره إصباحه وبياته

وقوله [من الخفيف] :

أيها المرء لم تسرَّك دنيا   أنت منها مرحَّل عن قريبِ
وإذا المرء لم يقصِّرْ خطاه   في أمانيه فهو غير لبيب

* * *

١٠٠ ـ أحمد بن محمد بن عفيف

أنشدت له قوله من قصيدة يمدح فيها أمير المرية خيران ، أولها [من الكامل] :

قف بالمطيِّ على مغاني الدار   ليس الوقوف على الرسوم بعارِ

يقول فيها :

أنت الذي أنقذتنا من بعدما   كنّا جميعاً تحت جرفٍ هارِ[2]
ونهضت نحو المارقين بجحفلٍ   جمٍّ أولي عزمٍ وذي استبصار
باعوا النفوس لنصر دين محمدٍ   فكأنّهم في الحرب أُسْد الزار

وفيها يصف أعداءهم :

كانوا رياحاً للردى حتى رموا   من جيشك المنصور بالإعصار

---

(١) الهنة : خصلات شرّه .

(٢) جرفٍ هار : كناية عن الخطر الشديد أي أنهم كانوا على وشك الهلاك .

(٣) الزار : من الزئير ، وهو صوت الأسد .

الله أركسهم وفرّق شملهم حتى أحلّهمُ بدار بوار[1]

* * *

١٠١ ـ محمد بن عمر بن عبد الله بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية

من أعلم أهل زمانه باللغة والعربية ، وأرواهم للأشعار والأخبار ، وكان ـ مع ذلك ـ حافظاً للفقه والحديث ، من أهل النسك والزهادة ، وله كتاب في الأفعال لم يسبقه أحد إلى مثله ، وكان أبو علي البغدادي المعروف بالقالي يفضله ويعظمه ، ويعرف حقه ويقدمه .

أخبرني أبو سعيد بن دوست قال : أخبرني الوليد بن بكر الفقيه ان يحيى بن هذيل الشاعر زار يوماً ابن القوطية في ضيعة له ، فألفاه خارجاً منها ، فاستبشر بلقائه ، وابتدأه ببيت حضره على البديهة فقال [من البسيط] :

من أين أقبلتَ يا من لا شبيه له ومن هو الشمس ، والدنيا له فلك

فأجابه مسرعاً [من البسيط] :

من منزل يعجب النّساك خلوته وفيه سترٌ على الفتّاك إن فتكوا

قال ابن هذيل : فما تمالكت أن قبلت يده ، إذ كان شيخي وأستاذي ، وكان الشعر أقل صناعته لكثرة غرائبه : فمن بديعه قوله [من البسيط] :

ضُحىً أناخوا بوادي الطلح عيرهمُ فأوردوها عشاءً أيَّ إيرادِ[2]
أكرم به وادياً حلَّ الحبيب به ما بين رند وصفصاف وفرصاد[3]

---

(١) أركسهم : أهلكهم وبدّدهم والبوار : الهلاك .
(٢) أناخوا : حطّو الرحال والعير : الدواب .
(٣) الرند : شجرٌ طيب الرائحة ، والفرصاد : هو المعروف في بلادنا باسم التوت .

يا وادياً سار عنه الركب مُرتحلا بالله قل أين سار الركب يا وادي
أبالحمى نزلوا أم باللِّوى عدلوا أم عنك قد رحلوا خُلْفاً لميعادي
بانوا وقد أورثوا جسمي لبينهم سقماً وقد قطعوا بالبين أكبادي

* * *

١٠٢ ـ أحمد بن محمد بن عبد ربه

أحد محاسن الأندلس علماً وفضلاً ، وأدباً ونبلاً ، وشعره في نهاية الجزالة والحلاوة ، وعليه رونق البلاغة والطلاوة .

أنشدني له أبو سعيد بن دوست قال : أنشدني الوليد بن بكر قوله [من الكامل] :

يا من يجرِّد من بصيرته تحت الحوادث صارم العزمِ
رعْت العدو فما مثلت له إلا تفزَّعَ منك في الحلم[١]
أضحى لك التدبير مطَّرداً مثلَ آطّراد الفعل للاسم
رفع العدو إليك ناظره فرآك مطَّلعاً مع النجم

وقوله [من الوافر] :

ومعتركٍ تهزّ له المنايا ذكور الهند في أيدي ذكورِ[٢]
لوامع يبصر الأعمى سناها ويعمى دونها طرف البصير
وخافقة الذّوائب قد أقامت على حمراءَ ذاتِ شباً طرير[٣]
نجومٌ تحتها عقبان موتٍ تخطَّفتِ القلوب من الصدور
بيوم راح في سربال ليلٍ كما عرف الأصيل من البكور

(١) رعْت : أخفتْ .
(٢) ذكور الهند : سيوفها .
(٣) الشبا الطرير : الطرف الحادّ من السِّنان .

وعين الشمس تدنو في قتامٍ | دُنُوَّ الإنف ما بين الستور
فكم قصَّرْتَ من عمر طويلٍ | به وأطلْتَ من عمرٍ قصير

وقوله [من البسيط] :

كم ألحم السيف من أبناء ملحمةٍ | ما منهمُ فوق ظهر الأرض ديَّارُ
فأورد النار من أرواح بارقةٍ | كادت تَمَيَّزُ من غيظٍ بها النار
كأنّما صال في ثني مفاضته | مستأسدٌ حنق الأحشاء هرّار[1]
لما رأى الفتنة العمياء قد دخنتْ | منها على الناس آفاقٌ وأقطار
وأطبقت ظُلَمٌ من فوقها ظلمٌ | ما يستضاء بها نورٌ ولا نار
قاد الجياد إلى الأعداء ساريةً | قباً طواها كطيٍّ العصب إضمار[2]
ملمومةٌ تتبارى في ململمةٍ | كأنّها لاعتدال الخلق أقمار
تفوت بالثأر أقواماً وتدركه | من آخرين إذا لم يدرك الثار
فانصاع ناصر دين الله يقدمهم | وحوله من جنود الله أنصار
كتائبُ تتبارى حول رايته | وجحفلٌ كسواد الليل جرارُ

وقوله يصف الحرب [من الطويل] :

ومعتركٍ ضنكٍ تساقت كماته | كؤوس المنايا من كلى ومفاصلِ[3]
يديرونها راحاً من الراح بينهم | ببيضٍ رقاقٍ أو بسمرٍ ذوابل[4]
وتسمعهم أمّ المنية وسطها | غناء صهيل البيض تحت المناصل

---

(١) المفاضة : الدرع الوافية . وهرّار : مكشّر عن أنيابه .

(٢) قباً : من القبّ ، وهو دقة الخصر وضمور البطن في الخيل . والعصب : نوعٌ من الثياب المخطّطة .

(٣) الضنك : الشديد الصعب ، والكماة : الفرسان والأبطال .

(٤) البيض والسمر : السيوف والرماح .

وقوله [من الطويل] :

بكلّ رديـنـيٍّ كأنّ سنانـه — شهـابٌ بدا في ظلمـة الليل ساطعُ[1]
تقاصـرت الآجـال في طول متنه — وعـادت به الآمـال وهـي فجائع
وساءت ظنون الحرب في حسـن ظنّه — فهـن ظبـاتٌ للقلـوب قوارع
وذي شُطَـبٍ تقضـي المنـايا بحكمه — وليس لمـا تقضـي المنية دافع[2]
فرنـدٌ إذا ما اعتـن للعين راكد — وبـرق إذا ما اهتـز بالـكف لامع
يسـلّ أرواح الكمـاة انسلاله — ويرتـاع منـه المـوت والمـوت رائع

وقوله [من السريع] :

بـكلّ منشـورٍ علـى متنـه — مثـل مدبٍّ النَّمـل بالقاعِ
يرتـدُّ طرف العين عن حدّه — عن كوكبٍ للمـوت لمّاع

وقوله [من الطويل] :

كريمٌ علـى العـلاّت جزلٌ عطاؤه — منيلٌ ، وإن لم يعتمـد لنوالِ
ومـا الجـود من يعطـي إذا ما سألته — ولـكنّ من يعطـي بغير سؤال

وقوله [من السريع] :

مـن يُرتجـى بعـدك أو يتّقي — وفـي يديك الجـود والباسُ
إن عشـت عاش النـاس في نعمةٍ — وإن تمـت مات بك الناس

وقوله في الشيب [من الوافر] :

شبـاب المـرء تنفـده الليالي — وإن كانـت تصير إلـى نفادِ
فأسـوده يصير إلـى بياضٍ — وأبيضـه يعـود إلـى سواد

---

(١) الرديني : الرمح .
(٢) وذي شطب : كناية عن السيف .

وقوله [من البسيط] :

قالـوا شبابـك قد ولّـى فقلـت لهم | هل من جديدٍ علـى كرِّ الجديديْنِ [1]
صِلْ من هويْتَ وإن أبـدى معاتبةً | فأطيب العيش وصـل بين إلفين
واقطـع حبائـل خلٍّ لا تلائمه | فربمـا ضاقـت الـدنيا علـى اثنين

وقوله يرثي ولده [من الكامل] :

بليتْ عظامـك والأسـى يتجدَّدُ | والصبـر ينفـد والبـكا لا ينفدُ
يا غائبـاً لا يرتجـى لإيابه | ولقائـه حتـى القيامـة موعد
ما كان أحسـن ملحـداً ضُمِّنْتَهُ | لو كان ضم أبـاك ثَمَّ الملحد
باليأس أسلـو عنـك لا بتجلدي | هيهـاتَ أين من الحزين تجلّد

وقوله يرثيه [من المنسرح] :

واكبـداً قد تقطّعـت كبدي | وأحرقتـه لواعـج الكمـدِ [2]
مـا مات حيٌّ لميتٍ أسفاً | أعـذر من والـدٍ علـى ولد
يا رحمـة الله جاوري جدثاً | دفنـتُ فيه حشاشتـي بيدي
ونَـوِّري ظلمـة القبـور على | من لم يصـل ظلمـه إلـى أحد
أيّ حسـامٍ أخـذت رونقه | وأيّ روحٍ نزعـت من جسدي
يا قمـراً أجحف الخسـوف به | قبـل طلـوع السّـواء في العدد [3]
أيّ حشـىً لم يذب له أسفاً ؟ | وأيّ عينٍ عليه لم تجدِ ؟
لا صبـر لي بعـده ولا جلدٌ | فُجعْـتُ بالصّبـر فيه والجلد
يا لوعـةً لا يزال لاعجُها | يقـدح نارَ الأسـى علـى كبدي

---

(١) كرّ الجديدين : أي تقلّب الليل والنهار .
(٢) لواعج الكمد : حرقة الحزن والهمّ .
(٣) أجحف : ظلم وأضرّ ، وليلة السواء : هي ليلة أربع عشرة أو ثلاثة عشرة ، يريد أنه لم يكتمل .

وقوله [من البسيط] :

لا بيت يسكن إلا فارق السكنا ... ولا امتلا فرحاً إلا امتلا حزنا[1]
لهفا على ميت مات السرور به ... لو كان حيّاً لأحيا الدين والسننا
واهاً عليك أبا بكرٍ مرددةً ... لو سكَّنتْ والهاً أو فتَّرتْ شجنا[2]
إذا ذكرتك يوماً قلت واحزانا ... وما يرد عليك القول واحزنا
يا سيدي ومزاج الروح في بدني ... هلاّ دنا الموت منّي حيث منك دنا
يا أطيب الناس روحاً ضمّه بدنٌ ... أستودع الله ذاك الروح والبدنا
لو كنت أعطى به الدنيا معاوضةً ... منه لما كانت الدنيا له ثمنا

وقوله في التحبب إلى الناس [من الكامل] :

وجهٌ عليه من الحياء سكينةٌ ... ومحبّةٌ تجري مع الأنفاسِ
وإذا أحبّ الله يوماً عبده ... ألقى عليه محبّة للناس

وقوله [من البسيط] :

لا غرو إن نال منك السقم ما سألا ... قد يكسف البدر أحياناً إذا كملا
ما تشتكي علّةً في الدهر واحدةً ... إلاّ اشتكى الجود من وجدٍ بها عللا

وقوله [من البسيط] :

قالوا نأيت عن الإخوان قلت لهم ... ما لي أخ غير ما تحوي عليه يدي
دعني أصنْ حرَّ وجهي عن إذالته ... وإن تغرَّبْت عن أهلي وعن ولدي[3]

وقوله [من الطويل] :

وأعذر من أدمى الجفون من البكا ... كريمٌ رأى الدنيا بكفّ لئيمِ

---

(١) امتلا أصله امتلأ ـ بالهمز ـ مخفّف الهمزة بقلبها ألفاً لانفتاح ما قبلها ، لضرورة الشعر .
(٢) الشجن : الحزن .
(٣) إذالته : إهانته وابتذاله .

أرى كلَّ فدمٍ قد تبجّح في الغنى   وذو الظرف لا تلقاه غير عديم[1]

وقوله في الشيب [من الوافر] :

بدا وَضَحُ المشيب على عذاري   وهل ليلٌ يكون بلا نهار
وألبسني النهى ثوباً جديداً   وجرّدني من الثوب المعار
شريت سواد ذا ببياض هذا   فبدّلت العمامة بالخمار
وما بعت الصبا بيعاً بشرط   ولا استثنيت فيه بالخيار

وقوله في الشباب [من الكامل] :

ولّى الشباب وكنت تسكن ظلّه   فانظر نفسك أي ظلٍّ تسكنُ
وَانْهَ المشيب عن الصبا لو أنه   يدلي بحجته إلى من يعلن

وقوله فيه [من المنسرح] :

كنت أليف الصبا فودّعني   وداع من بان غير منصرفِ
أيام لهوي كظلّ أسجلةٍ   وإذ شبابي كروضةٍ أُنُف[2]

وقوله فيه [من الوافر] :

شبابيَ كيف صرت إلى نفاد   وبدّلت البياض من السوادِ ؟!
وما أبقى الحوادث منك إلا   كما أبقت من القمر الدّآدي[3]
فراقك عرّف الأحزان قلبي   وفرّق بين عيني والرقاد
كأني منك لم أربعْ بربعٍ   ولم أرتدْ به أحلى مراد
سقى ذاك الرّبا وبلٌ الثريا   وغادى نبته صوب الغوادي[4]

---

(١) الفدم : الأحمق .

(٢) كظلٍّ أسجلة : أي الظل الواسع المتدلي ، والروضة الأنف : التي لم ترعَ .

(٣) الدآدي : الليالي الشديدة الظلام .

(٤) الوبل : المطر ، وصوب الغوادي : مطر السحاب .

زمـانٌ كان فيه الرشـد غيّاً وكان الغـيّ فيه من رشادي
فـكم لي من غليل فيك خافٍ وكم لي من عويل فيك بادي

وقوله [من البسيط] :

فكَّرْت فيك أبحـرٌ أنـت أم قمرٌ فقـد تحـيرَّ فكري بـين هذيْنِ
إن قلت بحـرٌ وجـدت البحـر منحسراً وبحـر جودك ممتـدٌّ العنانين
أو قلـت بدرٌ رأيت البـدر منتقصاً فقلـت شتَّـان ما بـينَ اليزيدين

وقوله في الزهد [من السريع] :

يا ويلتـا من موقف ما به أخـوف من أن يعـدل الحاكمُ
أبَـارز الله بعـصيانـه وليس لي من دونـه راحم
يا رب عفـواً منـك عن مذنب أسرف إلا أنـه نـادم

وقوله [من الوافر] :

أتلهـو بـين باطيه وزير وأنـت من الهـلاك على شفيرِ[1]
فيا من غرَّه أمـلٌ طويلٌ به يرْدى إلى أجـل قصير
أتفـرح والمنية كلّ يومٍ تريك مكان قبـرك في القبور
هـي الـدنيا وإن سرّتـك يوماً فإن الحـزن عاقبـة السرور
ستسلـب كل ما جُمِّعْـتَ فيها بعـاريةٍ ترد إلـى معير[2]
وتعتـاض اليقـين من التظنّي ودار الحـق من دار الغرور

وقوله [من السريع] :

مدامـع قد خدّدت في الخدودْ وأعـينٌ مكحـولـةٌ بالهجود[3]

---

(١) الباطية : الخمر وأوانيها والزير : إناء الخمر .
(٢) العارية : الأمانة ، أو الشيء المستعار .
(٣) خدّدت : تركت آثاراً وأخاديداً لمجراها .

ومعشـــرٍ أوعـــدهـم ربهـم فبـــادروا خشية ذاك الوعيـد
فهـــم عكوفٌ في محاريبهم يبـــكون من خوف عقـــاب المجيد
قـــد كاد أن يعشـــب من دمعهم ما قابلَـــتْ أعينهـــم في السجود

وقوله في الغزل [من الطويل] :

أتقتلنـــي ظلما وتجحدنـــي قتلي وقـــد قام من عينيك لي شاهـــدا عدلِ
أطـــلاّب ذحلي ليس بي غـــير شادن بعينيه سحـــر فاطلبـــوا عنـــده ذحلي[1]
أغـــار على قلبـــي بعينيه شادن أطالبـــه فيه أغـــار على عقلي
بنفسي التـــي ضنَّـــت عليَّ بوصلها ولـــو سألـــتْ قتلي وهبـــتُ لهـــا قتلي
إذا جئتهـــا صدَّت حياء بوجهها فيعجبنـــي هجـــر ألـــذُّ من الوصل
كتمـت الهـوى جهـدي فحـرّره الأسى بمـــاء البـــلا هذا يخـــطُّ وذا يملي
وإن حكمـــتْ جارت عليَّ بحكمها ولـــكنَّ ذاك الجـــور أحلى من العدل
وأحببـت فيهـــا العـــذل حبـــاً لذكرها فلا شيء أشفـــى في فؤادي من العذل
أقـــول لقلبـــي كلما ضامـــه الأسى إذا ما أبيت العـــز فاصبـــر على الذل
برأيك لا رأيي تعرّضـــتَ للهوى وأمـــرك لا أمـــري وفعلك لا فعلي
وجـدت الهـوى نصـــلاً لموتـــيَ مغمّداً فجرّدتـــه ثم اتّـــكيت على النصل[2]
فإن كنـــت مقتـــولاً على غـــير ريبةٍ فأنـــت الـــذي عرّضـــت نفســـك للقتل

وقوله ، وهو من دقيق التشبيه وحسن النسيب [من الكامل] :

حـــوراء راعتهـــا النـــوى في حور حكمـــت لواحظهـــا على المقدورِ
نظـــرت إليك بمقلتـــيْ أدمانةٍ وتلفّتـــتْ بســـوالف اليعفـــور[3]

---

(١) الذحل : الثأر .
(٢) النصل : السيف والرمح وكلّ ماله حدّ ، ومغمّداً : أي في غمده . . وغمد السيف : حيث يوضع وعاؤه وبيته .
(٣) الأدمانة : الظبية . واليعفور : الغزال ، وولد البقرة الوحشية .

وكأنما غاص الأسى بجفونها حتى أتاك بلؤلؤٍ منثور

وقوله [من الكامل] :

أدعو إليك فلا دعاءٌ يسمع يا من يضرُّ بناظريه وينفعُ
للورد حينٌ ليس يطلع دونه والورد عندك كلَّ حينٍ يطلع
من لي بأحورَ ما يبين لسانه خجلاً وسيف جفونه لا يقطع[1]
منع الكلام سوى إشارة مقلةٍ منها يكلّمني وعنها يسمع

وقوله [من الطويل] :

جمالٌ يفوت الوهم في غاية الفكر وطرفٌ إذا ما فاه ينطق بالسحرِ
ووجهٌ أعار البدر ذلّة حاسدٍ فمنه الذي يسودُّ في صفحة البدر

وقوله في النحول [من الكامل] :

لم يبق من جثمانه إلا حشاشة مبتئسْ
قد رقَّ حتى ما يرى بل ذاب حتى ما يحس

وقوله في البين [من الوافر] :

فررت من اللقاء إلى الفراق فحسبي ما لقيت وما ألاقي
سقاني البين كأس الموت صرفاً وما ظني أموت بكفّ ساقي
فيا برد اللقاء على فؤادي أجرْني اليوم من حرِّ الفراق

وقوله في نوح الحمام [من الطويل] :

ويهتاج قلبي كلما كان ساكناً دعاء حمامٍ لم يبت بوكونِ[2]
وإن ارتياحي من بكاء حمامةٍ كذي شجنٍ داويته بشجون

---

(١) الأحور : من الحور وهو شدّة سواد العين وشدّة بياضها معا .
(٢) الوكون : جمع وكن وهو : العشّ .

كأنّ حمام الأيك لما تجاوبت حزينٌ بكى من رحمةٍ لحزين

وقوله فيه [من الطويل] :

أناحت حمامات اللوى أم تغنّتِ فأبدتْ دواعي قلبه ما أجنَّت[1]
فديت التي كانت ولا شيء غيرها مني النفس أو يقضى لها ما تمنّت

وقوله فيه [من الطويل] :

لقد سجعت في جنح ليلٍ حمامةٌ فأيُّ أسًى هاجت على الهائم الصَّبِّ
لك الويل بل هيَّجْت شجوي بلا جوىً وشكوى بلا شكوى وكرباً بلا كرب
وأسكبْت دمعاً من جفون مسهَّدٍ وما رقرقت منك المدامع بالسكب

وقوله في الرياض [من الطويل] :

وما روضةٌ بالحزن حاك لها الندى بروداً من الموْشيِّ حمرِ الشقائقِ
يقيم الدجى أعناقها ويميلها شعاع الضحى المستنّ في كلّ شارق[2]
إذا ضاحكَتْها الشمس تبكي بأعينٍ مكلّلة الأجفان صفر الحمالق[3]
حكت أرضها لون السماء وزانها نجومٌ كأمثال النجوم الخوافق
بأطيب نشراً من خلائقك التي لها خضعتْ في الحسن زهر الخلائق

وقوله في التضمين [من الطويل] :

وروضة ورد حفّ بالسوسن الغضّ تحلّتْ بلون السّام والذّهب المحضِ[4]
رأيت بها بدراً على الأرض ماشياً ولم أر بدراً قطُّ يمشي على الأرض
إلى مثله تصبو إذا كنت صابياً فقد كاد منه البعض يصبو إلى البعض

---

(١) اللِّوى : ما التوى وانعطف وانثنى من الرمل أو مسترقّه .
(٢) في كلّ شارق : أي عند كلّ شروق .
(٣) الحمالق : باطن أجفان العين .
(٤) السام : عروق الذهب والفضة .

وقل للذي يفني الفؤاد بحبّه على أنه يجزي المحبّة بالبغض
« أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعضُ الشرّ أهون من بعض »

وقثوله [من الطويل] :

وحاملةٍ راحا على راحة اليد موردّةٍ تسعى بلونٍ مورَّدِ
متى ما ترى الإبريق للكأس راكعا تُصلِّ له من غير طهرٍ وتسجد
على ياسمينٍ كاللُّجين ونرجسٍ كأقراط درٍّ في قضيب زبرجد
بتلك وهذي فَالْهُ يومَكَ كلَّه وعنها فسلْ لا تسألِ الناس عن غد
« ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود »[1]

وقوله [من الطويل] :

أيقتلني دائي وأنت طبيبي قريبٌ وهل من لا يرى بقريبِ
لئن خنت عهدي إنني خير خائنٌ وأيّ محبٍّ خان عهد حبيب
وساحبةٍ فضلَ الذُّيول كأنها قضيب من الريحان فوق كثيب
إذا برزتْ من خدرها قال صاحبي أطِعْني وخذْ من حظها بنصيب
« فما كل ذي لب بمؤتيك نصحَهُ وما كلُّ مؤتٍ نصحَهُ بلبيب »

وقوله [من المديد] :

يا طويل الهجر لا تنس وصلي واشتغالي بك عن كلّ شغلِ
يا هلالاً فوق جيد غزالٍ وقضيباً فوق دعصة رملِ[2]

وقوله [من المديد] :

يا وميض البرق بين الغمام لا عليها بل عليك السلام

---

(١) البيت لطرفة بن العبد الشاعر الجاهلي المشهور .

(٢) دعصة الرمل : التلّة والكثيب .

إنّ في الأحداج مقصورة وجهها يهتك ستر الظلام
تحسب الهجر حلالاً لها وترى الوصل عليها حرام
ما تأسّيك لدارٍ خلت ولشعبٍ شتَّ بعد التئام[1]
إنما ذكرك ما قد مضى ضِلَّةٌ مثلُ حديث المنام

وقوله [من المديد] :

يا عاتباً صرت له عاتباً رب مطلوبٍ غدا طالبا[2]
من يتب عن حب معشوقه لست عن حبي له تائبا
فالهوى لي قدر غالب كيف أعصي القدر الغالبا
ساكن القلب ومن حلَّه أصبح القلب به ذاهبا

وقوله [من المديد] :

أيُّ تفاح ورمّانِ نجتني من خوط ريحانِ[3]
أي وردٍ فوق خدٍّ بدا مستنيراً فوق سوسان
وثنٌ يعبد في خلوةٍ صيغ من درٍّ ومرجان
من رأى الذلفاء في خلوةٍ لم ير الحدَّ على الزاني[4]
« إنما الذلفاء ياقوتةٌ أخرجت من كيس دهقان »[5]

وقوله [من المديد] :

من محبٍّ شفَّهُ سقمُهُ وتلاشى لحمه ودمه

---

(١) شت : تفرق .
(٢) زاد في أول هذا البيت سبباً خفيفاً وهذه الزيادة سائغة عند أهل العروض .
(٣) الخوط : الغصن الناعم .
(٤) الذلفاء : إسم . علم ، والذّلف : صغر الأنف واستواء طرفه .
(٥) الدهقان : التاجر .

كاتبٌ حنَّت صحيفته وبكى من رحمةٍ قلمه
يرفع الشكوى إلى قمرٍ تنجلي عن وجهه ظلمه
خلِّ عقلي يا مسفهه إنَّ عقلي لست أتهمه
« للفتى عقلٌ يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه »

وقوله [من المديد] :

زادني لومك إصرارا إنّ لي في الحبّ أنصارا
طار قلبي من هوى رشأٍ لو رثى للقلب ما طارا
خذْ بكفّي لا أمت غرقاً إن بحر الحب قد فارا
أنضجت نار الهوى كبدي ودموعي تطفىء النارا
« رب نار بتُّ أرمقها تقضم الهنديَّ والغارا » [1]

وقوله [من البسيط] :

يا ليلةً كان في ظلمائها نور إلاّ وجوهاً تضاهيها الدنانيرُ
حورٌ سقتْنِيَ كأس الموت أعينُها ماذا سقتْنِيَ تلك الأعين الحور
إذا ابتسمن فدرُّ الثغر منتظمٌ وإن نطقْن فدر اللفظ منثور
خلِّ الصبا عنك واختم بالنهى عملاً فإنّ خاتمة الأعمال تكفير [2]
« فالخير والشر مقرونان في قَرَنٍ فالخير ممتنعٌ والشر محذور » [3]

وقوله [من البسيط] :

يا طالباً في الحبّ ما لا ينال وسائلاً لم يعف ذلّ السؤالْ
ولّت ليالي الصبا محمودة لو أنها ترجع تلك الليالي

---

(١) الهندي والغار : نوعان من الطيب يتبخر بهما .
(٢) خلّ : دع واترك . والتكفير : التوبة وعمل الخير إزالةً للذنب .
(٣) القرن : القيد والشَّرَكْ .

وأعقبتْـك التـي أوصلتها بالهجـر لمـا رأت شيب القذال[1]
لا تلتمس وصلـةً من مخلفٍ ولا تكن طالبـاً ما لا ينال
« يا صاح قد أخلفـت أسمـاء ما كانـت تمنّيك من حسـن وصال »

وقوله [من البسيط] :

ظالمتـي في الحـبّ لا تظلمي فتصرمـي حبـل من لم يصرمِ[2]
أهـكذا باطـلاً عاقبتني لا يرحـمِ الله من لم يرحم
قتلـت نفسـاً بلا نفسٍ وما ذنـبٌ بأعظـم من سفـك الدم
لمثـل هذا بكت عينـيَ لا للمنـزل القفـر ولا للرَّسَم
« مـاذا وقوفـي علـى رسـمٍ عفا مخلولـقٍ دارسٍ مستعجمِ »[3]

وقوله [من مخلع البسيط] :

مـا أقـرب اليأس من رجائي وأبعـد الصبـر من بكائي
يا مذكيَ النـار في جوائي أنـت دوائـي وأنـت دائي
مـن لي بمخلفـةٍ وعدها تخلـط لـي اليأس بالرجاء
سألتهـا حاجـةً فلـم تفُهْ لي بنعـم لا ولا بلاء
قلـت استجيبـي فلمـا لم تجبْ فاضـت دموعـي علـى ردائي
كآبـة الـذل فـي كتابي ونخـوة العـزّ في الجواء[4]

وله فيه [من مخلع البسيط] :

قتلـت نفسـاً بغير نفس فكيف تنجـو من العذابِ

---

(١) القذال : القفا ، حيث الصفع .
(٢) الصرم : الهجر والقطيعة .
(٣) الدارس : البالي الذي عفت آثاره، والمستعجم : الذي لا ينطق .
(٤) الجواء : من الجوى ، وهو شدّة الوجد والاحتراق من العشق والجواء : الداخل والباطن .

خلقت من بهجةٍ وطيب إذ خلق الناس من تراب
ولّت حميّا الشباب عني فلهف نفسي على الشباب
أصبحت والشيب قد علاني يدعو حثيثاً إلى الخضاب

وقوله [من الوافر] :

تجافى النوم بعدك عن جفوني ولكن ليس تجفوها الدموعُ
يطير إليك من شوقٍ فؤادي ولكنْ ليس تتركه الضلوع
كأن الشمس لما غبْتَ غابتْ فليس لها على الدنيا طلوع
يذكِّرني تبسُّمك الأقاحي ويحكي لي تورُّدَكَ الربيع
فما لي من تذكُّرِكَ امتناعٌ ودون لقائك الحصنُ المنيع
« إذا لم تستطع شيئاً فدعْه وجاوزْه إلى ما تستطيع »

وقوله [من الكامل] :

حال الزمان له فبدّل حالا وكسا المشيب مفارقاً وقذالا
غابت غواني الحيّ عنك وربما طلعت إليك أكلَّةً وحجالا[1]
أضحى عليك حلالهن محرَّماً ولقد يكون حرامهن حلالا
إن الكواعب إن رأينك طاوياً وصل الشباب طوين عنك وصالا[2]
« وإذا دعونك عمّهن فإنّه نسبٌ يزيدك عندهن خبالا »[3]

وقوله [من مجزوء الكامل] :

هتك الحجاب عن الضمائر طرفٌ به تبلى السرائرْ
يرنو فيمتحن القلو ب كأنّه في القلب ناظر

---

(١) الأكلّة : المتزينة بالتاج ، أو بعصابة من الجواهر ، والحجال : الخلاخيل .
(٢) طاوياً : جائعاً .
(٣) الخبال : فساد العقل والرأي .

يا ساحراً ما كنت أعرف قبله في الناس ساحر
أقصيتني من بعد ما أدنيتني فالقلب طائر
« وغررتني وزعمت أنّك لابنٌ في الصيف تامر »[1]

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا مقلةَ الرشأ الغرير وشقّة القمر المنير
ما رنّقت عيناك لي بين الأكلّمة والستور
إلا وضعت يدي على كبدي مخافة أن تطير
هبني كبعض حمام مكّة واستمع قول النذير
« أبني لا تظلم بمكةَ لا الصغير ولا الكبير »

وقوله [من مجزوء الكامل] :

قل ما بدا لك وافعل واقطع حبالك أوصلِ
هذا الربيع فحيِّهِ وانزل بأكرم منزل
وصل الذي هو واصلٌ وإذا كرهت تبدّل
وإذا نبا بك منزلٌ أو مسكنٌ فتحوّل
« وإذ افتقرت فلا تكن متخشّعاً وتحمّلِ »

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا دهر ما لك ضنكٌ وأنت غير مواتي[2]
جرَّعتني غصصاً بها كدرت [عليَّ] حياتي
أين الذين تسابقوا في المجد للغايات
قومٌ بهم روح الحيا ة تردّ في الأموات

---

(١) لابن في الصيف تامر : أي عندك لبنٌ وتمر .

(٢) ورد صدر هذا البيت هكذا « يا دهر مالي بضنكِ » وهو غير مستقيم الوزن .

وإذا همو ذكروا الإسا ءة أكثروا الحسنات

وقوله فيه [من الهزج] :

متى أشفي غليلي بنيلٍ من بخيلِ
غزالٌ ليس لي منه سوى الحزن الطويل
حملت الضّيم فيه من حسودٍ أو عذول
جميل الوجه أخلاني من الصبر الجميل
« وما ظهري لباغي الضيم بالظهر الذلول »[1]

وقوله [من الرجز] :

لم أدرِ جنيٌّ سباني أم بشرْ أم شمس ظهرٍ أشرقتْ لي أم قمرْ
أم ناظر يهدي المنايا طرفه حتى كأن الموت فيه في النظر
ويحيي قتيلاً ما له من قاتل إلا سهام الطَّرف ريشتْ بالحَوَرْ[2]
ما بال رسم الوصل أضحى دارسا حتى لقد أذكرني ما قد دثر
« دارٌ لسلمى إذ سليمى جارةٌ قفرٌ ترى آياتها مثل الزبر »[3]

وقوله [من الرجز] :

قلبٌ بلوعات الهوى معمود حيٌّ كميْتٍ حاضرٌ مفقودُ[4]
ما ذقت طعم الموت في كأس الرّجا حتى سقتنيه الظِّباء الغيد
من ذا يداوي القلب من داء الهوى إذ لا دواء للضنى موجود
أم كيف أسلو غادةً ما حبُّها إلاّ قضاءٌ ما له مردود
« القلب منها مستريحٌ سالم والقلب مني جاهد مجهود »

---

(١) الذلول : السهل امتطاؤه .
(٢) ريشت : يقال أراش السهم .
(٣) الزبر : المكتوب .
(٤) المعمود : الموجع والمضني .

وقوله [من الرجز] :

يا أيهـا المشعـوف بالحـب التعبْ   كم أنـت في تقـريب ما لا يقترِبْ
دع ودَّ من لا يرعـوي إذا غضب   ومـن إذا عاتبتـه يومـاً عتب

« إنك لا تجني من الشوك العنب »

وقوله [من الرمل] :

أنـا في اللـذات ممنـوع العذار   هائـم في حب ظبـي ذي احورارِ
صفـرةٌ في حمـرةٍ في خدّه   جمعـتْ روضـة وردٍ وبهار[1]
بأبي طاقـة آسٍ أقبلتْ   تنثنـي بين حِجْـلٍ وسـوار
قادنـي قلبـي وطرفـي للهوى   كيف من قلبي ومـن طرفـي حذاري
« لـو بغير المـاء حلقـي شرقٌ   كنـت كالغصّـان بالمـاء اعتصاري »

وقوله [من الرمل] :

يا مدير الصـدغ بالخـد الأسيـل   ومجيل السحـر بالطـرف الكحيل[2]
هبْ لمحـزونٍ كئيبٍ نظرةً   منـك يشفـي بردهـا حرّ الغليل
وقليلٌ ذاك إلاّ أنـه   ليس من مثلك عنـدي بالقليل
بأبـي أحـور غنّـى موهناً   بغنـاء قصّـر الليل الطويـل
« يا بنـي الصيداء ردّوا فرسي   إنمـا يفعـل هذا بالذليل »[3]

وله [من الرمل] :

شادنٌ يسحـب أذيال الطرب   ينثنـي ما بين لهـوٍ ولعبْ

---

(١) البهار : كلّ شيء حسن ومنير وطيّب الرائحة .
(٢) الأسيل : الناعم الرقيق .
(٣) الصيداء : المائلة العنق .

بجبينٍ مفرغٍ من فضةٍ فوق خد مشْربٍ لون الذهب
كتب الدمع بخدي عهده للهوى والشوق يملي ما كتب
يا لجهلي ما أراه ذاهباً وسواد الرأس منّي قد ذهب
« قالت الخنساء لما جئتها شاب بعدي رأس هذا واشتهب »[1]

وقوله [من الرمل] :

يا هلالاً في تجلّيه وقضيباً في تثنّيه
والذي لست أسميه ولكنّي أكنيه
شادنٌ ما تقدر العين تراه من تلاليه
كلّما قابلها شخصٌ رأى صورته فيه
لان حتى لو مشى الذرّ عليه كاد يدميه[2]

وقوله [من الرمل] :

يا هلالاً قد تجلّى في سحابٍ من حريرِ
وأميراً بهواه قاهراً كلَّ أمير
ما لخدّيْك استعارا حمرة الورد المنير
ورسوم الوصل قد ألبسها ثوب الدثور[3]

وقوله [من السريع] :

أنت بما في نفسه أعلم فاحكم بما شئت به تحكمُ
ألحاظه في الحبّ قد هتكتْ مكتومةً والحبّ لا يكتم
يا مقلتي وحشيةٍ قتلت نفساً بلا نفسٍ ولا تظلم

---

(١) اشتهب : أي خالط بياضه سواده .
(٢) الذرّ : النمل الصغير .
(٣) الدثور : الستر .

قالــت تســلّيت فقلنــا لها ما قال قبلــي عاشــق مغرم

« يا أيهــا الــزاري علــى عمرٍ قد قلــت فيه غير ما تعلم »[1]

وقوله [من السريع] :

ويحــي قتيلاً ما له من عقل من شادن يهتــزّ مثــل النصل ِ[2]

مكحّــل ما مسَّــه من كحل لا تعذلانــي إننــي في شغل

« يا صاحبي رحلي أقلا عذلي »

وقوله فيه [من المنسرح] :

بيضــاء مضمومــةٌ مقرطقةٌ تنقــدُّ عن نهدهــا قراطقُها[3]

كأنّمــا بات ناعمــاً جذلاً في جنــة الخلــد من يعانقها

وأي شيء ألــذّ من أملٍ نالتــه معشــوقــةٌ وعاشقهــا

دعنــي أمــتْ في هوى مخدَّرةٍ يعلــق نفســي بهــا علائقها

« مــن لم يمــت عبطة يمــت هرماً المــوت كأس والمــرء ذائقها »[4]

وقوله [من الخفيف] :

أنــت دائــي وفــي يديك شفائي يا دوائــي من الهــوى وشفائي

إنّ قلبــي يحــبّ من لا أسمّي في عنــاءٍ أعظِــمْ به من عناء

كيف لا كيف أن ألــذ بعيشٍ مات صبــري به ومــات عزائي

أيّهــا اللائمــون ماذا عليكم أن تعيشــوا وأن أمــوت بدائي

---

(١) الزاري : العائب .

(٢) العقل : الدّية ، سمّيت بذلك لأنها كانت تؤخذ من الإبل ، وكان قوم القاتل يجيئون بها فيعقلونها بفناء دار القتيل .

(٣) القراطق : نوع من الثياب والمضمومة : الملتفّة المكتنزة .

(٤) عبطة : شاباً ، أو فجأة .

«ليس من مات فاستـراح بميتٍ إنّمـا الميت ميت الأحياء»

وقوله [من الخفيف] :

ذات دلٍّ وشاحهـا قلق من ضمـورٍ وحجلهـا شرقُ
بـرت الشـمس نورهـا وحباها لحـظ عينيه شادنٌ حدق[1]
ذهـبٌ خدُّهـا يذوب حياءً وسـوى ذاك كلـه ورق
إن أمـت ميتـة المحبّين [يوما] وفـؤادي من الهـوى حرق
فالمنـايا ما بين غادٍ وسارٍ كلُّ حيٍّ برهْنهـا علِق

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

أشرقـتْ لي بـدورٌ فـي ظلامٍ تنيـرْ
طـار قلبي لحسنهـا مـن لقلـب يطيـر !
يا بدور أنـا بهـا الـدهـر عان أسيـر[2]
إن رضيتـم بأن أمـو ت فمـوتـي حقيـر[3]
«كلّ خطـبٍ ما لم تكو نوا غضـبتـم يسيـر»

وقوله [من المقتضب] :

يـا مليحـة الدعـج هـل لديك مـن فرج[4]
أم أراك قـاتلـي بالـدلال والغـنـج
مـن لحسـن وجهـك مـن سوء فعلـك السّمج
عـاذلـيَّ ويحـكمـا قـد غرقـت فـي لجج[5]

---

(١) حباها : أعطاها ، والشادن : الغزال .

(٢) في أ ، ب ، الدهر عان وأسير والوزن يختل عليها .

(٣) في أ ، ب ، فموتي بها حقير والوزن لا يستقيم .

(٤) الدعج : سعة العين وحورها .

(٥) عاذلي : لائمي ، واللجّة : الماء العميق .

هل عليَّ ويحكما إن لهوْت من حرج

وقوله [من المتقارب] :

أأحرم منك الرضى وتذكر ما قد مضى
وتعرض عن هائمٍ أبى عنك أن يعرضا
قضى الله بالحب لي فصبراً على ما قضى
رميت فؤادي فما تركت به منهضا
وقوسك شريانةٌ ونبلك جمر الغضا[1]

وقوله [من الطويل] :

وأزهر كالعيّوق يسعى بأزهرٍ لنا منه داء وهو برءٌ من الداءِ[2]
ألا بأبي صدغٌ حكى العين فتله وشارب مسكٍ قد حكى عطفة الراء
فما السحر ما يعزى إلى أرض بابلٍ ولكن فتور اللحظ من طرف حوراء[3]
وكيف أدارت مذهب اللون أصفرا بمُذْهبةٍ في راحة الكفّ صفراء

وقثوله [من الطويل] :

معذّبتي رفقاً بقلبٍ معذّبٍ وإن كان يرضيك العذاب فعذّبي
لعمري لقد باعدت غير مباعد كما أنني قربت غير مقرّب
بنفسيَ بدرٌ أخمد البدر نوره وشمسٌ متى تطلعْ إلى الشمس تغرب
لو ان امرأ القيس بن حجر بدتْ له لما قال « مرّا بي على أم جندب »

وقوله [من الطويل] :

---

(١) شريانة : من الشريان ، وهو شجر للقسيّ وجمر الغضا : الغضا شجر حطبه شديد اللهب والاشتعال .
(٢) العيّوق : نجم في السماء .
(٣) الفتور : الضعف والانكسار .

محبٌّ طوى كشحاً على الزفراتِ وإنسان عينٍ خاضَ في العبراتِ[1]
فيا من بعينيه سقامي وصحتي ومن في يديه ميتتي وحياتي
بحبّك عاشرت الهموم صبابةً كأني لها تربٌ وهنٌّ لداتي
فخدّيَ أرضٌ للهموم ومقلتي سماء لها تنهلٌّ بالعبرات

وقوله [من المديد] :

طلَّق اللهو فؤادي ثلاثاً لا ارتجاعٌ ليَ بعد الثلاثِ
وبياض في سواد عذاري بدّل التشبيب لي بالمراثي
غير أني لا أطيق اصطباراً وأراني صائراً لانتكاثي[2]
بإناثٍ في صفات ذكورٍ وذكورٍ في صفات إناث

وقوله [من المديد] :

صدعتْ قلبي صدع الزجاج ما له من حيلةٍ أو علاج[3]
مزجت روحي ألحاظها فالهوى مني لروحي مزاج
يا قضيباً فوق دعص النقا وكثيباً تحت تمثال عاج[4]
أنت نوري في سواد الدجا وسراجي عند فقد السراج

وقوله [من المديد] :

مستهام دمعه سافحٌ بين جفنيه هوىً قادح
كلما أمَّ سبيل الهوى قاده السافح والنازح[5]

---

(١) طوى كشحاً : أي تصبّر . وانسان عينٍ : أي ناظر العين .
(٢) الانتكاث : انتكث العهد : انتقض وانحلّ بعد إبرامه .
(٣) صدعت : شقّت .
(٤) النقا : القطعة من الرمل المحدودبة .
(٥) أمّ : قصد . والسافح : السائل من الدمع ، والنازح : البعيد عنه ، من أهلٍ وأحبّة .

حلّ فيما بين أعدائه ... وهو عن أحبابه نازح
أيها القادح نار الهوى ... أصلها يا أيها القادح

وقوله [من المديد] :

عاد منها كلّ مطبوخ ... غير داذيٍّ ومفضوح[1]
فاعتقد من ود أهل الحجى ... كلّ ودٍّ غير مشدوخ[2]
وانتشق ريّاك من ملتقى ... شاربٍ بالمسك ملطوخ
إنّ في العلم وآثاره ... ناسخاً من بعد منسوخ

وقوله [من المديد] :

يا مجال الروح من جسدي ... والذي يفتر عن بردِ
وفريد الحسن واحده ... منتهاه منتهى العدد
خذ بكفي إنني غرق ... في بحار جمّة المدد
ورياح الهجر قد هدمت ... ما أقام الصبر من أوَدي[3]

وقوله [من المديد] :

أذكرت من طيرناباذ ... فقري الكرخ فبغداذِ
قهوةً ليست ببارقةٍ ... لا ، بتع ولا داذي
مرّةً يهذي الحليم بها ... بأبي ذلك من هاذي
فهي أستاذ الشراب معاً ... والمعاني دأب وأستاذ

---

(١) الداذي : شراب الفساق ، والمفضوخ : عصير القصب .
(٢) مشروخ : مجرّح .
(٣) الأود : الإعوجاج ، والكدّ والتعب .
(٤) البتع : نبيذٌ يتخذ من العسل ووقع في أ ، ب ، ولا بتع ولا باداذي .

وقوله [من البسيط] :

نورٌ تولّد من شمسٍ ومن قمر في طرفه سقمٌ أمضى من القدرِ
أصلي فؤادي بلا ذنبٍ جوى حرقٍ لم يبق من مهجتي شيئاً ولم يذر
لا والرحيق المصفى من مراشفه وما بخديه من خالٍ ومن طرر[1]
ما أنصف الحب قلبي في حكومته ولا عفا الشوق عني غير مقتدر

وقوله [من البسيط] :

خرجت أجتاز قفراً غير مجتاز فصادني أسهل العينين كالبازِ[2]
صفرٌ على أنه صفر لوالبه ذا فوق نعلٍ وهذا فوق قفّاز
كم موعدٍ ليَ من ألحاظ مقلته لو أنه موعدٌ يُقضى بإنجاز
أبكي ويضحك منّي طرفه هزؤا نفسي الفداء لذاك الضاحك الهازي

وقوله [من البسيط] :

يا غصناً مائساً بين الرباط ما لي من بعد بالعيش اغتبلط[3]
يا من إذا ما ابتدى ماشياً وددت أن له خدّي ببسلط[4]
تترك عيناه من يبصره مختلط اللّبسة كلّ اختلاط[5]
قلت متى نلتقي يا سيدي قال غدا نلتقي عند الصِّراط

وقوله [من البسيط] :

يا ساحراً طرفه إذ يلحظ وفاتنا لفظُه إذ يلفظ

---

(١) الخال : بثرة سوداء في الوجه والطرر : جمع طرّة ، وهي الخصلة من الشَّ
(٢) الأشهل : الذي يخالط سواد عينه زرقة .
(٣) في أ ، ب ، « مالي من بعدك بالعيش اغتباط » ولا يستقيم به الوزن .
(٤) في أ ، ب ، « وددت لو أنّ له خديّ بساط » ولا يستقيم عليه الوزن .
(٥) اللبسة : الشك .

يا غصناً ينثني من لينه وجهك من كل عين يحفظ
أيقظني إذ جاءني من نفسه من طرفه ناعس مستيقظ
ظبيٌ له وجنة من رقةٍ تجرحها مقلة من يلحظ

وقوله [من البسيط] :

يا من دمي دونه مسفوك وكلّ حرٍّ له مملوك
كأنه فضّةٌ مسبوكةٌ أو ذهبٌ خالصٌ مسبوك
ما أطيب العيش لولا أنه عن عاجلٍ كلّه متروك
والخير مسدودةٌ أبوابه ولا طريقٌ له مسلوك

وقوله [من البسيط] :

إليك يا غرّة الهلال وبدعة الحسن والجمالِ
مددت كفّاً بها انقباض وأين كفي من الهلال
شكوت ما بي إليك وجداً فلم ترقِّي ولم تبالِ
أعاضك الله من قريبٍ حالاً من السقم مثل حالي

وقوله [من الوافر] :

بنفسي من مراشفه مدام ومن لحظات مقلته سهامُ
ومن هو إن بدا والبدر تمٌّ صبا من حسنه البدر التمام
أقول له وقد أبدى صدوداً فلا لفظ إليَّ ولا ابتسام
تكلَّمْ ليس يوجعك الكلام ولا يمحو محاسنك السلام

وقوله [من الوافر] :

سلبت الروح من بدني وصمت القلب بالحزنِ
فلي بدن بلا روح ولي روح بلا بدن

قرنــت مع الــردى نفسي فنفســـي وهـــو في قَرَن
فليت السحــر مــن عينيــــــــك لم أره ولــم يرني

وقوله [من الوافر] :

غــزالٌ من بنــي العاص أحــسّ بصــوت قنــاصِ
فأتلــعَ جيــده حذراً وأشـــخَـصَ أيَّ إشخــاص[1]
أيا من أخلصــتْ نفسي هواه كــل إخــلاص
أطــاعــك من ضمير القلــــــــب عفــواً كلّ معتاص[2]

وقوله [من الكامل] :

في الكِلَّـةِ الصفــراء ريمٌ أبيضُ يشفــي القلــوب بمقلتيه ويمرضُ
لمــا غدا بين الحمــول مقوّضا كاد الفــؤاد عن الحياة يقوّض[3]
صدّ الكرى عن جفـن عينـك معرضاً لمــا رآه يصــدُّ عنــك ويعرض

وقوله [من الكامل] :

أوحـت إليك جفونهــا بوداع خود بدت لك من وراء قناعِ
بيضــاء ما باهــى النعيم بصفرةٍ فكأنهــا شمسٌ بغير شعاع
أمــا الشبــاب فودّعــت أيامـه ووداعهـن موكّلٌ بوداعي
لله أيام الصبِّــا لو أنها كرَّت علــيَّ بلــذةٍ وسماع

وقوله [من الكامل] :

أصغــى إليك بكأســه مصغي صلــت الجبين معقــرب الصدغ[4]

---

(١) أتلع : رفع ومدّ . ، وأشخص : تنبّه وازداد يقظةً واحتراساً .
(٢) المعتاص : الأمر الخفيُّ الصعب .
(٣) مقوّضاً : مهدّماً .
(٤) الصلت : الواضح والبارز المستوى .

كأسٌ تولَّد بالمحبة بيننا طوراً وتنزغ أيّما نزغ[1]
في روضةٍ درجت بزهرتها الصَّبا والشمس في درجٍ من الفرغ
واشرب بكَفِّ أغنّ عقرب صدغه للقلب منك مميتة اللدغ[2]

وقوله [من الكامل] :

يا دمية ليست بمعتكف بل ظبية أوفت على شرفِ
بل درّة زهراء ما سكنت بحراً ولا درّا من الصدف
أسرفت في قتلي بلا ترةٍ وسمعت قول الله في السرف[3]
إني أتوب إليك معترفاً إن كنت تقبل قول معترف

وقوله [من الكامل] :

يا فتنة بعثت على الخلق ما بينها والموت من فرق
شمس بدت لك في مغاربها يفترُّ مبسمها عن البرق
ما كنت أدري قبل رؤيتها للشمس مُطَّلعاً سوى الشرق
يا من يضن بفضل نائله لو في يديك مفاتح الرزق

وقوله [من الكامل] :

طلعتْ له والليل دامس شمسٌ تجلّت في حنادس[4]
تختال في صفر المجا سد بين حارسةٍ وحارس
يا من لبهجة وجهه يستأسر البطل الممارس
لم يبق من قلبي سوى رسمٍ تغيّر فهو دارس

---

(١) النزغ : الافساد بين الناس .
(٢) اللدغ : اللسغ .
(٣) الترّة : الثأر .
(٤) الحندس : الظلمة الشديدة .

وقوله [من الكامل] :

دع قولَ واشيةٍ وواشي   واجعلهما كلبيْ هراشِ[1]
واشرب معتَّقةً تَسلـ   ـسلُ في العظام وفي المحاشي
حتى ترى العود المسن   بها أرقَّ من الخشاش[2]

وقوله [من الكامل] :

ألحاظ عين تنتهي   في روض ورد تزدهي
رتعت بها وتنزَّهتْ   منها بأي تنزه
يا أيها الخنث الجفو   ن بنخوة وتكرُّه[3]
والمكتفي عجباً أما   ترثي لأشعث أمره

وقوله [من الكامل] :

أطفت شرارة لهوي   ولوت بشرّة عدْوي[4]
شعل علون مفارقي   ومضت ببهجة سرْوي
لما شككت عروضها   ذهب الزحاف بحزْوي[5]
يا أيها الشادِيُّ صهْ   ليست بساعة شدوِ

وقوله [من الهزج] :

ألا يا زين قلبي للـ   ـشباب العفر إذ ولّى[6]

---

(١) الهراش : النباح والعراك .
(٢) العود : الجمل المسنّ ، والخشاش : حشرات الأرض .
(٣) الخنث : الذي فيه تكسر ولين .
(٤) الشرّة : الحدّة والنشاط .
(٥) الحزو : التقدير والتكهّن .
(٦) العفر : أي المعفّر بالإثم ، وعفّره في التراب : أي مرّغه وقلّبه .

جعلت الغيَّ سربالي وكان الرشد بي أولى
بنفسي جائرٌ في الحكـ ـم يلفي جوره عدلا
وليس الشهد في فيه بأحلى عنده من لا

وقوله [من الهزج] :

هنا تفنى قوافي الشـ ـعر في هذا الرويٍّ
قوافٍ ألبستْ حلياً من الحلى الرويّ
تعالت عن جرير بل زهير بل عديّ

* * *

١٠٣ ـ أبو عمرو يوسف بن هرون المعروف بأبي سبيح

وأنشدت لأبي عمرو يوسف بن هرون الأندلسي المعروف بأبي سبيح يمدح أبا علي إسماعيل بن القاسم البغدادي القالي ، من قصيدة أولها [من الكامل] :

مَنْ حاكمٌ بيني وبين عذولي الشجو شجوي والعويل عويلي
في أيّ جارحةٍ أصون معذّبي سلمت من التعذيب والتنكيل
إن قلت في بصري فثَمّ مدامعي أو قلت في كبدي فثمّ غليلي
وثلاث شيباتٍ نزلن بمفرقي فعلمت أنّ نزولهن رحيلي
طلعت ثلاثٌ في نزول ثلاثةٍ واشٍ ووجه مراقبٍ ومقيل[1]
فَعَذَلْنني عن صبْوتي متذلِّلاً ولقد سمعْتُ بذلة المعذول

ومنها :

حتى إذا صدت الوحوش فلم تدع منهنّ غير معالمٍ وطلول

---

(١) المقيل : مكان القيلولة .

ونهت محافظة الحسان فلم تصل كفّي إلى ظبي أغنٍّ كحيل
ومكبَّلٌ لم يجترم جرماً ولا دامت صحابته بغير كبول
متلفّتٌ كتلفت المرتاع يقـ ـسم لحظه في الحول بعد الحول
حتى إذا ما السرب عنَّ للحظه أومى بقادمتيه خلٍّ سبيلي[1]
ولّت جماعتها وشدّ وراءها وكأنه بطل وراء رعيل[2]
عجلت وأدركها ردىً في إثرها إنّ الردى قيدٌ لكلّ عجول
ولقد غدوت بأهرت متضائلٍ سر النفوس إليه غير ضئيل[3]
ولربما اشتمَّ الصعيد بأنفه حيناً فقام له مقام دليل[4]
متتبِّع لظلاله فكأنه في القيظ يطلب ظلّه لمقيل[5]
فنزلت في فرش الرياض ولم يكن ليحوزها مثلي بغير نزول
روضٌ تعاهده السحاب كأنه متعاهدٌ من علم إسمعيل
قِسْهُ إلى الأعراب تعلم أنه أولى من الأعراب بالتفضيل
حازت قبائلهم لغات جُمِّعَتْ فيهم وحاز لغات كل قبيل
فالشرق خال بعده فكأنما نزل الخراب بربعه المأهول
جمعوا بغيبته وموت شيوخه عنهم ولما يظفروا ببديل
مذ جاءهم وهمُ بليل همومهم منه فصاروا في دجى موصول
فكأنه شمسٌ بدت في غربنا وتغرّبت في شرقهم بأفول
يا سيدي هذا ثنائي لم أقلْ زوراً ولا عرَّضتُ بالتنويل[6]

---

(١) السرب : الجماعة .
(٢) الرعيل ـ القطعة من الخيل .
(٣) الأهرت : الأسد .
(٤) الصعيد : التراب .
(٥) المقيل : مكان القيلولة وقت اشتداد الحرّ .
(٦) التنويل : الإعطاء .

من كان يأمــل نائــلاً فأنــا امرؤ   لم أرْجُ غيرَ القــربِ في تأميلي

وقوله [من الطويل] :

وإنـي لأغضـي الطـرف عنــك جلالةً   وخوْفــاً علــى خدَّيْك من لحظاتي
ولـو أننــي أهملــت عينــي بأن ترى   سنــاك لحالــت دونهــا عبراتي
رأيت وشــاة الكاشــحين أباعداً   ولــكن دمعــي من عديد وشاتي
زعمـت بأنـي حلـت عنـك ولـم أكن   أُعنِّيك في بثّــي وفــي حسراتي[1]
وهــل أنــا إلا طالــبٌ لمنيتي   إذا حلــت عمّــن في يديه وفاتي

وقوله [من الطويل] :

عزمــت علــى قتلــي بغير تحرّجٍ   شجى بك حتى تقتـل الهائـم الشجي
ولــم يبــد سرّي فيك رأيي ، وإنما   تبــدّى فراراً من حشــىً متوهّج[2]
نحولــي ودمعــي دبّجـاً وجنتــي بما   رأت مقلتــي من خدك المتدبج
بهــاراً ودرّاً هبّــت الــريح فوقه   بقــروٍ فغطّــت ورده بالبنفسج[3]

وقال يرثي البلدي الخباز [من الرمل] :

أنــا إن رمــت سلوّاً   عنـك يا قرّة عيني
كنـت في الإثـم كمـن شا   رك في قتـل الحسين
لك صولات علــى قلـ   ـبي دليـلات لحيْني
مثــل صولات عليٍّ   يوم بـدرٍ وحنين

---

(١) حلت عنك : تخلّيت وابتعدت ، أعنّيك : أقصدك .
(٢) لم يبدِ : لم يظهر ، ومتوهّج : متوقّد .
(٣) القرو : القصد والتتبع .

ومن شعره قوله [من الطويل] :

هَبُوا أن سجني مانعٌ لوصاله فما العذر أيضاً في امتناع خيالهِ ؟
بلى لم تنم عيني فيطرق طيفها زوالُ منامي علّةٌ لزوالِهِ

* * *

١٠٤ ـ عبد الملك بن إدريس المعروف بالخريري

له من قصيدة كتب بها إلى ابنه عبد الرحمن من محبسه ، أولها [من الكامل] :

ألوي بعزم تجلّدي وتصبّري نأيُ الأحبة واعتياد تذكّري
شحط المزار فلا قرار ونافرتْ عيني الهجوع فلا خيالٌ يعتري[١]
أزرى بصبري وهو مشدود القوى وألان عودي وهو صلب المكسر
وطوى سروري كلّه وتلذذي بالعيش طيٌّ صحيفةٍ لم تنشر
هلاّ بما ألقى الحبيب توهّماً بضمير تذكاري وعين تفكّري
وإذا الفتى فقد الشباب سما له حب البنين ولا كحبّ الأصغر
عجباً لقلبي يوم راعتنا النوى ودنا وداعك كيف لم يتفطّر
ما خلتني أبقى خلافك ساعةً لولا السكون إلى أخيك الأكبر
إنسان عيني إن نظرت وساعدي مهما بطشت وصاحبي المستوزر
فإذا شكوت إليه شكوى راحةٍ ذكّرته فشكا إليَّ بأكثر
أربى عليَّ فحظه ممّا بنا حظ المعلّى من قداح الميْسر[٢]

ومنها :

واعلم بأن العلم أرفع رتبة وأجل مكتسب وأسنى مفخر

---

(١) شحط المزار : بعد ونأى .
(٢) المعلّى : القداح الفائز من الأقداح .

وبضُمَّـر الأقـلام يبلـغ أهلها ما ليس يبلـغ بالجياد الضُّمَّر
والعلـم ليس بنافـع أربابه ما لم يفـد عمـلاً وحسـن تبصر
فإذا دفعـت إلـى قرين فابْلُهُ قبـل التقـارض والتشـارك واخْبُر
لا يستفـزّك منظـر حسـن بـدا حتـى تقابلـه بحسـن المخبر
كم من أخ يلقـاك منـه ظاهر باد سلامتـه وبـاطنه وري[1]
واشـرح لكل ملمّـةٍ صدراً وخذ بالحـزم في كلّ الأمـور وشمِّر
واستنصـح البِـرَّ التَّقـيَّ وشـاور الـ ـفطـن الـذكي تكن ربيح المتجر
واخـز ن لسانـك واحتـرس من نطقه واحـذر بوادر غيِّه ثم احذر
واصفـح عن العـوراء إن قيلـت وعد بالحلـم منك علـى السـفيه المعور
وكل المسـيء إلـى إساءتـه ولا تنعقـب الباغـي ببغيٍ تنصر[2]
فكفَـاك من شرٍّ سماعـك خبره وكفـاك من خبـرٍ قبـول المخبر
وإذا سئلـت فجـد وإن قلَّ الجدى جهـد المقـل إزاء جهـد المكثر[3]
واشـكر لمـن أولاك برّاً إنّه حقٌّ عليك ولا تكن بالممتري[4]
ليس الحـريص بزائـدٍ في حرصه بأتـمّ حيلتـه هشيمـة إذخـر[5]
أو ما رأيت غبـيَّ قومٍ موسراً ولبيبهـم يشقـى بحـال المعسر
قد أوعـب التـكوين كلَّ مكوَّنٍ مذ أحـكم التقـدير كلّ مقدر
فلـوِ ابتغيتَ بكل جهـدٍ نيل ما سبـق القضـاء بمنعـه لم تقدر

* * *

(١) الوري : المتضرّم ناراً .
(٢) كِلْ : دعْ واترك .
(٣) الجدى : العطاء .
(٤) الممتري : الشاّك .
(٥) الإذخر : الحشيش الأخضر .

١٠٥ ـ أبو عمر أحمد بن محمد بن دراج الأندلسي المعروف بالقسطلي

كان بصقع الأندلس كالمتنبي بصقع الشام ، وهو أحد الفحول . وكان يجيد ما ينظم ويقول ، فمن ذلك قوله من قصيدة يمدح بها محمد بن أبي عامر [من البسيط] :

ما كُفْرُ نعماك من شأني فيثنيني ... عمَّنْ توالى لنصر الملك والدين

ولا ثنائي وشكري بالوفاء بما ... أوليتني دون بذل النفس يكفيني

حقٌّ على النفس أن تبلى ولو فنيتْ ... في شكر أيسر ما أضحيت توليني

ها إنها نعمة ما زال كوكبها ... إليك في ظلمات الخطب يهديني

تنأى بجوهر ودٍّ غيرِ مبتذلٍ ... عندي وجوهر حمدٍ غير مكنون[١]

وحبذا النأي عن أهلي وعن وطني ... في كلّ برٍّ وبحرٍ منك يدنيني

وموقفٍ للنوى أغليت مُتَّئدي ... فيه وأرخصْتِ دمع الأعين العين

من كلّ نافرةٍ ذلَّت لقود يدي ... في ثني ما يدك العلياء تحبوني[٢]

والخدر يخفق في أحشاء والهةٍ ... تردّد الشجو في أحشاء محزون

أجاهد الصبر عنها وهي غافلةٌ ... عن لوعةٍ في الحشى منها تناجيني

يا هذه كيف أعطي الشوق طاعته ... وهذه طاعة المنصور تدعوني

شدّي عليَّ نجاد السيف أجعله ... ضجيع جنب نبا عن مضجع الهون[٣]

رضيت منها وشيك الشوق لي عوضاً ... وقلت فيها للوعات الأسى بيني[٤]

فإن تشجَّ تباريح الهوى كبدي ... فقد تعوضْت قرباً منك يأسوني

---

(١) مكنون : مستتر .

(٢) النافرة : الشاردة ، وذلّت : انقادت .

(٣) الهون : الذل والصغار .

(٤) بيني : أي أبعدي .

وإن يمت موقف التوديع مصطبري فأحرِ لي بدنوٍّ منك يحييني
أو أفرط الحظ من نعماك منقلب من الوفاء بحظٍّ فيك مغبون
وخازنٌ عنك نفسي في هواجرها وليس جودك عن كفّي بمخزون
وأي ظلٍّ سوى نعماك يلحقني أو ورد ماء سوى جدواك يرويني
وحاش للخيل أن تزهى عليَّ بها والبيض والسمر أن تحظى بها دوني
وربما كنت أمضي في مكارهها قدماً وأثبت في أهوالها الجون
من كلّ أبيض ماضي الغرب ذي شطبٍ وكل لدنٍ طرير الحدِّ مسنون
كذاك شأوي مفدى في رضاك إذا سعيت فيه فلا ساعٍ يباريني[1]
لكنْ سهام من الأقدار ما برحت على مراصد ذاك الماء ترميني
يحملن للروْع أسداً في فرائسها تمدُّ للطعن أمثال الثعابين
والبيض تحت ظلال النقع لامعة تغلغل الماء في ظل الرياحين[2]
حتى يحوزوا لك الأرض التي اعترفت بملك آبائك الشم العرانين
حيث استبوا فارساً والروم واعتوروا رقَّ الأساور منهم والدهاقين[3]

وقوله من قصيدة أولها [من البسيط] :

* لولا التحرج لم يحجب محياك *

وحشية اللفظ هل يودي قتيلكم ؟ دمي مضاعٌ وجاني ذاك عيناكِ[4]
إني أراك بقتل النفس حاذقة قولي فديتك : من بالقتل أوصاك ؟
ما لي وللبرق أستسقيه من ظمأٍ هيهات لا ريَّ إلاّ من ثناياك
لولا الضلوع لظل القلب نحوكمُ ضعي بعيشك فوق القلب يمناك

---

(١) شأوي : مداي وحالي .
(٢) النقع : الغبار .
(٣) اعتوروا : امتلكوا ، ورقّ الأساور : أي نساءهم والدهاقين : السادة والأمراء .
(٤) يودي : تعطي عنه دية ، والجاني : الفاعل والقاتل .

أصليتني لوعة الهجران ظالمةً ... رحماك من لوعة الهجران رحماك

أظنُّ عزمك أن أخفي لأسلوكم ... حلّي غريمي إني لست أسلاك

حاشاك أن تجمعي حسن الصفات إلى ... قبح الصنيع بمن يهواك حاشاك

إن كان واديك ممنوعاً فموعدنا ... وادي الكرى فلعلّي فيه ألقاك

ظبيٌ وقلبٌ فمن لي أن أصيدهما ... ضاع الفؤاد وقلب الظبي أشراكي

وقوله [من الوافر] :

أصخْ نحوي لدعوة مستقيل ... ينادي من غيابات الخمولِ[1]

رهينة كلّ همٍّ مستكنٍ ... ونهزة كلّ خطب مستطيل[2]

ومأمونٌ على ظلم الأعادي ... ونوَّامٌ على ثوب الذحول[3]

تراني منك في هممٍ صحاحٍ ... نكصْن على دجى خطبٍ عليل[4]

ولكن رُبَّ دهر ساورتني ... غوائله على نهج السبيل

مظاهر لأمتَيْ بغيٍ ومكرٍ ... ومصلت صارمَيْ قالٍ وقيل[5]

ورامٍ عن قسيٍّ الغلِّ نبلاً ... أصبْن مقاتل الأدب النبيل

أبا وبنين عن عرضٍ منيعٍ ... لقد أجلين عن أمل قتيل

فكان كأنه جفن سخين ... أسال دماً على خد أسيل

ومضطرم الحشى داءً دوياً ... تنفّس منه عن سيفٍ صقيل

فتلك معالمي علم الرزايا ... وتلك وسائلي درج السيول

وتلك مراتب الأخطار مني ... حمائم تنتحبن على هديل

---

(١) أصخ : استمع وانتبه .

(٢) النهزة : الفرصة .

(٣) النوب : المصائب ، والذحول : الحقد والثأر والعداوة .

(٤) نكصن : تراجعن واحجمن .

(٥) اللأمة : الحاجة ، ولأم الشيء : جمعه .

لعل رضاك يا منصور يوماً يحلّ بساحتي عمّا قليل
ويقرع منك أسماع المعالي لنا بعثار عبدٍ مستقيل[1]
إليك جلوت أبكار المعاني معاذيراً بلألاء القبول[2]
سوارٍ في الظلام بلا نجومٍ هوادٍ في الفلاة بلا دليل[3]

وقوله من أخرى [من الطويل] :

إليك شحنّا الفُلْكَ تهوي كأنها وقد ذعرت عن مغرب الشمس غربانُ
على لججٍ خضرٍ إذا هبت الصَّبا ترامى بنا فيها ثبير وثهلانُ[4]
وإن سكنت عنّا الرياح جرى بنا زفيرٌ إلى ذكر الأحبة حنّان[5]
يقلن وموج البحر والهمّ والدجا تموج بنا فيها عيون وآذان
ألا هل إلى الدنيا معادٌ وهل لنا سوى البحر قبرٌ أو سوى الماء أكفان
وهبنا رأينا معلم الأرض هل لنا من الأرض مأوى أو من الإنس عرفان
هوت أمهم ماذا هوت برجالهم إلى نازح الآفاق سفْنٌ وأظعان
كواكب إلا أن أفلاك سيرها زمامٌ ورحلٌ ، أو شراع وسكان
فإن غربت أرض المغارب موئلي وأنكرني فيها خليطٌ وخلاّن[6]
فكم رحبت أرض العراق بمقدمي وأجزلت البشرى على خراسان
وإنّ بلاداً أخرجتني لعاطلٌ وإن زماناً خان عهدي لخوّان
سلامٌ على الإخوان تسليم آيسٍ وسَقياً لدهر كان لي فيه إخوان[7]

---

(١) العثار : ما عثر به واطلع عليه والمستقيل : فقير .
(٢) أبكار المعاني : أي القصائد البكر .
(٣) هوادٍ : أي مهتديات .
(٤) ثبير وثهلان : من الجبال .
(٥) الزفير : يعني به الشوق ، لأنّ المتشوق يكثر من التأوّه والزفرات الطويلة .
(٦) الخليط : المجالس والمساكن ، والخلاّن : الأصحاب .
(٧) آيس : قانط ويائس ، وسقياً : هي للدعاء .

فلا مؤنسٌ إلاّ شهيقٌ وزفرةٌ ... ولا مسعدٌ إلا دموع وأجفان
ومـا كان ذاك البين بين أحبةٍ ... ولـكن قلـوب فارقتهـنّ أبدان
فيا عجبـاً للصبـر منـا كأننا ... لهـم غير من كنـا وهـم غير من كانوا
مضى عيشهم بعـدي وعيشـي بعدهم ... كأنـيَ قد خنـت الوفـاء وقـد خانوا
وأفجـع من آوى صفيح وجلمد ... ووازت رمـال بالفـلاة وكثبان
وجـوه تنـاءت في البـلاد قبورها ... وإنهـمُ في القلـب منّـي لسكان
ومـا بليت في التـرب إلا تجدّدتْ ... عليهـا من القلـب المفجّـع أحزان

ومنها :

وأوردتْهـا يوم اللقاء فراته ... كمـا انصرفَـتْ يوم الهبـاءة ذبيانُ[1]
بكل كمـيٍّ عامـريٍّ يسوقـه ... لحرّ الوغـى قلـب علـى الـدين حرّان
حليهـمُ بيض الصّـوارم والقنا ... لهـا وحلاهـا سابغـات وأبدان
فيا ذل أعـلام الهـدى يوم عزّهم ... ويا عزّ أعـلام الهـدى بك إذ هانوا
حفـرت لهـم في يوم ثبـرةَ بالقنا ... قبـوراً هواء الأرض منهـنّ ملآن[2]
يطير بهـم بازٍ ونسـرٌ وناعبٌ ... ويغـدو بهـم ذئـبٌ رميحٌ وسرحان[3]
فلـو نشـر الأمـلاك يومـك فيهم ... لألقـى إليك التـاج كسـرى وخاقان[4]
ولـو رد في المنصـور روح حياته ... غداة لقيت المـوت والمـوت غرثان[5]
ونـاديت في الهيجـاء أبنـاء ملكه ... فلبّـاك آسـاد عبيـدٌ وفتيانُ
جبـالٌ إذا أرسيتهـا حومـة الوغى ... وإن تدْعُهـا يومـاً إليك فعقبان
يقودهـمُ داعٍ إلـى الحـق مجلبٍ ... على البغـي يرضـى ربـه وهـو غضبان

---

(١) يوم الهباءة : أحد أيام العرب ، نصرت فيه قيس على فزارة وذبيان .
(٢) يوم ثبرة : أحد أيام العرب ، والقنا : الرماح .
(٣) الناعب : الغراب ، والرميح : السريع ، الخفيف والسرحان : الذئب .
(٤) الخاقان : من القاب الملوك عند المغول .
(٥) غرثان : جوعان .

وأسمر يسري في بحارٍ من الندى ... بكفك لكنْ يغتدي وهو ظمآن
تلألأ نوراً من سناك سنانه ... وقد دعتِ الفرسان للحرب فرسان
فحيّاك من أحييت منه شمائلا ... يموت بها في الأرض ظلمٌ وعدوان
وناداك إسراراً وناداك معلناً ... وحسب المعالي منه سرٌّ وإعلان
ألا هكذا فليحفظ العهد حافظ ... ألا هكذا فليخلف الملك سلطان
فلله ماذا أنجبتْ منك عامرٌ ... ولله ماذا ناسبتْ منك قحطان
ولله منّا أهل بيتٍ رمتهم ... إلى يدك العليا بحورٌ وبلدان
فما قصرت بي عن علاك شفاعةٌ ... ولا بك عن مثلي جزاء وإحسان

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

بشّر الخيل يوم كرّ الطراد ... وظبا الهند عند حرّ الجلادِ[1]
وسماء العلا بنجم المساعي ... ورياض المنى بصوب الغوادي
ثم واف القصور من ملك بصرى ... بالمشيدات من ذرى شدّاد
ثم ناد الأذواء عن ذي الرياسا ... ت نداءً يصغي له كلّ ناد[2]
وصلتكمْ أرحام ملكٍ نمتكمْ ... من كرام الأملاك والأجواد
وهناكمْ منصور كم من نجيب ... في مساعٍ جلتْ عن الأنداد
بلغت مجدكم نجوم الثريا ... ومساعيكمُ أقاصي البلاد
ونما منكمُ إلى الملك سيف ... نافذ الحكم في رقاب الأعادي
بسمات أهدت لكم هدى هودٍ ... وبحلم أعاد أحلام عاد
وأنارت به نجوم المعالي ... وأنار الدنيا ببيض الأيادي
وهو في المنجبين أعلى وأزكى ... والد أنت أكرم الأولاد
قمرٌ في مطالع الملك أوفى ... طالعاً والمنى على ميعاد

---

(١) كرّ الطراد : من المطاردة ، وتكون أثناء الصيد وأثناء الحرب ، والظبا : الحدّ .

(٢) الأذواء : ملوك اليمن الذين في صدور ألقابهم « ذو » ومنهم « ذو نواس » ملك الدولة الحميرية .

وتلاقت زهْرُ النجوم عليه بسُعود الجُدود والأجداد
وسما للإسلام باسم أبيه وانتحى باسم جدِّهِ للأعادي
هو للبين بالحياة بشيرٌ وهو للشرك منذرٌ بالبواد
سابق الشأو لم يؤخّر مداه عن مداكم تأخّر الميلاد
ولدته الحروب منكم تماماً فارس الخيل فارس الآساد
فاكتسى الدين منه ثوب سرورٍ وصليب الضلال ثوب حداد
فهنيئاً للتاج أيّ جبينٍ عنده أيّ عاتقٍ للنجاد[1]
وهنيئاً لنا وللدين والدنـ ـيا وللبيض والقنا والجياد
وغريبٍ تهوي به كلّ أرضٍ وشريدٍ ينبو به كل وادي
وهنيئاً لطيِّءٍ ولهمْدا ن ولخمٍ وكندةٍ وإياد[2]

وله من أخرى يرثي بها أم هشام المؤيد بالله [من المتقارب] :

بقاء الخلائق رهن الفناء وقصر التداني وشيك التنائي
لقد حلّ من يومه لاقتراب وقد حان من عمره لانتهاء
هل الملك يملك ريب المنون أم العزّ يصرف صرف القضاء
أرى الموت يصدع شمل الجميع ويكسو الربوع ثياب العفاء[3]
يبيد الحياة ببطشٍ شديدٍ ويلقي النفوس بداءٍ عياء
ألم تر كيف استباحت يداه حريم الملوك وعلّق النساء[4]
هو الرزء أودى بعزم الملوك مصاباً وأودى بحسن العزاء
فما في العويل له من كفاءٍ ولا في الدموع له من شفاء

---

(١) العاتق : ما بين المنكب والعنق .
(٢) أسماء قبائل عربية .
(٣) العفاء : الغناء .
(٤) العلق : النفيس من كلّ شيء .

فهيهات فيه غناء الزفير وهيهات فيه انتصار البكاء
وأنّى يدافع سقم بسقم ؟؟ وكيف يعالج داءً بداء ؟
فتلك مآقي جفون رواء مفجّرة من قلوبٍ ظماء
فلا صدر إلاّ حريقٌ بنار ولا جفن إلا غريق بماء
فقد كاد يصدع صمّ السلام ويضرم نار الأسى في الهواء
وجيب القلوب وشق الجيوب وشجو النحيب ولهف النداء
فمن مقلة شرقتْ بالدموع ومن وجنة غرقت بالدماء
وسافرةٍ من قناع الحياء ونابذةٍ صبرها بالعراء
وبيضٍ صبَغْن بلون الحدا د حمرَ البرود وبيضَ الملاء
أنَجماً هوى من سماء المعالي لتبكِ عليك نجومُ السماء
وحاشا لرزئك أن يقتضيه عويلُ الرجال ولدم النساء[1]
لبيض أياديك في الصالحات تمسّك وجه الضحى بالضياء
فقل لفقيدك أن يحتبي عليك الصباح بثوب المساء[2]

ومنها :

لئن حجبتْ تحت ردم اللحود ومن قبل في شرفات العلاء
فتلك مآثرها في التقى وبذل اللهى ما بها من خفاء[3]
جزاك بأعمالك الزاكيا ت خير المجازين خير الجزاء
ولُقّيتَ من ضنْكِ ذاك الضريح نسيم النعيم وطيب الثواء

---

(١) اللدم : اللطم .

(٢) احتبى : اشتمل والتفّ .

(٣) اللهى : العطايا ، ومن أمثالهم : « اللها تفتح اللها » يريدون أنّ العطايا تفتح الفمّ بالثناء على المعطي .

وقوله أيضاً [من الطويل] :

لك الله بالنصر العزيز كفيل أجدٌّ مقام أم أجدٌّ رحيلُ
هو الفتح أمّا يومه فمعجّلٌ إليك ، وأما صنعه فجزيل
وآيات نصر ما تزال ولم تزل بهن عمايات الضلال تزول
سيوفٌ تنير الحق أنّي انتضيتها وخيلٌ يجول النصر حيث تجول
ألا في سبيل الله غزوك من غوى وضلّ به في الناكثين سبيل
لئن صدئت ألباب قوم بمكرهم فسيف الهدى في راحتيك صقيل
فإن يحى فيهم مكر جالوت جدّهم فأحجار داودٍ لديك مثول[1]
خفيفٌ على ظهر الجواد إذا عدا ولكن على صدر الكميّ ثقيل
وجرداء لم تبخل يداها بغاية ولا كرهاً نحو الطعان بخيل[2]
لها من خوافي لقوة الجوّ أربعٌ وكشحان من ظبي الفلا وتليل[3]
وبيض تركن الشرك في كل منتأى فلولا وما أزري بهن فلول
تمور دماء الكفر في شفراتها ويرجع عنها الطرف وهو كليل
وأسمر ظمآن الكعوب كأنما بهن إلى شرب الدماء غليل
إذا ما هوى للطعن أيقنت أنه لصرف الردى نحو النفوس رسول
وحنّانة الأوتار في كلّ مهجةٍ تعاصيك أوتارٌ لها وذحول[4]
إذا نبعها عنها أرنّ فإنما صداه نحيبٌ في العدى وعويل
كتائب عز النصر في جنباتها وكلّ عزيزٍ يمّمته ذليل

(١) جالوت : أحد الملوك الكفرة قتله طالوت وقد ورد ذكره في القرآن الكريم .
(٢) الجرداء : كناية عن الفرس .
(٣) الخوافي : الريش الصغار التي تلي القوادم في مقدّمة الجناح . ولقوة الجوّ : العقاب السريعة . .
والكشحان : يعني عظام الصدر ، والتليل : العنق .
(٤) الذحول : الثأر والحقد والعداوة .

يسير بهـا في البـرّ والبحـر قائدٌ يسيرٌ عليه الخطـب وهـو جليل[1]
جوادٌ له من بهجـة العـزّ غرةٌ ومـن شيم الفضـل المبين حجول
به أمـن الإسـلام شرقـاً ومغرباً وغالـت غوايات الضلالـة غول[2]
حسـامٌ لداء المـكر والغـدر حاسم وظـلٌّ علـى الـدين الحنيف ظليل
إذا انشق ليل الحرب عن صبح وجهه فقـد حان من يوم الضـلال أفول[3]
كريم التأنـي في عقـاب جناته ولكن إلـى صوت الصريخ عجول[4]
وأيقـن باغٍ حتفـه أنَّ أمه ـ وقدامـه الليث الهصـور ـ هبول[5]

وله أيضاً [من الكامِل] :

اليوم أبهجـتِ المنى أبهاجها وتوسّطـت شمس الضحـى أبراجَها
ما للـوزارة لا تضـيء لنـا وقد أضحـى سراج العـالمين سراجها
شمسٌ تبـدَّتْ في ذوائـب يعربٍ ركبت إلـى الرُّتـب العـلا معراجها
لم تنتقـل قدمـاً لأول منزل للمجـد حتـى استقبلـت منهاجها
أنجبتـهُ ذخـر الخلافـة إن شكتْ ألمـاً تضمَّـن برءهـا وعلاجها
وسللتـه سيفـاً لكلّ ملمّةٍ يفـري بأول ضربـة أوداجها[6]
فنظمـتَ في جيد الـوزارة عقدها وعقـدت في رأس الرياسـة تاجها
والخيل جانحـة إليـه كلما رفـع اللـواء وأوجفـت أسراجها
يا قبلـةً للآمليـن وكعبـةً تدعـو بحـيٍّ علـى النـدى حجاجها
أنـت الـذي فرَّجْـتَ عنّـي كربةً لله قد شدّت علـيَّ رتاجها[7]

---

(١) ورد عجز البيت غير مستقيم الوزن على هذه الصورة يسير على الخطب وهو جليل » فأصلح .
(٢) غالت : دهت وأهلكت .
(٣) الأفول : الغروب .
(٤) الصريخ : المستغيث .
(٥) هبول : ثاكل .
(٦) الملمّة : الحادثة ، ويفري : يقطع ، وَالأوداج : يعني بها الأعناق حيث تكون الأوداج والعروق .
(٧) الرتاج : الباب ، وأرتج الباب : أقفله وغلقه .

وجلـوت عن قلـق المنـى من ليلةٍ طاولـت في ظلـم الأسـى إدلاجها[1]

وسقيتنـي من جود كفـك منعماً كأسـاً وجـدت من الحياة مزاجها

فلألبسـن الدهـر فيك ملابساً للحمـد أحـكم منطقـي ديباجها

ما عاقـب الليل النهـار ورجَّعتْ ورق الحمائـم بالضحـى أهزاجها

وقوله من قصيدة أخرى [من المتقارب] :

دعيـتَ فأصـغ لداعـي الطرب وطـاب لك الدهـر فاشـرب وطبْ

فهـذا بشير الـربيع الجديد يبشّـرنـا أنـه قـد قرب

بهـار يروق بمسـك ذكيٍّ وصبـغٍ بديعٍ وخلـقٍ عجب

غصـون الزبرجـد قد أورقت لنـا فضّـةً نوّرت بالذهـب

فمـن حقّهـا أن ترى الشاربين وقـد نفقـت سوقهـم بالنخب

وأن تسألـوا الله طول البقاء لعبـد المليك مليك العرب

فلـولا محاسـنه لم ترق ولـولا شمائلـه لـم تطب

وقوله [من الطويل] :

ألـم تعلمـي أن الثّـواء هو النوى وأن بيوت العاجـزين قبور

ولـم تزجـري طير السـرى بحروفها فتنبيك إن يمَّـنَّ فهـو سرور[2]

يخوّفنـي طول السفـار وإنه لتقبيل كف العامـري سفير

ذرينـي أَردْ مـاءَ المفـاوزِ آجناً إلـى حيث ماءُ المكرمـات نمير[3]

وأختلسِ الأيام خِلسـة فاتكٍ إلـى حيث لي من عَدْوهـن خفير

فـإن خطيرات المهـالك ضُمَّـنٌ لراكبهـا أن الجـزاء خطيـر

ولمـا تدانـت للـوداع وقـد هفا بصبـريَ منهـا أنَّـة وزفير

---

(١) الإدلاج : الظلمة .

(٢) زجر الطير: التفاؤل أو التشاؤم بها، ويمّن: سرن يميناً حيث يكون التفاؤل أمّا السير شمالاً فهو للتشاؤم.

(٣) المفاوز : الأرض الكثيرة الهلكة ، والآجن : المتغير والنمير : الصافي .

تناشدني عهد المودة والهوى ... وفي المهد مبغوم النداء صغير[1]

عييٌ بمرجوع الخطاب ، ولفظه ... بموضع أهواء النفوس خبير

تبوأ ممنوع القلوب ، ومهّدت ... له أذرع محفوفةٌ ونحور

عصيت شفيع النفس فيه وقادني ... رواحٌ لتدآب السرى وبكور

وطار جناح البين بي وهفتْ بها ... جوانح من ذعر الفراق تطير

لئن ودّعت مني غيوراً فإنني ... على عزمتي من شجوها لغيور

وما شاهدتني والضواحك تلتظى ... عليَّ ورقراق السراب يمور[2]

أسلّط حر الهاجرات إذا سطا ... على حر وجهي ، والأصيل هجير

وأستنشق النكباء وهي نوازحٌ ... وأستمطىء الرمضاء وهي تفور[3]

وللموت في عين الجبان تلون ... وللذعر في سمع الجريء صفير

ولو شاهدتني والسُّرى جل عزمتي ... وجرسي لجنان الفلاة سمير

وأعتسف الموماة في غسق الدجا ... وللأُسْد في غيل الغياض زئير[4]

أميرٌ على غول التنائف ما له ... إذا ريع ، إلا المشرفيّ ، وزير[5]

وقد خليتْ طرق المجرة أنها ... على مفرق الليل البهيم قتير

ودارت نجوم القطب حتى كأنها ... كؤوس طلا والى بهن مدير[6]

لقد أيقنت أنّ المنى طوع همتي ... وأنّى بعطف العامريّ جدير

وأنّى بذكراه لهمِّيَ زاجرٌ ... وأنى منه للخطوب نذير

تلاقت عليه من تميمٍ ويعربٍ ... شموسٌ تلالا في العلا وبدور

---

(١) المبغوم : الخفي صوته الذي لا يفهم .

(٢) الضواحك : حجارة براقة .

(٣) استمطىء : أي أمتطي وأسير،والرمضاء: الحرّ الشديد .

(٤) الموماة : الصحراء المقفرة ، وغيل الغياض : أي الشجر الكثير الملتف .

(٥) التنائف : جمع تنوفة وهي المفازة والغلاة .

(٦) الطلا : الخمر ، ووالى : دار بها على الشاربين .

من الحميريين الذين أكُفُّهمْ سحائب تهمى بالندى وبحور
همُ صدّقوا بالوحي حين أتاهم وما الناس إلاّ عابدٌ وكفور
مناقب يعيا الوصف عن كنه قدرها ويرجع عنها الوهم وهو حسير
ألا كلّ مدحٍ عن نداك مقصر وكلّ رجاءٍ في سواك غرور
ولما تراءوا للسلام ورُفِّعتْ عن الشمس في أفق الشروق ستور
وقد قام من زرق الأسنة دونه صفوف ومن بيض السيوف سطور
رأوْا طاعةَ الرحمن كيف اعتزازُها وآياتِ صنعِ الله كيف تنير
وكيف استوى بالبدر والبحر مجلس وقام بعبء الراسيات سرير
يقولون والأوجال تخرس ألسناً وحارت عيون منهم وصدور[1]
لقد حاط أعلام الهدى بك حائطٌ وقدّر فيك المكرمات قدير

ومنها :

أثرني لخطب الدهر والدهر معضلٌ وكِلْني لِلَيْثِ الغاب وهو هصورُ[2]
وقد تخفض الأسماء وهي سواكنٌ ويعمل في الفعل الصحيح ضمير
وتنبو الردينيات والطول وافرٌ ويبعد وقع السهم وهو قصير[3]

وقوله من أخرى [من الكامل] :

أوجعت خيلي في الهوى وركابي وقذفت نبلي في الصبا وحرابي
وسللت في سبل الغواية صارماً عضباً ترقرقُ فيه ماء شبابي[4]
ورفعت للشوق المبرّح رايةً خفّاقة بهزائج الأطراب[5]

---

(١) الأوجال : المخاوف .
(٢) الهصور : الشديد الفتك .
(٣) تنبو : تخطىء ، والردينيات : الرماح .
(٤) العضب : السيف القاطع .
(٥) أراد بهزائج الأطراب : الأناشيد التي تقال عند الطرب ، وكأنّما سمّيت بذلك لأنها تكون من وزن بحر الهزج .

ولبست للّوّام لأمة خالعٍ مسرودةٍ بصبابةٍ وتصابي[1]
وبرزت للشكوى بشكّة مُعْلمٍ نكص الملام بها على الأعقاب[2]
فاسأل كَمِيّاً الوجد كيف أثرته بغروب دمعٍ صائب التكساب
واسأل جنود العذل كيف لقيتها في جحفل البرحاء والأوصاب[3]
ولقد كررت على الملام بزفرةٍ ذهل العتاب بها عن الإعتاب
حتى تركت العاذلين لما بهم شغفاً بحبّ التاركيّ لما بي
من كلّ ممنوع اللقاء آغتاله صرف النوى فنأى به ودنا بي
حتى افتتحت على الأحبة معقلاً وعر المسالك مقفل الأبواب
ووقفت موقف عاشق حلّتْ له فيه غنيمة كاعب وكعاب
بحدائقِ الحدق التي أفنينني بأحدٍّ من سيفي ومن نشّابي
في روضةٍ جاد النعيم نباتها فتفتحت بكواعبٍ أتراب
من كلّ مغنومٍ لقلبي غانمٍ عشقاً ومسبيٍّ لعقلي سابي
في جنح ليلٍ كالغراب أطار لي عن ملتقى الأحباب كلّ غراب
وجلا لعيني كلّ بدرٍ طالعٍ قَمِنٍ بهتك حجابه وحجابي[4]
جاب الظلام فلم يدع من دجنه إلا غدائر شعره المنجاب[5]
فظللت بين صبابة وظلامة مغري الجفون بطرفه المغري بي
فإذا كتبت بناظري في قلبه أخفى فخطّ بناظريه جوابي
وإذا سقاني من عقار جفونه أبقى عليّ فشجها برضاب
وسلافة الأعناب توقد نارها تهدي إليّ بيانع العناب

---

(١) اللأمة : الدرع . والمسرودة : المصنوعة .
(٢) الشكّة : السلاح . ونكص : تراجع وفرّ .
(٣) البرحاء والأوصاب : الآلام والأمراض الموجعة .
(٤) قمِنٍ : جدير . وهنك الحجاب : نزعه .
(٥) الدجن : الظلام .

فسكرْتُ والأيام تسلب جدَّتي | والدهر ينسج لي ثياب سلابي[1]
سكريْن من خمرٍ كأنّ خمارها | فقد الشباب وفرقة الأحباب[2]
لمدى تناهى في الغواية فانتهى | فينا إلى أجلٍ له وكتاب

ومنها :

وشملتني بشمائلٍ أذكرنني | في طيبها طوبى وحسن مآب[3]
ورضاك ردَّ ليَ الرِّضا في أوجه | من جور أيام عليٍّ غضاب
وهداك أشرق لي وليلي مظلم | وسناك أبرق لي وزندي كابي[4]
فحللت منه خير دار مقامةٍ | وثويت منه في أعزّ رحاب
وأسمت في أزكى البقاع صوافني | وضربت في أعلى البقاع قبابي[5]
وشويت للأضياف لحم ركائبي | في نار أحلاسي وفي أقتابي[6]
ولقد كسوت برغم دهرٍ ضامني | ما أخلقتْ عصراه من أثوابي

وقوله يصف الهلال [من الرجز] :

وَمَحَقَ الشهرُ كمالَ البدرِ | فلاحَ في أولى الصباح النّضرِ

* كأنه قرطٌ بأُذْنِ الفجرِ *

---

(١) الجدّة : قدرتي وترفي ، أو ثيابي .
(٢) الخمار : وقع الخمر وأثره .
(٣) طوبى : جنة الخلد ، أو يثرب مدينة الرسول .
(٤) الزند الكابي : الذي لا يورى ولا يخرج ناراً .
(٥) أسمت : أحللت . والصوافن : الخيل .
(٦) الحلس : ما يوضع تحت البرذعة ونحوها، والأقتاب : الرّحل



البـــاب العاشـــر

في ذكر شعراء الموصل وغرر أشعارهم



١٠٦ ـ فمنهم السري بن أحمد الكندي المعروف بالرفاء

السري وما أدراك من السري ؟ صاحب سر الشعر . الجامع بين نظم عقود الدر ، والنفث في عقد السحر ، ولله دره ما أعذب بحره ، وأصفى قطره ، وأعجب أمره ! وقد أخرجت من شعره ما يكتب على جبهة الدهر ، ويعلق في كعبة الفكر. فكتبت منه محاسن وملحاً ، وبدائع وطرفاً ، كأنها أطواق الحمام ، وصدور البزاة البيض ، وأجنحة الطواويس ، وسوالف الغزلان ، ونهود العذارى الحسان ، وغمزات الحدق الملاح ، وبدأت بصدر من أخباره ، وبطرف لأشعاره .

بلغني أنه أسلم صبياً في الرفائين بالموصل ، فكان يرفو[١] ويطرز إلى أن قضى باكورة الشباب ، وتكسب بالشعر . ومما يدل على ذلك ما قرأته بخطه ، وذكر ان صديقاً له كتب إليه يسأله عن خبره وهو بالموصل في سوق البزازين يطرز ، فكتب إليه [من السريع] :

يكفيك من جملة أخباري ... يُسري من الحب وإعساري

في سوقةٍ أفضلهم مرتدٍ ... نقصاً ، ففضلي بينهم عاري[٢]

(١) يرفو : أي يصلح الثوب من شقٍ وغيره .

(٢) مرتد : لابس .

وكانت الإبرة فيما مضى صائنةً وجهي وأشعاري
فأصبح الرزق بها ضيِّقاً كأنّه من ثقبها جاري

وهذه الأبيات ليست في ديوان شعره الذي في أيدي الناس ، وإنما هي في مجلدة بخط السري استصحبها أبو نصر سهل بن المرزبان من بغداد ، وهي عنده الآن ، وكل خبر عندنا من عنده .

ولما جد السري في خدمة الأدب وانتقل عن تطريز الثياب ، إلى تطريز الكتاب ، فشعر بجودة شعره ، ونابذ الخالديين الموصليين وناصبهما العداوة ، وادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره ، وجعل يورق وينسخ ديوان شعر أبي الفتح كشاجم ، وهو إذ ذاك ريحان أهل الأدب بتلك البلاد ، والسري في طريقه يذهب ، وعلى قالبه يضرب ، وكان يدس فيما يكتبه من شعره أحسن شعر الخالديين ، ليزيد في حجم ما ينسخه ، وينفق سوقه ، ويغلي سعره ، ويشنع بذلك على الخالديين ، ويغض منهما ، ويظهر مصداق قوله في سرقتهما ، فمن هذه الجبهة وقعت في بعض النسخ من ديوان كشاجم زيادات ليست في الأصول المشهورة منها ، وقد وجدتها كلها للخالديين بخط أحدهما ، وهو أبو عثمان سعيد ابن هاشم. في مجلدة أتحف بها الوراق المعروف بالطرسوسي ببغداد أبا نصر سهل بن المرزبان وأنفذها الى نيسابور في جملة ما حصل عليه من طرائف الكتب باسمه ، ومنها وجدت الضالة المنشودة من شعر الخالدي المذكور وأخيه أبي بكر محمد بن هاشم ، ورأيت فيها أبياتاً كتبها أبو عثمان لنفسه ، وأخرى كتبها لأخيه ، وهي بأعيانها للسري بخطه في المجلدة المذكورة لأبي نصر ، فمنها أبيات في وصف الثلج واستهداء النبيذ [من البسيط] :

يا من أناملُه كالعارض الساري وفعله أبداً عارٍ من العارِ
أما ترى الثلج قد خاطت أناملُه ثوباً يزرّ على الدنيا بأزرار
نارٌ ولكنها ليست بمبديةٍ نوراً ، وماءٌ ولكن ليس بالجاري

والـراح قد أعوزتنـا في صبيحتنا بيعـاً ولـو وزْن دينـارٍ بدينار
فامنـن بمـا شئـت من راحٍ يكون لنا ناراً فإنّـا بلا راحٍ ولا نار[1]

ومن قوله أيضاً [من الوافر] :

ألـذُّ العيش إتيان الصبيح وعصيـان النصيحـة والنصيـحِ
وإصـغـاءٌ إلـى وتـرٍ ونايٍ إذا ناحـا علـى زقٍّ جريـح[2]
غـداةَ دجنَّةٍ وطفـاءَ تبكي إلى ضحكٍ مـن الزهـر المليح[3]
وقـد حديت قلائصهـا الحيارى بحـادٍ من رواعدهـا فصيح[4]
وبـرقٍ مثـل حاشيتـي رداءٍ جديدٍ مذهـبٍ في يوم ريح

هكذا بخط السري ، والذي بخط الخالدي « حاشيتي لواء » ، ولست أدري أأنسب هذه الحال إلى التوارد أم إلى المصالتة ، وكيف جرى الأمر فبينهم مناسبة عجيبة ، ومماثلة قريبة في تصريف أعنة القوافي وصياغة حلى المعاني .

وأنا أجعل فصلاً لشعر السري في ذكر سرقتهما منه وغارتهما عليه ، ثم أسوق غرر الخالديين مع نبذ من أخبارهما إذا فرغت من قضاء حق السري بإذن الله تعالى ومشيئته .

ولم يزل السري في ضنك من العيش إلى أن خرج إلى حلب واتصل بسيف الدولة ، واستكثر من المدح له ، فطلع سعده بعد الأفول ، وبعد صيته بعد الخمول ، وحسن موقع شعره عند الأمراء من بني حمدان ورؤساء الشام والعراق . ولما توفي سيف الدولة ورد السري بغداد ، ومدح المهلبي الوزير وغيره من

(١) الراح : الخمر .
(٢) الزق : وعاء الخمر ، الدنّ .
(٣) الوطفاء : الممطرة التي تدلّت ذيولها .
(٤) حديت : سيقت ، والقلائص : النوق .

الصدور ، فارتفق بهم ، وارتزق معهم ، وحسنت حاله ، وسار شعره في الآفاق ونظم حاشيتي الشام والعراق ، وسافر كلامه إلى خراسان وسائر البلدان ، وكنت أحسب أنني استغرقت شعره لجمعي فيه بين لمع أنشدنيها وأنسخنيها أبو بكر الخوارزمي أولاً ، وبين ديوان شعره المجلوب من بغداد ، وهو أول ما رأيته مما أنفذه أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي من بغداد إلى أبي بكر وبين المجلدة بخط السري التي وقعت إلي من جهة أبي نصر وفيها زيادات كثيرة على ما في الديوان . فقرأت في كتاب الوساطة للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني أبياتاً أنشدها للسري في جملة ما أنشده لأكابر الشعراء مما يتضمن الاستعارة الحسنة مع إحكام الصنعة . وعذوبة اللفظ ، وهي : [من الطويل] :

أقول لحنّان العشاء المغرّد ... يهزّ صفيح البارق المتوقِّدِ[1]
تبسم عن ريٍّ البلاد صبيبه ... ولم يتبسم إلاّ لإنجاز موعد

ومنها [من الطويل] :

ويا ديرها الشرقيّ لا زال رائحٌ ... يحلّ عقود المزن فيك ومغتدى
عليلة أنفاس الرياح كأنّما ... يعلُّ بماء الورد نرجسها النّدى
يشقّ جيوب الورد في شجراتها ... نسيمٌ متى ينظرْ إلى الماء يبرد

فأعجبت جداً بها وتعجبت منها ، وتأسفت على ما فاتني من أخواتها من هذه القصيدة وغيرها ، ثم قرأت في كتاب تفسير ابن جني لشعر المتنبي بيتاً واحداً أنشده السري من قصيدة ، وذكر أنه أخذه من قول المتنبي [من الطويل] :

سقاك وحيّانا بك الله ، إنما ... على العيس نور والخدود كمائمه[2]

---

(١) صفيح البارق : أي صفحة السيف ويعني هنا صفحة الخدّ أو الفم المفترّ عن بيض الأسنان .
(٢) العيس : الجمال ، والكمائم : أغلفة النّوار .

وهو [من المنسرح] :

حيّا بك الله عاشقيك فقد أصبحت ريحانة لمن عشقا

فكدت أقضي بأني لم أسمع في معناه أظرف منه ولا ألطف ولا أعذب ولا أخف ، وطلبت القصيدتين فعزتا وأعوزتا ، وعلمت أن الذي حصلت من شعره غيض من فيض ما لم يقع إلي .

* * *

ولما وجدت السريّ أخذ جديد القميص في حسن السرقة وجودة الأخذ من الشعر كسرت هذا الفصل على ذكر سرقاته :

قال السري من قصيدة في سيف الدولة وذكر بعض غزواته [من الوافر] :

طلعتُ على الديار وهم نباتٌ وأغمدت السيوف وهم حصيد
فما أبقيت إلاّ مخطفاتٍ حماها الخصر منها والنهود[1]

وكرر هذا المعنى فقال [من الكامل] :

أفنت ظباك الروم حتى إنّها لم تبق إلاّ ظبيةً أو ريما

وإنما سرقه من قول المتنبي [من الطويل] :

فلم يبق إلا من حماها من الظبا لمى شفتيها والثديّ النواهد[2]

وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

حيّيت من طللٍ أجاب دثوره يوم العقيق سؤال دمعٍ سائل
يخفي وينزل وهو أعظم حرمةً من أن يذال براكب أو ناعل

(١) المخطفات : الهزيلات .
(٢) اللمى : السمرة في الشفة السفلى .

وهو من قول المتنبي [من الطويل] :

نزلنا على الأكوار نمشي كرامةً   لمن بان عنه أن نلمَّ به ركبا[1]

وفي قصيدة السري [من الكامل] :

فالدهر يمسح منه غرَّة سابقٍ   لاقاه أوّل سابقين أوائل

وهو من قول مروان بن أبي حفصة [من الكامل] :

مسحت معدٌّ وجه معنٍ سابقاً   لمّا جرى وجرى ذوو الأحساب

وقال السري من قصيدة وذكر الخيال [من الكامل] :

وافى يحقق لي الوفاء ولم يزل   خدن الصبابة بالوفاء حقيقا[2]
ومضى وقد منع الجفون خفوقها   قلبٌ لذكرك لا يقرُّ خفوقا

فالتجنيس أخذه من قول التنوخي [من مجزوء الكامل] :

يفديك قلبٌ خافقٌ   أبداً وطرفٌ ما خفق

واللفظ من قول ابن المعتز [من الكامل] :

* ما بال قلبك لا يقر خفوقا[3] *

وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

نَضَت البراقع عن محاسن روضةٍ   ريضَتْ بمحتفل الحيا أنوارُها[4]

---

(١) الأكوار : جمع كور ، وهو الرّحل الذي يجعل على ظهر الجمل كالسرّج .

(٢) خدن الصبابة : الخدن الصديق ، والصبابة : المحبّة والعشق .

(٣) هذا صدر بيت : وعجزه قوله : « وأراك ترعى النجم والعيوقا » ولابن المعتز في هذا المعنى شعر أرق من هذا البيت ، فمن ذلك قوله :

ومتيّمٍ جرح الفؤاد فراقه   فالدمع من أجفانه يتدفّق
بهرته ساعة فرقةٍ فكأنّما   في كلّ عضوٍ منه قلبٌ يخفق

(٤) نضت : خلعت ، والبراقع : الملاء . والحيا : المطر .

فمـن الثغـور المشرفـات لجينهـا ومـن الخـدود المذْهبـات نضارها
أغصـان بانٍ أغربـت في حملها فغرائـب الـورد الجنـيِّ ثمارها

وهو من قول ابن الرومي [من البسيط] :

غصـون بان عليهـا الدهـر فاكهة ومـا الفـواكه ممـا يحمـل البان !

وقال السري [من الكامل] :

تلك المـكارم لا أرى متأخراً أولـى بهـا منـه ولا متقدما
عفـوٌ أظـلَّ ذوي الجرائـم كلَّهم حتى لقـد حَسَـدَ المـطيعُ المجرما

وهو من قول أبي تمام [من الكامل] :

وتـكفّـل الأيتـام عن آبائهم حتـى وددنـا أننـا أيتـام

والأصل فيه قول أبي دهبل الجمحي [من المنسرح] :

ما زلـت في العفـو للذنـوب وإطـ ـلاقٍ لعـانٍ بجرمـه غلقِ
حتـى تمنّـى البـراء أنّهـمُ عنـدك أضحـوا في القـدِّ والحلق

وقال السري من قصيدة [من الوافر] :

إذا ذكـر العقيق لنـا نثرنا عقيق الدمـع سحّـاً وانهمالا[1]
طلـولٌ كلّمـا حاولن سقياً سقتهـا العين أدمعهـا سجالا
تحـنّ جمالنـا هونـاً إليهـا فأحسبهـا ترى منهـا جمالا
ونسـأل من معالمهـا محيلاً فنطلـب من إجابتهـا محالا

وهو من قول ديك الجن [من الكامل] :

قالـوا السـلام عليك يا أطلالُ قلت السـلام على المحيل محالُ

---

(١) السحّ : غزارة المطر عند هطله .

وقال السري من قصيدة يتشوق بها بني فهد [من الطويا] :

تنــاءوْا ولمّــا ينصــرمْ عزهــم وحاشــا لذاك الحبــل أن يتصرّما
فشــرّق منهــم سيدٌ ذو حفيظةٍ وغــرّب منهــم سيِّدٌ فتشأما
كأن نواحــي الجــو تنشــر منهم علــى كلّ فجٍّ قاتــمِ اللــون أنجما

وهو من قول الشاعر [من الطويل] :

رمــى القفــر بالفتيان حتّــى كأنهم بأقــطــار آفــاق البــلاد نجومُ

وقال من قصيدة [من الوافر] :

تناهــى فاطمــأنَّ إلــى العتاب وأحســن للعــواذل في الخطابِ
وصــار جنيب غصــنٍ غير رطب وكان جنيب أغصــانٍ رطاب
خلــت منــه ميادين التصابي وعــرّى منــه أفــراس الشباب
وزهّــده خضــابُ الله لمــا تولّــى عنــه في زور الخضاب[1]

وإنما أخذ مصراع البيت الثالث من قول زهير [من الطويل] :

* وعزي أفراس الصبا ورواحله[2] *

وذكر خضاب الله في البيت الرابع ، وهو من قول أبي تمام [من الكامل] :

* ورأت خضاب الله وهو خضابي[3] *

---

(١) خضاب الله : يعني الشيب .
(٢) هذا عجز بيت هو مطلع قصيدة لزهير بن أبي سلمى المزني وصدره قوله :
صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله
(٣) هذا عجز بيت من قصيدة يمدح فيها مالك بن طوق وصدره قوله :
أو ما رأت برديّ من نسج الصبّا

وفي قصيدة السري [من الوافر] :

وكنـت كروضـةٍ سُقِيَتْ سحاباً ‏ فأثنَـتْ بالنسيم علـى السّحابِ

وهو من قول المتنبي [من الكامل] :

وذكيٌّ رائحـة الـرياض كلامها ‏ تبغـي الثناء علـى الحيا فيفوح[1]

والأصل فيه قول ابن الرومي [من الخفيف] :

شكرت نعمـة الولـيِّ علـى الوسـ ‏ ـمـيِّ ثم العهـاد بعـد العهاد[2]

فهـي تثنـي علـى السمـاء ثناءً ‏ طيِّب النشـر شائعـاً في البلاد

وقال السري من قصيدة [من الوافر] :

ليالينـا بأحيـاء الغميم ‏ سقيت ذهـاب مُذْهَبَـة الغيومِ

مضـتْ بك رأفـة الأيام فينا ‏ وغفلـة ذلك الزمـن الحليم

فكنّـا منـك في جنـات عيشٍ ‏ وَفَـتْ حسنـاً بجنـات النعيم

رياض محاسـن وسنـا شموسٍ ‏ وظـلّ دسـاكرٍ وجنـى كروم[3]

وأجفـان إذا لحظـت جسوماً ‏ جعلن سقامهـن علـى الجسوم

وإنما أخذ هذا المثال من قول أبي تمام [من الوافر] :

فيا حسـن الرسـوم ومـا تمشّى ‏ إليهـا الدهـر في صور البعادِ

وإذ طير الحـوادث في رباها ‏ سواكن وهـي غنَّـاء المراد

مـذاكي حلبـةٍ وشـروب دجنٍ ‏ وسامـر قينـةٍ وقـدور صاد[4]

---

(١) ذكي : عبق .

(٢) الوسمي : مطر الربيع .

(٣) الدساكر : جمع دسكرة ، وهي القرية أو البناء الضخم الذي يتخذه الملوك للّهو والشراب .

(٤) المذاكي : الخيل الكريمة . والصاد : النحاس .

وأعين ربربٍ كحلتْ بسحرٍ وأجسادٌ تضمَّخُ بالجساد[1]

وممن أخذ هذا المثال مع ركوب هذه القافية القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني حيث قال من قصيدة [من الوافر] :

وأجفانٌ تروّي كلّ شيءٍ سوى قلبٍ إلى الأحباب صادي[2]
بذاك جزيت إذ فارقت قوماً لبست لبينِهم ثوبَيْ حداد
معادن حكمةٍ وغيوث جدبٍ وأنجم حيرةٍ وصدور نادي

وقال السري من قصيدة [من المنسرح] :

ترتع حولي الظباء آنسةً نظائراً في الجمال أشباها
رقّت عن الوشى نعمة فإذا صافح منها الجسوم وشّاها

وهو من قول المتنبي [من الطويل] :

حِسان التثنّي ينقش الوشى مثله إذا مِسْن في أجسامهن النواعمِ

وقال من أبيات [من الطويل] :

وأغيدَ مهتزٍّ على صحن خدِّهِ غلائل من صبغ الحياء رقاقُ
أحاطت عيون العاشقين بخصره فهنّ له دون النطاق نطاق[3]

وهو أيضاً من قول المتنبي [من الوافر] :

وخصرٍ تثبت الأحداق فيه كأنّ عليه من حدقٍ نطاقا

---

(١) الربرب : البقر الوحشي . والجساد : الزعفران .
(٢) الصادي : الظامىء .
(٣) النطاق : الإزار أو مكانه .

وكتب إلى صديق له قد اتهمه بغلام بعثه إليه في حاجة [من الوافر] :

أبا بكر أسأت الظن فيمن ... سجيَّتُهُ التَّمنُّع والخلافُ
وخفت عليه في الخلوات منّي ... ولم تك بيننا حالٌ تخاف
جفوت من الصبا ما ليس يُجفَى ... وعفت من الهوى ما لا يعاف
فلو أني هممت بقبح فعلٍ ... لدى الإغفاء أيقظني العفاف

وإنما أخذه من قول أبي الحسن بن طباطبا [من الكامل] :

ماذا يعيب الناس من رجلٍ ... خلص العفاف من الأنام له
يقظاته ومنامه شرعٌ ... كلٌّ بكلٍّ منه مشتبه
إن همَّ في حلم بفاحشة ... زجرتْه عفّته فينتبه

وقال السري من أبيات لصديق له أهدى إليه ماء ورد فارسي في قارورة بيضاء مزينة بقراطيس مذهبة [من الطويل] :

بعثت بها عذراء حالية النحر ... مشهّرة الجلباب حورية النجرِ[1]
مضمَّنة ماءً صفا مثل صفوها ... فجاءت كذوب التبر في جامد الدر
ينوب بكفي عن أبيه وقد مضى ... كما نِبْتَ عن آبائك السادة الغُرِّ

وإنما هو عكس قول المتنبي [من الطويل] :

فإن يك سيار بن مكرمٍ انقضى ... فإنّك ماء الوِرد إن ذهب الوردُ[2]

وقال من قصيدة في سيف الدولة [من البسيط] :

لما تراءى لك الجمع الذي نزحت ... أقطاره ونأت بعداً جوانبُه
تركتهم بين مصبوغٍ ترائبه ... من الدماء ومخضوبٍ ذوائبه[3]

---

(١) النجر : الأصل ، وحالية النحر : أي تلبس الحليّ في نحرها .
(٢) ماء الوِرد : ماء النبع حيث يشرع الناس للإستسقاء .
(٣) الترائب : الصدر أو أعلاه ، والذوائب : خصلات الشعر في أول الوجه .

فحائرٍ وشهاب الرمح لاحقه   وهاربٍ وذباب السيف طالبه[1]
يهوي إليه بمثل النجم طاعنه   وينتحيه بمثل البرق ضاربه
يكسوه من دمه ثوباً ويسلبه   ثيابه فهو كاسيه وسالبه

وهو من قول البحتري [من الكامل] :

سلبوا وأشرقت الدماء عليهم   محمّرةً فكأنهم لم يسلبوا

وقال السري من قصيدة في سيف الدولة ، وذكر العدو [من البسيط] :

تروع أحشاءه بالكتب وهولها   خوف الردى ورجاء السلم مستلم
لا يشرب الماء إلا غصّ من حذرٍ   ولا يهوّم إلا راعنه الحلم

وهو من قول أشجع السلمي [من الكامل] :

فإذا تنبّه رعته، وإذا غفا   سلّت عليه سيوفك الأحلام

وقال من قصيدة [من الوافر] :

وقفنا نحمد العبرات لمّا   رأينا البين مذموم السجايا[2]
كأنّ خدودهنّ إذا استقلت   شقيق فيه من طلٍّ بقايا

وهو من قول الناشىء الأوسط [من المتقارب] :

كأنّ الدموع على خدها   بقية طلٍّ على جلّنارِ[3]

وقال من قصيدة في مرثية أم أبي تغلب [من الطويل] :

تذال مصونات الدموع إزاءها   ونمشي حفاة حولها الرجل والركب[4]

---

(١) ذباب السيف : حدّه .
(٢) السجايا : الصفات .
(٣) الطلّ : الندى ، والجلنار : نوع من الورود .
(٤) تذال : تجري .

تساوت قلوب الناس في الحزن إذ ثوت كأنّ قلــوب النــاس في موتهــا قلب

ومصراع البيت الأول من قول المتنبي [من الوافر] :

* مشى الأمراء حوليها حفاة[1] *

والبيت الثاني من قول ابن الرومي [من الطويل] :

سلالــة نورٍ ليس يدركهــا اللمس إذا ما بدا أغضــى له البــدر والشمسُ
به أضحــت الأهــواء بجمعهــا هوىً كأنّ نفــوس النــاس في حُبِّــه نفس

ولأبي بكر الخالدي في الأخذ منه [من الطويل] :

وبــدر دجــىً يمشــي به غصــنٌ رطبُ دنــا نوره لكن تناولُــه صعبُ
إذا ما بدا أغــرى به كلّ ناظرٍ كأنّ قلــوب النــاس في حبّــه قلب

وقال السري من قصيدة [من البسيط] :

أيام لي في الهــوى العــذريً مأربةٌ وليس لي في هوى العــذّال من أرب
سقــى الغمــام رُباهــا دمــعَ مبتسمٍ وكم سقاهــا التصابــي دمــعَ مكتئبِ

وردد هذا المعنى فقال [من الطويل] :

ولمــا اعتنقنــا خلْــتُ أنَّ قلوبَنا تناجي بأفعــال الهــوى وهــي تخفقُ
هي الدار لم يُخْلِ الغمــامَ ولا الهوى معالمَهــا مــن عبــرةٍ تتــرقرق

---

(1) هذا صدر بيت من قصيدة له يرثي فيها أمّ سيف الدولة وعجزه قوله :

« فإنّ المرو من زفٍّ الرئال »

والمرو : حجارة بيض براقة بكون فيها النار ، والزفّ : صغار الريش ، والرئال : جمع رئل وهو ولد النعام يقول : مشى الأمراء في جنازتها على الحجارة حفاةً كأنما يمشون على ريش النعام لعظم المصاب وشدّة الحزن .

وهو من قول أبي تمام [من الخفيف] :

دمنٌ طالما التقت أدمع المز ن عليها وأدمعُ العشاقِ

وفي قصيدة السري [من الطويل] :

وطوّقت قوماً في الرقاب صنائعاً كأنّهم منها الحمام المطوّقُ

وهو من قول المتنبي [من الوافر] :

أقامت في الرقاب له أيادٍ هي الأطواق والناس الحَمامُ

وللسري من قصيدة في سيف الدولة [من الطويل] :

تبسَّم برقُ الغيم فاختال لامعاً وحلَّ عقود الغيث فارفضَّ هاملا[1]
فقلت عليٌّ منك أعلى صنائعاً إذا ما رجوناه وأرجى مخايلا

وإنما نسج فيه على منوال البحتري فقال [من الكامل] :

قد قلت للغيم الركام ولجّ في إبراقه وألحّ في إرعاده
لا تعرضنَّ لجعفرٍ متشبّهاً بندى يديه فلست من أنداده

وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

قامت تميل للعناق مقوّماً كالخوط أبدع في الثمار وأغربا[2]
حملت ذاره الأقحوان مفضَّضاً يسقي المدامة والشقيق مذهَّبا
وأبتْ وقد أخذ النقاب جمالها حركات غصن البان أن تتنقّبا

---

(١) الغيث : المطر ، وارفضّ : انفرض وتوزع وهاملاً : ممطراً .
(٢) الخوط : الغصن .

وهو من قول أبي تمام [من البسيط] :

أرخت خماراً على الفرعين وانتقبت   للناظرين بقدٍّ ليس ينتقب[1]

وقال السري في وصف شعره [من الكامل] :

وغريبةٍ تجري عليك رياحها   أرجاً إذا لفحت عدوك نارُها[2]
ممن له غرر الكلام تفتّحت   أبوابها وترفّعت أستارها
تجري وتطلبه عصائب قصَّرتْ   عن شأوها فقصارها إقصارها[3]
فتعيش بعد مماته أشعاره   وتموت قبل مماتها أشعارها

وهو من قول دعبل [من الطويل] :

يموت رديء الشعر من قبل أهله   وجَيِّده يبقى وإن مات قائله

وقال من قصيدة [من الرمل] :

صادق البشر يرى ماء الندى   يرتقي في وجهه أو ينحدرْ
قلت إذ برّز سبقاً في العلا   أإلى المجد طريقٌ مختصر؟

وهو من قول البحتري [من البسيط] :

ما زال يسبق حتى قال حاسده   له طريقٌ إلى العلياء مختصرُ

وفي قصيدة السري [من الرمل] :

قد تقضّى الصوم محموداً فعدْ   لهوىً يحمد أو راحٍ يسرْ

---

(١) الخمار : الستر والملاءة ، والفرعين : يقصد الشعر ، وانتقيت : أي لبست النقاب وهو ما تستتر به المرأة .

(٢) الأرج : العبق الذكي .

(٣) العصائب : الجماعات ، والشأو : المدى .

أنـــت والعيد الـــذي عاودته غُرّتــا هذا الزمــان المعتكر
لــذّ فيك المــدح حتــى خلته سمــراً لم أشــق فيه بسهر

وهو من قول ابن الرومي [من المنسرح] :

يا مسرعــاً كان لي بلا كدر يا سمــراً كان لي بلا سهر

وقال من قصيدة ذكر فيها جراحاً نالته في بعض أسفاره [من الخفيف] :

نوبٌ لو علــت شمــاريخ رضوى أوشــكت أن تخــرَّ منهــنّ هدّا[1]
عرضتنــي علــى الحسام فأضحى كلّ عضــوٍ منّــي لحــدّيْه غمدا
وكَسَــتْ مفرقــي عمامــةُ ضربٍ أرجــوانيــةٌ الــذّوائــب تندى

وهو من قول ابن المعتز [من الطويل] :

ألا ربّ يومٍ قد كســوكم عمائماً من الضرب في الهامات حمر الذوائبِ

وقال السري من قصيدة في المهلبي الوزير [من الكامل] :

وأرى العــدو نقيصــة في عمره وأرى الصــديق زيادة في حالِهِ
بوقائــع للبــأس في أعدائـه ووقائــع للجــود في أمواله
عذلوه في الجـدوى ومـن يثنـي الحيا أم من يســدّ عليه طرق سجاله[2]

وهو من قول المتنبي [من البسيط] :

ومــا ثنــاك كلام النــاس عن كرمٍ ومـن يسـد طريق العـارض الهطل ؟!

وقال من قصيدة في وصف طير الماء [من الطويل] :

وآمنــة لا الــوحش يذعــر سربها ولا الــطير منهــا داميات المخالب

---

(١) الشماريخ : رؤوس الجبال ، ورضوى : إسم مكان .
(٢) الجدوى : الكرم والعطاء ، والحيا : المطر ، وسجاله : هطوله يريد أنّ المطر يتدفّق ويهطل دون أن يستطيع أحدٌ ردّه .

هي الـروض لم تنش الخمائــل زهره ولا اخضلّ عن دمع من المزن ساكب
إذا انبعثــت بين الملاعــب خلتها زرابـيَّ كســرى بثّهــا في الملاعب

وهو من قول ابن الرومي [من الطويل] :

زرابيُّ كســرى بثّهــا في صحونه ليحضـر وفـداً أو ليجمــع مجمعاً[1]

وفي قصيدة السري [من الطويل] :

وإن آنستْ شخصاً من الناس صرصرتْ كما صرصرت في الطِّرس أقلام كاتب[2]

وهو من قول أبي نواس [من الرجز] :

كأنمــا يصفــرن عن ملاعـقٍ صرصـرة الأقــلام فـي المهارق[3]

وقال في وصف رقاص [من الوافر] :

إذا اختلجــت مناكبــه لرقصٍ نزتْ طير القلــوب إليه نزوا[4]
أفــارس أنــت أحســن من تثنّي علــى صنــجٍ وأملــح من تلوّى

وهو من قول الصنوبري [من المتقارب] :

فمــن متلــوٍّ علــى نايــهِ ومــن متثــنٍّ علـى صنجهِ

وقال من قصيدة في سيف الدولة [من البسيط] :

بكاهـل الملك سيف الدولـة أطّأدتْ قواعــد الــدين واشتــدّتْ كواهله[5]

---

(١) الزرابي : ما بسط واتكىء عليه من الطنافس وغيرها .
(٢) صرصرت : صوّتت .
(٣) يصفرن : يصوتن .
(٤) النزو : الميل والطموح إلى الشيء .
(٥) أطأدت : أي اشتدت وقويت وتوطدت .

من الرمـــاح وإن طالـــت مخاصره   كمـــا الـــدروع وإن أوهـــت غلائله

وهو من قول البحتري [من الطويل] :

ملـــوكٌ يعـــدّون الرمـــاح مخاصراً   إذا زعزعوهـــا والـــدروع غلائلا

وقال في وصف السحاب والبرق من قصيدة [من الرجز] :

وعـــارض أكـلأ فيه بارقاً   كالنـــار شبَّـــت في ذرى طودٍ أشم[1]
كأنّـــه نشـــوان جرَّ ذيله   فكلّمـــا ريع انتضـــى عضبـــاً خذم[2]

وهو من قول ابن المعتز [من الطويل] :

كأن الرَّبـــاب الجـــونَ دون سحابه   خليعٌ من الفتيان يسحـــب مئزرا[3]
إذا أدركتـــه روعـــةٌ من ورائه   تلفَّـــتَ واستـــلَّ الحســـام المذكّرا

وفي قصيدة السري [من الرجز] :

ورب يومٍ تكتســـي البيض به   لونـــاً فتكســـو لونهـــا سود اللِّمم[4]

وهو من قول المتنبي [من الخفيف] :

واستعـــار الحـــديد لونـــاً وألقى   لونـــه فـــي ذوائـــب الأطفـال

وقال من قصيدة [من الكامل] :

وأنـــا الفـــداء لمرغـــمٍ فيّ العدى   إذ زارنـــي وهنـــاً علـــى عدوائه
قمـــرٌ إذا ما الوشـــي صين أذاله   كيمـــا يصـــون بهـــاءه ببهائه[5]

---

(١) الأشم : المرتفع العالي .
(٢) العضب : السيف والخذم : القاطع .
(٣) الجون : من الأضداد وهو للأسود والأبيض .
(٤) اللمم : جمع لمّة ـ وهو الشعر الذي يتجاوز شحمة الأذن .
(٥) أذاله : أهانه ، وأذالت المرأة الثوب : أرسلته وجعلت له ذيلاً .

وهو من قول المتنبي [من الوافر] :

لبسن الوشى لا متجملاتٌ ولكن كي يصنَّ به الجمالا

وفي قصيدة السري [من الكامل] :

ضعفت معاقد خصره وعهوده فكأنّ عقد الخصر عهد وفائه

واللفظ من قول ابن المعتز [من الرجز] :

* وشادنٍ ضعيف عقد الخصرِ *

وقال السري من قصيدة [من البسيط] :

حَلِيَّةٌ وثناياه وعنبره كلٌّ ينمُّ عليه أو يراقبهُ[1]
فلست أدري إذا ما سار في أفقٍ شمائل الأفق أذكى أم جنائبه
سرى من الخيف يخفي البدر منتقباً والبدر يأنف أن تخفي مناقبه

وإنما ألم فيه بقول كشاجم [من الكامل] :

بأبي وأمي زائرٌ متقنّع لم يخف ضوء البدر تحت قناعه

وقال في وصف القلم من قصيدة في أبي إسحاق الصابي [من الكامل] :

وفتىً إذا هزّ اليراع حسبته لمضاء عزمته يهزّ مناصلا
من كلّ ضافي البرد ينطق راكباً بلسان حامله ويصمت راجلا[2]

وهو من قول أبي تمام [من الطويل] :

فصيحٌ إذا استنطقته وهو راكبٌ وأعجم إن خاطبته وهو راجل

---

(١) ينمّ : يشي به .
(٢) ضافي البرد : الطويل الفضفاض .

وقال السري من قصيدة [من المنسرح] :

الغيث والليث والهلال إذا ... أقمر : بأساً وبهجةً وندى
ناسٍ من الجود ما يجود به ... وذاكرٌ منه كلّ ما وعدا

وهو من قول الشاعر [من البسيط] :

رأيت يحيى أدام الله بهجته ... يأتي من الجود ما لم يأته أحدُ
ينسى الذي كان من معروفه أبداً ... إلى الرجال ولا ينسى الذي يعد

وقال من قصيدة [من المتقارب] :

بعيدٌ إذا رمت إدراكه ... وإن كان في الجود سهلاً قريبا
ضرائب أبدعتها في السّماح ... فلسنا نرى لك فيها ضريبا[1]

وهو من قول البحتري [من المتقارب] :

بلونا ضرائب من قد نرى ... فما إن رأينا لفتح ضريبا

وقال من قصيدة [من الطويل] :

فتىً شرع المجد المؤثّل : فالعلا ... مآربه ، والمكرمات شرائعُهْ
إذا وعد السّراء أنجز وعده ... وإن أوعد الضرّاء فالعفو مانعه

وهو من بيت تشتمل عليه قصة حكاها المبرد عن أبي عثمان المازني ، قال : حدثني محمد بن مسعر ، قال : جمعنا بين أبي عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد في مسجدنا ، فقال له أبو عمرو : ما الذي يبلغني عنك في الوعيد ؟ فقال : إن الله وعد وعداً وأوعد إيعاداً فهو منجز وعده ووعيده ، فقال له أبو عمرو : إنك أعجمي ولا أعني لسانك ، ولكن فهمك ، إن العرب لا تعد ترك الإيعاد ذما ، وتعده مدحاً ، ثم أنشد :

---

(١) الضريب : المثيل والشبيه .

وما يرهب ابن العم ما عشت صولتي ... وما أختشي من صولة المتوعّدِ
وإنّي إذا أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي[1]

فقال له عمرو : أفليس يسمى تارك الإيعاد مخلفاً ؟ قال : بلى ، قال : أفتسمي الله مخلفاً إذا لم يفعل ما أوعد ؟ قال : فقد أبطلت شاهدك .

وقال السري من أبيات [من الخفيف] :

لحظت عزمتي العراق فسلَّتْ ... همّتي للرحيل سيف اعتزامي
فسلامٌ على جنابك والمنـ ... ـهل والظِّلِّ والأيادي الجسام

وهو من قول البحتري [من الخفيف] :

فسلام على جنابك والمنـ ... ـهل فيه وربعك المأنوسِ
حيث فعل الأيام ليس بمذمو ... مٍ ووجه الزمان غير عبوس

وقال في وصف أشعاره [من الخفيف] :

خلعٌ غضّة النسيم غذاها ... صفو ماء العلوم والآداب
فهي كالخرَّد الأوانس يخلطـ ... ـن شماس الصبا بأنس التصابي[2]
رقّة فوق رقة الحضر تبدي ... فطنةً فوق فطنة الأعراب[3]

وهو من قول الطائي [من الكامل] :

لا رقة الحضر اللطيف عدتهمُ ... وتباعدوا عن فطنة الأعراب

---

(١) أوعدته : من الوعيد وهو التهديد ، ووعدته من الوعد : أي العطاء وغيره .
(٢) الشماس : بكسر الشين : الإباء والامتناع .
(٣) الحضر : سكان المدن ، والأعراب : سكان البادية .

وقال السري من قصيدة [من الكامل] :

ألبستني النعمى التي غيرن لي ودَّ الصديق فعاد منها حاسدا
فلتلبسنَّ بها الثناء مسيّراً ومخلّداً ما دام يذبل خالدا[1]

والبيت الأول من قول البحتري [من الطويل] :

وألبستني النعمى التي غيّرت أخي عليَّ فأمسى نازح الودِّ أجنبا

* * *

وقد أخذت بطرف من ذكر سرقاته ، ولا بأس أن أورد بعض ما كرره من معانيه ، فما منها إلا بارع رائع ، وإنما كررها إعجاباً بها واستحساناً لما اخترعه منها .

ذكر ما تكرر من معانيه

قال من أبيات في الاستزارة [من الطويل] :

ألست ترى ركب الغمام يساق وأدمعه بين الرياض تراقُ
ورقَّت جلابيب النسيم على الثرى ولكنْ جلابيب الغيوم صفاق[2]

وقال في معناه [من الكامل] :

راح الغمام به صفيقاً شربه وغدا به ثوب النسيم رقيقا

وقال في قريب منه [من مجزوء الكامل] :

فهواؤه سكب الردا ء وغيمه جافي الإزار

---

(١) يذبل : إسم جبل .

(٢) الصفيق : الجلد الذي تحت الجلد الظاهر ، أو الجلد .

وقال من تلك الأبيات [من الطويل] :

وذو أدبٍ جلّتْ صنائع كفِّهِ ولكنْ معاني الشعر منه دقاق

وقال في معناه [من الكامل] :

أعليٌّ كم نعمٍ منحت جليلةً منحتك معنى في الثناء دقيقاً
يلقى الندى برقيق وجهٍ مسفرٍ فإذا التقى الجمعان عاد صفيقاً
رحب المنازل ما أقام فإن سرى في جحفلٍ ترك الفضاء مضيقاً

وقال في معناه [من الطويل] :

فطوراً لكم في العيش رحب منازلٍ وطوراً لكم بين السيوف زحام

وقال يمدح [من الكامل] :

فلتشكرنَّك دولةٌ جدَّدْتها فتجدَّدتْ أعلامها ومنارُها
حَلَّيتَها وحميتَ بيضة ملكها فغرار سيفك سورها وسوارها[1]

وقال في معناه [من الوافر] :

تحلّى الدين أو تحمي حماه فأنت عليه سورٌ أو سوارُ

وقال [من الكامل] :

نشر الثناء فكان من إعلانه وطوى الوداد فكان من أسرارهِ
كالنخل يبدي الطلع من أثماره حيناً ويخفي الغضّ من جُمّاره[2]

---

(١) وحميت بيضة ملكها : أي جعلت ملكها منيعاً بصونك له ، وغرار السيف : حدّه .
(٢) الطلع : ما يبدو من ثمرة النخل أوّل طلوعها، والجمار : شحم النخلة .

وقال في معناه [من البسيط] :

أصبحت أظهر شكراً عن صنائعه   وأضمر الودّ فيه أيَّ إضمارِ
كيانع النخل يبدي للعيون ضحىً   طلعاً نضيداً ويخفي غضَّ جمّار

وقال في وصف الشمع [من الرجز] :

أعددت للّيل إذا الليل غسق   وقيّد الألحاظ من دون الطرقْ
قضبان تبرٍ عرّيتْ عن الورق   شفاؤها إن مرضت ضرب العنق

وقال في معناه [من الكامل] :

فرّجتها بصحائح إن تعتللْ   فلهنّ من ضرب الرقاب شفاءُ

وقال في معناه [من مجزوء الكامل] :

وإذا عرتها مرضةٌ   فشفاؤها ضرب الرقاب

وقال في معناه [من السريع] :

سيّافها يضرب أعناقها   وهو بذاك الفعل يحييها

وقال [من الرجز] :

قد أغتدي نشوان من خمر الكرى   أجرّ بُرديَّ على برد الثرى

* والصبح حمل بين أحشاء الدجى *

وقال في مثله [من الكامل] :

* والصبح حملٌ في حشى الظلماء *

وقال في وصف الخمر [من المتقارب] :

ألا غادها مخطئاً أو مصيبا   وسر نحوها داعياً أو مجيبا

وخــذ لهبــاً حرّه في غدٍ إذا الحـر قارن يومــاً لهيبا

وقال في معناه [من البسيط] :

هات التــي هي يوم الحشــر أوزار كالنار في الحسـن عقبى شربهـا النار

وقال في معناه [من الخفيف] :

هاتهــا لـم تباشــر النــار واعلم أنهــا فـي المعــاد للشــرب نارُ

وقال من أبيات [من المنسرح] :

أنظــر إلــى الليل كيف تصدعه راية صبــح مبيضّــةُ العذبِ
كراهــبٍ حن للهــوى طرباً فشـقّ جلبابــه مـن الطرب

وقال في معناه [من السريع] :

والفجــر كالراهــب قد مزّقتْ من طربٍ عنــه الجلابيبُ

وقال يمدح [من الخفيف] :

يخضــب الــكفّ بالمــدام وطوراً يَخْضُـبُ السيف من دمٍ مهراقِ[1]

وقال في معناه [من المتقارب] :

وتخضب بالراح أيماننا ونخْضِــب بالدم أرماحُنا

وقـال في الغزل ، وهو من غرره [من الوافر] :

بنفســي مـن أجــود له بنفسي ويبخـل بالتحيـة والســلام
وحتفـي كامــنٌ فـي مقلتيه كُمـون المـوت في حدّ الحسام[2]

---

(١) يخضب : من الخضاب ، أي صبغ الشعر واليدين . والمهراق : أي المراق المسفوك .
(٢) الحتف : الموت والهلاك ، وكامن : مستتر وموجود .

وقال ، ونقل معناه إلى الخمر [من الكامل] :

ويريه أعلى الرأي حزم كامن   فيه كمون الموت في حدّ القضب[1]

وقال في معناه [من المتقارب] :

أما للمحبين من حاكمٍ   فينصفني اليوم من ظالمي
حماميَ في طرفه كامنٌ   كُمونَ المنيّة في الصارم

وقال في معنى آخر [من البسيط] :

وفتيةٍ زهر الآداب بينهمُ   أبهى وأنضر من زهر الرياحين
مشوا إلى الراح مشي الرّخِ وانصرفوا   والراح تمشي بهم مشي الفرازين[2]

وقال في معناه [من السريع] :

حتى إذا الشمس بها آذنت   خيامها الصفر بقلع الأواخي[3]
راحوا عن الراح وقد أبدلوا   مشي الفرازين بمشي الرخاخ[4]

وقال في قلب معناه ووصف الشطرنج [من الكامل] :

يبدي لعينك كلّما عاينته   قرنين جالا مقدماً ومخاتلا[5]
فكأن ذا صاحٍ يسير مقوّما   وكأن ذا نشوان يخطر مائلا

وقال يصف كانون نار [من المتقارب] :

وذو أربعٍ لا يطيق النهوض   ولا يألف السّيْر فيمن سرى

---

(١) القضب : السيوف .
(٢) الرّخ والفرازن : من أحجار الشطرنج .
(٣) الأواخي : من أحجار الشطرنج .
(٤) الراح : الخمر .
(٥) المخاتل : الخداع .

نحملـه سبجاً أسـودا فيجعلـه ذهبـاً أحمـرا [1]

وقال في معناه [من مجزوء الوافر] :

وأحـدقنا بأزهـر خـا فقـاتُ حولـه العـذبُ
فمـا ينفـكُّ من سبجٍ يعـود كأنّـه ذهـب

وقال يمدح [من الوافر] :

وكم خرق الحجـاب إلـى مقامٍ توارى الشـمس فيه بالحجاب
كأنّ سيوفـه بين العوالي جداول يطّـرِدْنَ خلال غـاب

وقال في معناه [من الطويل] :

كأن سيوف الهنـد بين رماحه جداول في غاب سمـا فتأشّبا [2]

وقال في معناه [من الكامل] :

أُسـدٌ لهـا من بيضهـا وسمرها جـداولٌ مُطّـرداتٌ وأَجَمْ

وقال في وصف شعره [من الوافر] :

إليك زففتهـا عـذراء تأوي حجاب القلب لا حجب القبابِ [3]
أذبـت لصوغهـا ذهـب القوافي فأدَّتْ رونـق الذهـب المذاب

وقال في معناه [من الوافر] :

وخذهـا كالتهـاب الحلـى تغني عن المصبـاح في الليل التهابا

---

(١) السبج : الخرز .
(٢) تأشّب : اختلط واجتمع .
(٣) زففت : قدّمت وزينت وحجـاب القلب : غلافه ، والقباب : أي البيوت التـي تكون للسلاطين .

مشعشعةً كأنّ الطبع أجرى   على صفحاتها الذهب المذابا

* * *

وعلى ذكر الشعر فإني كاسر عليه فصلاً ، لفرط استحساني جودة وصفه له ، وموافقته الموصوف :

قال في وصف شعره من قصيدة [من الوافر] :

وما زالت رياح الشعر شتى   فمن ريّا الهبوب ومن سمومِ[1]
تحيّي الصاحب الطلق المحيّا   وتعلن شتم ذي الوجه الشتيم[2]
منحتك من محاسنها ربيعاً   مقيم الزهر سيّار النسيم

وقال من أخرى [من الكامل] :

قل للعدو إليك عن ذي عدة   ما ثار إلا نال أبعد ثأره
صلّ القريض إذا ارتوت أنيابه   من سمّه قطرت على أشعاره[3]
لو أنه جارى عتيقيّ طيء   في الحلبتين تبرقعا بغباره[4]

وقال من أخرى [من الكامل] :

شغلَتْكَ عن حسن السماع مدائحٌ   حسنت فما تنفكّ تطرب سامعا
طلعت عليك أبا الفوارس أنجمٌ   منهنّ يخجلن النجوم طوالعا
زهرٌ إذا صافحن سمع معاند   خفض الكلام وغضّ طرفاً خاشعا
جاءتك مثل بدائع الوشي الذي   ما زال في صنعاء يتعب صانعا
أو كالربيع يريك أخضر ناضراً   وموردّاً شرقاً وأصفر فاقعا[5]

---

(١) ريّا الهبوب : أي الرياح المنعشة الباردة والسموم : الرياح الحارة اللافحة .
(٢) الشتيم : الكريه الوجه .
(٣) الصلّ : الحيّة .
(٤) يريد بعتيقي طيء أبا تمام والبحتري .
(٥) الفاقع : الخالص الصافي من الألوان .

وقال من أخرى [من الطويل] :

وكم مدحة غبٍّ النوال تبسمت ... كما ابتسم النوّار غبَّ حَياً أروى
وما ضرّ عقداً من ثناءٍ نظمته ... وفصّلته أن لا يعيش له الأعشى[1]

وقال من أخرى [من البسيط] :

جاءتك كالعقد لا تزري بناظمها ... حسناً وتزري بما قالوا وما نظموا
والشعر كالروض ذا ظامٍ وذا خضلٌ ... وكالصوارم ذا نابٍ وذا خذم[2]
أو كالعرانين هذا حظّه خنس ... مزرٍ عليه وهذا حظه شمم[3]

وقال [من المتقارب] :

وفكر خواطره ألبست ... علاك من الحمد ثوباً خطيرا
محاسن لو علقت بالقتير ... لحسّن عند الحسان القتيرا[4]
إذا ما جفت خلع المادحين ... عليهنّ رقّت فكانت حريرا

وقال [من المنسرح] :

وخلعةٍ من ثناي دبّجها الـ ... ـفكر ففاقت بحسّها البدعا
وقرّب الحذق لفظها فغدا ... من قربها مطمعاً وممتنعا

وقال [من البسيط] :

سأبعث الحمد موشياً سبائبه ... إلى الأمير صريحاً غير مؤتشب[5]
إن المدائح لا تهدى لناقدها ... ألا وألفاظها أصفى من الذهب

---

(١) الأعشى : ميمون بن قيس أحد شعراء الخمرة المشهورين .
(٢) الظامىء : العطش ، والخضل : المرتوي والنابي : الذي لا يقطع .
(٣) العرنين : الأنف ، والخنس : تأخر الأنف عن الوجه ، والشمم : ارتفاع الأرنبة .
(٤) القتير : الشيب .
(٥) السبائب : جمع سبيبة ، وهي الشقة الرقيقة من القماش ، والصريح : الخالص والمؤتشب : المختلط .

كم رضْت بالفكر فيها روضة أنفاً | تفتّح الزهرُ عن جنى الأدب
لفظٌ يروح له الريحان مطّرحا | إذا جعلناه ريحاناً على النجب[1]

وقال [من الطويل] :

أتتك يجول ماء الطبع فيها | مجال الماء في السيف الصقيل
قوافٍ إن ثنتْ للمرء عِطفاً | ثنى الأعطاف في برد جميل

وقال [من الطويل] :

شرقت بماء الطبع حتى خلتها | شرقت لرونقها بتبر ذائب
ويقول سامعها إذا ما أنشدت | أعقود حمد أم عقود كواكب

وقال [من الكامل] :

والبس غرائب مدحةٍ دبّجتها | فكأنما دبّجت منها مطرفا[2]
من كلِّ بيتٍ لو تجسّم لفظه | لرأيته وشياً عليك مفوّفا[3]

وقال [من الكامل] :

ألفاظه كالدرّ في أصدافه | لا بل يزيد عليه في لألائهِ
من كلّ رائقة الجمال كأنها | جاد الشباب لها بريقة مائه

وقال [من الكامل] :

والشعر بحرٌ نلت أنفس درّهِ | وتنافس الشعراء في حصبائهِ

---

(١) النجب : الكرام السادة .
(٢) المطرف : رداء من حرير ذو أعلام .
(٣) التفويف : التزيين .

وقال [من الكامل] :

وغرائبٍ مثل السيوف إضاءةً ... وجدت من الفكر الدقاق صياقلا[1]
فلو استعار الشيب بعض جمالها ... أضحى إلى البيض الحسان وسائلا
جاءتك بين رصينه ودقيقه ... تهدي إليك مطارفاً وغلائلا

* * *

ما أخرج من غرره في الخالديين وغيرهما ممن ادعى شعره

قال يتظلم من الخالديين والتلعفري إلى سلامة بن فهد [من الطويل] :

هل الصبر مجدٍ حين أدّرع الصبرا ... وهل ناصر للشعر يوسعه نصرا
تَحَيَّفَ شعري يا ابن فهد مصالت ... عليه فقد أعدمت منه وقد أثرى[2]
وفي كلّ يوم للغبيين غارةٌ ... تروّع ألفاظي المحجّلة الغرّا[3]
إذا عنّ لي معنى يضاحك لفظه ... كما ضاحك النّوار في روضه الغدرا
غريب كشطر البرق لما تبسّمت ... مخائله للفكر أودعته سطرا
فوجه من الفتيان يمسح وجهه ... وصدر من الأقوام يسكنه الصدرا
تناوله مثرٍ من الجهل معدمٌ ... من الحلم معذورٌ متى خلع العذرا
فبعد ما قرّبت منه غباوة ... وأوزر ما سهلت من لفظه وعرا
فمهلاً أبا عثمان مهلاً فإنّما ... يغار على الأشعار من عشق الشعرا
لأطفأتما تلك النجوم بأسرها ... ودنّستما تلك المطارف والأزْرا
فويحكما هلاّ بشطرٍ قنعتما ... وأبقيتما لي من محاسنه شطرا[4]

---

(١) الغرائب : القصائد ، والصياقل : جمع صيقل ، وهو الذي يصنع السيوف ويصقلها .
(٢) تحيّف : اغتصب ، والمصالت : السارق .
(٣) المحجّلة : البيضاء ، والغراء : البيضاء الناصعة .
(٤) الشطر : القسم والنصيب .

وقال من قصيدة مدح بها أبا البركات لطف الله بن ناصر الدولة يتظلم إليه من الخالديين ، وقد ادعيا شعره وشعر غيره ومدحا به المهلبي وغيره [من البسيط] :

يا أكرم الناس إلا أن يعدّ أباً ... فات الكرام بآباءٍ وآثار
أشكو إليك حليفَيْ غارةٍ شهرا ... سيف الشِّقاق على ديباج أفكاري
ذئبيْن لو ظفرا بالشعر في حرمٍ ... لمزّقاه بأنيابٍ وأظفار
سلاّ عليه سيوف البغي مصلتةً ... في جحفلٍ من صنيع الظلم جرّار
وأرخصاه فقلْ في العطر ممتهناً ... لديهما يشتري من غير عطار
لطائم المسك والكافور فائحةٌ ... منه ومنتخب الهنديِّ والغار[1]
وكل مسفرة الألفاظ تحسبها ... صفيحة بين إشراق وإسفار
أرّقت ماء شبابي في محاسنها ... حتى ترقرق فيها ماؤها الجاري
كأنّها نفس الريحان يمزجه ... صبا الأصائل من أنفاس نوّار
إن قلّداك بدرٍّ فهو من لججي ... أو ختّماك بياقوتٍ فأحجاري[2]
باعا عرائس شعري بالعراق فلا ... تبعد سباياه من عون وأبكار[3]
مجهولة القدر مظلومٌ عقائلها ... مقسومةٌ بين جهّالٍ وأغمار[4]
ما كان ضرهما والدرّ ذو خطرٍ ... لو حلّياه ملوكاً ذات أخطار
وما رأى الناس سبياً مثل سبيهما ... بيعت نفيسته ظلماً بدينار
والله ما مدحا حياً ولا رثيا ... ميْتاً ولا افتخرا إلا بأشعاري
هذا وعندي من لفظ أشعشعه ... سلافةٌ ذات أضواءٍ وأنوار
كريمةٌ ليس من كرمٍ ولا التمتْ ... عروسها بخمارٍ عند خمّار
تنشا خلال شغاف القلب إن نشأت ... ذات الحباب خلال الطين والقار[5]

---

(١) اللطيمة : وعاء المسك .

(٢) اللجج : القاع من البحر .

(٣) العون : المرأة ، والبكر : العذراء .

(٤) الغمر : الطيش .

(٥) القار : القطران .

لم يبـق لي من قريض كان لي وزرا على الشدائـد إلا ثقـل أوزاري[١]
أراه قد هتـكت أستـار حرمتهِ وسائـر الشعـر مستـور بأستار
كأنـه جنـة راحـت حدائقُها من الغبيّن في نـارٍ وإعصار[٢]
عارٍ من النسـب الوضّـاح منتسبٌ في الخالـديين بين العـرّ والعار[٣]

وقال من قصيدة في أبي تغلب ذكر فيها أحد الخالديين [من الطويل] :

ولا بد أن أشـكو إليك ظلامة وغـارة مغـوار سجيّتـه الغصبُ
يخيل شعـري أنـه قوم صالح هلاكاً وأن الخالـدي له سقب[٤]
رعـى بين أعطـانٍ له ومسارحٍ فلم ترع فيهـنّ العشـار ولا النجب[٥]
وكان ريـاضـاً غضّـةً فتكدّرت مواردهـا واصفـرّ في تربهـا العشب
يساق إلـى الهجـن المقـارف حليه وتسلبـه الغـرّ المحجّلـة القبُّ[٦]
غصبـت علـى ديباجـه وعقـوده فديباجـه غصـبٌ كمـا رُوِّع السِّرب
وكنـت إذا ما قلـت شعـراً حدت به حداة المطـايا أو تغنّـى به الشَّرب

وقال في الخالدي الأصغر وقد ادعى كثيراً من شعره [من السريع] :

لا بد من نفثـة مصدور فحـاذروا صـولـة مخـدور
قـد أنسـت العالـم غاراته في الشعـر غارات المغاويـر
أثكلنـي غيد قواف غدت أبهـى مـن الغيد المعاطير

---

(١) الوزر : الملجأ والمعين .
(٢) الإعصار : ريحٌ شديدة تصحب بنارٍ أحياناً .
(٣) العرّ : العيب ، والشرّ .
(٤) السقب : ولد الناقة .
(٥) العطن : مبيت الإبل ، والعشار : النوق التي مضى على حملها عشرة أشهر والنجب : الجمال الأصيلة .
(٦) الهجن : النوق ، والمقارف : الحمر والقبّ : الفحل ، وسيد القوم .

أطيب ريحـاً من نسيم الصبا جاءت بريّا الـورد من جور[1]
مـن بعـد ما فتحـت أنوارها فابتسمـت مثـل الأزاهيـر
وبـات فكري تعبـاً بينهـا ينقشـهـا نقش الدنانيـر
يا وارث الأغفـال ما حبروا مـن القـوافـي والمشاهيـر[2]
أعـط « قفـا نبـك » أمانـاً فقد راحـت بقلـب منـك مذعور

وقال من قصيدة خاطب فيها أبا الخطاب المفضل بن ثابت الضبي وقد سمع أن الخالديين يريدان الرجوع إلى بغداد ، وذلك في أيام المهلبي الـوزير [من الكامل] :

بكَرَتْ عليك مغيرة الأعراب فاحفـظ ثيابـك يا أبـا الخطابِ
ورد العـراق ربيعـة بن مُكَدَّمٍ وعتيبـة بن الحـارث بن شهاب
أفعندنـا شكٌّ بأنّهمـا هما في الفتـك لا في صحـة الأنساب
جلبـا إليك الشعـر من أوطانه جلـب التِّجـار طرائفَ الأجلاب
فبدائـع الشعـراء فيمـا جهزا مقـرونـة بغـرائـب الكتـاب
شنَّـا علـى الآداب أقبـح غارةٍ جرحَـتْ قلـوبَ محاسـن الآداب
فحـذارِ من حركات صِلَّـيْ قفرة وحـذار من حركات ليثَـيْ غاب[3]
لا يسلبـان أخـا الثـراء وإنما يتنـاهبـان نتـائج الألبـاب[4]
إن عزّ موجـود الـكلام عليهما فأنـا الـذي وقف الـكلام ببابي
أو يهبطـا من ذلـة فأنـا الذي ضربـت على الشّرف المطـل قبابي
كم حاولا أمـدي فطـال عليهما أن يدركا إلاّ مثـار ترابي[5]

(١) جور : مدينة فيروز أباد ينسب إليها الورد .
(٢) الأغفال : جمع غفل ، وهو الشاعر المجهول .
(٣) الصل : الأفعى .
(٤) نتائج الألباب : أي ما ينتجه الفكر من أدب وغيره .
(٥) أمدي : مجالي .

عجـزاً ولن تقف العبيد إذا جرت ... يوم الرهـان مواقف الأرباب
ولقـد حميت الشعـر وهـو لمعشر ... ذمٌّ سوى الأسمـاء والألقاب
وضربـت عنـه المـدَّعين وإنما ... عن حوزة الآداب كان ضرابي
فغـدت نبيط الخالـدية تدعي ... شعـري وترفـل في حبير ثيابي[1]
قوم إذا قصـدوا الملـوك لمطلبٍ ... نقضـت عمائمهـم علـى الأبواب
من كل كهـلٍ تستـطير سباله ... لونين بين انـامـل البواب[2]
مُغْضٍ علـى ذلّ الحجـابِ يردُّه ... دامـي الجبين تجهّـم الحجاب
ومُفَـوَّهَيْن تعـرّضـا لحرابتي ... فتعرّضـت لهمـا صدورُ حرابي[3]
نظـرا إلـى شعـرٍ يروق فتربّا ... منـه خدود كواعـبٍ أتراب[4]
شربـاه فاعترفـا لـه بعذوبة ... ولَـرُبَّ عذبٍ عاد سوطَ عذاب
في غارة لم تنثلـم فيهـا الظبا ... ضربـا ولـم تنـدُ القنـا بخضاب
تركت غرائـب منطقـي في غربة ... مسـبيّةٍ لا تهتـدي لإيـاب
جرحـي ومـا ضربـتْ بحـدٍّ مهنّد ... أسـرى ومـا حملـت على الأقتاب[5]
لفـظ صقلـت متـونـه فكأنه ... في مشرقـات النظـم درُّ سحاب
وكأنمـا أجـريت في صفحاته ... حرّ اللجين وخـالص الزرياب[6]
أغربـت فـي تحبيره فرواتـه ... في نزهـة منـه وفـي استغراب
وقطعـت فيه شبيبـة لم تشتغل ... عن حسنـه بصبـاً ولا بتصابي
وإذا ترقـرق في الصحيفـة ماؤه ... عبـق النسيم فذاك ماء شبابي
يصغـي اللبيب له فيقسـم لبّـه ... بين التعجّـب منـه والإعجاب

---

(١) نبيط : من النبط أخلاط الناس وعوامّهم .
(٢) السبال : الشنب .
(٣) الحرابة : السّلب .
(٤) تربا : زينّا ، والكواعب : الفتيات النواهد ، والأتراب : الرفيقات من سنٍّ واحد .
(٥) المهنّد : السيف : والأقتاب : جمع قتب وهو المحمل على ظهر البعير .
(٦) الزرياب : الذهب .

جدٌّ يطير شراره وفكاهة تستعطف الأحباب للأحباب

أعزِزْ عليَّ بأن أرى أشلاءه تدمي بظفر للعدو وناب

أفنٌ رماه بغارةٍ مأفونةٍ باعت ظباء الروم في الأعراب

إني أحذّرُ من يقول قصيدة غرّاء خِذْنَيْ غارةٍ ونِهاب

إني نبذت على السواء إليكما فتأهبا للقادح المنتاب(1)

وإذا نبذت إلى امرىءٍ ميثاقه فليستعدَّ لسطوتي وعقابي

وهي طويلة متناسبة في الحسن والعذوبة .

وقال من قصيدة في أبي إسحاق الصابي ، وقد ورد عليه كتاب الخالدّيين بأنهما منحدران إلى بغداد في سرعة [من الخفيف] :

قد أظلّتْكَ يا أبا إسحاقَ غارة اللفظ والمعاني الدقاقِ

فاتخذ معقلاً لشعرك تحميه مروق الخوارج المرّاق(2)

قبل رقراقه الحديد تريق السمّ في صفو مائه الرّقراق

كان شنّ الغارات في البلد القفر فأضحى على سرير العراق

غارة لم تكن بسمر العوالي حين شنّت ولا السيوف الرّقاق

جال فرسانها عليَّ جلوساً لا أقلتهم ظهور العتاق

فجعت أنفس الملوك أبا الهيجاء حربا بأنفس الأعلاق

يعني أبا الهيجاء حرب بن سعيد أخا أبي فراس الحمداني .

بقوافٍ مثلِ الرياض تمشّتْ بين أنوارها جيادُ السواقي

بدعٌ كالسيوف أرْهفْنَ حسناً وسقاهنَّ رونقَ الطبع ساقي

مشرقاتٌ تريك لفظاً ومعنىً حمرة الحلْيِ في بياض التراقي(3)

---

(1) نبذت : أرسلت ، والمنتاب : القاصد .

(2) المروق : الخروج عن الدين وعدم مراعاة أحكامه .

(3) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .

يا لهـا غارةً تفـرق في الحو مة بيـن الحمـام والأطـواق
تسـم الفـارس السـميدع بالعا ر وبعـض الإقـدام عارٌ باقي[1]
لـو رأيت القـريض يرعـد منها بيـن ذاك الإرعـاد والإبراق
وقلـوب الـكلام تخفـق رعباً تحـت ثنـي لوائها الخفّاق
وسيـوف الظـلام تفتـك فيها بعـذارى الـطروس والأوراق
والوجـوه الـرقـاق دامية الأبـ شار في معـرك الوجـوه الصفّاق
لتنفسـت رحمـة للخـدود الـ ـسمـر منهـن والقـدود الرّشاق
والـريـاض التـي ألـحّ عليها كاذب الـودق صادق الإحراق[2]
والنجـوم التـي تظـل نجـوم الـ أرض حسّـادها علـى الإشـراق
بعدمـا لحّـن في سمـاء المعالي طُلّعـاً وانتشـرن في الآفاق
وتخيّـرت حليهـن فلـم تعـ ـد خيـار النحـور والأعنـاق
وقـلعت الشبـاب فيه إلـى أن همّ بـرد الشبـاب بالإخـلاق[3]
فهـو مثـل المـدام بين صفاء وبهـاء ونفحـة ومـذاق
منطـق يخجـل الـربيع إذا حـــــلّ عليه السحـاب عقـد النطاق
يا هلال الآداب يا ابـن هلال صرف الله عنـك صرف المحاق
سـوف أهـدي إليك من خدم الـــــمجـد إماءً تعـاف قبـح الإباق[4]
كلّ مطبوعـة علـى اسمـك بادٍ وسمُهـا في الجبـاه والآماق

* * *

(١) السّميدع : الشجاع .

(٢) الودق : المطر .

(٣) الإخلاق : يقال ثوب خلق : أي رثٌّ بالٍ .

(٤) الإباق : الهروب .

غرر من أهاجيه للشعراء

قال من قصيدة هجا بها أبا العباس النامي ، ويحكي أنه كان جزاراً بالمدينة [من الوافر] :

أرى الجزّار هيّجني وولّى — فكاشفني وأسرع في انكشافي
ورقّع شعره بعيون شعري — فشاب الشّهد بالسّم الذعاف[1]
لقد شقيت بمديتك الأضاحي — كما شقيت بغارتك القوافي
توعر نهجها بك وهو سهل — وكدّر وردها بك وهو صافي
فتكت بها مثقفة النواحي — على فكرٍ أشد من الثّقاف
لها أرجُ السوالف حين تجلى — على الأسماع أو أرج السّلاف
جمعن الحسنيين فمن رياح — معنبرة وأرواح خفاف
وما عدمت مغيراً منك يرمي — رقيق طباعها بطباع جافي
معانٍ تستعار من الدياجي — وألفاظٌ تقدُّ من الأثافي[2]
كأنّك قاطفٌ منها ثماراً — سبقت إليه إبّان القطاف
وشرّ الشعر ما أدّاه فكرٌ — تعثّر بين كدٍّ واعتساف[3]
سأشفي الشعر منك بنظم شعرٍ — تبيت له على مثل الأثافي
وأبعد بالمودة عنك جهدي — فقفْ لي بالمودة خلف قاف

وقال يعرض بالتلعفري المؤدب [من الطويل] :

ينافسني في الشعر والشعر كاسدٌ — حسودٌ كبا عن غايتي ومعاندُ
وكلُّ غبيٍّ لو يباشر برده — لظى النار أضحى حرّها وهو بارد

---

(١) الذعاف : القاتل المميت .
(٢) الأثافي : حجارة توضع عليها القدور « الموقد » .
(٣) الاعتساف : المشقة .

أفيقـوا فلن يعطـى القـريض معلم   وهــل يتولـى الأغبيـاءَ عطـارد
ولا تمنحــوا منــه الــكرام قلائداً   فليس من الحصبـاء تهـدى القلائد [1]

وقال من قصيدة في أبي الحسن الشمشاطي [من الكامل] :

قد كانــت الــدنيا عليك فسيحةً   فاليوم أضحــت وهــي سَمُّ خياطِ [2]
أسخطتنــي وجنــاة عيشــك حلوةٌ   فجنيت مرَّ العيش من إسخاطي
وعلمــت إذ كلفــت نفســك غايتي   أنّ الــرياح بعيدة الأشــواط
أترومنــي وعلــى السّمــاك محلّتي   شرفــاً وبين الفرقــديْن صراطي
من بعــد ما رفــع الأكابــر مجلسي   فجلســت بيــن مؤمّــلٍ وسمــاط
وغــدت صوارم منطقــي مشهورة   بين العــراق تهــزّ والفسطـاط
وقــد امتحنــت دعــاويا لك بينت   عن بحــر تمــويهٍ بعيد الشاطي
فرأيت علمــك من خراً وخراطةٍ   ووجــدت شعــرك من فســا وضراط

وقال من أرجوزة في الخالدي [من الرجز] :

بؤســاً لعــرس الخالــدي بوسـا   أكلَّ يــوم تغتــدي عروسا
خلتــه واعتــاضت فتــى نفيساً   وفارقــت مــن نتنــه ناووسـا
فصادفــت ربــع هوى مأنوساً   وبدّلــت مــن رخــمٍ طاوسا [3]
وكيف تهــوى وجهــه العبوسا   وهــي ترى الأقمـار والشموسا

* * *

هذه ملح مما قاله في ابن العصب الملحي الشاعر

وكان شيخاً يتصابب ، ويتعصب للخالديين على السـري ، وكان السـري

---

(١) القلائد : جمع قلادة وهي العقد الذي يوضع في العنق ، والحصباء : الحصى .
(٢) سمّ خياط : أي ضيقه كفتحة الإبرة .
(٣) الرخم : طائرٌ من الجوارح يشبه النسر كثير الريش .

يهجوه جاداً وهازلاً ، وينسبه إلى القيادة ، ويذكر كثيراً مشاهدة أهل الريب في منزله ، ولا يبقى ولا يذر في التولع به ، فمن ملحه فيه قوله من قصيدة [من الطويل] :

ومن عجبٍ أن الغبيبْن أبرقا ... مغيريْن في أقطار شعري وأرعدا
فقد نقلاه عن بياض مناسبي ... إلى نسبٍ في الخالدية أسودا
وإن علياً بائع الملح بالنوى ... تجرّد لي بالسبّ فيمن تجردا
وعندي له لو كان كفواً قوارصي ... قوارص ينشرن الدلاص المسرّدا[1]
ومغموسةٍ في الشَّرْي والأرْي هذه ... ليردي بها باغٍ وتلك لترتدي[2]
لك الويل إن أطلعت بيض سيوفها ... وأطلقتها خزر النواظر شرَّدا[3]
ولست لجدِّ القول أهلاً وإنّما ... أطير سهام الهزل مثنى وموحدا
نصبتَ لفتيان البطالة قبَّةً ... ليدخلها الفتيان كهلا وأمردا
وكان طريق القصف وعراً عليهم ... فسهّلته حتى رأوْه معبَّدا
وكم لذةٍ لا منَّ فيها ولا أذى ... هديت لها خدن الضلالة فاهتدى
قصدتهمُ وزناً فساويت بينهم ... ولم تأخذ السهم الحديد ليقصدا
وجئتهمُ قبل ارتداد جفونهم ... بمائدةٍ تكسي الشرائح والمدى
ومبيضَّةٍ ممّا قراه محمدٌ ... أبوك لكي تبيض عرضاً وتحمدا
نثرت عليها البقل غضّاً كأنّما ... نثرت على حرّ اللّجيْن الزبرجدا
ومصبوغةٍ بالزعفران عريضة ... كأنّ على أعطافها منه مُجسدا
تريك وقد غطّت بياضاً بصفرة ... مثالاً من الكافور ألبس عسجدا[4]
فحفَّ بها منهم كهولٌ وفتيةٌ ... كأنّهم عقدٌ يحفّ مقلّدا

---

(١) الدلاص : الدروع . . والمسرّد : المنسوج المصنّع .
(٢) الشري والأري : الشري : الحنضل ، والأري : الشهد .
(٣) خزر النواظر : أي العيون التي فيها ضيق .
(٤) العسجد : الذهب والجوهر .

فلا نظر الداعي إلى الزاد كفّهم ... ولا خجلة المدعو ردّت لهم يدا

وملت بهم من غير فضلٍ عليهمُ ... إلى الورد غضاً والشراب مورَّدا

مناهدة إن فات مثلك طيبها ... تنفس مجروح الحشا أو تنهّدا

معدّاً لهم في كل يوم مجدّدٍ ... من الراح والريحان عيشا مجدَّدا

إذا وصلوا أضحى الخوان مدبّجا ... وإن هجروا أضحى سليباً مجردا[1]

وإن شرعوا في لذّةٍ كنت بيعةً ... وإن طمعوا في مرفق كنت مسجدا

لك القبّة العلياء أوضحْت نهجها ... وأطلعت منها للفتوّة فرقدا

يصادف منها الزور عيشاً مبرّداً ... وباطيةً ملأى وظبياً مغرِّدا[2]

وقد فضلت شمّ القباب لأنّني ... نصبت عليها بالقصائد مطْردا[3]

وقوله فيه [من الطويل] :

طوى ودّه الملحيّ عني فانطوى ... وقد كان لي خلاَّفاً فأعرض والتوى

دعاني فغاداني بإنشاد شعره ... ولولا انصرافي عنه متّ من الطوى[4]

وقال أتاك الحلْي قلت ممازحاً ... أتاك النوى يا بائع الملح بالنوى

وناولني مسْودَّةً لو قرنتها ... إلى القار كانا في سوادهما سوا

وقال أرى هذا الشراب لصفوه ... ورقته كالنجم قلت إذا هوى

وفضّل في الشعر امرأً غير فاضلٍ ... فقلت له أمسكْ نطقت عن الهوى

ولو أنني أحمي الثقاف لمثله ... وأعمل فيه الغمز لانصان واستوى[5]

---

(١) الخوان : ما يوضع عليه الطعام وقت الأكل .

(٢) الباطية : الإناء .

(٣) المطرد : من الطرد ، وهو الابعاد .

(٤) الطوى : الجوع .

(٥) الثقاف : بكسر الثاء ، ما تسوّى به الرمّاح .

وقوله فيه [من الوافر] :

سـل الملحـيَّ كيف رأى عقابي وكيف وقـد أثـاب رأي ثوابي[1]
سقانـي الهاشمـي فسـلْ ضغني وأغمـد عنـه تأنيبـي ونابي

أراه عني ابن سكرة الهاشمي فإنه كان صديق الملحي ، ولهذا قال :

* سقاني الهاشمي فسل ضغني * الخ

وقـال أخـو المـودة والتصافي وعـون أخـي الصبابـة والتصابي
وشيخٍ طاب أخلاقـاً فأضحى أحـبَّ إلـي الشبـاب من الشباب
لـه قفصٌ إذا اسـتخفيت فيه أمنْـت فلـم تنلك يد الطلاب
طـرقناه وقنـديـل الثريا يحـطُّ وفـارس الظلمـاء كابـي
فرحَّـبَ واستمـال وقـال حطَّتْ ركابـكُمُ بأفنيـةٍ رحـاب
وحضَّ علـى المناهـدة الندامى بألفـاظ مهـذَّبـة عـذاب
وقـال تيممـوا الأبـواب منها فكلٌّ جاء مـن تلقـاء باب
فهـذا قال قدر من طعام وهـذا قال دنٌّ من شراب
وهـذا قال ريحـانٌ ونقلٌ وثلـجٌ مثـل رقـراق السراب[2]
وسمـح القـوم من سمحـت يداه بخـدر غريرةٍ بكرٍ كَعاب[3]
فتـمَّ لهـم بذلك لهـو يوم غريب الحسـن عذب مستطاب
إذا العـبء الثقيل توزَّعَتْه أكفُّ القـوم خفَّ علـى الرقاب

وقوله فيه [من الرجز] :

أقـررْتَ يا ابـن العصـب العيونا ورحْـتَ حبـلاً للخنـا متيناً[4]

---

(١) أثاب : استيقظ .
(٢) النقل : ما يؤكل مع الشراب من فستقٍ وفواكه وغيرهما .
(٣) سمح القوم : جوادهم وكريمهم .
(٤) ابن العصب : ابن الزنا وابن الجماعة والخنا : الفحش .

علّمت قوماً كيف يقصفونا فاطَّرَحوا الحشمة مسرعينا
ودخلوا القبة آمنينا فأكلوا يومهُمُ سمينا
ولم يكن سرورهم ممنونا يا من يرى نزف الدنان دينا
ومن يداري العيش كي يلينا ما العيش إلا للمناهدينا[1]
مؤونةٌ قضت على عشرينا ولو تفرَّدنا بها خرينا

وقوله فيه من قصيدة [من البسيط] :

ملنا إلى غرفة الملحيٍّ إنَّ بها ظبياً من الإنس مبذول الخلاخيل
نزوره وبقايا الليل تسترنا فنهتدي لخليعٍ منه ضِلِّيل
يرضى النديم ويرضى عن مروءته إذا أتاه بمشروب ومأكول
وإن رآه رقيق الوجه قال أرقْ كأس الحياء بضمٍّ أو بتقبيل
فزدت إذ زرته قنديل بيعته فالزيت ينشر أضواء القناديل

وقوله من أخرى [من مجزوء الرمل] :

قدْ وهى سترٌ رقيقُ ومضى ودٌّ عليلُ
قَصُرَتْ أيامنا البيـ ـضُ وفي يومك طول
دعوة ينتسب القحـ ـط إليها والمحول
ليس إلا العطش القا تل والماء الثقيل
مجلسٌ فيه لأربا ب الخنا قالٌ وقيل[2]
وضراط مثل ما انشـ ـقَّ الدبيقيُّ الصقيل[3]
فإذا اختالت خلال الـ ـشرب عذراء شمول

---

(١) المناهدين : المناهضين المخاصمين .
(٢) أرباب الخنا : أصحاب الفحش وقال وقيل : كناية عن القول الكثير .
(٣) الدبيقي : المنسوب إلى دبيق ، بلد بمصر .

لعبت أيدٍ لها أقـ ـفيةُ القوم طبول
لست من شكلك والنا س ضروبٌ وشكول[1]
أنت للحاجة حتى يصدر الورد خليل
فاقطع الرسل فقد أز رى بنا منك الرسول

وقوله فيه [من المنسرح] :

شيخ لنا من شيوخ بغداذ أغذَّ في القصف أيَّ إغذاذِ[2]
رقَّ طباعاً ومنطقاً فغدا وراح في المستشفٍّ كاللاذ[3]
تظنّ تحت الأكفّ هامته إذا علتها طنين فولاذ
قوّاد إخوانه فإن ظمئوا سقاهمُ الراح سقيَ نبّاذ[4]
له على الشط غرفةٌ جمعت كلّ خليعٍ نشا ببغداذ
أعد فيها ابنة الشباك لهم ممكورة الجنب في ابنة الداذي[5]
ولذّةٍ من صباح قطربُّلٍ وجؤذرا من ملاح كلواذ[6]
يقول للزائر الملمّ به أوَصْلُ هذا ألذُّ أم هذي ؟
وشاعر جوهر الكلام له ملك فمن تارك وأخّاذ
وخير ما فيه أنّه رجلٌ يخدمني الدهر وهو أستاذي
إذا انتشى أقبلت أنامله تنشر ميتاً خلال أفخاذي[7]

وقوله فيه ، وكان دعاه في يوم حار إلى غرفة له حارة على الشط ، فأطعمه هريسة

(١) ضروبٌ وشكول : أي أشكالٌ وألوان .
(٢) أغذّ : أسرع وأمعن .
(٣) اللاذ : حرير أحمر صيني .
(٤) قوّاد : أي من يقودهم إلى الضلالة والراح الخمر .
(٥) ابنة الشباك : أي التي تصيدهم وممكورة : مصبوغة ، أو مسقيّة والراذي : شراب الفسّاق .
(٦) كلواذ : قرية أسفل بغداد .
(٧) تنشر : تحيي وتبعث .

وسقاه نبيذ الدبس وماء بئر يعرف بكرخايا[1] [من الطويل] :

أرى الشاعر الملحيَّ راح بنا صبّا ... نباغضه عمداً ويوسعنا حبّا
دعانا ليستوفي الثناء فأظلمتْ ... خلائق يستوفي لصاحبها السَّبا
تيمّم كرخايا فجاد قليبها ... عليه وما شرب القليب لنا شربا[2]
وأحضرنا محبوسة طول ليلها ... معذَّبة بالنار مُسْعرة كربا
تخيَّر من رطب الذؤابة لحمها ... ومن يابس الحبِّ النقيِّ لها حبا
وساهرها ليلاً يضيِّق سجنها ... فلما أضاء الصبح أوسعها ضربا
إذا مسحتْها الريح راحت كأنها ... تمسَّح موتي كشّفت عنهم التربا
وداذيّة تنهي الصباح إذا بدا ... وتفسد أنفاس النسيم إذا هبّا[3]
شراب يغضّ الظرف عنه وعمره ... ثلاثة أيامٍ وقد شبَّ لا شبا
يحدّ بأطراف النهار وما افترى ... ولا كان خدناً للجناة ولا تربا[4]
فلما تراءت للجميع إزاءنا ... عجبت لمضروبيْن ما جَنَيَا ذنبا

وقوله فيه [من الخفيف] :

أربعاءٌ حسامه مشهور ... حين يأتي وشره محذورُ
نتوقّاه أول الشهر إن دا ... ر ونخشاه آخراً لا يدور
فاغدُ سراً بنا إلى قفص المل ... حيِّ فالعيش فيه غضٌّ نضير
نتوارى من الحوادث والدهـ ... ـر خبير بمن توارى بصير
مجلسٌ في فناء دجلة يرتا ... ح إليه الخليع والمستور
طائرٌ في الهواء فالبرق يسري ... دون أعلاه والحمام يطير

(١) كرخايا : مسيل يفيض الماء من عمودٍ على نهر عيسى ببغداد .
(٢) القليب : البئر .
(٣) الداذية : شراب الفسّاق .
(٤) الخدن : الصاحب . والترب : الرفيق من سنٍّ واحد .

وإذا الغيم سار أسبل منه كللٌ دون خدره وستور
وإذا غارت الكواكب صبحاً فهو الكوكب الذي لا يغور
ليس فيه إلا خمار وخمر وممات من نشوة ونشور
وحديث كأنه زَهَرُ المنـ ـثور حسناً أو لؤلؤٌ منثور
وجريحٌ من الدنان تسيل الـ راح من جرحه وقِدْرٌ تفور
ولك الظبية الغريرة إن شئـ ـت وإن عفْتَها فظَبيٌ غرير
فتمتَّعْ بما تشاء نهاراً ثم بتْ مُعْرِساً وأنت أمير[1]
كل هذا بدرهمين فإن زد ت فأنت المبجَّلُ المحبور[2]

وقوله فيه من قصيدة [من الطويل] :

شققت قذال الخالديِّ بمنطقٍ يشقُّ من الأعداء كل قذالِ[3]
وناضلني الملحيُّ عنه فأصبحت جوارحه مجروحةٌ بنبال
وقد كان يُخلي بيته لمآربي إذا زار إلفٌ أو حبا بوصال
على أنه يكريه يوماً بخمسة موجّهة بيض الوجوه ثقال[4]
تحلّت بذكر الله من كلّ جانب فهنَّ بذكر الله خير حوالي
يبيح بها الملحي طوراً قذاله وطوراً حريمي منزلٍ وعيال
فإن شئت أن تحظى بوصل غزالةٍ مهفهفة الكشحيْن أو بغزال[5]
فقدِّمْ له الجدي الرضيع وثنِّهِ بعذراءَ من ماء الكروم زلال
ولا تلْقهُ إلاّ بخير وسيلةٍ يلوح على وجهيه خير مقال

---

(١) المعرس : أي صاحب عرس .
(٢) المحبور : المسرور ، والمبجّل : المعظّم .
(٣) القذال : القفا ، مكان الصفع .
(٤) يكريه : يؤجّره .
(٥) الكشح : ما بين الخاصرة والسرّة ووسط الظهر من الجسم .

ببازٍ إذا أرسلته صاد كلّ ما تروم به أو نال كل منال

وقوله فيه من أخرى ووصف دعوة دعاه فيها [من الهزج] :

على ابن العصب الملحيٍّ يثني اليوم من أثنى
على الجلْد وإن صاد ف في عظمه وهنا
ضحينا عنده يوماً شديدَ الحرِّ فالتحنا
ولم يحو به الأجر ولم نعدم به المنّا
جياعاً نصف الزيتو ن لو أمكن والجبنا
ونطري السمك البنيّ والجردق والبنّا[1]
وكنا ننثر الدرّ من اللفظ فخلّطنا
فلو طارت بنا ضعفاً صبا لاعبةٍ طرنا
ولو أنا دعونا اللـ ـه في دعوته فزنا
إلى أن كبَّرَ العصرَ وهلَّلنا فكبرنا
ونشٌ السمكَ المقلوٌّ بالقرب فسبّحنا
وقلنا هذه الرحمة جاءت فأظلَّتْنا
وظَلْنا إذ رأينا الخبز ندنو قبل نُستدنى
إلى مائدةٍ حُفَّتْ بها أرغفةٌ متنى
عليها البقل لا نلحقه بالخلٍّ أو يفنى
ومنسوبٌ إلى دجلة ما زال لها خدنا
جرى في مائها قبل يجاري ماؤها السفنا
فأضحى لامتداد العمر أعلى صيدها سنّا
طوى أقرانه الدهر فلم تبقِ له قرنا
فلما اكتحلت عيني به أوسعْته لعنا

(١) نطري : من الإطراء ، وهو المدح ، والجردق : نوعٌ من الخبز .

حللنا عقـد الشّوا ء عن جسـم له مضنى
ومـزّقنـا لـه درعـاً يواري أعـظمـاً حجنا[1]
نـردُّ اليـد بالخيبـــة عـن أقربهـا مجنى
فمـا تمٌّ لنـا الإفطا ر بالقـوت ولا صمنـا
وطـاف الشيـخ بالـدنٍّ إلـى أن نزف الدنّـا
فأدنـى كـدر العيش بهـا لا كان ما أدنى
مـدامٌ تجلـب الهـمَّ ولا تطـرده عنّـا
فـلا النفس بهـا سرَّتْ ولا القلـب لهـا حنّا
كأنّ شرابـه مطبـوخٌ علـى راحتـه اليمنـى
وفـاح البخـر القاتـ ـل منـه فتبخَّرْنـا
وقـال اغتنمـوا وصـل فتـاةٍ برعـت حسنـا
فجـاءت تخجـل البـدر وغصـن البـانـة اللّدْنـا[2]
وتصطـاد قلـوب الشَّرْ ب أجفـانٌ لهـا وسنى
فكـدنـا وأبـى الله لنـا والشِّيَمُ الحسنـى[3]
وقمنـا نعـطف الأزر علـى العفَّـة إذ قمنـا
وقلنـا يا لحـاك الله نزنـي بعـد ما شبنا !
فأبـدى الأنس للقوم وأخفـى الحقـد والضّغنا
هـو الشـنُّ ومـا وافـــق منّـا طبـقٌ شنا[4]

---

(١) الحجن : المعـوجـة ، واحدها حجناء .

(٢) اللدن : الطري الناعم .

(٣) خبر كاد محذوف ، والتقدير : فكدنا نفعل ، وله نظائر في العربية منها قول العرب :
من تأنّى نال أو كـاد .

والشيم : الصفات والمزايا .

(٤) الشنّ : الوعاء البالي .

وقوله فيه [من مجزوء الرمل] :

لك يا ابن العصب الملحيّ عرضٌ مستباحُ
وقفاً فيه لأيدي الشرب جِدٌّ ومزاح
هو للصفع قريحٌ وهو للرحب قراح
وقريضٌ مثلما تنطق باللغو الفقاح[1]
لست أدري ألك منه أم سلاح

* * *

غرر من الغزل والنسيب وما يتغنى به من شعر السري

وما أراني أروي أحسن ولا أشرف ولا أعذب ولا ألطف من قوله [من البسيط] :

قسمت قلبيَ بين الهمِّ والكمد ... ومقلتي بين فيض الدمع والسَّهدِ
ورحت في الحسن أشكالاً مقسَّمةً ... بين الهلال وبين الغصن والعقَد
أريتني مطراً ينهلُّ ساكنه ... من الجفون وبرقاً لاح من برد
ووجنة لا يروّى ماؤها ظمئي ... بخلا وقد لذعت نيرانها كبدي
فكيف أبقى على ماء الشئون وما ... أبقى الغرام على صبري ولا جلَدي[2]

ومما يأخذ بمجامع القلوب قوله [من الوافر] :

بلاني الحب منك بما بلاني ... فشأني أن تفيض غروب شاني[3]
أبيت الليل مرتفقاً أناجي ... بصدق الوجه كاذبة الأماني
فتشهد لي على الأرق الثريا ... ويعلم ما أجنّ الفرقدان
إذا دنتِ الخيام به فأهلا ... بذاك الخيم والخيم الدواني
فبين سجوفها أقمار تمٍّ ... وبين عمادها أغصانُ بان

---

(١) الفقاح : جمع فقحة وهي فتحة المؤخّرة .
(٢) الشؤن : مجاري الدمع .
(٣) الغروب : الدلو ، وهو يريد هنا محبس الدمع في العين .

ومُذْهبة الخدود بجلّنار مفضّضة الثغور بأقحوان
سقانا الله من ريّاك ريا وحيّانا بأوجهك الحسان
ستصرف طاعتي عمّن نهاني دموعٌ فيك تلحي من لحاني
ولم أجهل نصيحته ولكن جنون الحبّ أحلى في جناني
فيا ولع العواذل خلٍّ عنّي ويا كفّ الغرام خذي عناني[1]

وقال من قصيدة [من البسيط] :

ومن وراء سجوف الرقم شمس ضحى تجول في جنح ليلٍ مظلمٍ داجي[2]
مقدودةٌ خرطت أيدي الشباب لها حقّين دون مجال العقد من عاج[3]

عهدي بأبي بكر الخوارزمي يحن على هذا الوصف .

وقال من أخرى [من الخفيف] :

لطمت خدّها بحمرٍ لطاف نال منها عذاب بيض عذابِ
فتشكّى العنّاب نوْر الأقاحي واشتكى الورد ناضر العنّاب

وقال [من مجزوء الكامل] :

قامت وخوط البانة الـ ـميّاس في أثوابها
ويهزُّها سكران سكـ ـر شرابها وشبابها
تسعى بصهباوين من ألحاظها وشرابها
فكأنّ كأس مدامها لمّا ارتدت بحبابها[4]
توريد وجنتها إذا ما لاح تحت نقابها

---

(١) العنان : الزمام .
(٢) السجوف : الستائر .
(٣) الحقّ : وعاء الطيب .
(٤) الحباب : ما يعلو الخمر من فقاع .

وقال [من الكامل] :

لبستْ مصندلة الثياب فمن رأى ... صنماً تسربل قبلها أثوابا
وحكتْ من الظبي الغرير ثلاثةً ... جيداً وطرفا فاتراً وإهابا[1]

وقال من قصيدة طويلة [من الطويل] :

إذا برزت كان العفاف حجابها ... وإن سفرت كان الحياء نقابها
حمتنا الليالي بعد ساكنة الحمى ... مشارب يهوى كلّ ظامٍ شرابها
ألاحظها لحظ الطَّريد محله ... وأذكرها ذكر الشيوخ شبابها

* * *

تذكر أيام الصبا ومواطن الهوى

ما أحسن وأظرف قوله من قصيدة [من الكامل] :

أسلاسل البرق الذي لحظ الثرى ... وهناً فوشَّح روضه بسلاسلِ
أذكرتْنا النشوات في ظل الصّبا ... والعيش في سنة الزمان الغافل[2]
أيام أستر صبوتي من كاشحٍ ... عمداً وأسرق لذَّتي من عاذل

وقوله من أخرى [من الوافر] :

تثنّى البرق يذْكرني الثنايا ... على أثناء دجلة والشعابا
وأياماً عهدت بها التصابي ... وأوطاناً صحبت بها الشبابا

وقوله من أخرى [من الكامل] :

ما كان ذاك العيش إلاّ سكرةٌ ... رحلت لذاذتها وحلَّ خمارها

ومن أخرى [من الطويل] :

وكم ليلةٍ شمَّرتْ للراح رائحاً ... وبتُّ لغزلان الصَّريم مغازلا[3]

---

(١) الإهاب : الجلد .
(٢) السنة : النعاس والغفوة .
(٣) الصريم : القطعة من الرمل .

وحلَّيْتُ كأسي والسماء بحليها فما عطّلت حتى بدا الأفق عاطلا

وقوله من قصيدة يتشوق بها الموصل ونواحيها وهو بحلب [من الكامل] :

أمحلّ صبوتنا دعاء مشوق يرتاح منك إلى الهوى الموموقِ
هل أطرقنّ العمر بين عصابة سلكوا إلى اللّذات كلّ طريق
أم هل أرى القصر المنيف معمّماً برداء غيمٍ كالرداء رقيق
وقلا ليَ الدير التي لولا النوى لم أرْمها بقلى ولا بعقوق[1]
محمّرة الجدران ينفح طيبها فكأنها مبنية بخلوق
ومحل خاشعة القلوب تغردوا بالذكر بين فروقه وفروقي
أغشاه بين منافقٍ متجملٍ ومناضلٍ عن كفره زنديق
وأغنّ تحسب جيده إبريقه ما دام يسفح عبرة الإبريق
يتنازعون على الرحيق غرائباً يحسبن زاهره كؤوس رحيق
صدرت عن الأفكار وهي كأنها رقراق صادرةُ عن الراووق[2]
دهرٌ ترفّق بي فواقاً صرفه وسطا عليَّ فكان غير رفيق[3]
فمتى أزور قباب مشرقة الذرى فأورد بين النسر والعيوق
وأرى الصوامع في غوارب أُكْمِها مثل الهوادج في غوارب نوق[4]

ما نظرت إلى الصوامع بقرية بوزن من نيسابور إلا تذكرت هذا البيت واستأنفت التعجب من حسن هذا التشبيه وبراعته وفصاحته .

حمراً تلوح خلالها بيض كما فصّلْتَ بالكافور سمط عقيق[5]

---

(١) قلا : أبغض . والقلى : الكره .
(٢) الراووق : المصفاة ، والكأس .
(٣) الفواق : يقال فوّق السهم أي أراشه أي أن أحداثه كالسهام .
(٤) أكمها : جمع أكمة نهي التلّة العالية .
(٥) السمط : العقد .

كلفٌ تذكّر قبل ناهية النهى ظلَّين ظلّ هوى وظلّ حديق[1]
فتفرّقت عبراته في خدّه إذ لا مجير له من التفريق

* * *

حسن الخروج والتخلص

فمنه قوله من قصيدة في الوزير المهلبي [من الكامل] :

عصر مزجت شمائلي بشموله وظلاله ممزوجةٌ بشماله[2]
حتى حسبت الورد من أشجاره يجني أو الريحان من آصاله
وكأنني لما ارتديت ظلاله جار الوزير المرتدي بظلاله

وقال من أخرى [من الكامل] :

أكْني عن البلد البعيد بغيره وأردُّ عنه عنان قلبٍ مائلِ
وأود لو فعل الحيا بسهوله وحزونه فعل الأمير بآمل

ومن أخرى [من الكامل] :

وركائب يخرجن من غلس الدجى مثل السهام مرقْن منه مروقا
والفجر مصقول الرداء كأنّه جلباب خوْدٍ أشْربتْه خلوقا[3]
أغمامةٌ بالشام شمْنَ بروقها أم شمن من شيم الأمير بروقا[4]

ومن أخرى [من المتقارب] :

وبكر إذا جَنَبَتْها الجنوب حسبْت العشار تؤمُّ العشارا[5]
ترى البرق يبسم سرّاً بها إذا انتحب الرعد فيها جهارا

---

(١) كلف : عاشق .
(٢) الشمائل : الصفات الكريمة والشمول : الخمر .
(٣) الخود : الفتاة الناعمة ، وأشربته خلوقا : أي دمجته بالطيب .
(٤) شمن : ترقبن .
(٥) العشار : النوق .

إذا ما تنمَّر وسميُّها تَعَصْفَرَ بارقُها فاستطارا[1]
يعارضها في الهواء النسيم فينثر في الأرض درّاً صغارا
فطوراً يشقُّ جيوب الحيا وطوراً يسحُّ الدموع الغزارا
كأن الأمير أعار الرّبا شمائله فاشتملن المعارا

* * *

ملح من المدح

قال من قصيدة [من الكامل] :

ظلم التليد وليس من أعدائه وحبا الحسود وليس من أحبابه
فالغيث يخجل أن يلمَّ بأرضه والليث يفرق أن يطيف بغابه

ومن أخرى [من البسيط] :

أقول للمبتغي إدراك سؤدده خفِّضْ عليك أليس النجم مطلوبا
إن تطلب السّلم تسلم من صوارمه أو تؤثر الحرب ترجعْ عنه محروبا[2]
كم من جبينٍ أزار السيف صفحته لعاد طرساً بحدِّ السيف مكتوبا
وكم له في الوغى من طعنةٍ نظمتْ عداه أو نثرت رمحاً أنابيبا

ومن أخرى [من الكامل] :

كالغيث يحيي إن همى والسيل ير دي إن طما والدهر يصمي إن رمى
شتّى الخلال يروح إمّا سالباً نعم العدى قسراً وإما منْعما
مثل الشهاب أصاب فجّاً معشباً بحريقه وأضاء فجاً مظلما
أو كالغمام الجوْن إن بعث الحيا أحيا وإن بعث الصواعق ضرّما[3]

---

(١) تعصفر : لمع ، والعصفر : صبغ أصفر يستخرج من النبات .
(٢) المحروب : المحزون .
(٣) ضرّما : ألهب وأشعل .

أو كالحسام إذا تبسّم متنه   عبس الرّدى في حدّه فتجهّما
كلف بدرّ الحمد يبرم سلكه   حتى ترى عقداً عليه منظّما
ويلمُّ من شعث العلا بشمائل   أحلى من اللّعس الممنّع واللّمى[1]

ومن أخرى [من الكامل] :

خلقٌ سهول المكرمات سهوله   وتوعّر الأيام من أوعارهِ
إن لاح فهو الصبح في أنواره   أو فاح فهو الروض في نواره

ومن أخرى [من الوافر] :

لقد شرفَتْ بسؤددك القوافي   وفاز بمجدك الشرف التليدُ
فيوم الحرب تطربك المذاكي   ويوم السلم يطربك النشيد[2]

ومن أخرى [من المتقارب] :

ومقتبل السنّ سن الندى   فأعطى الفتوة حق الفتاءِ
بكفٍّ ترقرق ماء الحياة   ووجهٍ يرقرق ماء الحياء

ومن أخرى [من الكامل] :

أما السماح فقد تبسم نوره   بعد الذبول وعاد نور ذبالهِ[3]
أطلقْت من أغلاله وشفيت من   أعلاله وفتحت من أقفاله

ومن أخرى [من الكامل] :

نسب أضاء عموده في رفعة   كالصبح فيه ترفُّعٌ وضياءُ

---

(١) يلمّ : يجمع ، والشعث : التفرّق واللعس واللمى : السمرة في الشفاه .
(٢) المذاكي : جياد الخيل .
(٣) الذبال : الفتيل في السراج .

وشمائـل شهـد العـداة بفضلها والفضـل ما شهـدت به الأعداء

ومن أخرى [من البسيط] :

يريك من رقـة الألفـاظ منطقه درّ العقـود غدت محلولـة العقدِ
جعلتـه جُنّـةً من كلّ نائبةٍ ورحـت من جوده في جنـة الخلد[1]

* * *

المدح بالبأس
ووصف الجيش والسلاح والحرب

قال من قصيدة [من البسيط] :

ناديك من مطـر الإحسـان ممطور ومـرتجيك بغمـر الجـود مغمورُ
والبيض ظلٌّ عليك الدهـر منتشرٌ والنقـع جيب عليك الدهـر مزرور[2]
والشـرك قد هتـكت أستـار بيضته بحـدِّ سيفـك والإسـلام منشور
كم وقعـةٍ لك شبَّـتْ في الضـلال بها نارٌ فأشـرق منهـا في الهـدى نور
ونهضـةٍ خرَّ فسطـاط الكفـور لها خوفـاً وأذعـن بالفسطـاط كافور[3]

ومن أخرى [من البسيط] :

لله سيفٌ تمنّـى السيف شيمته ودولـةٌ حَسَدَتْهـا فخرَهـا الدولُ
وعاشـقٌ خيلاء الخيل مبتذلٌ نفسـاً تصـان المعالـي حين تبتذل
أشـمّ تبـدي الحصـون الشـمّ طاعته خوفـاً ويسلـم من فيهـا ويرتحل
تشوقـه ورمـاح الخـط مشرعةٌ نجل الجـراح بهـا لا الأعين النجل[4]

---

(١) الجنّة : الدرع والستر .
(٢) النقع : الغبار ، ومزرور : مقفل .
(٣) الفسطاط : القبّة تضرب للسلطان .
(٤) الخط : بلدٌ مشهورة بالرماح . والنجل : الواسعة .

كأنــه وهجير الـــروع يلفحــه ... نشـــوان مد عليه ظلَّــه الأسل[1]
فالصافنـــات حشـــاياه وإن قلقت ... والسابغـــات وإن أَوْهَــتْ له حلل[2]
لمـــا تمزَّقـــتِ الأغمـــاد عن شغلٍ ... تمزقـــت عن سنـــا أقمارهـــا الكلل
أكرم بسيفـــك فيهـــا صائـــلاً غزلاً ... يفري الشـؤون وتثـني غربَـه المقل[3]

ومن أخرى [من الكامل] :

ولـــربَّ يومٍ لا تزال جياده ... تطـــأ الـــوشيج مخضبّـــاً ومحطّما[4]
معقـــودةٌ غرر الجياد بنقعه ... وحجولهـــا ممـــا تخـــوض من الدِّما[5]
يلقـــاك من وضـــح الحـــديد موضِّحاً ... طوراً ومـــن رَهَـــج السنابـــك أدهما[6]
أقدمـــت تفتـــرس الفـــوارس جرأةً ... فيه وقـــد هاب الـــردى أن يقْدما
والنـــدب من لقـــي الأسنـــة سافراً ... وثنـــى الأعنـــة بالعجـــاج ملثّما

ومن أخرى [من الوافر] :

وأغلـــب عامـــه في السلـــم يومٌ ... ولـــكن يومـــه في الحـــرب عامُ
يُهجِّـــرُ والرمـــاح عليه ظلٌّ ... ويسفـــر والعجـــاج له لثام

ومن أخرى [من الكامل] :

جيشٌ إذا لاقـــى العـــدو صدوره ... لـــم يلـــق للأعجـــاز منـــه لحوقا
حجبـــت له شمس النهـــار وأشرقت ... شمس الحـــديد بجـــانبيه شروقا

---

(١) الأسل : الرماح .
(٢) الصافنات : كرام الخيل ، والسابغات : الدروع .
(٣) يفري : يقطع ، والشئوون : مجاري الدمع وغربة المقل : أي دمعها الذي لا ينقطع .
(٤) الوشيج : شجر نصنع من أغصانه الرماح .
(٥) غرر الجياد : البياض الذي في وجوههن .
(٦) الرهج : الغبار . والسنابك : الأطراف . والأدهم : الأسود .

ومن أخرى [من الكامل] :

كم معـركٍ عرك القنـا أبطاله فسقاهـمُ في النَّقـع سمّـاً ناقعا
هبَّـتْ رياحـك في ذراه سمائما وغـدت سمـاؤك تستهـلُّ فجائعا
فتـركْتَ من حرّ الحـديد مصائفاً فيه ومـن فيض الدمـاء مرابعا

ومن أخرى [من الرمل] :

والضحـى أدهـم بالنقـع فإن ضحـكت فيه الظبـا كان أغرّ
مـوقفٌ لو لم يكن ناراً إذن لم تكن رزقٌ عواليه شرر
ينظـم الطعـن كلـى أعدائه وعقـود الهـام فيـه تنتثر

* * *

العتـاب

قال من قصيدة [من المتقارب] :

إلـى كم أحبِّـرُ فيك المديح ويلقـى سواي لديك الحبورا
لهمَّـتْ عرائسـه أن تصدَّ وهمـت كواكبـه أن تغورا
أيسلمنـي بعـد أن رحـت لي علـى نُوب الدهـر جاراً مجيرا
وأسفـر حظِّـيَ لمـا رآ ك بينـي وبين الليالـي سفيرا
سأهـدي إليك نسيم العتاب وأضمـر من حرِّ عتْـبٍ سعيرا

وقال في معناه [من الوافر] :

أبـا الهيجـاء أصبحـت القوافي تخـبُّ إليك حجّـاً واعتمارا(١)
عتابـاً كالنسيم جرى لعتبٍ يضـرِّمُ في الحشـى منـي استعارا

(١) أبا الهيجاء : يعني سيف الدولة الحمداني .

وقال يعاتب صديقاً أفشى له سراً [من الطويل] :

رأيتك تبري للصديق نوافذاً عدوك من أمثالها الدهر آمنُ
وتكْشف أسرار الأخلاّء مازحاً ويا ربَّ مزحٍ راح وهو ضغائن
سأحفظ ما بيني وبينك صائناً عهودك إن الحرَّ للعهد صائن
وألقاك بالبشر الجميل مداهناً فلي منك خِلٌّ ما عرفت مداهن
أنمّ بما استودعْته من زجاجةٍ ترى الشيء فيها ظاهراً وهو باطن[1]

وقال في مثل ذلك [من الوافر] :

ثَنَتْني عنك فاستشعرت هجراً خلال فيك لست لها براضِ
وأنك كلما استودعت سرّاً أنمُّ من النسيم على الرياض

وقال في مثل ذلك [من البسيط] :

لسانك السيف لا يخفى له أثرٌ وأنت كالصِّلِّ لا تبقي ولا تذرُ
سرّي لديك كأسرار الزجاجة لا يخفى على العين منها الصفو والكدر
فاحذر من الشعر كسراً لا انجبار له فللزجاجة كسرٌ ليس ينجبر

وقال في مثل ذلك [من البسيط] :

أروم منك ثماراً لست أجنيها وأرتجي الحال قد حلَّتْ أواخيها
أستودع الله خِلاًّ منك أوسعه وداً ويوسعني غشّاً وتمويها
كأن سِرِّيَ في أحشائه لهبٌ فما تطيق له طيّاً حواشيها
قد كان صدرك للأسرار جندلةً ضنينةً بالذي تخفي نواحيها
فصار من بعد ما استودعت جوهرةً رقيقةً تستشفُّ العين ما فيها

وقال من قصيدة [من الكامل] :

لا تأنفنَّ من العتاب وقرصه فالمسك يُسحق كي يزيد فضائلا

---

(١) أنمّ : أدلُّ .

ما أحرق العود الذي أشممته ... خطأٌ ولا غُمَّ البنفسج باطلا[1]

* * *

هذا مما أخرج له في الربيع وآثاره وأنواره وأزهاره

فمنه قوله من قصيدة [من البسيط] :

أما ترى الجوَّ يجلي في مُمَسَّكَةٍ ... والأرض تختال في أبرادها القشبِ
إذا ألحَّ حسام البرق مؤتلقاً ... في الومض جدَّ خطيب الرعد في الخطب[2]
والريح وسنى خلال الروض وانيةٌ ... فما يراع لها مستيقظ الترب[3]

وقال من أخرى [منَ الرمل] :

شاقني مستشرف الدير وقد ... راح صوب المزن فيه وبكرْ
أهواءٌ رقَّ في أرجائه ... أم هوى راق فما فيه كدر
أم خدودٌ سفرت عن وردها ... أم ربيع عن جنى الورد سفر[4]
مجلسٌ ينصرف الشرب وما ... طُوِيَتْ من بُسْطه تلك الحُبُر
وكأنَّ الشمس فيه نثرت ... ورقاً ما بين أوراق الشجر
بين غُدْرٍ تقع الطير بها ... فتراهن رياضاً في غُدُر
ونسيمٍ وكره الروض فإن ... طار في الصبح ارتديناه عطر

---

(١) غمّ : أخفي ، أو من الغمّ : الحزن .
(٢) الومض : البريق .
(٣) وسنى : ناعسة ذابلة .
(٤) سفرت : كشفت وأبدت .
(٥) الحبر : جمع حبرة ، وهو الثوب الموشى .

وثـرىً يشـهـد بالـطيب لـه عبـقٌ خالف أطـراف الأزر
وغيومٍ نشـرت أعلامهـا فلهـا ظـلٌ علينـا منتشـر

ومن أخرى [من الكامل] :

وحدائـقٍ يسْـبيك وشـيُ برودها حتـى تشبِّههـا سبـائـب عبقـرِ[1]
يجـري النَّسيم خلالهـا وكأنما غمسـت فضـول ردائـه في العنبر
باتـت قلـوب المحـل تخفـق بينها بخفـوق رايات السحـاب الممطر
من كل نائـي الحجـرتين مُولَّعٍ بالبـرق داني الـظلتيْن مشهَّـر
تحـدي بألسنـة الرعـود عشـاره فيسير بيـن مغـرِّدٍ ومزمجر[2]
طارت عقيقـة برقـه فكأنمـا صدعـت مُمَسَّـكَ غيمـه بمعصفر[3]

وقال في روض وغدير فيه طير الماء من أرجوزة [من الرجز] :

وضاحـك الـروض محلَّـى المنزل سبْطِ هبـوبِ الـريح جعـدِ المنهلِ
موشَّـح بالنَّـور أو مكلل مفروجـة حلتـه عـن جدول
أقبـلَ قد غصَّ بمـدٍّ مقبل والـطير ينقضُّ عليه من عل

* تساقط الوشي على المصندل *[4]

وقال في الورد [من السريع] :

لـو رحَّبـت كأسٌ بذي زورةٍ لرحَّبـت بالـورد إذ زارها
جـاء فخلنـاه خدوداً بدت مُضْرمـةً من خجـلٍ نارها
وعطِّـر الـدنيا فطابـه به لا عدمـت دنياه عطَّارها

---

(1) السبائب : الطرق . عبقر : موضع زعم العرب أنه موطن للجن .
(2) تحدي : تسوق .
(3) العقيقة : واحدة العقيق ، وهو الخرز الأحمر .
(4) المصندل : من الصندل وهو شجر هندي أبيض الزهر طيب الرائحة .

وقال في وصف الروض وقوس قزح [من مجزوء الرجز] :

إن عنَّ لهوٌ أو سنحْ فاغدُ إلى الراح ورحْ
رضيت أن أحظى بعزّ الكأس والحظ منح
وصاحبٍ يقدح لي نار السرور بالقدح
في روضةٍ قد لبست من لؤلؤ الطلّ سبح[1]
يألفني حمامها مغتبقاً ومصطبح[2]
أوقظه بالعزف أو يوقظني إذا صدح
والجوّ في ممسَّكٍ طرازه قوس قزح
يبكي بلا حزنٍ كما يضحك من غير فرح

وقال [من المتقارب] :

هفا طرباً في أوان الطرب فأنخب أقداحه كالنخبْ
وغنّى ارتياحاً إلى عارضٍ يغني وعَبرته تنسكب[3]
غيومٌ تمسّك أفق السماء وبرقٌ يُكتِّبُهُ بالذهب
وخضراء ينثر فيها الندى فريد ندىً ما له من ثقب
فأنوارها مثل نظم الحلى وأنهارها مثل بيضِ القضُب[4]
حللت بها مع ندامى سلوا عن الجِدِّ واشتهروا باللعب
وأغنتهمُ عن بديع السماع بدائع ما ضمِّنته الكتب
وأحسن شيءٍ ربيع الحيا أضيف إليه ربيع الأدب

---

(١) السبح : العقد .

(٢) الاغتباق : الشرب مساء والصبوح : الشرب صباحاً .

(٣) العبرة : الدمعة . وتنسكب : تذرف .

(٤) القضب : السيوف .

وقال في وصف البرد [من الكامل] :

يومٌ خلعتُ به عذاري فعريتُ من حلل الوقارِ
وضحكتُ فيه إلى الصبا والشيب يضحك في عذاري
متلوّنٌ يبدي لنا طرفاً بأطراف النهار
فهواؤه سكب الردا ء وغيمه جافى الإزار
يبكي فيجمد دمعه والبرق يكحله بنار

* * *

الشراب وما يتصل به

قال يصف باقي زجاجة الكأس من أعلاها إذا كانت ناقصة من الشراب [من الطويل] :

أعاذل إنّ النائباتِ بمرصدٍ وإن سرور المرء غير مخلَّدِ
إذا ما مضى يوم من العيش صالح فصِلْهُ بيومٍ صالح العيش من غد
وحالية من حسنها وجمالها وإن برزت عطل الشّوى والمقلد[1]
تعاطيك كأساً غير ملأى كأنما فواقعها أحداق درعٍ مزرَّد[2]
كأنّ أعاليها بياض سوالفٍ يلوح على توريد جيب مورّد

وقال في مثل ذلك [من الطويل] :

وصفراء من ماء الكروم شربتها على وجه صفراء الغلائل غضّةٍ
تبدَّتْ وفضل الكأس يلمع فوقها كأترجةٍ زِينَتْ بإكليل فضة[3]

---

(١) العطل : عدم التزيُّن بالحلي والشوى من الإنسان : أطرافه والمقلد : موضع القلادة .
(٢) الفواقع : حباب الخمر .
(٣) الأترجة : من الأترج ، وهو شجر وثمر من جنس الليمون تسمّيه العامة « الكباد » .

وقال في مثل ذلك [من المتقارب] :

دعانـا إلـى اللهـو داعـي السرور فبتنـا نبـوح بمـا في الصدورِ
وطافـت علينـا بشـمس الدّنا ن في غسـق الليل شمس الخدور
كأنّ الـكؤوس وقـد كلّلتْ بفضـلاتهـن أكاليل نـور
جيوبٌ من الوشـي مزرورة يلـوح عليهـا بياض النحور[1]

وقال [من المنسرح] :

وفتيةٍ دارت السّعـود لهم فدار للـراح بينهـم فلكُ
بتنـا وضـوء الـكؤوس يهتِـك بالـ إشـراق سـتـر الـدجى فينتهك
تـرى الثـريا والبـدر في قرنٍ كمـا يحيا بنـرجسٍ ملك[2]

وقال وقد شرب ليلة في زورق [من الطويل] :

ومعتـدلٍ يسعـى إلـيَّ بكأسه وقـد كاد ضوء الصبـح بالليل يفتكُ
وقـد حجـب الغيم السمـاء كأنّما يزرّ عليهـا منـه ثوب ممسّك
ظللنـا نبـث الوجـد والـكأس دائرُ ونهتـك أسـتـار الهـوى فتهتك[3]
ومجلسنـا في المـاء يهـوي ويرتقي وإبريقنـا في الـكأس يبـكي ويضحك

وقال من قصيدة [من المتقارب] :

وسـاق يقـابـل إبريقـه كمـا قابـل الظبـي ظبياً ربيبا
يطـوف علينـا بشمسيّـةٍ نروع بهـا الشـمس حتـى تغيبا

وقال من أخرى [من المتقارب] :

ومـلآن من عبـرات الكروم كأنّ علـى فمـه عصفرا

---

(١) الوشي ؛ التفويف والتطريز ، ومزرورة : مغلقة .
(٢) القرن : القيد والعقد .
(٣) البث : النجوى .

إذا قربتـه أكفُّ السّقاة من الـكأس قهقـهَ واستعبرا
تروّحـه عذبـات الفدام بريّا النسيم إذا ما جرى[1]
وريم إذا رام حث الكؤو س قطّب للتيه واستكبرا
وجـرّد من طرفـه خنجراً ومـن نون طرّتـه خنجرا[2]
تـرى ورد وجنتـه أحمرا وريحـان شاربـه أخضرا

وقال [من مجزوء الرجز] :

اشـربْ فقـد شرَّدَ ضو ءُ الصـبح عنّـا الظلما
وانبسـط النـور على وجـه الثـرى فابتسما
كأنّمـا أطلـع ما ء المـزن فيـه أنجمـا
وصـوَّبَ الإبـريق في الـ ـكأس مداماً عندما[3]
كأنّـه إذ مَجَّهـا مقهقـهٌ يبـكـي دمـا

وقال يذكر ليلة سكر فيها بقطربل ويصف الشمع [من المتقارب] :

كستـك الشبيبـة ريعانهـا وأهـدت لك الـراح ريحانَها
فـدم للنـديم علـى عهده وغـاد المـدام وندمانهـا
فقـد خلـع الأفـق ثوب الدجى كمـا نضـت البيـض أجفانها
وسـاقٍ يواجهـني وجهه فتجعلـه العيـن بستانهـا
يتـوِّج بالـكأس كفّ النديم إذا نظـم المـاء تيجانهـا
فطـوراً يوشّـح ياقوتها وطـوراً يرصّـع عقيانها[4]
رميت بأفراسهـا حلبـة من اللهـو ترهـج ميدانها

---

(١) الفدام : المصفاة توضع على الابريق .
(٢) الطرّة : خصلة الشعر في أعلى الجبين .
(٣) العندم : نبات يصبغ به .
(٤) العقيان : الذهب الخالص .

وديرا شغفـت بغزلانه فكدت أقبـل صلبانها
فلمـا دجـى الليل فرّجته بروحٍ تحيّف جثمانها[1]
بشمـعٍ أعير قدود الرماح وسـرجٍ ذراهـا وألوانها
غصـونٌ من التبـر قد أزهرت لهيبـاً يزيّـن أفنانهـا
فيا حسـن أرواحهـا في الدجى وقـد أكلـت فيه أبدانها
سـكرت بقطربّـل ليلةً لهـوت فغازلـت غزلانهـا[2]
وأيّ ليالـي الهـوى أحسنت إلـيَّ فأنـكرْت إحسانها

وقال [من البسيط] :

قم فانتصف من صروف الدهر والنُّوَب واجمع بكأسك شمـل اللهـو والطربِ
أمـا ترى الصبـح قد قامـت عساكره في الشـرق ينشـر أعلامـاً من الذهب
والجـو يختـال في حجـبٍ مُمسكَةٍ كأنّمـا البـرق فيهـا قلـب ذي رُعُب
وجانبتـك صروف الدهـر فانصرفت وقابلتـك سعـود العيش عن كثب
فاخلـع عذارك واشـرب قهـوةً مزجتْ بقهـوة الفَلِـجِ المعشـوق والشنب[3]
فالعيش في ظلّ أيام الصبـا فإذا ودّعْت طيب الشبـاب الغضّ لم يطب
جريت في حلبـة الأهـواء مجتهداً وكيـف أقصـر والأيام في طلبي
توّج بكأسـك قبـل الحادثـات يدي فالـكأس تاج يد المثْـري من الأدب

وقال [من البسيط] :

خذوا من العيش فالأيام فانيةٌ والدهـر منصـرفٌ والعيش منقرضُ
في حامل الكأس من بدر الدجى خلفٌ وفي المدامة من شمس الضحى عوض

---

(١) تحيّف : تظلم ، والجثمان : الجسد .
(٢) قطربّل : إسم بلد .
(٣) الفلج : الذي تباعد ما بين أسنانه يقصد « الرضاب من الفمّ » . والشنب : البارد .

كأنّ نجـم الثـريا كفّ ذي كرمٍ مبسوطـةٌ بالعطـايا ليس تنقبض
دارت علينـا كؤوس الـراح مترعةً وللدجـى عارضٌ في الجـوّ معترض
حتـى رأيت نجـوم الليل غائرة كأنّهـنّ عيونٌ حَشْوُهـا مرض

وقال يصف ظل كرم [من الطويل] :

أدرهـا ففقـد اللـوم إحـدى الغنائم ولا تخش إثمـاً لسـت فيهـا بآثمِ
ولا عيش إلا في اعتصـامٍ بقهوةٍ يروح الفتى منها خضيب المعاصم[١]
ولا ظلٌ إلاّ ظلّ كرمٍ معرّشٍ يغنّيك في قطـريْهِ ورق الحمائم
سماء غصونٍ تحجب الشمس أن ترى علـى الأرض إلاّ مثـل نثـر الدراهم

وقال [من البسيط] :

اليـوم يعـذب وردٌ فيـه تكدير ويسـتفيد مـن الهجـران مهجورُ
حثّ الـكؤوس فذا يوم به قصرٌ ومـا به عن تمـام الحسـن تقصير
صحـوٌ وغيمٌ يروق العين حسنهما فالصحـو فيروزجٌ والغيم سمّور[٢]

وقال [من الطويل] :

وبـكرٍ شربناهـا علـى الـورد بكرةً فكانت لنـا ورداً إلـى ضحـوة الغدِ[٣]
إذا قام مبيَضٌ اللبـاس يديرها توهّمْتـه يسـعى بكمٍّ مـورد

* * *

---

(١) القهوة : الخمر .
(٢) السمّور : حيوان يضع جلده فراءً .
(٣) الضحوة : ارتفاع الشمس أو النهار .

استهداء الشراب

كتب إلى أبي الحسن الشمشاطي [من المتقارب] :

أبا حسنٍ إنّ وجه الربيع ... جميلٌ يزان بحسن العقارِ[1]
فإن الربيع نهار السرو ... ر والراح شمس لذاك النهار
وإنك مشرقها إن أردتَ ... وإن لم ترد غربتْ في استتار
فأجرِ إليَّ بحارَ العقارِ ... فمن فيض كفَّيْك فيض البحار
وقد عبَّأ الهم لي جيشه ... وليس له غير جيش الخمار

وكتب في يوم فصده إلى أبي إسحاق الصابي [من مجزوء الوافر] :

أبا إسحق يا جبلي ... ألوذ به ومعتصمي[2]
ويا سيفي أصول به ... ويا حِلِّي ويا حرمي
أرقْت دمي وأعوزني ... سليل الكرْم والكرَم
وبين يديّ مخجلةٌ ... سواد القار والظلم[3]
ترى اللهوات تحجبها ... إذا وقَعَتْ حيال فمي
ولست أسيغها إلا ... كلون الورد والعنم
فشيئاً من دم العنقو ... د أجعله مكان دمي

وكتب إلى أبي الهيجاء الحمداني [من الطويل] :

تجنّبني حسن المدام وطيبها ... فقد ظمئتْ نفسي وطال شحوبُها
وعندي ظروفٌ لو تظرّف دهرها ... لما بات مُغْرىً بالكآبة كوبها
وشعثِ دنانٍ خاوياتٍ كأنها ... صدور رجال فارقتها قلوبها

---

(١) العقار : الخمرة .
(٢) ألوذ : أحتمي .
(٣) القار : القطران .

فسقياك لا سقيا السحاب فإنما بيَ العلَّةُ الكبرى وأنت طبيبها

وكتب إلى صديق له [من البسيط] :

أبا الحسين دعتْ نفسي أمانيها إلى يدٍ منك مشكورٌ أياديها
تصرَّم الصوم عنّا بعد ما ظمئت له النفوس وفقد الراح يُظْميها[1]
فجدْ بعذراءَ مثل الشمس تعذرها إن أظهرتْ صلفاً للحسن أوتيها[2]
واعلمْ بأنّ ظروف الراح إن كبرتْ عند الهدية أبدتْ ظرف مهديها

وكتب إلى صديق له في وقت كثير الثلج شديد البرد من أبيات [من الطويل] :

طرقْتُكَ ممتاحاً وليس لطارقٍ يرومك من وقع الضريب طريق[3]
جنوبٌ تحثّ المزن حثاً وشَمْأَلٌ تعبسّ منه الوجه وهو طليق[4]
وضوء حريقٍ ألبس الأرض ثوبه يخاف على الإقدام منه حريق
تثير الصبا في الجوّ منه عجاجةً كما انتثر الكافور وهو سحيق
وما انفلَّ حد القرِّ إلاّ بقهوةٍ ترقرقُ في كاساتها فتروق
إذا لبست أثوابها فعقيقةٌ وإن نشرَتْ أنفاسها فخلوق[5]
تدور علينا كأسها في غلائلٍ رقاقٍ تردُّ العيش وهو رقيق
فألبس منها جبّةً حين أنتشي وأخلعها بالكره حين أفيق
وإني خليقٌ من نداك بمثلها وأنت بما أمّلْتُ منك خليق

* * *

(١) تصرّم : مضى وانقضى .
(٢) الصدف : التكبّر والعجب .
(٣) الممتاح : الطالب ، والضريب : الجليد .
(٤) الجنوب : الريح الجنوبية ، وتحث : تسوق وتسرع .
(٥) الخلوق : الطيب أو نوعٌ منه .

هذا ما أخرج له في الاستزارة ووصف آلاتها

قال يدعو صديقاً له ، ويصف غرفة له بالموصل مشرفة على الربض الأسفل والنهر ، ويصف ما عنده من قدر وكانون ونار وشراب [من المتقارب] :

لنا غرفةٌ حسنت منظراً ... وطابت لساكنها مخبرا

ترى العين من تحتها روضةً ... ومن فوقها عارضاً ممطرا

وينساب قُدَّامها جدولٌ ... كما ذُعر الأيْمُ أو نُفِّرا[١]

وراح كأن نسيم الصَّبا ... يحمل من نشرها العنبرا

وعنديَ علْقٌ قليل المكاس ... وندمان صدق قليل المرا[٢]

ودهماءَ تهدر هدر الفنيق ... إذا ما امتطت لهباً مسعرا[٣]

تجيش بأوصال وحشيَّةٍ ... رعتْ زهرات الربا أشهرا

كأن على النار زنجيةً ... تفرِّجُ ثوبا لها أصفرا

وذو أربع لا يطيق النهوض ... ولا يألف السَّير فيمن سرى

نحمِّله سبجاً أسودا ... فيجعله ذهباً أحمرا

وقد بكّر العبد من عندنا ... يزفُّ لك الطرف والممطرا

فشمِّرْ إلى روضةٍ ترتضي ... فإن أخا الجِدِّ من شَمَّرا

وقوله [من المنسرح] :

لم ألق ريحانةً ولا راحا ... إلاّ تثنْني إليك مرتاحا

وعندنا ظبيةٌ مهفهفةٌ ... ترأم ريماً يحنُّ صداحا[٤]

---

(١) الأيم : الحيَّة الذكر ، ونفّر : أي ذعر فغادر مكانه هرباً .

(٢) المكاس : المماكسة ، والمراء : المجادلة وقد قصره مضطراً .

(٣) الفنيق : الفحل المكرم .

(٤) ترأم : تحنُّ وتعطف .

تفسد قلبي إن أصلحته ولا   أرى لما أفسدته إصلاحا
وفتيةٍ إن تذاكروا ذكروا   من الكلام المليح أرواحا
وقد أضاءت نجوم مجلسنا   حتى اكتسى غرّةً وأوضاحا
إن جمدت راحنا غدتْ ذهباً   أو ذاب تفّاحنا غدا راحا
عصابةٌ إن شهدت مجلسهم   كنت شهاباً له ومصباحا
أغلق باب السرور دونهم   فكنْ لباب السرور مفتاحا

وقال يصف كانون نار ويدعو صديقاً [من المنسرح] :

يوم رذاذٍ ممسّك الحجب   يضحك فيه السرور عن كثبِ
ومجلسٍ أسبلت ستائرُهُ   على شموس البهاء والحسب
وقد جرتْ خيل راحنا خبباً   في جريها أو همّمْن بالخبب[1]
والتهبت نارنا فمنظرها   يغنيك عن كلّ منظرٍ عجب
إذا ارتمت بالشرار واطّردتْ   على ذراها مطارد اللهب
رأيت ياقوتةً مشبّكةً   تطير عنها قراضة الذهب[2]
فصر إلى المجلس الذي ابتسمت   فيه رياض الجمال والأدب

وقال [من الكامل] :

نفسي فداؤك كيف تصبر طائعاً   عن فتيةٍ مثل البدور صباحِ
حنَّتْ نفوسهمُ إليك فأعلنوا   نفساً بغلٍّ مسالك الأرواح
وغدوْا لراحهمِ وذكرك بينهم   أذكى وأطيب من نسيم الراح
فإذا جرت خبباً على أيديهمِ   جعلوه ريحاناً على الأقداح

---

(١) الخبب : نوع من العدو .
(٢) القراضة : النثار .

وقال [من الطويل] :

لنـا روضـةٌ في الـدار صيغ لزهرها قلائـد من حمـل النـدى وشنوفُ[1]
يطـوف بنـا منهـا إذا ما تبسَّمتْ نسيم كعقـل الخالـديِّ ضعيف
ونَدمـان صدقٍ نشـرهُ ونظامه ربيْعٌ إذا قارضْتـهُ وخريف
وقـد رقَّ ثوب الغيم حتّـى كأنما تنشـرَ دون الأفـق منـه شفوف
فزر مجلسـاً قد شرّف الله أهله وفضّلهـم إنّ الأديب شريف
ولا تعْـدُ أفعـال الظـريف ، فإنّه زمـان رقيق الحلبتيـن ظريف[2]

وقال [من الوافر] :

هـواءٌ كالهـوى حسنـاً وظرفاً وخيشٌ ليس يتـرك أن يجفّا[3]
وفتيانٌ كرامٌ باكروه ونجـمٌ صباحهـم يبـدو ويخفى
فـإن بادرْتهـمْ جعلـوك بـدراً وإن خالفتهـم جعلـوك خلفا

* * *

أوصـاف شتـى

قال في وصف الهلال [من الوافر] :

ألا عدلـي ببـاطيةٍ وكاسٍ ورعْ همِّـي بإبـريق وطاسِ[4]
وذاكرْنـي بشعـر أبـي فراسٍ علـى روضٍ كشعـر أبـي نواس
وغيمٍ مرهفـات البـرق فيه عوارٍ ، والـرياض به كواسي
وقـد سلَّـتْ جيوش الفطـر فيه علـى شهـر الصيام سيوفَ باس

---

(١) الشنوف : حليٌّ تعلّق في الآذان .

(٢) الحلبتين : الغداة والعشّي .

(٣) الخيش : نسيج من أردأ الكتّان غليظ الخيوط .

(٤) الباطية : آنية الخمر .

ولاح لنا الهلال كشطر طوقٍ   على لبّات زرقاء اللباس[1]

وقال [من المنسرح] :

جاءك شهر السرور شوال   وغال شهرَ الصيام مغتالُ
أما رأيت الهلال يرمقه   قومٌ لهم إن رأوه إهلال
كأنه قيد فضة حرج   فضّ عن الصائمين فاختالوا

قال في وصف الريحان [من الكامل] :

وبساط ريحان كماء زبرجدٍ   عبثتْ بصفحته الجنوبُ فأرعدا
يشتاقه الشَّرب الكرام فكلّما   مرض النسيم سعوا إليه عُوَّدا[2]

وقال في وصف طبل العزف [من الكامل] :

ومقيّد الطرفين يطرب عند تضييق القيودِ
ولقد يلطّم خدّه في حال ترفيه الخدود
وكأنّما زأراته يحسبن زأرات الأسود
أنظر إليه مع المدا م ترى بروقاً معْ رعود

وقال في وصف البراغيث [من الرجز] :

وليلةٍ من نقمات الدهر   قطّعتها نزر الكرى والصبرِ
مكلّم الظهر جريح الصدر   مقسّما بين أعادٍ خزْر[3]
كُمْتٍ إذا عاينتها وشقر   كأنّها آثارها في الأرز[4]

---

(١) اللبّات : الصدور ، أو موضع القلادة منها .
(٢) عودّاً : زائرين .
(٣) مكلّم الظهر : جريحه . والخزر : الضيق في العين .
(٤) الكُمت : الخيل التي لونها يميل إلى الأحمر أو الأسود .

وصف المروحة [من الطويل] :

ومبثوثـةٍ في كلّ شرقٍ ومغربٍ لهـا أمّهـات بالعـراق قواطنُ
يحـرّك أنفـاس الـرياح حراكها كأنّ نسيم الـريح فيهـن كامن

وصف منثور [من الكامل] :

ومجـرّدٍ كالسيف أسلـم نفسه لمجـردٍ يكسـوه ما لا ينسجُ
ثـوبٌ تمزّقـه الأنامـل رقةً ويصيبـه المـاء القـراح فيبهج
فكأنـه لمـا استـوى في خصره نصفـان ذا عاجٌ وذا فيروزج

وصف الديك [من الكامل] :

كشـف الصبـاح قناعـه فتألّقا وسطـا علـى الليل البهيم فأطرقا
وعـلا فلاح علـى الجـدار موشّحا بالوشْـيِ تُوِّج بالعقيق وطُوِّقا
مرِخٌ فضـول التـاج في لبّاته ومشمّـرٌ وشياً عليـه منمّقا[1]

وصف كلاب الصيد [من الطويل] :

غدوت بهـا مجنونـةً في اغتدائها تُلاقي الوحـوشُ الحين عنـد لقائها[2]
لهـن شياتٌ كالزوامـج أصبحتْ مُولَّعـةً ظلمـاؤهـا بضيائهـا[3]
وأيدٍ إذا سلّـت صوالـج فضةٍ علـى الـوحش يومـاً ذهَّبَـتْ بدمائها[4]

وفي مثله [من الطويل] :

إذا ما دعونـا لاحقـاً ومعانقا وقِيدَ لدينـا واثـبٌ ومخالسُ

---

(١) مرخ : مدّهنٌ بالطيب ، والمرخ : النبات الذي طالت عيدانه وطاب ورقه .

(٢) الحين : الهلاك والموت .

(٣) الشيات : جمع شية وهو اللون ، والزوامج : ربما كانت جمع زمّج ، وهو طائرٌ دون العقاب يصاد به ، في قمّته حمرة غالبة .

(٤) الصوالج : الفضّة الصافية .

فذلك يومٌ جانب السعد سربه وقوبل بالنحس الظباء الكوانس[1]
كأن جلود الوحش بين كلابها وقد دميت أجيادها والمعاطس[2]
مصندلة القمصان شقّتْ جيوبها ورقرق فيهن العبير العرائس

وقال في وصف قدر [من مخلع البسيط] :

سوداء لم تنتسب لحام ولم ترم ساحة الكرامِ[3]
كأنما تحتها ثلاقٌ مقترناتٌ من الحمام
يلعب في جسمها لهيبٌ لعب سنا البرق في الظلام
لها كلامٌ إذا تناهت غير فصيح من الكلام
وهْي وإن لم تذق طعاماً مملوءة الجسم من طعام
لم يخل من رفدها نديمي يوم خمارٍ ولا مدام
ولى إذا الضيف عاد أخرى مصرّعٌ حولها سوامي[4]
عظيمة إن غلت أذابت بغليها لابس العظام
كأنما الجن ركّبتها على ثلاثٍ من الأكام
لها دخان تضل فيه عجاجة الجحفل اللّهام[5]
كأنّما النار ألبستها معصفراتٍ من الضّرام
ولم يزل مالنا مباحاً من غير ذلٍّ ولا اهتضام[6]
نأخذ للقوت منه سهماً وللندى سائر السهام

---

(١) الكوانس : الداخلات في أكنستهن .
(٢) المعاطس : الأنوف .
(٣) حام : أبو السود .
(٤) السوام : الماشية .
(٥) اللهام : الكثير العدد .
(٦) اهتضام : انتقاص .

وصف حمل مشوى [من الرجز] :

أنعتـه معصـفـر البرديـن ... أبيض صافـي حمـرة الجنبيْنِ
خلّف شهـرين على الخلفيْن ... ثم رعـى بعدهمـا شهرين[1]
فجســمه شبـران في شبريْن ... يا حسنـه وهـو صريع الحيْن[2]
بيـن ذراعيـن مفصّليـن ... كسـارق حُدًّ مـن اليدين
وطـرفٍ يستـوقف الطرفيـن ... كمثـل مرآة مـن اللّجيـن
مُـذْهبـة المقبـض والوجهيـن ... تعـرفـه مرهفـة الحدّيْن
بـكفٍّ طاه عطـر الكفين ... شق حشـاه عن شقيقتين
أختين في القـدّ شبيهتين ... كمـا قرنـت بين كمأتين

* أو كُرَتَيْ مسك لطيفتين *

وقال يصف جام فالوذج ويعبث بأبي بكر الخالدي ، ويشير إلى أنه يميل إلى البرطيل[3] [من الطويل] :

إذا شئـت أن تجتـاح حقـاً بباطلٍ ... وتغـرق خصمـاً كان غير غريقِ
فسائـل أبـا بكرٍ تجـدْ منـه سالكاً ... إلـى ظلمـات الظلـم كل طريق
ولاطفْـه بالشّهـد المخلـق وجهه ... وإن كان بالألطـاف غير حقيق
بأحمـرَ مبيضٍّ الزجـاج كأنـه ... رداء عروس مُشْـرب بخلوق
له في الحشـا برد الوصـال وطيبه ... وإن كان يلقـاه بلـون حريق
كأنّ بياض اللـوز في جنباته ... كواكب لاحـت في سمـاء عقيق

---

(١) الخلفين : يقال شاة ذات خلفين : أي ولدت ستة ذكراً وستة أنثى .
(٢) الحين : الموت .
(٣) البرطيل : الرشوة .

وصف الفقاع [من المنسرح] :

لسـت بنـافٍ خمـار مخمور | إلاّ بصافـي الشـراب مقرور(١)
يطير عن رأسـه الفقـاع إذا | نفسـت عنـه خنـاق مزرور(٢)
رامٍ بسهـمٍ كأنّـه خصرٌ | وطيـب نشرٍ نسيم كافور
يميل أعـلاه وهـو منتصبٌ | كأنّـه صولجـان بلّـور

وصف طبيب بارع [من السريع] :

بَـرَّزَ إبـراهيم في علمه | فراح يدعـى وارث العلمِ
أوضـح نهـج الطـب في معشرٍ | ما زال فيهـم دارس الرسم
كأنّـه من لطف أفكاره | يجـول بين الـدَّمِ واللّحم
إن غضبـتْ روحٌ علـى جسمها | أصلـح بين الـروح والجسم

وفي مثل ذلك [من الكامل] :

هل للعليل سوى ابـن قُرَّةَ شافي | بعـد الإلـه وهـل له من كافي
أحيا لنـا رسـم الفلاسفـة الذي | أودى وأوضـح رسـم طِبٍّ عافي
فكأنـه عيسـى ابـن مريم ناطقا | يَهَـبُ الحياة بأيسـر الأوصاف
مثلـتْ له قارورتـي فرأى بها | ما اكتـنَّ بين جوانحـي وشغافي(٣)
يبـدو له الـداء الخفـيُّ كمـا بدا | للعين رضـراض الغـدير الصافي(٤)

وصف مزين حاذق [من المتقارب] :

هـل الحـذق إلا لعبـد الكريم | حوى فضلـه حادثـاً عن قديمِ
إذا لمـع البـرق في كفّه | أفـاض علـى الـرأس ماء النعيم

---

(١) المقرور : البارد .
(٢) الفقاع : حباب الخمر ، ونفست : كشحت وكشطت .
(٣) اكتنّ : استتر ، والشغاف : حجاب القلب .
(٤) الرضراض : الحصى الدقاق في مجاري الماء .

جهـول الحسـام ولكنّه يروح ويغـدو بكفّـيْ حليم
لـه راحـةٌ سيرهـا راحةٌ تمـرّ علـى الـرأس مرّ النسيم
نعمنـا بخدمتـه مذ نشا فنحـن به في نعيمٍ مقيم

* * *

١٠٧ ـ أبو بكر محمد ، وأبو عثمان سعيد ، ابنا هاشم الخالديان

إن هذان لساحران ، يغربان بما يجلبان ، ويبدعان فيما يصنعان ، وكان ما يجمعهما من أخوة الأدب ، مثل ما ينظمهما من أخوة النسب . فهما في الموافقة والمساعدة ، يحييان بروح واحدة . ويشتركان في قرض الشعر وينفـردان ، ولا يكادان في الحضر والسفر يفترقان . وكانا في التسـاوي والتشابـك . والتشـاكل والتشارك ، كما قال أبو تمام [من المتقارب] :

رضيعـيْ لبـانٍ شريكيّ عنانٍ عتيقـيْ رهـانٍ حليفـيْ صفاءِ

بل كما قال البحتري [من الكامل] :

كالفرقـدين إذا تأمّـل ناظرٌ لم يعـل موضـع فرقـدٍ عن فرقدِ

بل كما قال أبو إسحاق الصابي فيهما [من الطويل] :

أرى الشاعـريين الخالـديّين سيَّرا قصائـد يفنـي الدهـر وهـي تُخَلَّدُ
جواهـر من أبـكار لفـظ وعونه يقصّـر عنهـا راجـز ومقصّد
تنـازع قومٌ فيهمـا وتناقضوا ومـرّ جدالٌ بينهـم يتردّد
فطائفـةٌ قالـت سعيدٌ مقدّمٌ وطائفـةٌ قالـت لهـم بل محمد
وصاروا إلى حكمي فأصلحت بينهمْ ومـا قلـت إلاّ بالتـي هي أرشد
هما في اجتمـاع الفضـل زوجٌ مؤلّفٌ ومعناهمـا من حيث يثبـت مفرد
كذا فرقـدا الظلمـاء لمّـا تشاكلا علا أشـكلا هل ذاك أم ذاك أمجد[1]

---

(١) تشاكلا : تشابها .

فزوجهما ما مثله في اتفاقه وفردهما بين الكواكب أوحد
فقاموا على صلح وقال جميعهمْ رضينا وساوى فرقد الأرض فرقد[1]

وما أعدل هذه الحكومة من أبي إسحاق ! فما منهما إلا محسن ينظم في سلك الإبداع ما فاق وراق . ويكاثر بمحاسنه وبدائعه الأفراد من شعراء الشام والعراق . وقد ذكرت ما شجر بينهما وبين السري في شأن المصالتة والمسارقة ، وما أقدم عليه السري من دس أحسن أشعارهما في شعر كشاجم ، وكان أفاضل الشام والعراق إذ ذاك فرقتين : إحداهما - وهي في شق الرجحان - تتعصب عليه لهما . لفضل ما رزقاه من قلوب الملوك والأكابر . والأخرى تتعصب له عليهما ، وقد بدأت بملح شعر أبي بكر لأنه أكبر الأخوين :

* * *

هذه نبذ مما اتفق له فيه التوارد مع السري أو التسارق

قال أبو بكر [من مجزوء الرمل] :

قام مثل الغصن الميّـــاد في غضّ الشبابِ[2]
يمزج الخمر لنا بالـــصفْو من ماء الشراب
فكأنّ الكأس لما ضحكت تحت الحباب[3]
وجنّةٌ حمراء لاحت لك من تحت النّقاب

وقال السري [من الكامل] :

وكأن كأس مدامها لما ارتدتْ بحبابها

---

(١) الفرقد : النجم .
(٢) الميّاد : المتمايل والمتثنّي . وغضّ الشباب : الفتوة والنشاط .
(٣) الحباب : ما يعلو الخمرة أثناء صبّها في الكأس من فقاع .

تــوريـد وجنتهـا إذا مـا لاح تحـت نقابها

وقال أبو بكر [من الطويل] :

ألا فاسقنــي والليل قد غاب نوره   لغيبــة بدرٍ في الغمــام غريقِ
وقــد فضــح الظلمــاء برقٌ كأنّه   فؤاد مشــوقٍ مولــعٍ بخفوقِ

وإنما سرقه من قول ابن المعتز [من الطويل] :

أمنــك سرى يا سرّ طيفٌ كأنّه   فـؤادٌ مشــوقٌ مولــعٌ بخفـوقِ

رجع :

مدامــاً كأن الــكف من طيب نشْرها   وصفرتهــا قـد خلّقــتْ بخلوقِ[1]
نعاينهــا نوراً جلاه تجسد   ونشربهــا ناراً بغير حريق
كأنّ حبــاب الــكأس في جنباتها   كواكب درٍّ في سمــاء عقيق

وقد مر مثله للسري في وصف الفالوذج .

وقال أبو بكر [من المنسرح] :

مطـرب الصبــح هيّج الطربا   لمــا قضــى الليل نحبــه انتحبا
مغــرّدٌ تابــع الصبــاح فما   ندري رضــا كان ذاك أم غضبا
مــا تنــكر الــطير أنــه ملكٌ   لهــا فبالتــاج راح معتصيا[2]
طــوى الظــلام البنــود منصرفاً   حين رأى الفجــر ينشــر العذبا[3]
والليل من فتــكة الصبــاح به   كراهــبٍ شقّ جيبَــه طَرَبا

---

(١) النشر : العبق الطيب ، والخلوق : الطيب .
(٢) معتصباً : متوّجاً رأسه به .
(٣) العذبا : أي خيوطه الأولى ، وعذبة الشيء طرفه .

وللسري في مثله [من المنسرح] :

كراهبٍ حنّ للهوى طرباً   فشقّ جلبابه من الطرب

قال أبو بكر [من المنسرح] :

فباكر الخمرة التي تركت   بنان كفّ المدبر مختضبا
كأنّما صبّ في الزجاجة من   لطفٍ ومن رقةٍ نسيمَ صبا
وليس نار الهموم خامدةً   إلاّ بنور الكؤوس ملتهبا[1]
يظلّ زقّ المدام ممتهناً   سحباً وذيل المجون منسحبا[2]

ومنها في وصف كانون نار :

ومقعدٍ لا حراك ينهضه   وهو على أربعٍ قد انتصبا
مصفرٍّ محرِقٌ تنفسه   تخاله العين عاشقاً وصبا[3]
إذا نظمنا في جيده سبحاً   صيره بعد ساعة ذهبا[4]

ومثله للسري [من المتقارب] :

وذو أربعٍ لا يطيق النهوض   ولا يألف السير فيمن سرى
نحمله سبجاً أسوداً   فيجعله ذهباً أحمرا

رجع :

فما خبت نارنا ولا وقفت   خيول لهوٍ جرت بنا خببا[5]
وساحر الطرف لا نقاب له   إذ كان بالجلنار منتقبا

---

(١) خامدة : منطفئة .
(٢) زقّ المدام : شربها .
(٣) الوصيب : المرض .
(٤) السبج : الخرز الأسود .
(٥) الخبب : ضرب من العدو .

تقــطف من ثغــره ووجنته أنامــل الطــرف زهــرةً عجبا
شقائقــاً مذهبــاً يرى خجلاً وأقحوانــاً مفضّضــاً شنبــا[1]

ومثله للسري [من الطويل] :

سَفَــرْنَ فـلاح الأقحــوانُ مفضَّضاً علــى القــربِ منــا والشــقيق مذهّبا

رجع :

حتـى إذا مـا انتشـا ونشوته قـد سهلــت منــه كـل ما صعبا
غلبـت صحبـي عليـه منفردا بـه وهــل فاز غير من غلبا ؟
أرشف ريقــاً عذب اللمــى خصرا كأن فيه الضَّــريب والضربا[2]

* * *

ما أخرج من شعره الذي ينسب في بعض النسخ إلى كشاجم [غير] ما تقدم ذكره من ذلك

قال [من المنسرح] :

قامَــرَ بالنفس في هوى قمر ونــال وصــل البــدور بالبدرِ
وافتضَّ أبــكار لهــوه طرباً إلــى عشــايا المــدام والبكر[3]
مســرّةٌ كيلهــا بلا حشفٍ ولــذّةٌ صفوهــا بـلا كدر[4]
قــد ضربــت خيمــة الغمــام لنا ورشّ خيش النسيم بالمطر
وعندنــا عاتقــان حمــراء كالشــــــمس وأخــرى صفــراء كالقمر

(١) الشنب : الأبيض ، وهو صفاء الأسنان وابيضاضها .
(٢) الضريب : العسل الأبيض .
(٣) العشايا : جمع عشية ، والبكر : جمع بكرة .
(٤) الحشف : أردأ التمر ، أو الفاسد منه ، أو هي الانقباض .

مدامـــةٌ كان من تقادمها عاصرهــا آدمٌ أبـو البشرِ
وبنــت خدرٍ تريك صورتها بدر الدجــى في ردائهــا العطر
حنَّتْ علــى عودهــا وقــد تركت مدامَنــا جمــرةً بــلا شرر
يسعـى علينا بهـا الوصـائف قـــــلّــدن مجونـاً قلائـد الزهر[1]
يا تاركاً طيب يومـه لغد تبيع عين السـرور بالأثر!
إن وتــرت قلبــك الهمـوم فما مثــل انتصـارٍ بالنــاي والوتر[2]

وقوله [من الخفيف] :

رق ثوب الدجــى وطــاب الهواء وتــدلــت للمغـرب الجـوزاءُ
والصبـاح المنير قد نشـرت منـــــه علــى الأرض ريطــةٌ بيضاءُ[3]
فاسقنيها حتى ترى الشمس في الغر ب عليهـا غلالـة صفـراء
قهــوةٌ بابليةٌ كدم الشّا دن بكراً لكنهـا شمطــاء[4]
قــد كستهــا الدهــور أردية الرقـــــة حتى جفـا لديهـا الهـواء
فهـي في خدّ كأسهــا صفــرة التبـــــر وفــي الخــدِّ وردةٌ حمراء
عجبـاً ما رأيت من أعجــب الأشـــــياء تقــديرُ من له الأشياء
سبــجٌ يســتحيل منــه عقيقٌ وظــلامٌ ينســلّ منـه ضياء

وقوله ، وهو مما ينسب أيضاً إلى المهلبي الوزير [من الطويل] :

خليلي إنّــي للثــريا لحاسد وإنّــي على ريب الزمــان لواجد
أيبقـى جميعـاً شملهـا وهــي سبعةٌ وأفقــد من أحبتــه وهــو واحد

وقوله من قصيدة في مرثية الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما [من المنسرح] :

إذا تفـكّرت في مصابهـم أتعــب زنــد الهمــوم قادحهُ

---

(١) الوصائف : ساقيات الخمر ، والقلائد : العقود .

(٢) وترت : أثقلت ، والوتر : الظلم في العداوة والانتقام .

(٣) الريطة : الملاءة .

(٤) الشمطاء : التي خالط بياض شعرها سواده .

بعضهم قرّبت مصارعه وبعضهم بعدت مطارحه
أظلم في كربلاء يومهمُ ثم تجلّى وهم ذبائحه
لا برح الغيث كلّ شارقة تهمي غواديه أو روائحه
على ثرى حلّه ابن بنت رسو ل الله مجروحةٌ جوارحه
ذلّ حماه وقلّ ناصره ونال أقصى مناه كاشحه[1]
عفّرتم بالثرى جبين فتىً جبريل بعد النبي ماسحه !
يظل ما بينكم دم ابن رسو ل الله وابن السّفاح سافحه ![2]
سيّان عند الأنام كلهم خاذله منكم وذابحه

وقوله [من البسيط] :

محاسن الدير تسبيحي ومسباحي وخمره في الدّجى صبحي ومصباحي[3]
أقمت فيه إلى أن صار هيكله بيتي ومفتاحه للحسن مفتاحي
منادماً في قلاليه رهابنةً راحت خلائقهم أصفى من الراح[4]
قد عدّلوا ثقل أديانٍ ومعرفةٍ فيهم بخفّة أبدانٍ وأرواح
ووشحوا غرر الآداب فلسفة وحكمة بعلومٍ ذات إيضاح
في طب بقراطَ لحن الموصليّ وفي نحو المبرِّد أشعار الطِّرِمّاح
ومنشدٌ حين يبديه المزاج لنا ألمعُ برقٍ سرى أم ضوء مصباح
وكم حننت إلى حاناته وغدا شوقي يكاثر أصواتاً بأقداح
حتى تخمّر خمّاري بمعرفتي وحَيرَّتْ مُلَحي في السُّكر ملاّحي
يا دير مرانَ لا تعدم ضحىً ودجىً سجال غيثٍ ملثّ الودقِ سحّاح[5]

---

(١) الكاشح : المبغض .
(٢) ابن السفاح : ابن الزنى .
(٣) مسباحي : أي السبحة التي يحملها المرء للتسبيح أو للتسلية .
(٤) قلاليه : جمع قُلّة وهي أعلى الرأس والجبل والراح الخمرة .
(٥) ملثّ الودق : خفيف المطر عند التصبّب وسحاح : كثير الصبّ .

إن تفـن كأسـك أكياسي فإنّ بها يفـلّ جيش همومـي جيش أفراحي
وإن أقـم سوق أطرابـي فلا عجبٌ هذا بذاك إذا ما قام نوّاحي

وقوله [من البسيط] :

يا نفس موتـي فقـد جدَّ الأسى موتي ما كنـت أول صبٍّ غـيرِ مبخوتِ[1]
بكى إليَّ غداة البـين حـين رأى دمعـي يفيض وحـالي حال مبهوت
فدمعتـي ذوب ياقـوت على ذهب ودمعـه ذوب درٍّ فوق ياقوت

وقوله [من البسيط] :

أنبـاك شاهـد أمـري عن مغيَّبةٍ وجـدٌ جدُّ الهـوى بي في تلعُّبِهِ
يا نازحـاً نزحـتْ دمعـي قطيعته هب لي من الدمـع ما أبـكي عليك به

وقوله من قصيدة [من البسيط] :

لا تطنبـنَّ بكاء النـوء والطّنب ولا تحيّي كثيب الحـي من كثبِ[2]
ولا تجـد بغمامٍ للغميم ولا تسمح لسرب المها بالـواكف السَّربِ[3]
ربـعٌ تعفّـى فأعفـى من جوىً وأسًى قلبـي وكان إلى اللّـذات منقلبي
سيّان بان خليطٌ أو أقـام به فإنّمـا عامـر البيداء كالخربِ
أبهـى وأجمـل من وصف الجمال ومن إدمـان ذكر هوىً يهـوى على قتب[4]
مدّ البنـان إلى كأسٍ على سكرٍ ورفـع صوت بتطـريب على طرب
حمـراء حـين جلتهـا الـكأس نقّطها مزاجهـا بدنـانيرٍ من الحبب
كانـت لهـا أرجـل الأعـلاج واترةً بالدّوس فانتصفت من أرؤس العرب[5]

---

(١) مبخوت : محظوظ .
(٢) تطنب : تكثر ، والنوء : المطر ، والنجم إذا مال للغروب . الكثيب : التل من الرمال .
(٣) الغميم : لبن يسخّن حتى يغلظ ، والغميم هنا الغليظ . والواكف : السائل والدامع .
(٤) القتب : الرّحل .
(٥) الأعلاج : الكفّار ، واترة : ظالمة ومنتقمة .

يسقكيها من بني الكفار بدر دجىً ألحاظه للمعاصي أوكد السبب
يومي إليك بأطرافٍ مطرَّفةٍ بها خضابان للعنَّاب والعنب

* * *

هذا ما أخرج من سائر ملحه وغرره

قال من قصيدة مطلعها [من البسيط] :

ما زاره الطيف بعد البين معتمدا إلاّ ليدني له الشوق الذي بعدا

ومنها :

كأنما من ثناياها وريقتها أيدي الغمام سرقْن البرد والبَرَدا

وقال وهو في نهاية الحسن [من الكامل] :

لو أشرقت لك شمس ذاك الهودج لأَرَتْكَ سالِفتي غزالٍ أدعجِ[1]

ومنها :

أرعى النجوم كأنّما في أفقها زهر الأقاحي في رياضِ بنفسج
والمشتري وسط السماء تخاله وسناه مثل الزئبق المترجرج
مسمار تبرٍ أصفر ركّبتهُ في فصٍّ خاتمِ فضةٍ فيروزج
وتمايل الجوزاء يحكي في الدجى ميلان شارب قهوةٍ لم تمزج
وتنقّبتْ بخفيف غيمٍ أبيضٍ هي فيه بين تخفُّرٍ وتبرُّج
كتنفّس الحسناء في المرآة إذ كملت محاسنها ولم تتزوج

وهذا تشبيه لم يسبق إليه ، وقال [من الخفيف] :

وسحاب يجرُّ في الأرض ذيلي مطرف زرّه على الأرض زرّا[2]
برقه لمحةٌ ولكن له رعدٌ بطيءٌ يكسو المسامع وقرا[3]

---

(١) الأدعج : واسع العين وأحورها .
(٢) المطرف : الوشاح المفوّف وهو من الحرير .
(٣) الوقر : الصمم .

كخليٍّ منافقٍ للذي يهواه يبكي جهراً ويضحك سرّا

وقال [من الوافر] :

ألست ترى الظلام وقد تولى وعنقود الثريا قد تدلى
فدونك قهوةٌ لم يبق منها تقادم عهدها إلاّ الأقلاّ
بزلنا دنّها والليل داجٍ فصيّرت الدجى شمساً وظلاّ[1]

وقال [من الخفيف] :

يا معيري بالصدّ ثوب السقام أنت همّي في يقظتي ومنامي
أنت أمنيّتي فإن رمت غمضاً سلمتك المنى إلى الأحلام

وقال [من الكامل] :

حورٌ شغلْنَ قلوبَنا بفراغٍ لرسائلٍ قَصُرَتْ عن الإبلاغِ
ومنعْن ورد خدودهنَّ فلم نطق قطفاً له لعقارب الأصداغ[2]

وقال [من الكامل] :

روحي الفداء لظاعنين رحيلهم أنكى وأفسد في القلوب وعاثا
فليقض عدّته السرور فإنّني طلّقتُ بعدهمُ السرورَ ثلاثا

أخذه من قول أبي تمام وزاد فيه ذكر العدة ، وهو قوله [من الكامل] :

بلدٌ خلعت اللهو خلعيَ خاتمي فيه وطلّقت السرور ثلاثا

وقال [من المنسرح] :

في كنف الله ظاعنٌ ظعنا أودع قلبي وداعه حزنا[3]
لا أبصرتْ مقلتي محاسنه إن كنت أبصرت بعده حسنا

---

(١) بزلنا دنّه : شققناه ليسيل الخمر منه .

(٢) لم نطق : لم نتحمّل .

(٣) الظاعن : الراحل .

وقال [من البسيط] :

أهــلا بشــمس مدامٍ من يدي قمرٍ ... تكامــل الحســن فيه فهــو تيّاهُ[1]
كأنّ خمرتــه إذ قام يمزجها ... من خده اعتصرتْ أو من ثناياه
إذا سقتــك من الممــزوج راحته ... كأســاً سقتــك كؤوس الصّرف عيناه
في وجهــه كل ريحــان تراح له ... منــا قلــوب وأبصــار وتهواه
النــرجس الغضّ عينــاه ، وطرّته ... بنفســجٌ، وجنــيّ الــورد خدّاه

وقال [من الخفيف] :

قلــت لما بدا الهــلال لعينٍ ... منعتْهــا من الــكرى عيناكا
يا هلال السماء لولا هلال الـ ... أرض ما بتُّ ساهــراً أرعاكا

وقال [من الطويل] :

وبــدر دجــى يمشي به غصــنٌ رطب ... دنــا نوره لكنَّ تناولــه صعبُ
إذا ما بدا أغــرى به كلّ ناظرٍ ... كأنّ قلــوب النــاس في حبّــه قلب

وقال [من البسيط] :

لا تحسبــوا أنّنــي باغٍ بكم بدلاً ... ولو تمكّنت من صبري ومـن جلدي[2]
قلبــي رقيبٌ على قلبــي لكم أبداً ... والعــين عــينٌ عليه آخــر الأبدِ

وقال [من البسيط] :

فديت من زرعــت في القلــب لحظته ... صبابــةً وســقى بالدمــع ما زرعا
لو أن قلبــي وفــاه محبتــه ... أحبّــه بقلــوب العــالمين معــا

وقال [من المنسرح] :

كأنّمــا أنجــم الثــريا لمن ... يرمقهــا والــظلام منطبقُ

---

(١) تيّاه : كثير العجب .
(٢) باغٍ : طالب .

مـــال بخيـل يظـلّ يجمعه   من كلّ وجــهٍ وليس يفترق

وقال [من الخفيف] :

يا خليليّ من عذيري من الدنـــــيا ومــن جورهــا عليّ وصبري
عجبــاً أنني أنــافس في عمـــــــران أيامهــا وتخْــرب عمري !

وقال [من المتقارب] :

هــو الفجــر قابلنــا بابتسام   لتصرف عنــا عبــوس الظلامِ
ولاح فحــلّ كأس الشمو   ل صرفــاً وحــرّم كأس المنام
ظللنــا على شمّ ورد الخدود   ومســك النحــور ونقــل اللثام
نعــين الصبــاح على كشفه   قنــاع الظــلام بضــوء المدام

وقال [من السريع] :

إن خانــك الدهــر فكن عائذاً   بالبيـض والـظلمات والعيسِ
ولا تكن عبــد المنــى فالمنى   رؤوس أمــوال المفاليــس

وقال [من الكامل] :

حــورٌ جعلن وقــد رحلن وداعنا   بمدامــعٍ نطقــتْ وهــنّ سكوتُ
فعيونهــا سبــجٌ ونثــر دموعها   درٌّ وحمــرة خدهــا ياقوت

وقال [من الكامل] :

ما عذرنـا في حبسنــا الأكوابا   سقــط النــدى وصفــا الهــواء وطابا
ودعا بـ « حي على الصبـوح » مغرّداً   ديك الصبــاح فهيّج الأطرابـا
وكأنمــا الصبــح المنير وقــد بدا   بازٌ أطــار من الظــلام غرابا
فأدم لذاذة عيشنــا بمدامــةٍ   زادت علــى هرم الزمــان شبابا
سفــرت فغــار حبابهــا من لحظنا   فعــلا محاسنهــا وصــار نقابا

وقال من قصيدة [من الكامل] :

فلأشكرنّ لدير قنّا ليلةً أشرقت ظلمتها ببدرٍ مشرقِ
بتنا نُوَفِّي اللهو فيها حقّه بالراح والوتر الفصيح المنطق
والجو يسحب من عليل هوائه ثوبًا يرشّ بطلِّهِ المترقرق
حتى رأينا الليل قوّس ظهره هرماً وأثّر فيه شيب المفرق
وكأنّ ضوء الفجر في باقي الدجى سيفٌ حلاه من اللجين المحرق[1]
يا طيبها من ليلةٍ لو لم تكن قصرت فريع تجمّعٍ بتفرّق[2]

وقال ، وهو من إحسانه المشهور [من مجزوء الرمل] :

يا شبيه البدر حسناً وضياءً ومثالا
وشبيه الغصن ليناً وقواما واعتدالا
أنت مثل الورد لوناً ونسيماً وملالا
زارنا حتى إذا ما سرّنا بالقرب زالا

وقال [من الخفيف] :

ربّ ليلٍ فضحته بضياء الـ راح حتى تركته كالنهارِ
ذي سماءٌ كخرّمٍ ونجومٍ مشرقاتٍ كنرجسٍ وبهارِ[3]
وهلالٌ يلوح في ساعد الغر ب كدملوج فضّةٍ أو سوارِ[4]
بتُّ أجلو فيه شموس وجوهٍ حملت في الدجا شموس عقار

---

(١) اللجين : الفضّة .
(٢) ريع : أخيف .
(٣) الخرّم : نبات بنفسجي اللون .
(٤) الدملج : نوعٌ من الحلي تلبسه المرأة في ساعدها .

وقال ـ وقد أمر الأمير بجمع المتكلمين ليتناظروا بحضرته في يوم دجن ـ [من مجزوء الخفيف] :

هو يومٌ كما تراه مليح الشمائلِ
هاج نوح الحمام فيه غناء البلابل
ولركب السحاب في الجو حق كباطل
مثلما فاه في المهنّد بعض الصياقل
جليت شمسه لرقته في غلائل
وعمود الزمان معتدل غير مائل
حين ساوى حر الهواجر برد الأصائل
وغدا الروض في قلائده والخلاخل
فمن العجز أن ترى فيه طوع العواذل
يا لهذا أبي الهذيل وتوصيل واصل
وملاحاة عاقلٍ ومقاساة جاهل[1]
وخصومٍ يكابرون وضوح الدلائل
انفِ كيد الجدال عنك بصيد الأجادل[2]
كلّ صلب العظام واللحم رطب المفاصل
وهو أهدى من الردى في طريق المقاتل
كم غدونا به لطير التلاع السوابل[3]
فانبرى أخرس الجناح صخوب الجلاجل[4]

(١) الملاحاة : اللوم .
(٢) الأجادل : جمع أجدل وهو الصقر .
(٣) التلاع : الأعالي . والسوابل : من الطرق : المسلوكة .
(٤) الجلاجل : الدويّ والصّويت .

وتعـامـى عـن الشـوى واهتـدى للـشـواكـل[1]
بسـكـاكينـه التـي ثبتـت فـي الأنامـل
عقفـت ثـم أرهفـت فهـي مثـل المناجـل[2]
صاعـد خلف صاعـد نـازل خلـف نـازل
فتـردى رداء لهــــو إلـى الليل شامـل
ثـم انثنـى جذلان بيـــن القنـا والقنابـل[3]
نحـو ربـعٍ مـن المكا رم والمجـد آهـل[4]
فتـرى الأنس في عبيـــدك عـذب المناهـل
مـن عقـول قد بلبلتهـــهـنّ صفـراء بابـل
فـإذا الليل كفّ كـــلّ رقيـبٍ وعـاذل
صـرّت الفـرش تحــت قو مٍ صـريـر المحـامـل[5]

وقال [من الطويل] :

وأغيـد روتـه المدامـة فانثنى كمـا ينثنـي من ريه الغصـن الغضُّ
دعـوت إليهـا وهـو في دعـوة الكرى وقد أخذت في خلع أسودها الأرض[6]
فقـام وفـي أعطافـه فضـل سكرة وفـي عينـه من ورد وجنتـه بعض

وقال [من الكامل] :

ومدامـةٍ صفـراء في قارورةٍ زرقـاء تحملهـا يدٌ بيضاءُ

(١) الشوى : أطراف الجسم من اليدين والرجلين . والشواكل : الخواصر .
(٢) عقف السكين : لواها . وأرهفها : سنّها فصارت ماضية .
(٣) القنابل : الجماعة من الناس أو الخيل .
(٤) آهل : عامر .
(٥) صرّت : صوّتت .
(٦) أسود الأرض : يعني الليل .

فالــراح شمسٌ والحبــاب كواكبٌ   والــكفُّ قطــبٌ والإنــاء سماء

وقال [من المجتث] :

راحٌ كضـوء الشهـاب   ســلافـة الأعـنــابِ
والمــزج ماء غديــر   صــافٍ كمـاء الشبــاب
لــو لم يكن ماء مزنٍ   لكـان لمـع ســراب
كأنّـه جســم درٍ   عليـه درعُ حبــاب
يجــري خلال حصىً أبــــيض كقــطر السحـاب
كأنّــه الــريق يجري   علـى الثنــايا العــذاب

وقال في مخدة [من الكامل] :

بأبــي التــي كتمــت محاسنها   خوف العيون وليس تنكتمُ
لبســت سواداً كي تعــاب به   والبــدر ليس يشينــه الظّلم

وقال من قصيدة في المهلبي الوزير استهلاها [من المتقارب] :

مهــاةً توهّمهــا أم غزالا   وشمســاً تشـبّهها أم هلالا
منعمــةٌ أطلقـت لحظهـا   فكان لعقــل المعنّــى عقالا[1]
وشــمسٌ ترجّــل في مجلسٍ   لندمانهــا وتغنّــى ارتجـالا
ولا تعــرف اللحــن ألحانها   إذا ما الخفــاف تبعــن الثّقالا
شــدت رمــلا في مديح الوزير   فظلنـا من السـكر نحـكي الرمالا[2]
وهــل ثمــلٌ مفــكرٌ بعــد أن   تكون له راحتــاه ثمالا ؟[3]

---

(١) المعنى : المتألّم ، والعقال : الأسر .
(٢) الرمل : ضرب من أوزان الشعر . والشدو : الغناء .
(٣) الثمل : السكران ، والثمال : الغياث النافع .

ومنها في التهنئة بعيد الفطر :

هنيئاً مريئاً بأجرٍ أقام — وصومٍ ترحّل عنك ارتحالا
وفطرٍ تواصل إقباله — لأن له بالسعود اتصالا
رأى العيد فعلك عيداً له — وإن كان زاد عليه جمالا
وكَبَّرَ حين رآك الهلالُ — كفعلك حين رأيت الهلالا
رأى منك ما منه أبصرته — هلالاً أضاء ووجهاً تلالا
تولاك فيه إلّه السماء — بعزٍّ تعالى ويمنٍ توالى[1]
ولقّيت سعداً إذا العيد عاد — ولقّيت رشدا إذا الحوْل حالا[2]
وإنْ رمضان أطاح الكؤوس — فشوّال يأذن في أن تشالا
فواصل بيمنٍ كؤوس الشمول — يميناً مقبّلةً أو شمالا
ولا زلت عن رتبٍ نلتها — ومن ذا رأى جبلاً قطُّ زالا ؟

وقال من قصيدة فيه أيضاً [من الكامل] :

أيدت ملك معزّ دولة هاشم — فزمانه عرسٌ من الأعراسِ
وتيقّن الشعراء أن رجاءهم — في مأمنٍ بك من وقوع الباس
ما صحّ علم الكيمياء لغيرهم — فيمن عرفنا من جميع الناس
تعطيهم الأموال في بدرٍ إذا — حملوا الكلام إليك في قرطاس

وقد ألم في هذا المعنى بقول بكر بن النطاح لأبي دلف [من الكامل] :

يا طالباً للكيمياء ونفعه — مدح ابن عيسى الكيمياء الأعظمُ
لو لم يكن في الأرض إلاّ درهمٌ — ومدحته لأتاك ذاك الدرهم

(١) اليمن : الخير ، وتوالى : تتابع .
(٢) الحول : العام ، وحالا : أي انتهى .

ولكنه لطفه وزاد فيه ، وقال [من الكامل] :

وأخٍ جفـا ظلمـاً، ومـلّ، وطالما فقنـا الأنـام مودةً ونداما
فسلـوت عنـه وقلـت ليس بمنكر للدهـر أن جعـل الـكرام لئاما
فالخمـر وهـي الـراح ربّتمـا غدت خلاً وكانـت قبـل ذاك مداما

وقال في معناه أيضاً [من الطويل] :

وكم من عدوٍ صار بعـد عداوةٍ صديقـاً مجـلاً في المجـالس مُعْظَما
ولا غرو فالعنقـود في عود كرمه يرى عنبـاً من بعـد ما كان حصرما

وقال في استهداء نبيذ ، وقد عزم على أخذ دواء [من البسيط] :

يا سيداً بالعـلا والمجـد منفردا وواحـدِ الأرض لا مسـتثنياً أحدا
لهـاك أوجـدت الآمـال ما فقدت وقرّبـت لمنـى الـراجين ما بعدا[1]
هذا زمـان علاجٍ يتّقـي ضرر ال أخـلاط فيه لأن الفصـل قد وفدا
فلسـت تبصـر إلا شاربـاً قدحاً مرّاً وإلاّ نزيف الجسـم مفتصدا[2]
وقـد عصيت الهـوى مذ أمس محتمياً لمـا عزمـت علـى إصـلاح ما فسدا
ورزقـوا لي رطـلاً لسـت أذكره إلاّ عدمـت لديه الصّبـر والجلدا[3]
منـاكرٌ لطباعـي غير أنّ له عقبـى تمـازج محموداتهـا الجسدا
وليس لي قهـوةٌ أطفـى بجمرتها عن مهجتـي شره المـاء الـذي بردا
فامنن بدستيجـة المشـروب يومـك ذا فقد عزمت على شرب الـدواء غدا[4]

(١) لهاك : عطاياك .
(٢) المفتصد : من الفصاد وهو إخراج الدم من الجسد بآلة حادة .
(٣) الجلد : الصبر .
(٤) الدشيجة : آنية صغيرة .

وقال في العتاب [من الكامل] :

وأخ رخصتُ عليه حتّى ملّني ... والشيء مملولٌ إذا ما يرخصُ
يا ليتهُ إذ باع ودّي باعه ... فيمن يزيد عليه لا من ينقص
ما في زمانك ما يعزّ وجوده ... إن رمته إلاّ صديقٌ مخلص

وقال [من الكامل] :

يا من جفا في القرب ثم نأى ... فشكا الهوى بالكتب والرّسلِ
مهلاً فإنّك في فعالك ذي ... مثل الذي قد قيل في المثل
« ترك الزيارة وهي ممكنةٌ ... وأتاك من مصرٍ على جمل ! »

وقال في وصف سيف [من الكامل] :

متوقّدٌ ، مترقرقٌ ، عجباً له ... نارٌ وماءٌ كيف يجتمعانِ ؟
وكأنّما أبواه صرفا دهرنا ... أو كان يرضع درّة الحدثان
تجري مضاربه دماً يوم الوغى ... فكأنّما حدّاه مفتصدان

وقال في هجاء شاعر [من المنسرح] :

لما تبدّى الكوفيُّ ينشدنا ... قلنا له : طعنةً وطاعونا
تجمع يا أحمق العبّاد لنا ... شعرك في برده وكانونا ؟

وقال في مثل ذلك [من البسيط] :

لو أن في فمه جمراً وأنشدنا ... شعراً لما ضرّه من برد إنشاده

* * *

ما أخرج من شعر أبي عثمان سعيد بن هاشم الخالدي

وهو منسوب في بعض النسخ إلى كشاجم للسبب الذي تقدم ذكره ، وما وقع

لأبي عثمان فيه التوارد مع السري أو التسارق .

قال أبو عثمان [من المنسرح] :

ادنُ من الدنّ بي فداك أبي واشرب وسقٍّ الكبيرَ وانتخبِ
أما ترى الطّل كيف يلمع في عيون نورٍ تدعو إلى الطرب ؟[1]
في كلّ عينٍ للطلّ لؤلؤة كدمعةٍ في جفون منتحب
والصبح قد جرّدت صوارمه والليل قد همّ منه بالهرب
والجوّ في حلّةٍ ممسّكةٍ قد كتبتها البروق بالذهب

وللسري في مثله [من المنسرح] :

غيومٌ تمسّك أفق السماء وبرق يكتّبها بالذهبِ[2]
فهاتها كالعروس محمرة ال خدين في معجزٍ من الحبب
كادت تكون الهواء في أرج الـ ـعنبر لو لم تكن من العنب
من كفٍّ راضٍ عن الصدود وقد غضبت في حبّه على الغضب
فلو ترى الكأس حين يمزجها رأيت شيئاً من أعجب العجب
نارٌ حواها الزجاج يلهبها الـ ـماء ودرٌّ يدور في اللهب

وقال من قصيدة [من المنسرح] :

وليس للقرّ غير صافيةٍ تدفع ما ليس يدفع الدّلَقُ[3]
درياق أفعى الشتاء وهو إذا سلّ علينا سيوفه درق[4]

(١) النور : الزهر .
(٢) هكذا ، والبيت الأول لا يوافق بقيّة الأبيات في الوزن .
(٣) القرّ : البرد . والدلق : الفرو المستخرج من حيوانٍ كالهر .
(٤) الدّرياق : الترياق ، دواء السمّ ، وسلّ : شهر ، والدرق : الترس .

وقال يدعو صديقاً له في يوم شك [من الكامل] :

هـو يومُ شكٍّ يا علـــي وشـرّه مذ كان يحذرْ
والجـوّ حلّتـه ممسّـــكةٌ ومطـرفه معنبـرْ[1]
والمـاء عوديّ القميـــص وطيلسان الأرض أخضرْ[2]
ولنـا فضيلاتٌ تكـو ن ليومنـا قوتـاً مقدَّرْ
ومدامــةٌ صفـراء أد رك عمـرها كسـرى وقيصر
وحديثنـا ما قد علمـــت وشعرنـا ما أنـت أبصر
فانشـط لنـا لنحـثَّ من كاسـاتنـا ما كـان أكبر
أوْ لا فإنـك جاهل إن قلـت إنـك سوف تعـذر

وقال ، وهو مما ينسب إلى الوزير المهلبي [من المتقارب] :

فديتـك ما شبـت من كبرةٍ وهــذي سنـيٌّ وهــذا الحساب
ولـكن هجـرْت فحـلَّ المشيب ولــو قد وصلْـت لعـاد الشباب

وقال [من مجزوء الوافر] :

بليـت بأحسـن الثقليـــن إقبـالاً ومنصرفا[3]
فمثـل الخشْـفِ ملتفتـاً ومثـل الغصـن منعطفـا[4]
يســوِّفني بنـائلـه وقــد أهــدى لـيَ الأسفا[5]
وآخــذ وصــلـه عِـدةً ويأخــذ مهجتـي سلفـا

---

(١) ممسَّك : من المسك ، ومعنبر : من العنبر .
(٢) عوديّ القميص : كناية عن جريانه الذي ينقطع .
(٣) الثقلين : الإنس والجن .
(٤) الخشف : ولد الغزال .
(٥) يسوّفني : يماطلني ، والنائل : العطاء .

وقال ، وهو مما ينسب أيضاً إلى المهلبي الوزير [من الوافر] :

دموعي فيك أنواءٌ غزارٌ ... وقلبي ما يقرُّ له قرارُ
وكل فتىً علاه ثوب سقمٍ ... فذاك الثوب منّي مستعار

وقال [من الخفيف] :

وقفتني ما بين همٍّ وبوس ... وثنت بعد ضحكةٍ بعبوسِ
ورأتني مشطت عاجاً بعاجٍ ... وهي الآبِنوسُ بالآبنوس

وللسري في معناه [من الوافر] :

رأت شيباً يضاحكها فصدَّتْ ... وكان جزاؤه منها العبوسا
وقالت إذ رأت للمشط فيه ... سواداً لا يشاكله نفيسا
تلقَّ العاج منك بمشط عاج ... ودعْ للآبنوس الآبنوسا

وأنشدني أبو سعيد بن دوست للصاحب في مثل ذلك [من الخفيف] :

هات مشطاً إلى وليِّكَ عاجاً ... فهو أدنى إلى مشيب الرءوس
وإذا ما مشطت عاجاً بعاجٍ ... فامشط الآبنوس بالآبنوس

* * *

ما أخرج من سائر غرر أبي عثمان وملحه

فمنها قوله [من المتقارب] :

كأنّ الرعود خلال البرو ... ق والريح يكثر تحريضها
زنوجٌ إذا خفَقَتْ بينها ... دبادبها جرّدت بيضها[1]

(١) الدبادب : الصياح والضجّة ، والبيض : السيوف .

وقوله [من الكامل] :

صدّت مجانبةً نوارُ ونأى بجانبها ازورارُ
ورأت ثيابي قد غدتْ وكأنّها دِمَنٌ قفار[1]
يا هذه إن رحت في خلقٍ فما في ذاك عار
هذي المدام هي الحيا ة قميصها خزفٌ وقار

وقوله [من الخفيف] :

شعر عبد السلام فيه رديءٌ ومحالٌ وساقطٌ وبديعُ
فهو مثل الزمان فيه مصيفٌ وخريفٌ وشتوةٌ وربيع

وقوله [من البسيط] :

أما ترى الغيم يا من قلبه قاسي كأنه أنا مقياساً بمقياسِ
قطرٌ كدمعي وبرقٌ مثل نار جوىً في القلب منّي وريحٌ مثل أنفاسي

وقوله [من مجزوء الرمل] :

يا نديمي أطلق الفجـ ـر فما للكأس حبسُ
قهوةٌ تعطيكها قبـ ـل طلوع الشمس شمس
وهي كالمرِّيخ لكنْ هي سعدٌ وهو نحس

وقوله [من الخفيف] :

يا قضيباً يميس تحت هلال وهلالاً يرنو بعينيْ غزالِ
منك يا شمسنا تعلّمت الشمـ ـس دنوَّ السنا وبعدَ المنال[2]

---

(١) الدمن : الأطلال والرسوم .
(٢) السنا : الضياء .

سرقه من قول ابن الرومي [من مجزوء الرمل] :

يا شبيه البدر في الـ ـحسن وفي بعد المنال

وقوله في جارية سوداء يقال شغف [من المنسرح] :

إذا تغنّت بعودها شغفٌ جاء سرورٌ يفوق كلَّ منى
واحدة الحذق لا نظير لها كالمسك لوناً وبهجةً وغنا

وقوله فيها [من الخفيف] :

تركتنا بطيبها إذ تغنّت شغفٌ بين أَنَّةٍ ونحيبِ[1]
طِبَّةٌ بالغناء فهي لأسقا م الندامى لطافة كالطبيب[2]
ألفتها القلوب لما رأتها صاغها الله من سواد القلوب

وإنما سرقه من قول ابن الرومي [من المنسرح] :

أكسبها الحبّ أنّها صبغت صبغة حبّ القلوب والحدق

ونقص أبو عثمان من المعنى إذ ترك ذكر الحدق .

وقال [من البسيط] :

يا راقداً عارياً من ثوب أسقامي هبَّ الرقاد لعين جفنُها دامي
لا خلّص الله قلبي من يديْ رشأٍ رؤيا رجائي له أضغاث أحلام

وقوله [من البسيط] :

يا حسنناً نحن في لهوٍ وليلتنا بزهر أنجمها ترمي العفاريتُ
وقد تضايق في السّكر العناق بنا كما تضايق في النّظم اليواقيت[3]

---

(١) الشغف : الحب والهوى .

(٢) طبّةٌ : مداوية .

(٣) النظم : من نظم العقد أي سلك حباته في سلكٍ واحد .

وقوله [من الكامل] :

متبرّمٌ بعتابه مستعذبٌ لعذابهِ
هجر العميد تعمّداً فغدا وراح لما به
وكساه ثوب مشيبه في عنفوان شبابه
فتراه يؤْذن في أوا ن مجيئه بذهابه

وقوله [من الخفيف] :

هتف الصبح بالدّجى فاسقنيها قهوةً تترك الحليم سفيها
لست تدري لرقةٍ وصفاءٍ هي في كأسها أم الكأس فيها

وقوله [من مجزوء الخفيف] :

ظالمٌ لي وليته الدهر يبقى ويظلمْ
وصله جنّةٌ ولكن جفاه جهنم[1]
ورضاه وسخطه الدهر عرسٌ ومأتمُ

وقوله [من الخفيف] :

إنّ شهر الصيام إذ جاء في فصل ربيعٍ أودى بحسنٍ وطيبِ
فكأنّ الورد المضعّف في الصوم حبيبٌ يمشي بجنبِ رقيب

وقوله [من مجزوء الرجز] :

وليلةٍ ليلاء في اللون كلون المفرقِ
كأنّما نجومها في مغربٍ ومشرق
دراهمٌ منشورةٌ على بساط أزرق

---

(١) الوصل : اللقاء والقرب ، والجفاء : البعد .

وقوله في معنى متداول [من الطويل] :

بنفسي حبيبٌ بان صبري لبينه وأودَعَني الأحزانَ ساعة ودّعا
وأنحلني بالهجر حتى لو أنني قذىً بين جفنيْ أرمدٍ ما توجّعا

وقوله من قصيدة [من المتقارب] :

صغيرٌ صرفت إليه الهوى وهل خاتمٌ في سوى خنصرِ
فإن شئت فاعذر ولا تلْحُني وإن شئت فالحُ ولا تعذر

وقوله [من السريع] :

همّته خمرٌ وماخور وهمّه عود وطنبورُ[1]
وليس دنياه ولا دينه إلا مهىً مثل الدمى حور
ذيل الصبا في الغيِّ مجرور والعمر باللّذات معمور
وليلة الهيكل كم أنفدتْ فيها دنانٌ ودنانير
أقبلْن كالروض تغشّاه من درٍّ وياقوتٍ أزاهير
على خصورٍ أرهفت دقةً ففي الزنانير زنابير
فما درينا أوُجُوه الدمى أحسْنُ أم تلك التصاوير[2]
وعندنا صفراء من قامرت بالسّكر منّا فهو مقمور[3]
سلاف أعناب فعنقودها من قبل أن يعصر معصور
زاد على المصباح إشراقها فهو ظلامٌ وهي النور
حتى إذا ما انحلّ جيب الدجى فينا وجيب الصبح مزرور
جرّت هناةً ليَ أجْملتها فهل لها عندك تفسير ؟[4]

(١) الماخور : مكان الشرب والمجون .
(٢) الدمى : يعني الفتيات القيان .
(٣) مقمور : مغلوب .
(٤) الهناة : الداهية .

وقوله من أبيات [من السريع] :

ريقته خمرٌ ، وأنفاسه مسكٌ ، وذاك الثغر كافورُ
أخرجه رضوان من داره مخافةً تفتتن الحور[1]
يلومه الناس على تيهه والبدر إن تاه فمعذور

وقوله [من مجزوء الرجز] :

مكحّلٌ بالدعج منقّبٌ بالغنَج
معصفرُ التفّاح في خدٍّ مليحِ الضّرج[2]
خمّشه الشعر وما ذاك لطول الحجج[3]
وإنّما عارضه شنّفه بالسبج[4]

وقوله [من البسيط] :

يا حسن دير سعيد إذ حللت به والأرض والروض في وشْي وديباجِ
فما ترى غصناً إلا وزهرته تجلوه في جبّة منها ودوّاج[5]
وللحمائم ألحانٌ تذكّرنا أحبابنا بين أرمال وأهزاج
وللنسيم على الغدران رفرفةٌ يزورها فتلقّاه بأمواج
والخمر تجلى على خطّابها فترى عرائس الكرم قد زفّت لأزواج
وكلُّنا من أكاليل البهار على رءوسنا كأنو شروان في التاج
ونحن في فلكِ اللهو المحيط بنا كأنّنا في سماءٍ ذاتِ أبراج
ولست أنسى ندامى وسط هيكله حتى الصباح غزالاً طرْفُه ساجي[6]

---

(١) رضوان : خازن الجنان .
(٢) الضرّج : ما يعلو الخدّ من حمرة .
(٣) خمّشه : ترك به آثاراً من المداعبة .
(٤) شنّفه : زيّنه وحلاّه ، والسبج : الخرز الأسود .
(٥) الدوّاج : اللّحاف الذي يلبس .
(٦) الساجي : الساكن والهادىء .

أهـز عطفيَّ قضيب البـان معتنقاً | منـه وألثـم عينـي لعبـة العاج
وقولتـي والتفاتـي عنـد منصرفي | والشـوق يزعـج قلبـي أيّ إزعاج
يا دير يا ليت داري في فنائـك أو | يا ليت أنّـك لي في درب درّاج [1]

وقوله [من الكامل] :

قمـرٌ بدير الموصـل الأعلى | أنـا عبـده وهـواه لي مولى
لثـم الصـليب فقلـت من حسدٍ | قبـل الحبيب فمـي بهـا أولى
جـدْ لي بإحداهـنّ كي يحيا بها | قلبـي فحبّتـه علـى المقلى [2]
فاحمـرّ من خجـلٍ وكم قطفت | عينـي شقائـق وجنـةٍ خجلى
وثكلـت صبـري عنـد فرقته | فعرفـت كيف تحـرّق الثكلى

وقوله من قصيدة في المهلبي الـوزير وقـد عزم على الرجـوع إلى وطنـه [مـن البسيط] :

إنّـا لنرحـل والأهـواء أجمعها | لديك مستوطنـاتٌ ليس ترتحلُ
لهنّ من خلقك الروض الأريض ومن | نداك يغمرهـنّ العـارض الهطل [3]
لكنّ كلّ فقيرٍ يسـتفيد غنىً | دعـاه شوقٌ إلـى أوطانـه عجل
وكلّ غازٍ إذا جلّـت غنيمته | فإنّ آثـر شيءٍ عنـده القفل [4]

وقوله [من الطويل] :

وكنـت أرى في النـوم هجـرك ساعةً | فأجفـو لذيذ النـوم حولاً تطيّرا
وتأمرنـي بالصبـر والقلـب كلّما | تقاضيتـه صبـراً تقـاضيت معْسرا

---

(١) درّاج : إسم مكان ، أو درب عام أدرج إليه كلّ يوم .
(٢) جذد لي : تكرّم عليّ .
(٣) الأريض : المكان الكثير العشب .
(٤) القفل : الرجوع إلى دياره .

فلمـا رأيت الغـدر من شأنـك اغتدى   غدير التصافـي بيننـا متكدِّرا
فوالله ما أهـواك إلاّ تكلّفاً   ولا أشتـكي الهجـران إلا تخمّرا

وقوله في إنسان قصير ضئيل تزوج طويلة ضخمة [من الكامل] :

يا من أحـلّ به الرزيه   وأعـاد نعمتـه بليَّهْ
حظّـي الـردى بك إذ غدت   لك بنـت عمـارٍ حظيّه[1]
قـل لي وكيف تنيكها   مع دلٍّ قامتـك القميّه ؟[2]
أنـت البعـوضة قلـةً   وكأنهـا جمـل الضحيّـه
نبئتهـا قالـت وقـد   بصـرت بأيـرك كالشظيـه !
مـن ليس تشبعـه الهريـ   ـسة كيف تشبعـه القليه ؟
فلـوِ اطَّلَعْـتَ عليهما   عنـد ارتـكابهمـا البليـه
لـذكرت في شخصيهمـا الـ   ـعنقـاء قد خطفـتْ صبيه !

وقوله [من الخفيف] :

قل لمـن يشتهـي المـديح ولكن   دون معروفـه مطـالٌ وليُّ[3]
سوف أهجـوك بعـد مدحٍ وتحريـ   ـكٍ وعتـبٍ ، وآخـر الـداء كيُّ

وقوله [من المنسرح] :

بغـداد قد صار خيرهـا شرّا   صيرهـا الله مثـل سامرّا
اطلـبْ وفتّش واحـرصْ فلسـت ترى   في أهلهـا حرَّةً ولا حرّا

وقوله من قصيدة [من البسيط] :

نيـل المطالـب بالهنـديّة البتر   لا بالأمانـي والتـأميـل للقدرِ[4]

(١) الحظيّة : الزوجة والعاشقة .
(٢) القميّة : أقمى الرجل إذا سمُن بعد هزال والقامية : الذليلة .
(٣) المطال : التسويف .
(٤) البُتر ; القاطعة .

فإنْ عفـا طللٌ أو باد ساكنه ... فلا تقف فيه بين البـثِّ والفِكَر
في شمِّك المسكَ شغلٌ عن مذاقته ... وفي سنا الشمس ما يُغني عن القمر
لو لم أكن مشْبهـاً للنـاس في خلقي ... لقلـت إنِّـيَ من جيلٍ سوى البشر
أو لم يكن ماء علمـي قاهـراً فِكَري ... لأحرفتني فـي نيرانهـا فكـري
تزيدنـي قسـوة الأيام طيب ثناً ... كأنني المسك بين الفهـر والحجر[1]
ألفـتُ من حادثـات الدهـر أكبرها ... فما أعـوج علـى أطفالهـا الأُخَر[2]
لا شيء أعجـب عنـدي في تباينه ... إذا تأمّلتـه مـن هذه الصور
أرى ثيابـاً وفـي أثنائهـا بقرٌ ... بلا قرونٍ ، وذا عيبٌ علـى البقر !
قالـت رقـدت فقلـت الهـمّ أرقدني ... والهـمّ يمنـع أحيانـاً من السهر
كم قد وقعت وقـوع الـطير في شركٍ ... فضعضعـتْ مِنِّـي منـه قوى المرر
أصفـو وأكدر أحيانـاً لمختبري ... وليس مستحسنـاً صفـوٌ بلا كدر
إنـي لأَسْيَرُ في الآفـاق من مثلٍ ... فردٍ وأمـلأُ للآفـاق مـن قمر
إذا تشـكّكت فيمـا أنـت مبصره ... فلا تقـل إنّنـي في النـاس ذو بصر
وكيف يفـرح إنسـان بمقلته ... إذا نضاهـا فلـم تصدقْـه في النظر !
لقـد فرحـت بمـا عاينـت من عدمٍ ... خوف القبيحين من كبرٍ ومـن بطر[3]
وربّمـا ابتهـج الأعمـى بحالته ... لأنـه قد نجـا من طيرة العور
ولسـت أبـكي لشيبٍ قد منيت بهِ ... يبكي على الشيب من يأسي على العمر
كن من صديقـك لا من غيره حذراً ... إن كان ينجيك منـه شدة الحذر
ما أطمئـن إلـى خلـقٍ فأخبرهْ ... إلاّ تكشّفَ لي عن لؤم مختبر
وقـد نظـرت إلـى الـدنيا بمقلتها ... فاستصغرتهـا جفونـي غاية الصغر

---

(١) الفهر : حجرٌ رقيق تسحق به الأدوية .
(٢) أعوج : أميل وأتطلع .
(٣) البطر : التكبّر من أثر النعمة .

وما شكرت زماني وهو يصعدني فكيف أشكره في حالِ منحدر
لا عار يلحقني إني بلا نشبٍ وأي عارٍ على عينٍ بلا حور[1]
فإن بلغت الذي أهوى فعن قدرٍ وإن حرمت الذي أهوى فعن عذر

* * *

١٠٨ ـ أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان المعروف بالخباز البلدي

هو من بلدة يقال لها « بلد » من بلاد الجزيرة التي فيها الموصل ، وأبو بكر من حسناتها .

ومن عجيب شأنه أنه كان أمياً ، وشعره كله ملح وتحف ، وغرر وطرف ولا تخلو مقطوعة له من معنى حسن أو مثل سائر ، وهو القائل [من السريع] :

بالغت في شتمي وفي ذمّي وما خشيت الشاعر الأميّ
جرّبت في نفسك سمّاً فما أحمدت تجريبك للسمّ

وكان حافظاً للقرآن مقتبساً منه في شعره ، كقوله [من الطويل] :

ألا إنّ إخواني الذين عهدتهم أفاعي رمالٍ لا تقصّر في لسعي
ظننت بهم خيراً فلما بلوتهم نزلت بوادٍ منهم غيرِ ذي زرع

وقوله [من الطويل] :

كأنّ يميني حين حاولت بسطها لتوديع إلفي والهوى يذرف الدمعا
وقائلةٍ هل تملك الصبر بعدهم فقلت لها لا والذي أخرج المرعى
يمين ابن عمرانٍ وقد حاول العصا وقد جُعلتْ تلك العصا حيَّةً تسعى

(١) النشب : المال وغيره من النعم .

وقوله [من الخفيف] :

أتـرى الجيرة الـذين تداعوْا بكرةً للـرحيل قبـل الزوالِ
علمـوا أنّنـي مقيمٌ وقلبي راحـلٌ فيهـمُ أمـام الجمال
مثـل صاع العـزيز في أرحـل القو م ولا يعلمـون ما في الرحال[1]

وقوله [من الكامل] :

سـار الحبيب وخلَّفَ القلبا يُبـدي العـزاء ويُضْمـر الكربا
قـد قلـت إذ سار السـفين بهم والشـوق ينهـب مهجتـي نهبا
لـو أن لي عزاً أصـول به لأخـذت كلّ سفينـةٍ غصبا

وكان يتشيع ، ويتمثل في شعره بما يدل على مذهبه ، كقوله [من الكامل] :

وحمـائـمٍ نبّـهننـي والليـل داجـي المشرقيـن
شـبّهتهـنّ وقـد بكيـ ـن ومـا ذرفـن دمـوع عين
بنسـاء آل محمـدٍ لمـا بكين علـى الحسين

وكقوله [من الوافر] :

جحـدتَ ولاءَ مولانـا عليٍّ وقدَّمْـتَ الدعـيَّ علـى الوصيِّ
متـى ما قلـت إنّ السيف أمضى من اللحظـات في قلـب الشجيِّ
لقـد فعلـت جفونـك في البرايا كفعـل يزيد في آل النبيِّ

وكقوله [من مجزوء الرمل] :

أنـا إن رمـت سلوّاً عنـك يـا قرَّة عيني
كنـت في الإثـم كمـن شا رك فـي قتـل الحسينِ

---

(١) صاع العزيز : وهو الصاع الذي وضعه يوسف في رحل إخوته عندما جاءوا يكتالون القمح .

لـك صولاتٌ علـى قلـــــبـي بقـدٍّ كالرُّدَيْنـي[1]
مثـل صولاتِ علـيٍّ يـوم بـدرٍ وحنيـن

وكقوله [من الخفيف] :

أنــا في قبضــة الغــرام رهين بين سيفين أرهفــاً ورُدَيْني
فــكأن الهــوى فتــىً علويٌّ ظنَّ أنــي وليت قتــل الحسين
وكأنّــي يزيد بيـن يديه فهــو يختــار أوجــع القتلتين

وكقوله [من البسيط] :

انظــر إلــيَّ بعين الصفــح عن زللي لا تتركَنِّــيَ من ذنبــي علــى وجل[2]
موتــي وهجــرك مقرونــان في قرنٍ فكيف أهجــر من في هجــره أجلي
وليس لي أمــلٌ إلا وصالكم فكيف أقطــع من في وصلــه أملي
هذا فؤادِيَ لم يملــكْه غيرُكُمُ إلا الوصــيُّ أمير المــؤمنين علي

وكقوله [من الوافر] :

تظــن بأننــي أهــوى حبيبا سواك علــى القطيعــة والبعادِ
جحــدت إذن موالاتــي عليّاً وقلــت بأنّنــي مولـى زيـاد

* * *

ما أخرج من سائر ملحه

فمنها قوله [من الوافر] :

إذا استثقلــت أو أبغضــت خلقاً وســرَّكَ بعــده حتـى التنادي[3]

---

(١) الرديني : الرمح .
(٢) الزلل : الخطأ ، والوجل : الخوف .
(٣) التنادي : القيامة .

فشرّده بقرض دريهماتٍ فإنّ القرض داعية البعادِ

وقوله [من الوافر] :

أقول لليلة فيها أتاني حبيبٌ في مصارمتي لجوجُ[1]
أيا ليلي الذي ما كنت تفنى قصرْتَ وكنت قِدْماً ما تروج !
أيأجوجٌ إذا نحن التقينا وأيام التهاجر أنت عوج[2]

وقوله [من الطويل] :

ذرى شجر للطير فيه تشاجرُ كأنّ صنوف النور فيه جواهرُ
كأنّ نسيم الروض في جنباته لخالخ فيما بيننا وزرائر[3]
كأنّ القمارى والبلابل حولها قيانٌ وأوراق الغصون ستائر[4]
شربنا على ذاك الترنّم قهوةً كأنّ على حافاتها الدرّ دائر

وقوله ، وهو مما يتغنى به [من البسيط] :

وروضةٍ بات طلّ الغيث ينسجها حتى إذا نجمتْ أضحى يدبّجها[5]
يبكي عليها بكاء الصَّبّ فارقه إلْفٌ فيضحكها طوراً ويبهجها
إذا تنفّس فيها ريح نرجسها ناغى جَنِيٌّ خزاماها بنفسجها
أقول فيها لساقينا وفي يده كأسٌ كشعلة نارٍ إذ يؤجّجها
لا تمزجنْها بغير الريق منك وإن تبخل بذاك فدمعي سوف يمزجها

---

(١) المصارمة : المقاطعة والهجر ، واللجوج : الملحّ .
(٢) يأجوج : ورد ذكره في القرآن الكريم ، وعوج : من ولد آدم يقال إنّه لفرط طوله كان يمشي في البحر ويشوي السمكة في أشعّة الشمس .
(٣) لخلخ : من اللخلخة ، وهو طيبٌ معروف .
(٤) القماري : من الطيور المغرّدة .
(٥) نجمت : طلعت .

أقـل ما بي من حبِّكَ أنّ يدي إذا دنــتْ من فؤادي كاد ينضجها

وقوله [من مجزوء الرمل] :

ومــدام كســت الكأ س مــن النّــور وشاحـا
ظهــرت في جنــح ليلٍ فكـأنَّ الفجـرَ لاحـا
لــم يكن وقــت صباحٍ فحسـبنـــاه صبــاحـــا

وقوله [من مجزوء الرمل] :

قلــت والليل له الويـ ـلُ مقيمٌ غيرُ ساري
أعظــم الخالــقُ أجــرَ الـ ـخلــق فـي شمس النهار
فلقــد ماتــت كمـا مـا ت عزائــي واصطبـاري

وقوله [من الخفيف] :

أنــا أخفــي من أن يحس بجسمي أحــد حيث كنــت لولا الأنينُ
فكأنــي الهــلال في ليلــة الشـــــك نحــولاً فمـا ترانــي العيون

وقوله [من الخفيف] :

صدَّنــي عــن حلاوة التشييع اجتنابــي مـرارةَ التوديعِ
لــم يقــم أنس ذا بوحشــة هذا فرأيت الصــواب تركَ الجميع

وقوله [من السريع] :

يا ذا الــذي أصبــح لا والدٌ له علــى الأرض ولا والدهْ
قــد مات من قبلهمــا آدمٌ فأيُّ نفسٍ بعــده خالده
إن جئــت أرضــاً أهلهــا كلهم عورٌ فغمِّضْ عينَــكَ الواحده

وقوله [من السريع] :

نكبــت في شعــري وثغــري وما نفسِــيَ في صبـري بمنكوبهْ

إذا دنتْ بيضاء مكروهة منّي نأت بيضاء محبوبه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

قالوا تكهّل من هويـ ـت فقلت رسمٌ قد دثرْ
عاينت من طلاّبه زمراً مواصلةً زمر
وكذاك أصحاب الحديـ ـث نفاقهم عند الكبر

وقوله [من المتقارب] :

بكيت بدمع يفوق السحابَ إلى أن جرى الماء حولي وساحا
ولو لم أكن رجلاً سابحاً غرقت وألزمت نفسي الجناحا

وقوله [من البسيط] :

ليل المحبين مطويٌّ جوانبُهُ مشمّر الذيل منسوب إلى القصرِ
ما ذاك إلاّ لأنّ الصبح نمٌّ بنا فأطلع الشمس من غيظٍ على القمر[1]

وقوله [من مجزوء الوافر] :

بدائع خدّه ورد صوالج صدغه سبجُ
إذا اتّصلت محاسنه نقطّع بينها المهج

وقوله ، وهو مما يستغفر منه [من البسيط] :

يا قاسم الرزق لم خانتنِيَ القسمُ ما أنت متّهم قل لي من أتّهمُ ؟
إن كان نجمِيَ نحساً أنت خالقه فأنت في الحالتين الخصم والحكم !

وقوله في أمرد التحى [من السريع] :

انظر إلى ميت ولكنه خلو من الأكفان والغاسلِ

(١) نمّ : وشى ودلّ .

قد كتب الدهر على خده ... بالشعر هذا آخر الباطل

وقوله [من الطويل] :

أهزّك لا أني عرفتك ناسياً ... لوعدٍ ولا أني أردت تقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سلّه ... إلى الهزّ محتاجاً وإن كان ماضيا [1]

أحسن ، وأبلغ منه في معناه قول محمد بن أبي زرعة الدمشقي [من الخفيف] :

لا ملومٌ مستقصرٌ أنت في البرّ ... ولكن مستعطفٌ مستزادُ
قد يهزّ الهنديّ وهو حسامٌ ... ويحثّ الجواد وهو جواد

* * *

١٠٩ ـ عبيد الله بن أحمد البلدي النحوي

لم أسمع ذكره وشعره إلا من أبي الحسن المصيصي الشاعر ، وكان قد عاشره واستكثر منه ، فحكى لي أنه كان أعور ، فاعتلت عينه الصحيحة ، حتى أشرف على العمى فقال وأستغفر الله من كتبه [من مخلع البسيط] :

إن قلت جوراً فلا تلمني ... بأن ربّاً الورى المسيحُ
أراك تعمى وذاك يبري ... فهو إذاً عندي الصحيح

قال : وأنشدني عبيد الله لنفسه [من مخلع البسيط] :

للحسن في وجهه شهود ... تشهد أنّا له عبيدُ
كأنّما خدّه وصالٌ ... وصدغه فوقه صدود
يا من جفاني بغير جرمٍ ... أَقْصِرْ فقد نلت ما تريد [2]

---

(١) الهزّ : التحريك ، وماضياً : قاطعاً .

(٢) أقصر : كفَّ وامتنع .

إن كان قد رقَّ ثوب صبري عنك فثوب الهوى جديد

وقال : أنشدني لنفسه أيضاً [من مجزوء الكامل] :

يا ذا الذي في خدّه جيشان من زنجٍ وروم
هذا يغير على القلو ب وذا يغير على الجسوم
إني وقفت من الهوى في موقفٍ صعبٍ عظيم
كوقوف عارضك الذي قد حار في ماء النعيم

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من مجزوء الكامل] :

هات المدامة يا شقيقي نشربْ على روض الشقيقِ
كأس العقيق نديرها ما بين أكناف العقيق[1]

آخر القسم الأول من كتاب يتيمة الدهر حسب تقسيم المؤلف رحمه الله تعالى ويتلوه القسم الثاني، وهو في « أخبار دولة آل بويه » .

(١) الأكناف : الجوانب .



القســم الثانــي

من يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر

وهو في أخبار دولة آل بويه

بسم الله الرحمن الرحيم

أبدأ - بعد حمد الله تعالى ، والصلاة على محمد المصطفى وآله - بباب مقصور على ملوك آل بويه الذين شعروا ورويت أشعارهم ، لما تقدم ذكره من الانتساب إلى قائلها ، لا لكثرة طائلها ، والله الموفق للصواب .

البــاب الأول

في ذكرهم ، وما أخرج من ملحهم وأشعارهم



١١٠ ـ عضد الدولة أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة

كان ـ على ما مكن له في الأرض ، وجعل إليه من أزمة البسط والقبض . وخص به من رفعة الشان ، وأوتي من سعة السلطان ـ يتفرغ للأدب ، ويتشاغل بالكتب ، ويؤثر مجالسة الأدباء ، على منادمة الأمراء ، ويقول شعراً كثيراً يخرج منه ما هو من شرط هذا الكتاب من الملح والنكت ، وما أدري كم فصل بارع ، ووصف رائع ، قرأته للصاحب في وصف عضد الدولة .

فمن ذلك : وأما قصيدة مولانا فقد جاءت ومعها عزة الملك ، وعليها رواء الصدق ، وفيها سيما العلم ، وعندها لسان المجد ، ولها صيال الحق .

ومنه : لا غرو إذا فاض بحر العلم ، على لسان الشعر ، أن ينتج ما لا عين وقعت على مثله ، ولا أذن سمعت بشبهه .

ومنه : لو استحق شعر أن يعبد لعذوبة مناهله ، وجلالة قائله ، لكانت قصيدته هي . إلا أني اتخذتها عند امتناع ذلك قبلة ، أوجه إليها صلوات التعظيم ، وأقف عليها طواف الإجلال والتكريم .

ومنه : شعر قد حبس خدمته على فكره ، ووقف كيف شاء على أمره ، فهو يكتب في غرة الدهر ، ويشدخ جبهتي الشمس والبدر .

ثم من أراد أن ينظر في أخبار عضد الدولة ويقف على محاسن آثاره ، فليتأمل الكتاب التاجي ، من تأليف أبي إسحاق الصابي ، لتجتمع له مع الإحاطة بها بلاغة من قد تسهل له حزونها ، ولا ينته متونها ، وأطاعته عيونها .

حدثني أبو بكر الخوارزمي ، قال : كان ينادم عضد الدولة بعض الأدباء الظرفاء ، ويحاضر بالأوصاف والتشبيهات ، ولا يحضر شيء من الطعام والشراب وآلاتهما وغيرها ، إلا وأنشد فيه لنفسه أو لغيره شعراً حسناً ، فبينا هو ذات يوم معه على المائدة ينشد كعادته إذ قدمت بهطة[1] فنظر عضد الدولة كالآمر إياه بأن يصفها ، فأرتج عليه ، وغلبه سكوت معه خجل ، فارتجل عضد الدولة وقال [من السريع] :

بهطة تعجز عن وصفها   يا مدعي الأوصاف بالزورِ[2]
كأنّها في الجام مجلوّةٌ   لآلىءٌ في ماء كافور[3]

وأنشدني محمد بن عمر الزاهر قال : أنشدني أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، قال : أنشدني عضد الدولة لنفسه في أبي تغلب ، عند اعتذاره إليه من معاودة بختيار عليه، والتماسه كتاب الأمان منه [من الكامل] :

أأفاق حين وطئت ضيق خناقه   يبغي الأمان وكان يبغي صارما
فلأركبنّ عزيمةً عضديَّةً   تاجيَّةً تدع الأنوفَ رواغما[4]

(١) البهطة : الأرز يطبخ باللبن والسمن .
(٢) الزور : الكذب .
(٣) الجام : إناءٌ من فضّة .
(٤) رواغماً : أي ممتلة ومذعنة .

ومما ينسب إليه ، وأنا أشك فيه ، أبيات يتداولها القوالون وهي [من الوافر] :

طربت إلى الصبوح مع الصباح وشرب الراح والغرر الملاح
وكان الثلج كالكافور نثراً ونارٌ عند نارنْجٍ وراح
فمشمومٌ ومسروبٌ ونارٌ وصبحٌ والصبوح مع الصباحِ[1]
لهيبٌ في لهيبٍ في لهيبٍ صباحٌ في صباحٍ في صباح

وأنشدني أبو سعيد نصر بن يعقوب أبياتاً لعضد الدولة ، اخترت منها قوله في الخيري [من البسيط] :

يا طيب رائحةٍ من نفحة الخيري إذا تمزّق جلباب الدياجيرِ[2]
كأنّما رشّ بالماورد أو عبقت فيه دواخن ندٍّ عند تبخير
كأنّ أوراقه في القدّ أجنحةٌ صفرٌ وحمر وبيضٌ من دنانير

واخترت من قصيدته التي فيها البيت الذي لم يفلح بعده أبداً قوله [من الرمل] :

ليس شرب الكأس إلاّ في المطر وغناء من جوارٍ في السحرْ
غانيات سالبات للنهى ناغمات في تضاعيف الوتر
مبْرزات الكأس من مطلعها ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاّب القدر
سهّل الله له بغيته في ملوك الأرض ما دار القمر
وأراه الخير في أولاده ليساس الملك منه بالغرر[3]

فيحكي أنه لما احتضر لم ينطق لسانه إلا بتلاوة قوله تعالى ﴿ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه﴾[4] .

* * *

---

(١) المشموم : المسك . والمسروب : الخمر المتسرّب من الدن .

(٢) الخيري : نوع من الورد الذكيّ الرائحة ، والدياجير : الظلمات .

(٣) ليساس : ليقاد . والغرر : الأفعال البيضاء .

(٤) الآيتان ٢٨ و ٢٩ من سورة الحاقة .

١١١ - عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة

لم أسمع له شعراً حتى ورد نيسابور هرون بن أحمد الصيمري ، ورأيته متصلاً بالأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي ، فعرض على كتابه المترجم بحديقة الحدق ، وفيه أنشدني بعض أخوالي قال : أنشدني القاضي أبو بكر بن قريعة ، قال : أنشدني عز الدولة لنفسه [من المتقارب] :

فيا حبذا روضتنا نرجسٍ ... تحيّي النداMى بريحانها
شربنا عليها كأحداقنا ... عقاراً بكأسٍ كأجفانها
ومسنا من السكر ما بيننا ... نجرّر ريطاً كقضبانها[1]

وبهذا الإسناد له [من الكامل] :

اشرب على قطر السماء القاطر ... في صحن دجلة واعصِ زجر الزاجرِ
مشمولةً أبدى المزاج بكأسها ... درّاً نثيراً بين نظم جواهر
من كفّ أغيدَ يستبيك إذا مشى ... بدلال معشوقٍ ونخوة شاطر[2]
والماء ما بين الغصون مصفّقٌ ... مثل القيان رقصْن حول الزامر

وأنشدني أبو سعيد[3] قال : أنشدني أبو جعفر الطبري طبيب آل بويه ، قال : أنشدني بختيار لنفسه [من الوافر] :

وفاؤك لازمٌ مكنون سرّي ... وحبّك غايتي والشوق زادي
وخالك في عذارك في الليالي ... سوادٌ في سوادٍ في سوادِ

* * *

(١) ماس : تمايل دلاً ، والريط : الملاء .
(٢) يستبيك : يسلبّ لبّك ، ويستأسرك .
(٣) في إحدى نسخ ١ « سعد » محرّفاً .

١١٢ ـ تاج الدولة أبو الحسين(١) أحمد بن عضد الدولة

هو آدب آل بويه وأشعرهم وأكرمهم ، وكان يلي الأهواز ، فأدركته حرفة الأدب ، وتصرفت به أحوال أدت الى النكبة والحبس من جهة أخيه أبي الفوارس، فلست أدري ما فعل به الدهر الآن .

أنشدني أبو سعيد بن دوست ، قال : أنشدني أبو الحسن محمد بن المظفر العلوي النيسابوري ، قال : أنشدني أبو العباس الملحي القوال بسوق الأهواز ، قال : أنشدني تاج الدولة أبو الحسين بن عضد الدولة لنفسه [من الطويل] :

سلامٌ على طيفٍ ألمَّ فسلَّما ... وأبدى شعاع الشمس لما تكلّما(٢)

بدا فيدا من وجهه البدر طالعاً ... لدى الروض يستعلي قضيباً منعّما

وقد أرسلت أيدي العذارى بخدّه ... عذاراً من الكافور والمسك أسحما(٣)

وأحسب هاروتاً أطاف بطرفه ... فعلّمه من سحره فتعلّما(٤)

ألمّ بنا في دامس الليل فانجلى ... فلما انثنى عنّا وودّع أظلما

وأنشدني بديع الزمان له هذين البيتين [من الطويل] :

هبِ الدهر أرضاني وأعتب صرفه ... وأعقب بالحسنى من الحبس والأسرِ

فمن لي بأيام الشباب التي مضت ... ومن لي بما أنفقت في الحبس من عمري؟

ووجدت مجموعاً من شعر تاج الدولة أبي الحسين بخط أبي الحسن علي بن أحمد بن عبدان ، فاخترت منه قوله رحمه الله تعالى في أرجوزة [من مجزوء الرجز] :

ألا شفيت علّتي من العداة بالتي

---

(١) وفيها « أبو الحسن » .

(٢) ألمّ : حلّ وزار .

(٣) الأسحم : الأسود .

(٤) هاروت : ملك كان ببابل ورد ذكره في القرآن الكريم .

وصــــارمٍ مهنّـــدٍ ماضٍ رقيق الشفرةِ
وليلـةٍ أحييتـهـــا منـوطـةٍ بليلـــة
كأنمــا نجـمُ الثريّـــــا في الدجـى ومقلتـي
جوهرتـا عقـدٍ على نحـر فتـاةٍ طفلة
أفـكر في بنـي أبي وفعـل بعض إخوتـي
تظـنّ أنّـي أحمـل الـــــضيم فأيـن همتـي
تقنـعٍ بالأهـواز لي وواســط والبصــرة
لست بتـاج الدولة سليل تـاج الملة
إن لم تزر بغــداد بي عمّـا قليل كبّتي[1]
وعسـكـرٍ عرمـرمٍ يملـك كـلّ بلـدة
حشـو الجبـال والفلا مواكـبٌ مـن غلمتـي[2]
نصرتهـم منّـي ومن ربٍّ السمــاء نصرتـي

وقوله من قصيدة [من الرجز] :

أنــا ابـن تاج الملــة المنصـور تا ج الدولـة الموجـود ذو المناقبِ
أسمــاؤنـا في وجــه كلّ درهمٍ وفـوق كلّ منبـرٍ لخاطب

وقوله من قصيدة [من الوافر] :

أنـا التـاج المرصّـع في جبين الـــــممـالك سالك سبـل الصلاحِ
كتائبنـــا يلـوح النصـر فيها برايات تطـرّق بالنجاح
تــكاد ممــالك الآفـاق شرقاً تسير إلــيَّ من كل النواحي
ألا لله عرضٌ لي مصونٌ مقـام المجـد بالمـاء المباح

---

(١) الكبّة : الحملة والدفعة في الحرب .
(٢) غلمتي : جنودي ، والمعنى أنّ جنوده يملأون الجبال والفلوات .

وقوله من طردية [الرجز] :

صرنا مع الصباح بالفهود ... مردفةً فوق متون القودِ
قد وطئت توطئة المهود ... بالقطف والجلال واللبود[1]
فهي كقومٍ فوقها قعود ... قد ألبستْ وشياً على الجلود
يخالها الناظر كالأسود ... تبكي لشبلٍ ضائعٍ فقيد
بأدمعٍ على الخدود سود ... فقابلت مرادها في البيد
وقطّعت حبائل المسود ... تفوت لحظ الناظر الحديد[2]
ركضاً إلى اقتناص كلّ رود ... فكم بها من هالكٍ شهيد[3]
منْعفر الخدّ على الصعيد ... بنحسها نظلُّ في السعود
جدنا بها ، والجود بالموجود ... فكثرتْ ولائم الجنود

* وشبّت النيران بالوقود *

واخترت منه قوله في الغزل سامحه الله تعالى وعفا عنه [من الهزج] :

سقاني سَحَراً خمرهْ ... وقد لاحت لي النّثرهْ[4]
غزالٌ فاتن الطّرف ... مليح الوجه والطُّرَّه
أنا ملكٌ وقد ملكـ ... ـت قلبي صاحب الوفره[5]
وقد زرفن صدغيْه ... على أبهى من الزهره
فمن أسود في أبيـ ... ـض في أحمر في صفره
إذا حاول أن يجهـ ... ـل أو تبدو له نفره
أعان الشيخ إبليسٌ ... عليه فأتى مكره

---

(١) القطف : جمع قطيفة ، وهي دثار مخمَّل .
(٢) المسود : جمع مسد : وهو جبلٌ من ليف مضفور . والناظر الحديد : أي القويّ .
(٣) الرود : الفتاة الحسناء .
(٤) النثرة : كوكبان متقاربان بهما بياض .
(٥) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس .

وله في النكبة[1] [من البسيط] :

حتى متى نكبات الدهر تقصدني ... لا أستريح من الأحزان والفكَرِ
إذا أقول مضى ما كنت أحذره ... من الزمان رماني الدهر بالغير[2]
فحسبي الله في كلّ الأمور فقد ... بُدِّلْتُ بعد صفاء العيش بالكدر

* * *

١١٣ ـ أبو العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة رحمهم الله تعالى !

أنشدت له أبياتاً ، تدل على فضل مستكثر من مثله ، ولم يحضرني إلا هذه [من مجزوء الرمل] :

أدر الكأس علينا ... أيُّها الساقي لنطربْ
من شمولٍ مثل شمسٍ ... في فم النّدمان تغرب
فحكت حين تجلّت ... قمراً يلثم كوكب[3]
ورد خديه جنىً ... لكن الناطور عقرب
فإذا ما لدغت فالـ ... ـريق درياق مجرّب

---

(١) هذه القطعة ليست في «ب» .
(٢) الغير : النوائب والصروف .
(٣) حكت : شابهت .

الباب الثاني

١١٤ - في ذكر المهلبي الوزير وملح أخباره ، ونصوص فصوله وأشعاره

هو أبو محمد الحسن بن محمد ، من ولد قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة ، كان من ارتفاع القدر ، واتساع الصدر ، ونبل الهمة ، وفيض الكف ، وكرم الشيمة : على ما هو مذكور مشهور ، وأيامه معروفة في وزارته لمعز الدولة ، وتدبيره أمور العراق ، وانبساط يده في الأموال ، مع كونه غاية في الأدب والمحبة لأهله ، وكان يترسل ترسلاً مليحاً ، ويقول الشعر قولاً لطيفاً ، يضرب بحسنه المثل ، ولا يستحلي معه العسل ، يغذي الروح ، ويجلب الروح ، كما قال بعض أهل العصر [من الخفيف] :

بأبي من إذا أراد سراري   عبرت لي أنفاسه عن عبيرِ
وسباني ثغرٌ كدرٍ نظيمٍ   تحته منطق كدرٍّ نثير
وله طلعة كنيل الأماني   أو كشعر المهلّبي الوزير

حدثني أبو بكر الخوارزمي وأبو نصر بن سهل بن المرزبان وأبو الحسن المصيصي ، فدخل حديث بعضهم في بعض فزاد ونقص ، قالوا : كانت حالة المهلبي الوزير قبل الاتصال بالسلطان حال ضعف وقلة ، وكان يقاسي منها قذى

عينه ، وشجى صدره ، فبينما هو ذات يوم في بعض أسفاره مع رفيق له من أصحاب الجراب والمحراب ، إلا أنه من أهل الآداب ، إذ لقي في سفره نصباً ، واشتهى اللحم ، فلم يقدر على ثمنه ، فقال ارتجالا [من الوافر] :

ألا موتٌ يباع فأشتريه فهذا العيش ما لا خير فيهِ
ألا موتٌ لذيذ الطعم يأتي يخلّصني من العيش الكريه
إذا أبصرت قبراً من بعيد وددت لو آنني ممّا يليه
ألا رحم المهيمن نفس حرٍّ تصدّق بالوفاة على أخيهِ

فاشترى له رفيقه بدرهم واحد لحماً ، فأسكن به قرمه[1] وتحفظ الأبيات وتفارقا ، وضرب الدهر ضرباته ، حتى ترقت حالة المهلبي إلى أعظم درجة من الوزارة فقال [من مجزوء الكامل] :

رقّ الزمان لفاقتي ورثى لطول تحرُّقي
وأنالني ما أرتجي وأجار مما أتّقي
فلأصْفَحَنْ عمّا أتاه من الذنوب السُّبَّقِ
حتى جنايته بما فعل المشيب بمفرقي

وحصل الرفيق تحت كلكل من كلاكل الدهر ، ثقل عليه بركه[2] وهاضه عركه[3] فقصد حضرته ، وتوصل إلى إيصال رقعة تتضمن أبياتاً منها [من الوافر] :

ألا قل للوزير فدته نفسي مقال مذكّر ما قد نسيهِ :
أتذكر إذ تقول لضنك عيشٍ ألا موتٌ يباع فأشتريه ؟

فلما نظر فيها تذكره ، وهزته أريحية الكرم، للحنين إليه ، ورعاية حق

(١) القَرَم : شدة الشهوة إلى اللحم .
(٢) البرك : البروك وهو النزول .
(٣) عركه : عفاه دلكاً وحكاً وحمل عليه .

الصحبة فيه ، والجري على حكم من قال [من البسيط] :

إنّ الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن[1]

وأمر له في عاجل الحال بسبعمائة درهم ، ووقع في رقعته ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء﴾ ثم دعا به وخلع عليه وقلده عملاً يرتفق به ، ويرتزق منه .

ونظير البيتين قول بعضهم [من البسيط] :

قل للوزير أدام الله دولته ... أَذْكَرْتَنا أدْمنا ، والخبز خشكارُ[2]

إذ ليس في الباب بوّابٌ لدولتكم ... ولا حمارٌ ولا في الشطِّ طيَّار

وحكى أبو إسحاق الصابي في الكتاب التاجي قال : كان لمعز الدولة أبي الحسين غلام تركي يدعى تكين الجامدار أمرد، وضيء الوجه ، منهمك في الشرب لا يعرف الصحو ، ولا يفارق اللعب واللهو ، ولفرط ميل معز الدولة إليه وشدة إعجابه به ، جعله رئيس سرية جردها لحرب بعض بني حمدان ، وكان المهلبي يستظرفه ويستحسن صورته ، ويرى أنه من عدد الهوى ، لا من عدد الوغى ، فمن قوله فيه [من مجزوء الكامل] :

ظبيٌ يرق الماء في ... وجناته ويرق عودهُ

ويكاد من شبه العذا ... رى فيه أن تبدو نهوده

ناطوا بمعقد خصره ... سيفاً ومنطقة تؤوده[3]

جعلوه قائد عسكرٍ ... ضاع الرعيل ومن يقوده ![4]

---

(١) أسهلوا : أي أصابتهم النعمة .

(٢) الأدم : الطعام . والخشكار : صفة للخبز « فارسية » .

(٣) تؤوده : تثقله وتتعبه .

(٤) الرعيل : هنا الجيش .

فما كان بأسرع من أن كانت الدائرة على هذا القائد ، وخرج الأمر على ما أشار به المهلبي .

ومما يستحسن في هذا المعنى قول ابن المعتز في وصف خادم [من الطويل] :

عجبت لتأمير الرجال مقرطقاً ينوء بخصرٍ في القباء هضيم[1]
يذكّر عزاب الجيوش إذا بدا بخدّ كعابٍ أو بمقلة ريم[2]

وذكر الصابي أن أبا عيينة المهلبي ، الذي استفرغ نسيبه في صاحبته دنيا من عمومة الوزير ، وكان المهلبي يحفظ أكثر أشعاره ، ويتأسف على ما فاته من زمانه فمن قوله [من الكامل] :

إنّي وصلت مفاخري بأبٍ حاز الفخار وطاول العليا
وأجاب داعيه وخلّفني وحديثه فكأنما يحيا
وتلوْتُ عمّي في تغزّله وشربت ريّا من هوى ريا[3]
فكأنّني هو في صبابته وكأنّه في حسنها دنيا

وقوله لما تقلد الوزارة [من الطويل] :

لقد ظفرت والحمد لله منيتي بما كنت أهوى في الجهارة والنجوى[4]
وشارفت مجرى الشمس فيما ملكته من الأرض واستقررت في الرتبة العليا
وعاينت من شعر العييني حلّةً تعاون فيها الطبع والمهجة الحرا

(١) المقرطق : اللابس لنوعٍ من الثياب يقال له « القرطق » .
(٢) العازب : من لا زوج له .
(٣) تلوت : خلفته وتبعته .
(٤) النجوى : الأسرار .

فحرّكنـــي عرق الوشيجـــة والهوى لعمّي وأطّتْ بي إلى الرّحـم القربى[1]
فيا حسرتـــى أن فات وقتـــي وقته ويا حســـرةً تمضـــي وتتبعهـــا أخرى
ويا فوز نفســـي لو بلغـــت زمانه وبغيتـــه دنيا وفـــي يدِيَ الدنيا
فمكنتـــه من أهـــل دنيا وأرضها ففـــاز بمـــا يهـــوى وفـوق الـذي يهوى

ما أخرج من كتاب الروزنامجة للصاحب إلى ابن العميد مما يتعلق بملح أخبار المهلبي

فصل : وردت أدام الله عز مولانا العراق ، فكان أول ما اتفق لي استدعاء مولاي الأستاذ أبي محمد أيده الله ، وجمعه بين ندمائه من أهل الفضل وبيني . وكان الذي كلمني منهم شيخ ظريف خفيف الروح أديب ، متقعر في كلامه لطيف يعرف بالقاضي ابن فريعة فإنه جاراني في مسائل خفتها تمنع من ذكرها وافتضاضها إلا أني استظرفت قوله في حشو كلامه هذا الـذي أوردته الصافـة عن الصافـة ، والكافة عن الكافة ، والحافة عن الحافة ، وله نوادر غريبة وملح عجيبة .

ومنها أن كهلاً تطايب بحضرة الأستاذ أبي محمد أيده الله سأله عن حد القفا مريداً تخجيله ، فقال : هو ما اشتمل عليه جربانـك ، ومازحـك فيه إخوانـك ، وباسطك فيه غلمانك ، وأدبك عليه سلطانك ، فهذه حدود أربعة .

فانصرفت وقد ورد الخبر بمضي أبي الفضل صاحب البريد رضي الله عنه ورحمه وأنسأ أجل مولانا ومد فيه ، فساعدت القوم على الجلوس للتعزية عنه لما كان من الحال يعرف بيني وبينه [من الكامل] :

صلـةٌ غدَتْ في النـــاس وهـــي قطيعةٌ عجبـــاً وبِـــرٌّ راح وهـــو جفـاءُ

فما تمكنت أن جاءني رسول الأستاذ أبي محمد أيده الله يستدعيني فعرفته

---

(١) الوشيجة : القرابة والصلة . وأطّت : شدّت وحملت .

عذري وحسبته يعفيني ، فعاودني بمن استحضرني فدخلت عليه وقد قعد للشرب فأكرهني عليه، ثم قال : أتعرف أحسن صنيعاً مني بك ، وقد نقلتك عن واحرباه الى واطرباه ، وسمعت عنده خادمه المسمى سلافاً ، وهو يضرب بالطنبور ويجيد ويغني ويحسن ، وفيه يقول وقد شربنا عنده سلافاً [من الخفيف] :

قد سمعنا وقد شربنا سُلافاً　　وجمعنا بلطفهِ أوصافا

وشاهدت من حسن مجلسه وخفة روح أدبه وإنشاده للصنوبري وطبقته ما طاب به الوقت ، وهشت له النفس ، وشاكل رقة ذلك الهوى ، وعذوبة ذلك اللمى .

وكان فيما أنشدني لنفسه وقد عمله في بعض غلمانه [من الكامل] :

خططٌ مقوّمةٌ ومفرق طُرَّةٍ　　فكأنّ سنَّةَ وجهه محرابُ[1]
وريّت في كشف الذي ألقى به　　فتعطّل النمّام والمغتاب[2]

فانصرفت عنه وجعلت ألقاه في دار الإمارة . وهو على جملة من البر والتكرمة ، حتى عرفت خروجه إلى بستان بالياسرية لم ير أحسن منه ولا أطيب من يومه فيه لا أني حضرته ، ولكني حدثت بما أرى له فكتبت إليه شعراً م[من الكامل] :

قل للوزير أبي محمدٍ الذي　　من دون محتده السُّهى والفرقدُ[3]
من إن سما هبط الزمان وريبه　　أو قام فالدهر المغالب يقعد
سقّيتني مشمولةً ذهبيةً　　كالنار في نور الزجاجة توقد
لما تخوّن صرف دهرٍ عارضٍ　　صبري وقلبي مستهامٌ مكمد

---

(١) الطرّة : الشعر الذي يعلو الجبين

(٢) وريّت : من التورية وهي القول الذي يحتمل معنيان قريب وبعيد أو ظاهر وخفي .

(٣) المحتد : الأصل والنسب .

وفطمتنـــي من بعدهـــا عنهـــا فقد أصبحـــت ذا حزنٍ يقيم ويقعد[1]
من أين لي مهمـا أردت الشـــرب عنـ ـدك يا أخـــا العلياء صبـــر يوجد

فاستطاب هذا الشعر وأعجب به ، واستدعاني من غده ، فحضرت وأبناء المنجم في مجلسه وقد أعدا قصيدتين في مدحه ، فمنعهما من النشيد لأحضره ، فأنشدا وجودا ، وتمام هذه القصة في ذكر بني المنجم .

* * *

فصل من كتاب الروزنامجة أيضاً

قد حضرنا حجرة تعرف بحجرة الريحان ، فيها حوض مستدير ينصب اليه الماء من دجلة بالدواليب ، وقد مدت الستارة وفيها حسن العكبراوية فغنت [من الوافر] :

سـلام أيهـا الملكُ اليماني لقـد غَلَـبَ البعـادُ علـى التداني

فطرب الأستاذ أبو محمد أيده الله تعالى بغنائها ، واستعادها الصوت مراراً وأتبعته أبياتاً وهي [من الكامل] :

تطـوي المنـازل عن حبيبـك دائماً وتظـل تبـكيه بدمـعٍ ساجمِ
هلا أقمـت ولـو علـى جمـر الغضا قلّبـت أو حدّ الحسـام الصارم[2]

وتبعتها جارية ابن مقلة ، ولا غناء أطيب وأطرب وأحسن من غنائها فغنت بيتين للأستاذ وهما [من مجزوء الكامل] :

يا مـن له رتـبٌ ممـ ـكّنـةُ القواعـد في الفؤادِ

---

(١) فطمتني : من الفطام ، وهو منع الطفل عن الرضاع .
(٢) الغضا : شجرٌ حطبه شديد التوهّج .

أيحلّ أخذ الماء من متلهّب الأحشاء صادي[1]

ففتنت الجميع ، ثم انبسطنا في الشرب . واشتغل في الشدو ، وارتفع الأمر عن الضبط ، والأصوات عن الحفظ ، واتفقت في أثناء ذلك مذاكرات ، ومناشدات ومجاوبات ، وافترقنا .

* * *

فصل منه أيضاً

وعلى ذكر عكبرا حضرنا مع الأستاذ أبي محمد أيده الله تعالى بها فاستدعى دنا للوقت ، وخماراً من الدير ، وريحاناً من الحانة ، واقترح غناء من الماخور ، وأخذنا في فن من الانخلاع عجيب ، بطريق من الاسترسال رحيب . ورسم أن يقول من حضر شيئاً في اليوم ، فاستنظروا وركبت فرسي ، فاتفقت أبيات لم تكن عندي مستحقة لأن تكتب أو تسمع ، لكن رضاء القوم جمل لدي صورتها ، ولولا حذري من توبيخ مولانا لطويتها وهي [من الطويل] :

تركت لسافي الريح بانة عرعرا ... وزرّت لصافي الراح حانة عكبرا[2]

وقلت لعلجٍ يعبد الخمر زُفَّها ... مشعشعةً قد شاهدَتْ عصر قيصرا[3]

فناولَنيها لو تفرّق نورها ... على الدهر نال الليلَ منها تحيّرا

وأوسعني آساً ووردا ونرجساً ... وأحضرني نايا وطبلاً ومزهرا

هنالك أعطيت البطالة حقّها ... وألقيت هتك الستر مجداً ومفخرا

كأنّي الصبا جرياً إلى حومة الصبا ... أناغي صبياً من جلندا مزنّرا[4]

فعانقته والراح قد عقرتْ بنا ... فكرَّرْت تقبيلاً وقد أقبل الكرى

---

(١) الصادي : الظامىء .

(٢) الريح السافية : أي التي تهب فتسفّ الرمال .

(٣) العلج : الكافر .

(٤) الصبّا : الريح الباردة . والجلندا : الفاجر والعاجز ، أو هي إسم بلدة .

وصدٌّ عن المعنى النعاس وصادني إلى أن تصدّى الصبح يلمع مسْفرا
وهبّت شمالٌ نظّمتْ شمل بغيتي فطارت بها عني الشمول تطيّرا
فكان الذي لولا الحياء أذعته ولا خير في عيش الفتى إنْ تسترا

* * *

فصل أيضاً منه : وحضرت الأستاذ أبا محمد أيده الله تعالى في منظرة له على دجلة تنفتح منها أبواب إلى بساتين ، فعمل بيتين صنعا في الوقت وغنى بهما ، وهما [من المجتث] :

لئن عرفت جريراً أو اعتمدتْ قطيعا
فلا ظفرت بعاصٍ ولا أطعْت المطيعا

والبيت الأول يحتاج إلى تفسير ، فالمراد بالجرير جريرة وبالقطيع قطيعة وأنفذ الأستاذ أبو محمد أيده الله ليلة وقد مضى الثلث منها فاستدعاني ، وقاد دابة نوبته كي لا أتأخر انتظاراً لدابتي ، فمضيت وألفيته قد انتهى من بستانه الكبير إلى مصبها من دجلة على ميادين ريحان نضرة ، فاستحسن الموضع وقعد فيه يشرب مع خدمه : أبي الكأس ؛ وسلاف، وأبي المدام ، وشراب ، وخندريس وشمول ، وراح . وأمر فنصبت نحو مائة شمعة في أصول تلك الميادين صغيرة وقعدت فغنى سلاف [من الرمل] :

يا شقيق النفس من حكمٍ نمتَ عن ليلي ولم أنمِ

فقال الأستاذ : بل غن [من الرمل] :

يا شقيق النفس من خدمي لم ينم ليلي ولم أنمِ
غنني من شعر ذي حكمٍ يا شقيق النفس من حكم

ولم نزل نشرب الراح إلى أن باح الصبح بسره ، وقام كل منا يتعثر في سكره .

* * *

ما أخرج من شعره في وصف كتب ابن العميد

فمن ذلك قوله [من الكامل] :

ورد الكتاب مبشّراً قلبي بأضعاف السرورِ
ففضضته فوجدته ليلاً على صفحات نور[1]
مثل السوالف والخدو د البيضِ زينتْ بالشعور
بنظام لفظٍ كالثغو ر وكالعقود على النحور
أنزلته في القلب منـزلة القلوب من الصدور

وقوله [من الخفيف] :

طلع الفجر من كتابك عندي فمتى للقاء يبدو الصباحُ
ذاك إن تمّ لي فقد عذب العيـ ـش ونيل المنى وريش الجناح

وقوله [من الكامل] :

وصل الكتاب طليعة الوصل بغرائبِ الإفضال والفضلِ
فشكرته شكر الفقير إذا أغناه ربّ المجد بالبذل
وحفظته حفظ الأسير وقد ورد الأمان له من القتل

وقوله [من الكامل] :

ورد الكتاب فديته من وارد فله قلبي من حياتي موردُ
فرأيت درّاً عقده منتظمٌ في كلّ فصلٍ منه فصلٌ مفرد

* * *

(١) فضضت الكتاب : فتحته .

ما أخرج من فصوله المردفة بأبيات الشعر

فصل : رأيته فصيح الإشارة ، لطيف العبارة [من الطويل] :

إذا اختصـر المعنـى فشربـة حائمٍ   وإن رام إسهاباً أتـى الفيض بالمدِّ[1]

فصل : قد نظرته فرأيته جسماً معتدلاً ، وفهماً مشتعلاً [من المتقارب] :

ونفسـاً تفيض كفيض الغمام   وظرفـاً يناسـب صفـو المدامِ

فصل : قد عمهم بنعمه ، وغمرهم بشيمه [من الكامل] :

وغزاهـم بسوابـغ من فضله   جعلت جماجمهـم بطائـنَ نعلهِ[2]

فصل : كأن قلبه عين ، وكأن جسمه سمع [من الكامل] :

وكأنّ فطنتـه شهـابٌ ثاقبٌ   وكأن نقـد الحـدس منـه يقينُ

فصل : قد لاقت مناهجه ، وراقت مباهجه [من الطويل] :

وقصّر يوم الصيف عندي وليلـة الـ   ـشتـاء سرورٌ منـه رفـرف طائره

فصل : قد اغتيل كمينه ، واجتيح عرينه [من المتقارب] :

ودارت عليه رحـى وقعةٍ   تظـلّ الحجـارة فيهـا طحينا

فصل : قد أدبته بزجرك ، وهذبته بهجرك [من الطويل] :

وإن لمسـت منـه بعـاد معاده   وعصـر جفـاه الشـرب أن يتعهّدا

فصل : قد ضيعه الجملة ، ومنعه المهلة [من المتقارب] :

وأصـلاه حرّ جحيم الحديـ   ـد تحـت دخـانٍ من القسطل[3]

---

(١) الحائم : الطالب المتعطّش ، المحلّق والإسهاب : الإطالة .

(٢) السوابغ : النعم والعطايا . والسابغة : الدرع .

(٣) أصلاه : أذاقه الحرّ ، وأصلى النار : أوقدها . والقسطل : الغبار الساطع في الحرب .

فصل : مضطرب اللسان ، منتقض البيان [من الطويل] :

قليل مجال الرأي فيما ينوبه نزولٌ على حكم النوى والتودّع

فصل : من تعرض للمصاعب ، فليتثبت للمصائب [من الطويل] :

ومن خاف أن الهمّ يملك نفسه فأولى به ترك العلا والجسائم[1]

فصل : وصلة متينة، وقاعدة مكينة [من الطويل] :

وأرحام ودٍّ دونها الرحم التي تدانت وجلت أن يطول بها الظنّ

فصل : إنه جريح سيفك ، وطريح حيفك [من الطويل] :

ومن إن تلافاه رضاك أعاشه ومن موته إن دام سخطك حائن

فصل : قد كثرت فتوقه ، واتسعت خروقه [من الطويل] :

وفات مداواة التلافي فساده وأعيت دلالات الخبير بكاهله

فصل : قد خبا قبسه ، وكبا فرسه [من الكامل] :

وصبا ذووه إلى جناب عدوه وتقطّعت أقرانه وعلائقه

فصل : ربما وفي ضنين ، وهفا أمين [من الطويل] :

فللرجل الوافي جميل جزائه وللناصح الهافي جميل التجاوز[2]

فصل : قد حل بربع مأنوس ، وملك محروس [من المتقارب] :

يدبّره ملكٌ ماهرٌ بهضم القويِّ وجبر الضعيفِ

---

(١) الجسائم : عظيم الأمور .

(٢) الهافي : المخطىء ، والتجاوز : العفو والصفح .

فصل : لئن فخر بعز لم يحضره ، وبيت لم يعمره [من المتقارب] :

فـإنّ عصير الثمـار الثجير وإنّ نفـيّ الحـديد الخبـث[1]

فصل : قتل الإنسان ظلم ، وقتل قاتله حكم [من السريع] :

والسيف يبـدي الجـور في حالة ويبـذل الإنصـاف في أخرى

فصل : استقر بساحة خضرة ، واستبد بعيشة نضرة [من الكامل] :

وغـدا ابـن دأية عندهـم كمهاً وابتـزّ سوق صياحـه خرس[2]

فصل : عادل المكيال ، وازن المثقال [من الطويل] :

يجير علـى سلطانـه حكم دينه ويبعـد في حق البعيد أقاربه

فصل : فاتهم بشدة تجهمهم وسرعة تهجمهم [من الكامل] :

تـركوا المـكيدة والـكمين لجهرهم والنبـل والأرمـاح للأسيـافِ

فصل : قد علقت منه بحبل منهوك ، وستر مهتوك [من الطويل] :

وقلـبٍ شديدٍ لا يلين لخلّةٍ ولا يتلافـاه الرّقـى والتلطّفُ[3]

فصل : أوحشت عني إبعاداً لك ، وانعطافاً عنك [من البسيط] :

وهـل يباعـد عذب المـاء ذو غصصٍ أو ينثنـي عن لذيذ الـزاد منهوم[4]

* * *

(١) الثجير : الثفل ، والنفيّ : الرديء .
(٢) ابن دأية : الغراب ، والكمه : الأعمى .
(٣) الخلّة : الصداقة ، أو المرأة الخليلة .
(٤) المنهوم : الجائع .

ما أخرج من فصوله المجردة من أبيات الشعر
وانخرط بعضه في سلك كتابي المترجم بسحر البلاغة

القلب لا يملك بالمخاتلة ، ولا يدرك بالمجادلة ، له أنعام كثيرة الشهود ، وأفضال غزيرة المدود . لم يعلم في أي حتف تورط ، وأي شر تأبط ، محامد أقر بها الراضي والغضبان ، وأوضحها الدليل والبرهان . كيس البيع رابح الشراء ، حسن الأخذ والعطاء . يؤذي صدره ويمنعه من النفث ، ويجرح خاطره ويعوقه عن العبث . لما أجاب أطاب . وتفسح في رحاب الصواب . قد ألنت عريكة الدهر له ، وكففت غرب الزمان عنه . يفور غيظاً ، ويتميّز حقداً ، ويتلظى غضباً ، ويزيد حنقاً . قد قام بيني وبين وصلك حاجز من فعلك ، قد ابتذلت جديد وده ، واستحللت حرام صده . من حنث في أيمانه ، وأخل بأمانته ، فإنما ينكث على نفسه ، حلف يمين بر شهد بها تصديقي ، واستيقنتها نفسي . قد ترامت به البلدان والأسفار ، ونبت عنه الأوطان والأوطار ، وضاقت به الأعطان والأقطار . تركت قلبه طافحاً بوجده ، ودمعه سافحاً على خده [لو سالمه الأسد رام ظلمه ، أو خاشنه الضر طلب سلمه][1] قد أمرته أن يجعل رأيك سراجه ، ورسمك منهاجه ، قد شربت وشلا من وده ، ولبست سملاً من عهده . لأكشفنه لكل ليل بارد ، ونهار واقد . اكفف عن لحم يكسبك بشما وفعل يعقبك ندما . مستثقل من كراه ، ثمل من عناه [طرقني ثناء ما تتلقى شفتاي بذكره ، ولا يثبت بالي لخطره][2] لست غفلا عن الدهر فتنكر نوائبه ، ولا مطيقاً له فتدفع مصائبه . قد تناسخت الأيام قواه ، وشذبت الحوادث هواه . تبدى وجه المطابق والموافق ، وتخفي نظر المسارق والمنافق ، لو أن البرق فطنته ، والريح جنبته ، والسد سوره ، لتغشاه حسبي ،

---

(١) ما بين الحاصرتين ليس في «ب» .
(٢) ما بين الحاصرتين ليس في « ب » .

واستخرجه طلبي ، ولما خذلته أنصاره ، وقطعته أرحامه ، وقعدت عنه أشياعه ، أوليته من حمايتي عضداً . ومن عنايتي مدداً ، وجدته أمد يداً من باعه ، وأبسط قعوداً من قيامه ، مكن موضع رجلك قبل مشيك . وتأمل عاقبة فعلك قبل سعيك . عصارة لؤم في قرارة خبث ، غصن مهصور بالموت ، معصور بالتراب ، قد خفف همه بالشكوى ، وحل حزنه بالبكاء كما حذيت النعل بالنعل ، وقد الشراك على المثل ، يعدل عن النص إلى الخرص ، وعن الحس إلى الهجس . في حكمه صّارم فصل ، وفي يده خاتم عدل ، سديد المذاهب ، سعيد المناقب ، نجيح المطالب . دلاه في خطر ، وأسلمه إلى غرر . لا زلت في إقامة ممهدة الحشايا . وحركة وطيئة المطايا . دفعه إلى شفير ، وأطلعه على حقير . استدعى حضوري خالياً ، واستدنى مجلسي مكرماً ، واستوفى مقالي مصغياً ، وأعطاني معروفه مسمحاً ، ونزل على مسألتي مسهلاً ، وقضى حاجتي مجملاً ، وصرفني بالنجاح عجلا . طيب المغرس ، زاكي المنبت ، نضير المنشأ ، رفيع الفرع ، لذيذ الثمر . متقلب بين استقبال شباب ، واستقلال حال . وشرخ قصف ، وفتاء ظرف . وجدت فيه مصطنعاً ، وبه مستمتعاً ، قد وفر همه على مطعم يجوده . ومرقد يمهده . أنا أتذمم من استئصال مثلك ، وأهب جرمك لفضلك . من ضاف الأسد قراه أظفاره ، ومن حرك الدهر أراه اقتداره ، وجدت فيه مع علو سنه ، وأخذ الأيام من جسمه بقية حسنة . ومتعة حلوة ، التصرف أسنى وأعلى ، والتسيم أعفى وأصفى ، ومهما اخترت من الأمرين أمراً فعنايتي تحرسك فيه ، ونظري يمكنك منه ، لو لم يكن في تهجين الرأي المفرد ، وتبيين عجز التدبير الأوحد ، إلا أن الاستلقاح ـ وهو أصل كل شيء ـ لا يكون إلا بين اثنين وأكثر الطيبات أقسام تجمع وأوصاف تؤلف .

* * *

ما أخرج من شعره في جاريته تجني

من ذلك قوله [من المنسرح] :

مرّت فلم تثن طرفها تيها يحسدها الغصن في تثنّيها[1]
تلك تجنّي التي جننت بها أعاذني الله من تجنّيها

وقوله [من الخفيف] :

ربّ ليلٍ لبست فيه التصابي وخلعت العذار والعذل عنّي
في محلٍّ يحلّه لذّة العيـ ـش ويجني سروره من تجنّي

وقوله [من الخفيف] :

لي صديقٌ في ودّه لي صدوق وبرعي الحقوق منّي حقيقُ
يا تجنّي كتمت ثم بدا لي أنت ذاك الصديق لي والرفيق
كلّما سرت من فراقك ميلاً مال من مهجتي إليك فريق
فحياتي مصروفةٌ في طريقٍ للمنايا عليّ فيها طروق

وقوله [من الخفيف] :

منيّةٌ سابقت ورود البشير ومُوافٍ أوفى على التقديرِ
يا عروساً زفّت إليّ فأهديـ ـت إليها رقى مكان المهور
بالتملّي وبالرجا والسرور يا حياتي والمنزل المعمور
قد لعمري وفيت لي وسأجزيـ ـك وفاءً بالشرط بعد النذور

وقوله [من الطويل] :

لقد واظبت نفسي على الحبّ في الهوى بإنسانةٍ ترعى الهوى وتواظبُ

---

(١) تثنيها : دلالها وتمايلها .

صفـا لِيَ العيش والشيب شاملٌ كمـا كان يصفـو والشبـاب مصاحب

* * *

ما أخرج من شعره في الغزل وغيره

فمن ذلك قوله [من الوافر] :

أرانـي الله وجهـك كلّ يومٍ صبـاحـاً للتيمُّـن والسـرورِ
وأمتـع ناظـري بصحيفتيـه لأقـرا الحسـن من تلك السطور

وقوله [من مجزوء الرمل] :

يا منـى نفسـي ويا حسـ ـبـيَ من حسـنٍ وطيبِ
سابقـي بالـوصـل موتـي أو مشيبـي ومغيبـي
فهـو للفتيـان في الدنـ ـيا بمـرصـادٍ قريـب

وله في غلام اسمه غريب [من الوافر] :

رعـى الرحمـن قومـاً ملّكوني رشـا قصـرٍ بلغْـت به المرادا
وسمَّـوْه مع القربـى غريباً كنـور العين سمَّـوْه سوادا

وقوله [من الخفيف] :

رب ليل قطعـت فيـه خماري بغـزال كأنّـه مخمـورُ
ومصـادٍ سرحْـت فيه ونصرٍ بازيازي مظفَّـرٌ منصـور[1]
بصقـورٍ مثـل النجـوم إذا انقضّـت وعصفٍ كأنّهـن صقور[2]

---

(١) بازيازي : نوعٌ من الطيور .
(٢) انقضّت : هوت على فريستها والعصف .

وقوله [من الكامل] :

الـــورد بيـن مضمّــخٍ ومضرّج والزهـــر بين مكلّلٍ ومتوّجِ
والثلــج يهبـط كالنثــار فقــم بنا نلتـمـذَّ بابنـة كرمــة لم تمزج
طلــع النهــار ولاح نور شقائقٍ وبـدت سطـور الـورد تلــوَ بنفسج[1]
فكأنّ يومـك في غلالـة فضةٍ والنبــت من ذهــبٍ علـى فيروزج

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يـومٌ كــأنّ سمــاءه شبـه الحصــان الأبــرشِ
وكــأنّ زهـرة روضــه فرشـت بأحســن مفــرش
فســمـاؤه دكـن الخـزو ز وأرضـه خضـر الوشـي[2]

كأنه أخذه من قول ابن الرومي [من الخفيف] :

يومنــا للنــديم يوم سرورٍ والتــذاذٍ ونعمـةٍ وابتهـاجِ
ذو سمــاء كأدكن الخــزّ قد غيـ ـمــت وأرض كأخضــر الديباج

وقوله [من الخفيف] :

يا هلالاً يبــدو فيزداد شوقي وهـــزاراً يرنـــو فيزداد عشقي
زعـم النـــاس أن رقّـك ملكي كذب النـــاس أنــت مالك رِقي

وقوله [من الطويل] :

ألا يا منى نفســي وإن كنــت حتفها ومعناي في سرّي ومغـزاي في جهري
تصارمــتِ الأجفــان منــذ صرمتني فمــا تلتقــي إلاّ علــى عبــرةٍ تجري

---

(١) البهار : الضوء والصباح .
(٢) الداكن : المائل الى السواد والخزوز : من الخزّ ، قماشٌ من الحرير .

وقوله [من السريع] :

يا شادناً جدَّد حبّي له ... من بعد حبٍّ سالف ساجي[١]
بلحيةٍ قد أوصلت جمّةً ... مثل اتصال الطوق بالتاجِ[٢]

وله في غلام ناقه من علته [من مجزوء الكامل] :

نهض العليل فقلت حيـ ... ـن بدا كغصنٍ مائلِ
طلع الهلال لليلةٍ ... بضياءِ بدرٍ كامل

وقوله [من الخفيف] :

قال لي من أحب والبين قد بدّ ... د دمعي مواصلاً للشهيق:
ما الذي في الطريق تصنع بعدي ؟ ... قلت : أبكي عليك طول الطريق

وقوله [من مخلع البسيط] :

لولا تسلّيَّ بارتكاضي ... في البعد والقرب والتلاقي[٣]
ودفعيَ الهمّ بالأماني ... فارقت روحي مع الفراق

وقوله [من السريع] :

ينأى فأشتطّ وأنوي له ... تنقّص الداني على النائي[٤]
حتى إذا أبصرته ذبت في ... يديه ذوب الملح في الماءِ

وقوله [من المنسرح] :

ولي حبيبٌ ألوذ فيه بأو ... صافٍ وفحواه فوق ما أصفُ

---

(١) السالف : الماضي ، والساجي : الساكن .
(٢) الجمّة : الشعر الذي يعلو الرأس .
(٣) الارتكاض : السفر من مكان إلى مكان .
(٤) ينأى : يتباعد ، واشتط : ابتعد .

كالبـدر يعلـو والشـــمس تشرق والـ ـغــزال يعطــو والغصـــن ينعطف[1]

وقوله [من مجزوء الكامل] :

إن كنـت أزمعـــت الرحيـ ـل فإن عزمــي في الرحيلِ
أو كنـت قاطنــة أقمـ ـت وإن منعــت لذيذ سُؤْلي
كالنجـم يصحـب في المسيــــــــر ولا يزول لدى النزول

أخذه من قول أبي تمام [من الكامل] :

كالنجــم إن سافــرت كان مواكباً وإذا حططــت الرحــل كان جليسا

وقوله [من الكامل] :

عزمــي وعــزم عصابــةٍ ركّاضةٍ موصولــة الإلجــام بـالإسـراجِ
كالنبــل عامــدةً إلــى أهدافهـا والــطير قاصــدةً إلــى الأبراج

وقوله [من الطويل] :

وذي حســدٍ ولــو حلّ بي ما يريده لأصبــح مفجوعــاً بفيض بناني
ولــم أعطــه جهــلاً ولــكن سحائبي تعــمّ ذوي الإخــلاص والشّنآن[2]

وقوله لأبي إسحاق الصابي [من البسيط] :

برّد مصيفــك وافرشـــه بميثرةٍ فإنّنــي لمقــام الخــلّ أرتحلُ[3]
الــذّاكريَّ وإن أُضحــي ويعجبني أن تستــريح وأن تكتنّــك الظُّلل[4]

---

(١) يعطو : أي يتطاول بفيه الى الشجر ويمدّ عنقه ليأكل منه .
(٢) الشنآن : البغض .
(٣) الميثرة : شيء كالمخدّة يجعل على السّرج .
(٤) تكتنّك : تسترك .

وقوله [من الطويل] :

أُوَفِّـي كلا وقْتَـيَّ قسـطَ تألُّه | وقسـط هوىً لا يستمـرُّ لمحْرَمِ
ولـذّة وجـدي من لذاذة مطربي | أسـرّ إلـى نفسـي وأعـذب في فمي

وقوله [من الكامل] :

يـا عارفـاً بالـداء مطّـرح السـؤال عن الدواءِ
العلـم عنـدي كالغذا ء فهـل تعيـش بلا غذاء ؟

وقوله [من الرمل] :

لو توسطـت إذاً لم تترك | وكففـت القلـب عن بعض الأربْ
كان أرجـى لك في العقبـى من ان | تمـلأ الدلو إلـى عقـد الكرب[1]

وقوله [من المتقارب] :

هـبِ البعـث لم يأتنـا نذره | وجماحـة النـار لـم تضرمِ
أليس بكافٍ لذي فكرةٍ | حياء المسـيء من المنعم ؟!

وقوله [من الكامل] :

يا من يسـرّ بلـذّة الدنيا | ويظنّهـا خلقـت لمـا يهوى
لا تكذبـنّ فإنّهـا خلقت | لينـال زاهدهـا بهـا الأخرى

وقوله [من الطويل] :

بعثـتُ إلـى ربّ البـرايا رسالةً | توسـل لي منهـا دعـاء مناصحُ
فجـاء جوابـي بالإجابـة وانجلت | بهـا كربٌ ضاقـت بهـنّ الجوانح

* * *

(١) عجز هذا البيت من قول المهلبي :

وأنـا الأخضر من يعرفني | أخضر الجلـدة من بيت العرب
مـن يساجلنـي يساجـل ماجداً | يمـلأ الدلـو إلى عقـد الكرب



الباب الثالث

١١٥ ـ في ذكر أبي إسحاق الصابي ، ومحاسن كلامه

هو إبراهيم بن هلال بن هرون الصابي الحراني .

أوحد العراق في البلاغة ، ومن به تثنى الخناصر في الكتابة ، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغاية ، من البارعة والصناعة ، وكان قد خنق التسعين في خدمة الخلفاء ، وخلافة الوزراء ، وتقلد الأعمال الجلائل ، مع ديوان الرسائل ، وحلب الدهر أشطره ، وذاق حلوه ومره . ولابس خيره ، ومارس شره ، ورئس ورأس ، وخدم وخدم ، ومدحه شعراء العراق في جملة الرؤساء وسار ذكره في الآفاق ، ودوّن له من الكلام البهي النقي ما تتناثر درره ، وتتكاثر غررِه . وفيه يقول بعض أهل العصر[من الكامل] :

أصبحت مشتاقاً حليف صبابةٍ ... برسائل الصابي أبي إسحاقِ
صوب البلاغة والحلاوة والحجى ... ذوب البراعة سلوة العشاق[1]
طوراً كما رقّ النسيم وتارةً ... يحكي لنا الأطواق في الأعناق
لا يبلغ البلغاء شأو مبرِّزٍ ... كتبت بدائعه على الأحداق

(١) الصوب : المطر ، والحجى : العقل والرأي .

ويقول بعض أهل العصر فيه أيضاً [من الكامل] :

يا بؤس من يمنى بدمعٍ ساجمٍ يهمي على حجب الفؤاد الواجمِ[1]
لولا تعلّله بكأس مدامةٍ ورسائل الصابي وشعر كشاجم[2]

ويحكى أن الخلفاء والملوك والوزراء أرادوه كثيراً على الإسلام ، وأداروه بكل حيلة ، وتمنية جليلة ، حتى إن عز الدولة بختيار عرض عليه الوزارة إن أسلم ، فلم يهده الله تعالى للإسلام ، كما هداه لمحاسن الكلام ، وكان يعاشر المسلمين أحسن عشرة ، ويخدم الأكابر أرفع خدمة ، ويساعدهم على صيام شهر رمضان ، ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه ، وسن قلمه ، وبرهان ذلك ما أوردته في كتاب الاقتباس من فصوله التي أحسن فيها كل الإحسان ، وحلاها بآي من القرآن .

سمعت أبا منصور سعيد بن أحمد البريدي ببخارى يقول : إن أبا إسحاق الصابي ، كان من نساك أهل دينه والمتشددين في ديانته ، وفي محاماته على مذهبه وتصونه عما يدعو إليه الهوى يقول [من الوافر] :

حمتني لذّتي رتب المعالي وضنّي بالمروءة والوقارِ
ودينٌ ضاق فيه مجال فتكي لخوف عقوبةٍ وحذار نار
فوا شوقاً إلى خلع العذار وفعلي ما أريد بلا اعتذار
ويا لهفي على حلّ الإزار صريعاً بين سكرٍ أو خمار[3]

وحدثني أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : بلغني أن الصابي حضر يوماً مائدة المهلبي ، فامتنع عن الأكل ، لباقلاء كانت عليها ، لأنه محرم على الصابئة

---

(١) يمنى : يصاب ، والواجم : الحزين المطرق .
(٢) كشاجم : أحد الشعراء المشهورين عاش في بلاط سيف الدولة .
(٣) الخمار : أثر الخمرة في الرأس .

كيفما كان من السمك ولحم الخنزير ولحم الجمل وفراخ الحمام والجراد ، فقال له المهلبي : لا تبرد وكل معنا من هذه الباقلاء ، فقال : أيها الوزير لا أريد أن أعصي الله في مأكول ، فاستحسن ذلك منه .

وكان أبو إسحاق في أيام شبابه واقتباله أحسن حالاً ، وأرخى بالاً منه في أيام استكماله وزمن اكتهاله ، وأورى زنداً وأسعد جداً منه حين مسه الكبر ، وأخذ منه الهرم ، وفي ذلك يقول [من الكامل] :

عجباً لحظّي إذ أراه مصالحي ... عصر الشباب ، وفي المشيب مغاضبي

أمن الغواني كان ، حتى ملّني ... شيخاً وكان على صبايَ مصاحبي ؟

أمع التضعضع ملّني متجنّباً ... ومع الترعرع كان غير مجانبي

يا ليت صبوته إليَّ تأخرتْ ... حتى تكون ذخيرةً لعواقبي[1]

من قصيدة في فنها فريدة كتب بها إلى الصاحب ، يشكو فيها بثه وحزنه ويستمطر سحابه ، بعد أن كان يخاطبه بالكاف ولا يرفعه عن رتبة الأكفاء .

وكان المهلبي لا يرى إلا به الدنيا ، ويحن إلى براعته وتقدم قدمه . ويصطنعه لنفسه ، ويستدعيه في أوقات أنسه . فلما توفي المهلبي وأبو إسحاق يلي ديوان الرسائل والخلافة مع ديوان الوزارة ، اعتقل في جملة عمال المهلبي ، فمن قوله في ذلك الاعتقال من قصيدة [من الكامل] :

يا أيها الرؤساء ، دعوة خادمٍ ... أوفت رسائله على التعديدِ

أيجوز في حكم المروءة عندكم ... حسبي وطول تهدّدي ووعيدي ؟

قلّدت ديوان الرسائل فانظروا : ... أعدلْتُ في لفظي عن التسديد ؟

أعليَّ رفع حسام ما أنشأته ... فأقيم فيه أدلتي وشهودي ؟

---

(١) الصبوة : طيش الشباب . والعواقب : خواتم الأمور .

أنسيتم كتباً شحنت فصولها بفصول درٍّ عندكم منضود ؟

ورسائلا نفذت إلى أطرافكم عبد الحميد بهنّ غير حميد

يهتزّ سامعهنّ من طربٍ كما هزَّ النديمَ سماعُ ضرب العود

أنا بين إخوانٍ لنا قد أوثقوا بسلاسلٍ وجوامعٍ وقيود

وموكّلين بنا نذلُّ لعزِّهم فكأننا لهمُ عبيد عبيد

والله ما سمع الأنام ولا رأوا نقداً توكل قبلهم بأسود

من كلّ حرٍّ ماجدٍ صنديد في كلّ وغدٍ عاجزٍ رعديد[1]

قصرت خطاه خلاخلٌ من قيده فتراه فيها كالفتاة الرّود[2]

يمشي الهوينا ذلّةً لا عزةً مشي النزيف الخائف المزءود[3]

فتفضّلوا وتعطّفوا وهبوا لنا عفواً قديم حفائظٍ وحقود[4]

وتعلّموا أن الولاية عندكم عاريّة ليست بذات خلود[5]

وسأجعل لأخوات هذه الأبيات مما قاله في هذا الاعتقال وغيره فصلاً في جملة الفصول ، من غرر شعره .

ولما خلى عنه وأعيد إلى عمله لم يزل يطير ويقع وينخفض ويرتفع إلى أن دفع في أيام عضد الدولة إلى النكبة العظمى والطامة الكبرى . إذ كانت في صدره حزازة كبيرة ، من إنشاءات له عن الخليفة الطائع في شأن عز الدولة بختيار نقمها منه ، واحتقدها عليه .

حدثني أبو منصور سعيد بن أحمد البريدي وأبو طاهر محمد بن عبد الصمد

---

(١) الرعديد : الجبان .

(٢) الخلاخل : ما تضعه النساء في أرجلهنّ مفرده خلخال ، والفتاة الرود : أي الحسناء .

(٣) المزءود : الخائف .

(٤) الحفيظة : ما يكنه المرء في نفسه من حقد وبغض .

(٥) الغاريّة : الدَّين والأمانة .

الكاتب ، قالا : كان من أقوى أسباب تغير عضد الدولة لأبي إسحاق بعد ميله إليه وضنه به فصل له من كتاب أنشأه عن الخليفة في شأن بختيار ، وهو :

وقد جدد له أمير المؤمنين مع هذه المساعي السوابق . والمعالي السوامق التي تلزم كل دان وقاص ، وعام وخاص . أن يعرف له حق ما كرم به منها ويتزحزح عن رتبة المماثلة فيها ، فإنه أنكر عليه هذه اللفظة أشد إنكار ؟ ولم يشك في التعريض به ، وأسرها في نفسه إلى أن ملك بغداد ، وسائر بلاد العراق ، وأمر أبا إسحاق بتأليف كتاب في أخبار الدولة الديلمية ، يشتمل على ذكر قديمه وحديثه ، وشرح سيره وحروبه وفتوحه ، فامتثل أمره وافتتح كتابه المترجم بالتاجي الذي تقدم ذكره ، فاشتغل في منزله به ، وأخذ يتأنق في تصنيفه وترصيفه ، وينفق من روحه على تقريظه وتشنيفه ، فرفع إلى عضد الدولة أن صديقاً للصابي دخل عليه يوماً فرآه في شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبديل والتبيض ، فسأله عما يعمله من ذلك فقال : أباطيل أنمقها ، وأكاذيب ألفقها ، فانضاف تأثير هذه الكلمة في قلب عضد الدولة إلى ما كان في قلبه من أبي إسحاق . وحرك من ضغنه الساكن ، وأثار من سخطه الكامن ، فأمر بأن يلقي تحت أرجل الفيلة . فأكب نصر بن هرون ومطهر بن عبد الله وعبد العزيز بن يوسف على الأرض يقلبونها بين يديه ، ويستشفعون إليه في أمره ، ويتلطفون في استيهاب دمه ، إلى أن أمر باستحيائه مع القبض عليه وعلى أشيائه واستئصال أمواله ، فبقي في ذلك الاعتقال بضع سنين إلى أن تخلص في آخر أيام عضد الدولة ، وقد رزحت حاله وتهتك ستره . وكان الصاحب يحبه أشد حب ويتعصب له ويتعهده على بعد الدار بالمنح ، وأبو إسحاق يخدم حضرته بالمدح .

وقرأت له فصلاً من كتاب في ذكر صلة وصلت منه إليه استظرفته جداً ، وهو :

ورد ـ أطال الله تعالى بقاء سيدنا ومولانا ـ أبو العباس أحمد بن الحسين وأبو

محمد جعفر بن شعيب حاجين ، فعرجا إلى ملمين ، وعاجا على مسلمين ، فحين عرفتهما ، وقبل أن أرد السلام عليهما ، مددت اليد إليهما ، كما مدها حسان بن ثابت إلى رسول جبلة بن الأيهم ثقة مني بصلته ، وتشوقاً إلى تكرمته واعتياداً لإحسانه ، وإلفاً لموارد إنعامه ، وتيقناً أن خطوري بباله ، مقرون بالنصيب من ماله ، وأن ذكراه لي مشفوعة بجدواه ، وقمت عند ذلك قائماً ، وقبلت الأرض ساجداً ، وكررت الدعاء والثناء مجتهداً ، وسألت الله تعالى أن يطيل له البقاء ، كطول يده بالعطاء ، ويمد له في العمر ، كامتداد ظله على الحر . وأن يحرس هذا البدد ، القليل العدد ، من مشيخة الكتاب ، ومنتحلي الآداب ، ما كنّفهم به من ذراه ، وأفاء عليهم من نداه ، وأسامهم فيه من مراتعه ، وأعذبه لهم من شرائعه ، التي هم محلئون إلا عنها ، ومحرومون إلا منها .

وله رسائل وقصائد كثيرة إليه ، وقد أودعت هذا الكتاب شرطة منها .

وبلغني أن الصاحب كان يتمنى انحيازه إلى جنبته ، وقدومه إلى حضرته ، ويضمن له الرغائب على ذلك إما تشوقاً أو تفوقاً ، وكان أبو إسحاق يحتمل ثقل الخلة ، وسوء أثر العطلة ، ولا يتواضع للاتصال بجملة الصاحب بعد كونه من نظرائه وتحليه بالرياسة في أيامه .

وأخبرني ثقات منهم أبو القاسم علي بن محمد الكرخي ، وكان شديد الاختصاص بالصاحب ، أنه كثيراً ما كان يقول : كتاب الدنيا وبلغاء العصر أربعة : الأستاذ ابن العميد ، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف ، وأبو إسحاق الصابي ، ولو شئت لذكرت الرابع ، يعني نفسه ، وأما الترجيح بين هذين الصدرين - أعني الصاحب والصابي - في الكتابة فقد خاض فيه الخائضون . وأخب فيه المخبون ومن أشفي ما سمعته في ذلك أن الصاحب كان يكتب كما يريد وأبو إسحاق كان يكتب كما يؤمر ، وبين الحالين بون بعيد . وكيف جرى الأمر فهما هما وقد وقف فلك البلاغة بعدهما .

وأنا كاتب أنموذجاً من فصوص فصول الصابي وفرائد قلائده ، ومقف على أثره بما فصلته من غرر أشعاره المشتملة على بدائع معانيه بمشيئة الله تعالى وإذنه .

فصل له من كتاب إلى عضد الدولة
في التهنئة بتحويل سنة

أسأل الله تعالى مبتهلاً لديه ، ماداً يدي إليه ، أن يحيل على مولانا هذه السنة وما يتلوها من أخواتها بالصالحات الباقيات ، وبالزائدات الغامرات ، ليكون كل دهر يستقبله وأمد يستأنفه موفياً على المتقدم له ، قاصراً عن المتأخر ، ويوفيه من العمر أطوله وأبعده ، ومن العيش أعذبه وأرغده ، عزيزاً منصوراً محمياً موفوراً باسطاً يده ، فلا يقبضها إلا على نواصي أعداء وحساد ، سامياً طرفه ، فلا يغضه إلا على لذة غمض ورقاد . مستريحة ركابه فلا يعملها إلا لاستضافة عز وملك فائزة قداحه فلا بجيلها إلا لحيازة مال وملك ، حتى ينال أقصى ما تتوجه إليه أمنيته جامحاً ، وتسمو له همته طامحاً .

فصل من كتاب عن بختيار
إلى مؤيد الدولة

لما قبض على أبي الفتح بن العميد ذي الكفايتين ، في الشفاعة له

وهذا غلام أفسدته سجية ركن الدولة الشريفة في شدة الاحتمال ، والصبر على الإدلال ، واجتمع له إلى ذلك التقلب في نعمة حازها حيازة وارث لها ، لم يكدح في تأثيلها ، ولا مسه النصب في تثميرها ، ولا اهتدى إلى طريق استيفائها ، ولا تحزن من طرق دواعي انتقالها ، ومن ألزم اللوازم في حكم الرعاية أن نحفظه من سكر نعمة نحن سقيناه بكأسها ، وأن نعذره عند هفوة قد شاركناه في إيجاد أسبابها . وأن تكون نفسه محروسة والبقية من حاله يعد أخذ فضلها المفسد له متروكة ، وأن يتحدث الناس بأن سيدي الأمير أصاب غرض الحزم بالقبض عليه ، ثم طبق مفصل الكرم في التجاوز عنه .

فصل عنه إلى أبي تغلب ، في الشفاعة لأخ له

وقد يكون لعمري من ذوي الأرحام الشابكة ، والقرابات الدانية ، من يتمادى في العقوق ، ويذهب عن حفظ الحقوق ، ولا يسع ترك تألفه حتى يرجع ، واستصلاحه حتى ينزع ، فإن تجشم الإعراض عنه لرياضة تقصد ، أو عاقبة نفع تحمد ، لم يبلغ به إلى قطع المعيشة ، ومنع المادة ، لأن قباحة ذلك بمن يستعمله أكثر من مضرته بمن يعمل معه ، وقد قيل إن الملوك تؤدب بالهجران ، ولا تعاقب بالحرمان ، هذا في الاتباع والأصحاب ، فكيف في الأقران والأتراب ؟

فصل عن نفسه إلى عبد العزيز بن يوسف

كتب الأتباع محتاجة عند الملوك إلى قائد يطرق ويمهد لها . وسائق يشيع ويحدو بها ، وناصح يعضدها في متضمناتها ، ويشفع لها في ملتمساتها ، ويعتمد بعرضها في أوقات الفراغ والنشاط . وأحيان الخلوة والانبساط .

فصل عن بختيار إلى أبي تغلب ، في ذكر فرس أهداه إليه

أما الفرس الذي سألت إيثارك به ، فقد تقدمنا بقوده إليك ، والله تعالى يبارك لك فيه ، ويجعل الخير معقد ناصيته ، والإقبال غرة وجهه . وإدراك المطالب تحجيل قوائمه ، ونيل الأماني طلق شده ، وفتح الفتوح غاية شأوه . وسلامة العواقب مثنى عنانه .

فصل عن نفسه إلى صدق له منجم يسأله الحكم عن تحويل سنته

ما أحوج من حالي حاله إلى تفضل منك عائد بعد باد ، وتال بعد ماض ، وبالحكم على السنة المستقبلة التي تصل زايرجتها درج هذا الكتاب ، مستقصياً له

ومدققاً فيه ومتوفراً عليه ، ومتوصلاً الى استنباء دفينه واستثارة كمينه ، والافصاح بكلياته وجزئياته ، غير مغرق في تفخيم ما يلوح من السعادة سهلها الله تعالى . كيلا أتوقع منها أكثر من حدها ، ولا مقتصراً في الإنذار بالمنحسة صرفها الله تعالى ، لئلا أكون كالغافل الذاهل عنها . فإن ثمرة هذه الصناعة هي تقدمة المعرفة بما يكون ، والاستعداد له بما يمكن . ولا أقول إن ذلك يؤدي الى دفع مقدور نازل ، ولا معارضة محتوم حاصل ، ولكني أقول : ربما كان من سعادة السعيد أن يعلم هذا الأمر فيتصدى لحيازة ما يجب ، ويتوقى حلول ما يكره ، وربما كان من منحسة المنحوس أن يجهله فيكون كالمسلوب بصره وسمعه ، الذي لا يرى فيتحفظ ، ولا يسمع فيتيقظ . وكلا الأمرين لسابق قضاء الله تعالى موافق ، ولمتقدم علمه مطابق . وإنما ذكرت ذلك استظهاراً لنفسي إن تعداك كتابي إلى غيرك ، ممن لا يهتدى للجمع بين الأمرين ، والتعلق منهما بالعروتين ، فيظن أن المراعي لأحدهما مخل بالآخر ، وعندي أن الفاصل بينهما لا يخلو من أن يكون ناقص الحظوظ في أدبه ، أو ناقص اليقين في دينه . وأنت ولي ما تفضل به في ذلك معتمد تقديمه ، وترك تأخيره ، إذ للنفس راحة في تيسير المنتظرات ، وعليها كلفة في أن تتمادى بها الأوقات ، على أن ظني بك الإيثار لما أثرت ، والتحرز مما حاذرت .

فصل من رسالة عن صديق له في الخطبة

ولو لم يكن للخاطب إلى المخطوب إليه سبب غير ابتدائه إياه بالثقة ، والتماس المشابكة ، ورضاه به شريكاً مفوضاً في الولد واللحمة والحال والنعمة لكفاه وأجزأه ، وأغناه عن كل ما سواه ، حتى إنه لو خطب إلى زاهد لوجب عليه أن يرغب أو إلى معتاص للزمه أن ينقاد ، لأن هذا المطلب إذا صدر عن الأحرار إلى الأحرار استهجن الرد عنه ، والمِقابلة له بضده ، فكيف وقد انتظمت بيننا دواعي الإجابة ، وارتفعت عن المدافعة ؟ وبالله جهد المقسم أن والدي أيدهما الله تعالى يسومانني التأهل منذ سنين كثيرة ، فأحمل نفسي على التقاعس عما آثره مع ما

افترض على من طاعتهما اشتطاطاً مني في شرائط أحببت أن تجتمع لي في الخبيئة التي أواصلها ، وقلما تتكامل إلا فيمن طهر الله أصله ، وجمل أمره وأظهر فضله .
وقد دعاني بالدعاء إلى ذلك كثير من الرؤساء الأكابر وذوي الأخطار والأفاضل . بفارس والبصرة وبغداد ، فامتنعت من أجل شذوذ بعض شرائطي عليهم ، حتى إذا أوجدنيها الله في جهتك الجليلة ، وجمعها لي في منازلك المصونة ، بعثتني البواعث وحفزتني الحوافز إلى أن يتألف بيننا الشمل ، ويتصل بنا الحبل ، فكتبت إليك هذه الرقعة خاطباً إليك كريمتك فلانة ، على أن أكون لها كالجفن الواقي لمقلته ، والصدر الحاوي لمهجته ، ولك كالولد المطيع لأبيه ، ولأخيها كالأخ المعاضد لأخيه ، فإن رأيت يا سيدي أن تتأمل ما كتبت به من هذه الجملة ، وتسمع من موصلها ما تجمله عني من تفصيلها ، وتتوخى بإجابتي إلى ما سألت تحقيق ظني ، وتصديق أملي ، فعلت إن شاء الله .

فصل من عهد للخليفة إلى قاض

وأمره أن يجلس للخصوم ، وقد نال من المطعم والمشرب طرفاً يقف به عند أول حد من الكفاية ، ولا يبلغ منه إلى آخر النهاية ، وأن يعرض نفسه على أسباب الحاجة كلها ، وعوارض البشرية بأسرها ، لئلا يلم به من ذلك ملم ويطيف به طائف ، فيحيلانه عن رشده ، ويحولان بينه وبين سداده .

فصل في ذكر تقليد المطيع ابنه الطائع ما كان إليه من الخلافة

ولما صار في السن العليا ، والعلة العظمى ، بحيث يحرج أن تقيم معه على إمامة قد كل عن تحمل كلها ، وضعف عن النهوض بعبئها وحملها ، خلع ذلك السربال على أمير المؤمنين الطائع لله ، خلع الناض إليه ، والمسلم عليه .

فصل عن بختيار إلى عضد الدولة في التأليف

وإن من أعظم محن[1] هذا البيت ، أن تزول منابت فروعه عن منابت أصوله ، وأن تؤتى مراسي أوتاده من ذوائب عروشه[2] . وأن تدب بينهم عقارب المشاحنة ، وتسري إليهم أراقم المناقشة . وتنبثّ الدواهي فيهم من ذاتهم ، وقد كانت محسومة من أضدادهم وعداتهم .

فصل إلى صديق له ، في الشكوى والاستماحة

ولما صارت صروف الدهر تنوء على بعد التطريف ، وتجحف بي بعد التحييف . وصادف ما يجدد علي في هذا الوقت منها أشلاء مني منهوكة ، وأعظماً مبرية ، وحشاشة مشفية ، وبقية مودية . جعلت اختبار الجهات ، واغتنام الجنبات ، لأنحو منها ما لا يعاب سائله إذا سأل ، ولا يخيب آمله إذا أمل . وكان سيدي أولها إذا عددت ، وأولاها إذا اعتمدت . وكتبت كتابي هذا بيد يكاد وجهي يتظلم منها إذا تخطه ، إشفاقاً على مائه مما يريقه ، لولا الثقة انه يحقن مياه الوجوه ويحميها ، ويجمها[3] ولا يقذيها .

فصل في مثله

ولما أناخت النكبة من حالي على طلل قفر ، وبلقع صفر ، وعون المغارم أثقل وطأة من أبكارها ، وأبغ تأثيراً في ثلمها وإضرارها . فقد اضطرني الى تجشم ما كنت أجمه من نداه ، والتعرض لما كنت أدخره من جدواه . وإنما تخرج الكرائم وتبذل النفائس من تزايد الضغطة ، وتضايق الخطة .

---

(١) المحن : المصائب .

(٢) الذوائب : خصل الشعر في أعلى الجبين .

(٣) ويجمّها : يحفظها ويجمعها،والقذى: ما يسقط في العين من وسخ وغيره .

فصل في ذكر الأقدار

لله تعالى أقدار ترد في أوقاتها ، وقضايا تجري إلى غاياتها ، لا يرد شيء منها عن شأوه ومداه ، ولا يصد دون مبلغه ومنحاه ، فهي كالسهام التي لا تثبت في الأغراض ، ولا ترجع بالاعتراض . والناس فيها بين غبطة يجب الشكر عليها ، ورزية يوثق بالعوض عنها .

فصل في ذكر الشكر والكفر

للنعم شروط من الشكر لا تريم ما وجد ، ولا تقيم ما قعد . وكثيراً ما تسكر الواردين حياضها ، وتغشى عيون المقتبسين إيماضها ، فيذهلون عن الامتراء لدرتها ، ويعمهون عن الاستمتاع بنضرتها . ويكونون كمن أطار طائرها لما وقع ، ونفر وحشيها لما أنس ، فلا يلبثون أن يتعروا من جلبابها ، وينسلخوا من إهابها ، ويتعوضوا منها الحسرة والغليل ، والأسف الطويل .

فصل عن بختيار إلى سبكتكين الغزني

ليت شعري بأي قدم تواقفنا وراياتنا خافقة على رأسك ومماليكنا عن يمينك وشمالك ، وخيلنا موسومة بأسمائنا تحتك ، وثيابنا المنسوجة في طرزنا على جسدك ، وسلاحنا المشحوذ لأعدائنا في يدك .

فصل له إليه أيضاً

لم يدر في خلده أن مثل إحسانه إليك يكفر ، ومثل متجره فيك يخسر وقد جذب بضبعك من مطارح الأرقاء العبيد ، إلى مراتب الأحرار الصيد .

فصل إليه أيضاً

تناولتك الألسن العاذلة ، وتناقلت حديثك الأندية الحافلة ، وقلدت نفسك عاراً لا يرحضه الاعتذار ، ولا يعفيه الليل والنهار .

فصل في ذكره

هو أرق ديناً وأمانة ، وأخفض قدراً ومكانة ، وأتم ذلاً ومهانة ، وأظهر عجزاً وزمانة[1] ، من أن تستقل به قدم مطاولتنا[2] ، أو تطمئن له ضلوع على منابذتنا[3] . وهو في نشوزه[4] عنا وطلبنا إياه كالضالة المنشودة ، وفيما نرجوه من الظفر به كالظلامة المردودة .

فصل في مثله أيضاً

ولما بعد صيته بعد الخمول ، وطلع سعده بعد الأفول ، وجمعت عنده الأموال ، ووطئت عقبه الرجال ، وتضرمت بحسده جوانح الأكفاء ، وتقطعت لمنافسته أنفاس النظراء ، نزت به بطنته ، فأدركته شقوته . ونزغ به شيطانه ، وامتدت في الغي أشطانه .

فصل عن بختيار في ذكر عضد الدولة ، وما جرى بينهما

والله عالم أني مع ما عودنيه الله من الإظهار ، وأوجدنيه من الاستظهار ، ومنحنيه من شرف المكان ، وظل السلطان وكثرة الأعوان ، لأجزع في مناضلة عضد الدولة من أن أصيب الغرض منه ، كما أجزع من أن يصيب الغرض مني ، وأكره أن أظفر به كما أكره أن يظفر بي ، وأشفق من أن أطرف عيني بيدي ، وأعض لحمي بنابي .

---

(١) الزمانة : المرض .

(٢) المطاولة : من التطاول على مقامنا .

(٣) المنابذة : مفاخرتنا ومباهاتنا .

(٤) النشوز : النفور .

فصل في ذكره أيضاً

إن انتشار النظام إذا بدا والعياذ بالله تعالى لم يقف عند الحد الذي يقدر فلان أن يقف عنده ، ولم يخصص الجانب الذي يظن أنه يلحقه وحده ، بل يدب دبيب النار في الهشيم ، ويسري كما يسري النغل[1] في الأديم ، وكثيراً ما تعدى الصحاح مبارك الجرب ، ويتخطى الأذى إلى المرتقى الصعب .

فصل في ذكره أيضاً

قد لحقني من مولانا ما يلحق الرجل تذوي يمينه ، وهو بين أن يقطعها ليسلم له ما بعدها . ويا لها من خطة ما أصعبها وأشقها ، وورطة ما أحرجها وأضيقها . وبين أن يغضي عليها فيرمي إلى ما هو أعظم من قطعها ، وأمض من فقدها .

فصل في ذكر القواد

عادوا إلى الحضرة عود الأنياب إلى أفواهها ، والأظفار إلى براثنها . والنصال إلى أجفانها ، والسهام إلى كنائنها .

فصل عن الخليفة في رعاية حقوق الآباء في الأبناء واصطناع أولاد الأولياء

وأمير المؤمنين يذهب على آثار الأئمة المهديين ، والولاة المجتهدين ، في إقرار ودائعهم عند المترشحين لحفظها ، والمضطلعين بحملها . من أولاد أوليائهم وذرية نصائحهم ، إذ كان لا بد للأسلاف أن تمضي ، وللأخلاف أن تنمو ، كالشجر الذي يغرس لدنا فيصير عظيماً ، والنبات الذي ينجم رطباً فيعود دهشما ، فالمصيب من تخير الغرس من حيث استنجب الشجر ، واستحلى

---

(١) النغل : الفساد في الدباغ والأديم : الجلد .

الثمر ، وتعهد بالعرف من طاب عنه الخبر ، وحسن منه الأثر .

فصل من رسالة في وصف المتصيد والصيد

وخيلنا كالأمواج المتدفقة ، والأطواد المُوثقة . متشوقة عاطية . مستبقة جارية . تشتاق الصيد وهي لا تطعمه ، وتحن إليه كأنه قضيم تقضمه ، وعلى أيدينا جوارح مولّلة المخالب والمناسر ، مدربة النصال والخناجر ، طامحة الألحاظ والمناظر . بعيدة المرامي والمطارح ، زكية القلوب والنفوس ، قليلة القطوب والعبوس ، سابقة الأذناب ، كريمة الأنساب . صلبة الأعواد . قوية الأوصال، تزيد إذا طمعت شرهاً وقرماً[1] . وتتضاعف إذا شبعت كلباً ونهماً فبينا نحن سائرون . وفي الطلب ممعنون ، إذ وردنا ماء زرقا جمامه[2] ، طامية أرجاؤه يبوح بأسراره صفاؤه ، ويلوح فيَ قراره حصباؤه ، وأفانين الطير به محدقة ، وغرائبه عليه واقعة . متغايرة الألوان والصفات ، مختلفة اللغات والأصوات . فمن صريح خلص وتهذب نوعه ، ومن مشوب تهجن عرقه ، فلما أوفينا عليها أرسلنا الجوارح إليها ، كأنها رسل المنايا ، أو سهام القضايا ، فلم نسمع إلا مسمّياً ولم نر إلا مذكّياً[3] ، وعدنا لشأننا دفعات ، وأطلقناها مرات .

فصل منها

ثم عدلنا عن مطارح الخيام ، إلى مسارح الآرام[4] ، نستقري ملاعبها ، ونؤم مجامعها ، حتى أفضينا إلى أسراب لاهية بأطلائها ، راتعة في أكلائها ، ومعنا فهود أخطف من البروق ، وألقف من الليوث ، وأمكر من الثعالب وأدب من

---

(١) الشَّره : حب الطعام . والقرم : القضم للحشيش واللحم وغيرها .

(٢) الجمام : الممتلىء والمجتمع .

(٣) مسّمياً : يقول بسم الله الرحمن الرحيم . ومذكّياً : أي مكبّراً على الذبح .

(٤) الآرام : الغزلان .

العقارب ، وأنزل من الجنادب ، خمص الخصور قب البطون [1] ، رقش المتون ، حمر الآماق ، خزر الأحداق ، هرت الأشداق [2] ، عراض الجباه ، غلب الرقاب ، كاشرة عن أنياب كالحراب .

فصل منها

وكم من قبَّرٍ أطلقنا عليه بازياً فعرج إلى السماء عروجاً ، ولجج في أثره تلجيجاً ، فكأن ذلك يعتصم منه بالخالق ، وكان هذا يستطعمه من خالق . حتى غابا عن النظار ، واحتجبا عن الأبصار ، وصارا كالغيب المرجم ، والظن المتوهم ، ثم خطفه ووقع به وهما كهيئة الطائر الواحد ، فأعجبنا أمرهما ، وأطربنا منظرهما .

فصل من رسالة في وصف الرمي عن قسي البندق

مآرب الناس منزلة بحسب قربها من هزل أو جد ، ومرتبة على قدر استحقاقها من ذم أو حمد . وإذا وقع التأمل عليها والتدبر لها ، وجد أولاها بأن تعده الخاصة نزهة وملعباً ، والعامة حرفة ومكتسباً ، الصيد الذي فاتحته طلاب لذة ونظر ، وخاتمته حصول مغنم وظفر . وقد اشتركت الملوك والسوقا في استجماله ، واتفقت الشرائع المختلفة على استحلاله ، ونطقت الكتب المنزلة بالرخصة فيه ، وبعثت المروءات على مزاولته وتعاطيه . وهو رائض الأبدان ، وجامع شمل الإخوان ، وداع الى اتصال العشرة منهم والصحبة ، وموجب لاستحكام الألفة بينهم والمحبة .

---

(١) قبّ البطون : ضامروها .

(٢) هرت الأشداق : أي فاتكة .

فصل إلى بعض الوزراء
في إهداء دواة ومرفع

قد خدمت مجلس سيدنا حرسه الله تعالى وآنسه بدواة تداوي مرض عفاته ، وتدوي قلوب عداته ، على مرفع يؤذن بدوام رفعته ، وارتفاع النوائب عن ساحته .

فصل من كتاب له إلى الصاحب

كتبت أطال الله بقاء الصاحب هذا الكتاب، وأنا أود أن سواد عيني مداده، وبياضها طرسه ، شوقاً إلا لألاء غرته ، وقرماً إلى تقبيل أنامله ، وظمأ إلى ارتشاف بساطه .

فصل من هذا الكتاب

وما عسيت أن أبلغ في شكر سيدنا وحمده ، على ما أهلني له من بره ورفده ، وجهدي يقصر عن عفوه ، وإسهابي يعجز عن وصفه . وهل أنا في ذلك لو فعلته إلا كمن جارى الحصان بالأتان ، وواحه الغزالة بالذبالة ، وقارع الحسام بالعصا ، وبارى الدر بالحصى .

* * *

ما أخرج من شعره في الغزل

فمن ذلك قوله [من الطويل] :

تورّد دمعي إذ جرى ومدامتي فمن مثل ما في الكأس عينيَ تسكبُ
فوالله ما أدري أبالخمر أسبلتْ جفونِيَ أمْ من عبرتي كنت أشرب

وقوله في معناه [من الكامل] :

جرت الجفون دماً وكأسي في يدي شوقاً إلى من لجّ في هجراني
فتخالف الفعلان شارب قهوةٍ يبكي دماً وتشاكل اللونان

فكأنّ ما في الجفن من كأسي جرى وكأن ما في الكأس من أجفاني

وقوله [من الخفيف] :

لست أشكو هواك يا من هواه كلّ يومٍ يروعني منه خطبُ
مُرُّ ما مرَّ بي مِن أجلك حلوٌ وعذابي في مثل حبّك عذب

وقوله [من الخفيف] :

أيها اللائم المضيِّق صدري لا تلمني فكثرة اللوم تغري
قد أقام القوّام حجة عشقي وأبان العذار في الحب عذري

وقوله [من الكامل] :

حذّرت قلبي أن يعود إلى الهوى لما تبدّل بالنزاع نزوعا
فأجابني لا تخش مني بعد ما أفلتُّ من شرك الغرام وقوعا
حتى إذا داعٍ دعاه إلى الهوى أصغى إليه سامعاً ومطيعا
كذبالةٍ أخمدتها فكما دنا منها الضِّرام تعلّقتْه سريعا[1]

وقوله [من الوافر] :

مرضت من الهوى حتى إذا ما بدا ما بي لإخواني الحضورِ
تكنّفني ذوو الإشفاق منهم ولاذوا بالدعاء وبالنذور
وقالوا للطبيب أشر فإنّا نعدُّك للمهمِّ من الأمور
فقال شفاؤه الرّمّان ممّا تضمنه حشاه من السّعير
فقلت لهم أصاب بغير عمدٍ ولكنْ ذاك رمان الصدور

(١) الذبالة : الفتيلة .

وقوله [من الطويل] :

إلى الله أشكو ما لقيت من الهوى ... بجارية أمسى بها القلب يلهجُ
إذا امتزجتْ أنفاسنا بالتزامنا ... توهّمْت أنّ الروح بالروح تمزج
كأنّي وقد قبّلتها بعد هجعةٍ ... ووجدِيَ ما بين الجوانح يلعج[1]
أضفت إلى النفس التي بين أضلعي ... بأنفاسها نفساً إلى الصدر تولج
فإن قيل لي اخْتر أيّما شئت منهما ... فإني إلى النفس الجديدة أحوج

وقوله [من الكامل] :

أحشمتها بالعتب عند لقائها ... فتلثّمت من شدة استحيائها
واستكملت صفة البدور بطلعةٍ ... وبحلّة صبغت بلون سمائها
فبهتّ أنظر من لجين جبينها ... متخفّراً في لازورد ردائها

وقوله [من المجتث] :

هيفاء تحكي قضيباً ... قد جمّشته الرياح[2]
تفترُّ عن سمط درٍّ ... عليه مسكٌ وراح
جرّدتها واعتنقنا ... كلٌّ لكلٍّ وشاح
باتت وكلٌّ مصونٍ ... لي من حماها مباح
في ليلةٍ لم يعبها ... في الدهر إلاّ الصباح

وقوله [من المنسرح] :

هيفاء كالغصن في رشاقته ... لفّاء كالدِّعص في كثافته[3]
تبخترت والعثان يكنفها ... فكانت البدر وسط هالته[4]

---

(١) الهجعة : الرقاد ، ويلعج : يضطرم .
(٢) جمّشته : داعبته .
(٣) لفّاء : مكتنزة ، والدعص : الكثيب من الرمل .
(٤) العثان : الطيب والبخور ، أو الدخان ويكنفها : يحيط بها المتصاعد من النار .

وقوله [من الطويل] :

أقــول وقــد جرّدْتهــا من ثيابها وعانقتهــا كالبــدر في ليلــة التمّ
لئــن آلمــت صدري لشــدّة ضمها لقد جبرت قلبي وإن أوهنتْ عظمي[1]

وقوله [من البسيط] :

إن نحن قسناك بالغصن الرطيب فقد خفنــا عليك إذاً ظلمــا وعدوانا
الغصــن أحســن ما نلقــاه مكتسياً وأنــت أحســن ما نلقــاك عريانا

وقوله [من مجزوء الكامل] :

يا من بدت عريانــة فرأيــت كل الحســن منها
كانــت ثيابــك عــورةً فســترت بالتجــريد عنهــا

وقوله [من السريع] :

يا قمــراً كالخشف في نظرته وكالقضيب اللــدن في خطرته[2]
خلتــك صيداً صار في قبضتي فصــرت من صيدِيَ في قبضته
فــديْتُ من لاحظنــي طرفها من خيفــة النــاس بتسليمته
لمــا رأت بدر الدجــا تائهاً وغاظهــا ذلك مــن شيمته
أزاحــت البرقــع عن وجهها فردّت البــدر إلــى قيمته

وقوله [من المنسرح] :

ما أنس لا أنس ليلــة الأحد والبــدر ضيفــي وأمــره بيدي
قبّلــت منــه فمــاً مجاجته تجمــع بين المــدام والشّهد
كأن مجــرى سواكه بَرَدٌ وريقــه ذوب ذلك البرد[3]

---

(١) جبرت قلبي : واسته .
(٢) خطرته : مشيته ، واللدن الطري والخشف : ولد الغزال .
(٣) السواك : عودٌ طيب الرائحة تخلّل به الأسنان .

وقوله [من مجزوء الرمل] :

طيب عيشـي في عناقك ووفـاتي فـي فراقكْ
أنـت لي بدرٌ فلا عشـــت إلـى يوم محاقـك[1]
فاسقنـي الصـهباء صرفاً أو بمـزجٍ مـن رياقـك
لا أريد المـاء إلاّ عنـد غسلـي من عناقك

وقوله [من الكامل] :

كلّ الـورى من مسلـمٍ ومعاهد للـدين منـه فيك أعـدل شاهدِ[2]
فإذا رآك المسلمـون تيقّنوا حور الجنـان لدى النعيم الخالد
وإذا رأى منـك النصـارى ظبيةً تعطـو ببـدرٍ فوق غصـن مائدِ
أثنـوا علـى تثليثهـم واستشهدوا بك إذ جمعـت ثلاثـة في واحد
وإذا اليهـود رأوا جبينـك لامعاً قالـوا لدافـع دينهـم والجاحـد
هذا سنـا الرحمـن حين أبانه لكليمـه موسـى النبـيِّ العابد
وتـرى المجـوس ضياء وجهـك فوقه مسـودّ فرعٍ كالظـلام الراكد[3]
فتقـوم بين ظلام ذاك ونـور ذا حجـجٌ أعدّوهـا لكلّ معاند
أصبحـت شمسهـمُ فكم لك فيهمُ من راكعٍ عنـد الظـلام وساجد
والصابئـون يرون أنّـك مفردٌ في الحسـن إقـراراً لفـردٍ ماجد
كالزّهـرة الزهـراء أنـت لديهمُ مسعـودةٌ بالمشـتري وعطـارد
فعلـى يديك جميعهـم مستبصرٌ في الـدين من غاوى السـبيل وراشد
أصلحتهـم وفتنْتني وتركْتني من بينهـم أسعـى بدينٍ فاسد

* * *

(١) المحاق : عدم ظهور القمر ، مغيبه .
(٢) المعاهد : أهل الذمّة .
(٣) الفرع : الشعر الأسود .

ما أخرج من شعره في الخمر وما يضاف إليه

فمن ذلك قوله [من مجزوء الرمل] :

كوكب الإصباح لاحا طالعاً والديك صاحا
فاسقنيها قهوة تأ سو من الهمِّ جراحا
ذات نشْر كنسيم الروض غبَّ القطر فاحا
يا غلامي ما أرى فيها ولا فيك جناحا
حرم الماء وأبعد ه وإن كان مباحا
أقراحٌ أنا حتى أشرب الماء القراحا

وقوله في نبيذ تمر كدر يدور به ساق يشبهه بالعروس التي تجلى ، وتبرز أمامها سوداء قبيحة، لتكون كالعوذة لها ، وتكون محاسن العروس أظهر بإزاء مقابحها [من الوافر] :

بنفسي مقبلا يهدي فنونا إلى الشَّرْب الكرام بحسن قدِّهْ
وفي يده من التمريِّ كأسٌ كسوداء العروس أمام خدّه[1]

وقوله [من المنسرح] :

صفراء كالتبر جامها يقق شعاعها كالذبال يأتلقُ[2]
كأنّ في كفّ من أتاك بها ضحى نهارٍ في وسطه شفق

وقوله من قصيدة شبه له فيها مجلس الأنس بالمعركة [من المتقارب] :

ألاقي همومِيَ في جحفلٍ لها من مقاميَ فيه قرارُ

---

(١) التمريّ : شراب التمر .
(٢) اليقق : الأبيض .

دبادبـة من طوال القيا ن والنـاي بوق له مستعار[1]
ومجلسنـا حومـةٌ أرهجت لزحف الندامـى إليهـا بدار
كأنّ فكاهاتهـم إذ علت غماغـم للحـرب فيهـا شعار[2]
كأن الـكؤوس بأيدي السقاة سيوفٌ لهـا بالدمـاء احمرار
كأنّ منـاديـل أكتافهـم حمائلهـا إذ عليهـم تدار
كأنّ رجـوم تحاياهمُ سهـامٌ علـى الجيش منهـا نثار
كأنّ المجامـر خيلٌ جرتْ وقـد ثار للنـدّ منهـا غبار[3]
كأنّ السـكارى رجـال الوغى وقـد عقرتْهـم هنـاك العقار[4]
وقـد جدلتْهـمْ جروحٌ بهم وجـرح المدامـة فيهـا جبار
كأنْ تسكابُهـا في الزّجاج حريقٌ له من حبـابٍ شرار
فيا لك من مأقـطٍ لي به بلاءٌ وقـولٌ إليه يشار[5]
ولمـا برزت إلـى الهـمّ فيه ولـى بالسـرور عليه اقتدار
جـرى الضـرب مختلفـاً بيننا فمـات وعشـت وقـد نيل ثار

وقوله من قصيدة [من الخفيف] :

رب عذراء راوحتنـي من الرا ح بعـذراء تطـرد الهـمَّ طردا
خنـدريسٌ إذا المـزاج علاها نظّمـت بالحبـاب للـكأس عقدا[6]
تتـرك البـال ناعمـاً وأخـا الشجـــو خلياً وطائـر اللهـو سغدا
عبقتني بكأسهـا ذات دلٍّ دلّ قلبـي إلـى الهـوى فتعدّى

---

(١) دبادبة : كثيرو الصّياح والضجيج .
(٢) الغماغم : أصوات . والشعار : العلامة أو العبارة التي يتعارف بها القوم في الحرب .
(٣) المجامر : أوعية النار التي يوضع فيها الطيب لتفوح رائحته عند الاحتراق .
(٤) العقار : الخمرة .
(٥) المأقط : موضع القتال ، أو المضيق في الحرب .
(٦) الخندريس : الخمر .

وكتب إلى صديق له يستدعيه ويصف ما عنده من رءوس الحملان والشراب والفستق للنقل والمطرب الممتع ، فقال [من مخلع البسيط] :

طباخنا صانعٌ رءوسا يسقط في طيبها الخلافُ
مبيضةٌ كاللجين لوناً شهيةٌ كلّها نظاف
وأخذها في الرقاق يحكي صريع حمّى له لحاف[1]
من بين عجل إلى خروف تزهى بتنضيدها الصِّحاف
مختلفات القدود لكنْ لها بأسنانها ائتلاف
وكلّها راضعٌ صغيرٌ له على ضرعها اعتكاف[2]
قد أسمنتهنّ أمّهاتٌ من طول إرضاعها عجاف[3]
نسقي على ذاك روح دنٍّ أرقُّ أسمائها السّلاف
عروس دنٍّ صفت وطابت لوناً وطعماً فما تعاف
كأن إبريقها لدينا ناكس رأسٍ به رعاف[4]
والنقل من فستق جنيٍ رطبٌ حديثٌ به القطاف
لي فيه تشبيه فيلسوف ألفاظه عذبةٌ خفاف
زمرّد زانه حريرٌ في حُقٍّ عاجٍ له غلاف[5]
ومسمعٌ مطربٌ مليحٌ يحرم عن مثله العفاف
يظلمني صاحياً ولكن في سكره ما به انتصاف
فصر إلينا غداً بليلٍ أفديك من كلّ ما يخاف

---

(١) الرقاق : الخبز .
(٢) الضرع : الثدي في الحيوان اللبون واعتكاف : إقامة .
(٣) عجاف : هزيلة .
(٤) الناكس : المحني ، والرعاف : النزيف .
(٥) الحقّ : وعاء الطيب .

فأنـَت أصـل السـرور عندي وكلّ ما بعـده مضـاف

* * *

ما أخرج من شعره في الأوصاف والتشبيهات

من ذلك قوله في الورد [من الوافر] :

وزائـرةٍ لنـا في كلٍّ حولٍ لهـا حظّـان من حسـنٍ وطيبِ
تنـال النفس حين تشـمّ منها منـال العين من وجـه الحبيب
كأنّ زمانهـا نعتـاض فيه إذا طلعـت شبابـاً من مشيب

وقال من قصيدة [من البسيط] :

أمـا ترى الـورد قد حيّاك زائره بنفحـةٍ فرّجـت عن كلّ مصدورِ[1]
كأن أنفاسـه أنفـاس غانيةٍ معشوقـةٍ خالطـت أنفـاس مخمور
تفتّحـتْ وجنـاتٌ في جوانبه كأنّمـا انتزعـت من أوجـه الحور

وقال في النرجس [من الخفيف] :

ربّ يومٍ نقعْـتُ فيه غليلي وهمومـي بين الضّلـوع كُمونُ[2]
بـوجـوه مملـوءة بعيـونٍ وعيونٍ تخشـى عليهـا العيون
تلك من نرجسٍ نضيرٍ وهذي من غوانٍ وجـدي بهـنّ جنون

وقال في وصف شمامة كافور [من مجزوء الرجز] :

كـافـورةٌ جعـلْتهـا لأسـود العيـن غـرضْ
حتّـى وددت أنّهـا من أبيـض العين عـوض

---

(۱) المصدور : مريض الصدر .

(۲) نقعت غليلي : برّدت ظمئي وكمون : كامنة ومستترة .

وقال فيها [من الطويل] :

وشمّامةٍ كالبدر عند اعتراضه وكالكوكب الدّريّ عند انقضاضه
يودّ سواد العين من شغفٍ بها لو اعتاضها مستبدلاً من بياضه

وقال في النافجة [من مجزوء الكامل] :

وشميمةٍ من نسل بطنٍ لم تكن من ظهر فحلِ[1]
أهدت إليك جنينها من غير تطريقٍ بحمل
بل باقتناص حبائلٍ بثّتْ لها وبرشق نبل
فغدت بضاعة تاجرٍ لا تشترى إلاّ ببذل
فيها لنفسٍ قوتُها لكن بشمٍّ لا بأكل
حلّت محلاً لا ترى إلاّ لذي الخطر الأجلّ

وقال في عتيدة الطيب[2] [من الكامل] :

وعتيدةٍ للطيب إن تستدْعِها تبعثْ إليك أمامها ببشيرها
يلقاك قبل عيانها أرجٌ لها فكأنّه مستأذنٌ لحضورها
نفحاتها لم تدر من كافورها تأتيك أم من مسكها وعبيرها
مزجت ببعضٍ بعضها فتوحّدت عن أن تقاس بشكلها ونظيرها
لا عيب فيها غير أن نسيمها مثل اللسان يشيع سرَّ ضميرها

وقال في مدخنة [من الطويل] :

ومكروبة الأحشاء يعلو زفيرها وتعصف ريح الطيب بين فروجها[3]
إذا روّحت عن نفسها بخروجها فللنفس مني راحةٌ في ولوجها[4]

---

(١) المشيمة : وعاء الجنين في بطن أمّه .
(٢) العتيدة : الحقّة يكون فيها الطيب .
(٣) الفروج : الفتحات .
(٤) الولوج : الدخول .

وقال فيها [من الطويل] :

وَمحـرورةُ الأحشـاء تحسـب أنهّا ... متيّمـةٌ تشـكو من الحـبِّ تبريحا[1]
تنـاجيك نجـوى يسمـع الأنف وحيها ... وتجهلـه الأذن السميعـة إذ يوحى
إذا استودعـت سرّاً من الـطيب مجملاً ... أشاعتـه تفصيلاً وأفشتـه مشروحا
وإن حاولـت إخفـاءه في ضميرها ... أبـى عرفهـا إلا اعترافـاً وتصريحا[2]
يحـرّق فيهـا العـود عوداً وبدأةً ... فتأخـذه جسماً وتبعثـه روحا

وقال فيها [من مجزوء الرجز] :

وَمجلـسٍ سمـاؤه ... مـن النجوم عائمَهْ
فـي جوِّه سحابـةٌ ... لهـا الأنـوف شائمـه[3]
تنتـابـه مدخنـةٌ ... لحـاضريـه خادمـه
داخلهـا مجمـرة ... مثـل القـطـاة الجاثمـه
كأنهـا طـارمـةٌ ... فيهـا فتـاةٌ نائمـه[4]
تهـدي لنـا روائحـا ... مـن الجنـان قادمـه
لنـا عليهـا خِلَـعٌ ... مـن الـذّبـول دائمـه
لـكـنّهـا عاريـةٌ ... تخـرج منهـا راغمـه

وقال عن لسان مدخنة محلاة وأمر بنقشها فيها [من مخلع البسيط] :

جمعـت من حليتـي وعرفي ... ما بـين حسـنٍ وبـين طيبِ
أدخـل في الـذيل من محبٍّ ... طوراً وفي الـكمّ من حبيب
فـكم تردّدت بـين هذا ... وذا برغـمٍ من الرقيب

---

(١) التبريح : الألم واللوعة .
(٢) العرف : الرائحة .
(٣) شائمة : متطلّعة .
(٤) الطارمة : بيتٌ من خشب كالقبّة .

وقال في الغالية [من مخلع البسيط] :

غـاليـة تنتمـي لحـام قـد استعـارت لبـاس قارِ[1]
في قدحٍ ينتمـي لسامٍ من سنـة البـدر مستعار
جامـعٌ ما بـين ذا وهذا قد أولـج الليل في النهار

وقال فيها [من السريع] :

غـاليةً صـرح عطّارهـا في عجنهـا عن خالص النيَّهْ
تُعْـزى إلى تِيِّـتَ من مسكها وهـي من العنبـر شحريّه
منشـورة الـطيب على أنها في قدح البلّـور مطويه
كأنهـا فيه وقـد حازها روميّةٌ حبلـى بزنجيّـه

وقال في غلام له أسود شهر برشد [من الكامل] :

أبصرت في رشـدٍ وقـد أحببته رشـدي ، ولـم أحفـل بمـن قد ينكرُ
يا لائمـي أعَلى الســواد تلومني من لونـه وبـه عليك المفخر
دعْ لي الســواد وخـذ بياضـك إنّني أدري بمـا آتـي ومـا أتخيَّر
مثـوى البصـيرة في الفـؤاد سواده والعيـن بالمســودِّ منهـا تبصـر
والـدين أنـت مناظـرٌ فيه بذا وكذاك في الـدنيا بهـذي تنظر
بسـواد ذينـك تسـتضيء ولـو همـا آبـيضـا تغشّـاك الظـلام الأكدر
فغـدا بياضـك وهـو ليلٌ دامس وغـدا سوادي وهـو فجـر أنور

وقال فيه [من الكامل] :

قد قال رشـد وهـو أسـود للذي ببياضـه اسـتعلى علـو مباينِ
ما فخـر خدِّك بالبياض وهـل ترى أن قد أفـدْتَ به مزيد محاسن

---

(١) الغالية : أخلاطٌ من الطيب وحام : أبو السود « الإنسان الأسود » وسام : أبو البيض « الإنسان الأبيض » .

ولـو آن منّـي فيه خالاً زانه ... ولـو آن منـه فيَّ خالاً شاقني[1]

وقال فيه يخاطبه [من الخفيف] :

لك وجـه كأن يمنـاك خطتــه ... بلفظ تملُّـه آمالـي
فيه معنـى من البـدور ولكن ... نفضـت صبغهـا عليـه الليالي
لم يشنْـك السـواد بل زدت حسناً ... إنمّـا يلبسـن السـواد الموالي[2]
فبمالـي أفـديك إن لم تكن لي ... وبروحـي أفـديك إن كنـت مالي

وقال في الشمعة [من البسيط] :

وليلـةٍ من محـاق الشهـر مدجنةٍ ... لا النجم يهدي السّرى فيهـا ولا القمرُ
كلّفْـتُ نفسي بهـا الإدلاجَ ممتطياً ... عزمـاً هو الصـارم الصَّمصامـة الذَّكَر
إلى حَبيبٍ له في القلـب منزلةٌ ... ما حلَّهـا قبلـه سمـعٌ ولا بصر
ولا دليلٌ سوى هيفـاء مُخْطفةٍ ... تهـدي الـركاب وجنـح الليل معتكر
غصـنٌ من الذهـب الإبـريز أثمـر في ... أعـلاه ياقوتـةٌ صفـراء . تستعر
تأتيك ليلاً كما يأتـي المريب فإن ... لاح الصبـاح طواهـا دونـك الحذر

وقال في وصف القبجة وأرسلها إلى أبي الفرج الببغاء[3] [من الرجز] :

أنعـت طارونيّـة الثيـاب ... لابسـة خـزاً على الإهاب[4]
تصبّغـتْ تصبّـغ التصابي ... وأبـرزت وجهـاً بلا نقاب
ريّان مـن محاسـن الشباب ... مكحولـة العينـين كالكعـاب[5]
مغموسـة الحـاجب بالخضاب ... منقـارهـا أحمـر كالعنّـاب
كأنمّـا تسقـى دم الرقاب ... محـذورةٌ محميّـة الجنـاب

---

(١) الخال : قرصٌ صغير يظهر في الوجه ، وشاقني : أتعبني .
(٢) يشنك : يعبك .
(٣) القبجة : تقع على الذكر والأنثى من الحجل .
(٤) الطارونيّة : المنسوبة إلى الطاروني وهو ضربٌ من الخزّ .
(٥) الكعاب : الجارية الناهدة .

لهـا على الأرجـل والأعقاب حمْـلات ليث من ليوث غاب
أقفاصهـا كمحبس الحجاب مدوّرات الشـكـل كالقبـاب
تسمعنـا منهـا وراء الباب تمتمـةً بالقـاف في الخطاب
كأنما تقـرأ من كتاب مكروزةٌ زادت على الحساب(١)
قهقهـة الإبـريـق بالشـراب ملآن منكبّـاً علـى الأكواب
أهـلاً بصيّادٍ لهـا جـلاّب جاء بهـا كريمـة النّصاب
ربيبـةَ الجبـال والهضـاب كريمـةَ الأعـراق والأنسـاب
لـم تدر ما بادية الأعراب غريبـةٌ صارت من الأحباب
دونـك يا ذا المفخـر اللباب أرجـوزةً من صنعـة الكتاب
بـاكورةً من ثمـر الألباب وتحفـةً مـن تحـف الآداب
هـدية الأتـراب للأتـراب قل ما ترى فيهـا ولا تحُابى(٢)
هـل خلصـتْ من هجنـة وعاب وسلمـتْ من عيبـة العيّاب
أم خلْتهـا أشـبـه بالصواب فهـات ما عنـدك من جواب

وقال في الخطاطيف [من الطويل] :

وهنـديّةِ الأوطـان زنجيّة الخلق مسـودَّةِ الأثـواب محمرةً الحدْقِ
كأن بهـا حزنـاً وقـد لبسـت له حداداً وأذْرت من مدامعهـا العلق(٣)
إذا صرصرت صرَّتْ بآخـر صوتها كما صرَّ ملـوى العـود بالوتـرِ الحرق(٤)
تصيف لدينـا ثم تشتـو بأرضها ففـي كل عامٍ نلتقـي ثم نفرِق

وقال في البق والبراغيث والبيت الأخير أملح ما سمعت في معناه [من البسيط] :

وليلـةٍ لم أذق من حرّهـا وسناً كأن من جوهـا النـيران تشتعلُ

---

(١) مكروزة : مخفيّة .
(٢) تحابي : تعدو الحقّ في قولك .
(٣) العلق : الدم .
(٤) صرصرت : صوّتت . والوتر الحرق : الوتر الذي يخرج صوتاً حزينا .

أحـاط بي عسـكرٌ للبـقّ ذو لجبٍ ما فيه إلاّ شجـاع فاتـكٌ بطلُ[1]
من كلّ سائلـةِ الخرطـوم طاعنةٍ لا تحجب السّجف مسراها ولا الكلل[2]
طافـوا علينـا وحـرّ الصيف يطبخنا حتـى إذا طبخـتْ أجسامنـا أكلوا

* * *

ما أخرج مما قاله في البصرة

وكان خرج إليهـا في صبـاه ليستـوفي مالاً على ضامنهـا ، من ذلك قولـه [مـن الخفيف] :

ليس يغنيك في الطهـارة بالبصـ ـرة إن حانـت الصـلاة اجتهادُ
إن تطهّـرْت فالميـاه سـلاح أو تيمَّمْـت فالصـعيـد سمـاد

وقال فيها [من الخفيف] :

لهف نفسي على المقـام ببغدا د وشربـي من ماء كوز بثلجِ
نحـن بالبصرة الدميمـة نسقي شرّ سقيا من مائهـا الأترجِّي
أصفـر منـكر ثقيلٌ غليظٌ خاثـرُ مثـل حقنـة القولنج[3]
كيف نرضى بشربـه وبخيرٍ منـه في كنف أرضنـا نستنجي[4]

وقال في قصر روح بها [من الكامل] :

أحبـبْ إليَّ بقصر روح منزلا شهـدت بنيَّتـه بفضـل البانـي
سـور علا وتمنعـت شرفاتـه وكأن إحـداهـن هضْـب أبان

---

(١) اللجب : الكثرة .
(٢) السجف : الستائر . والكلل : التعب .
(٣) الخاثر : المتجمّد . والقولنج : مرض يصيب البطن مؤلم يصعب معه خروج الثفل .
(٤) نستنجي : نطلب النجاة .

وكأنما يشكو إلى زوّاره ... بين الخليط وفرقة الجيران[1]
وكأنّما يبدو لهم من نفسه ... إطراق محزون الحشى حرّان

وقال عند رحيله عنها [من الطويل] :

توليت عن أرض البصيرة راحلاً ... وأفئدة الفتيان حشو حقائبِ
منازل تقري ضيفها كلّ ليلةٍ ... بأمثال غزلان الصَّريم الربائب[2]
أقمت بها سوق الصبا والندى معاً ... لعاشقةٍ حرّى وحيران لاعب
فما تظهر الأشواق إلاّ صنائعي ... ولا تستر الجدران إلاّ حبائبي

* * *

ما أخرج من شعره في والدته وأولاده

قال [من الخفيف] :

أُسْرَةَ المرء والداه وفيما ... بين حضنْيهما الحياة تطيبُ
فإذا ما طواهما الموت عنه ... فهو في الناس أجنبيٌّ غريب

وقال ، وقد عتب على بعض ولده [من البسيط] :

أرضى علَى آبني إذا ما عقني حذراً ... عليه أن يغضب الرحمن من غضبي
ولست أدري بم استحققت من ولدي ... إقذاء عيني وقد أقررت عين أبي ؟

وله من رقعة يلتمس فيها من بعض الرؤساء إجراء الرزق لبعض ولده

[من الطويل] :

وما أنا إلا دوحةٌ قد غرستها ... وسُقِّيتُها حتى تراخى بها المدى
فلما آقشعرَّ الجلد منها وصوَّحتْ ... أتتك بأغصان لها تطلب الندى[3]

(١) الخليط : المخالط والمقيم معاً في مكان واحد .
(٢) الصريم : القطعة العظيمة من الرمل والربائب : الحاضنة .
(٣) صوّحت : جفّت ويبست والندى : الكرم ، أو الطلّ .

وكتب إلي بعض الرؤساء قصيدة في إنفاذه ابنه إليه ليستخدمه ، فمنها [من الطويل] :

بعثت إليكَ آبني وبالله إنه ... لأحلى من النفس المقيمة في جنبي
وهل أنا إلا نسخة هي أصله ... وهل هو إلا كالمحرِّر في الكتْبِ
وفي النسخة السوداء ما أنت عارف ... من المحور الإصلاح والحلك والضرب

أخذ المعنى من قول ابن الرومي [من البسيط] :

فقال لا تلحينا في تفاوتنا ... فإنّنا كتبٌ آباؤنا نسخ

رجع :

وهذا الذي يرضك مرأىً ومخبراً ... ويمضي مضاء السهم والصّارم العضْبِ
وشتّان بين العود أيبس وانحنى ... وبين النبات الغضّ والغصن الرطب
فدونك فاقبله وثق منه بالذي ... يراد من العبد المناصح للربّ
وجرّده من غمدِ التقبُّض باسطاً ... وجرِّبْه فالتجريب عن رشده ينبي[1]

وقال وقد رأى ولدا لولده مترعرعاً ناشئاً [من المنسرح] :

أبو علي محسنٌ كبدي ... وقد نشأ من فتاه لي خلبُ[2]
كأن هذا وذاك إذ نسبا ... منّي سوادُ يضمّه قلب
لا زلت ألقي الخطوب دونهما ... حتّى كأنّي عليهما حجب

وقال يرثي أبا سعيد سناناً ابنه [من الخفيف] :

أسعداني بالدمعة الحمراء ... جل ما حلّ بي عن البيضاء
يؤلم القلب كلّ فقدٍ ولا مثل ... افتقاد الآباء للأبناء

---

(١) ينبي : يخبر .
(٢) الخلب : استمالة القلب .

هـدّ ركنـيِ مثـوى سنـان وقـد كا ن يهـدّ الأركان من أعدائي
عكســت فيك دعوتــي إذ أفديـــــــك برغمي فصرت أنت فدائي
إنمـا كنـت فلـذة من فؤادي خطفتهـا المنـون من أحشائي
كنـت منّـي وكنـت منـك اتفاقاً والتئامـا مثـل العصـا واللِّحاء[1]
كنـت في اليتـم فيّ أجمـل منّي فيك للثـكل في أوان فنائي
ولئـن كان في أخيك وأولا دكمـا ما يغضُّ من برحائي[2]
فلعمـوي لربمـا هيجـوا الشو ق فزادوا في لوعتـي وبكائي

ألم فيه بقول ابن الرومي ، ولم يحسن بعض إحسانه [من الطويل] :

وإنّي ـ وإن متعت بابني بعده ـ لذاكره ما حنَّتِ النِّيب في نجدِ[3]
وأولادنـا مثـل الجـوارح أيما فقدناه كان الفاجـع البيِّنَ الفقد
لـكلٍّ مكانٌ لا يسـدّ اختلاله مكان أخيه من جَزوعٍ ومن جَلْدِ
هل العين بعد السمع تكفي مكانه أم السمع بعد العين يهدي كما تهدي

وكتب إليه ولده أبو علي المحسن يسليه في إحدى نكباته [من البسيط] :

لا تأس للمـال إن غالتْـه غائلةٌ ففي حياتك من فقـد اللّهـي عوضُ[4]
إذ أنـت جوهرنـا الأعلـى ومـا جمعت يداك من تالـدٍ أو طارفٍ عرضُ[5]

فأجابه بهذه الأبيات [من البسيط] :

يا درّةٌ أنـا من دون الـردى صدف لهـا أقيهـا المنـايا حين تعترضُ

---

(١) اللحاء : القشرة .
(٢) البرحاء : الألم .
(٣) النّيب : النّوق الهرمة .
(٤) اللّهى : العطايا والأموال .
(٥) التالد : المال القديم الموروث والطارف : المال الحديث المكتسب .

قد قلـت للدهـر قولاً كان مصدره ... عن نية لم يشبْ إخلاصَهـا مرض[1]
دع المحسـن يحيا فهـو جوهرةٌ ... جواهـر الأرض طراً عندهـا عرض[2]
فالنفس لي عوضُ عمـا اصيب به ... وإن أصبت بنفسـي فهـو لي عوض
اتـركه لي وأخـاه ثم خذ سلَبي ... ومهجتـي فهمـا مغـزاي والغرض

***

ما أخرج من شعره في الفخر

قال [من السريع]:

أيسـر جودي أنّنـي كلّما ... أسرفـت في السـكر ولا أدري
ندمت في صحوي على كل ما ... أبقيت من مالِـي في سكري

وقال في صباه [من المتقارب]:

لقـد علمـت خيل هذي الخيام ... ونسوانهـا القاصـرات الغواني
بأنـي شفـاء صدور الجميع ... وأكرم من ضَمَّـه الخافقانِ
أسـرّ القرينـة ليل العناق ... وأفتـك بالقـرن يوم الطِّعان[3]
فبطن الحصـان وظهـر الحصان ... علـي بمـا قلتـه يشهدان

وقال من قصيدة [من الطويل]:

وقـد علـم السلطان أني لسانه ... وكاتبـه الكافـي السـديد الموفَّقُ
أوازره فيمـا عرى وأمدّه ... برأيٍ يريه الشمس والليل أغسق[4]
يجدد بي نهج الهـدى وهـو دارس ... ويفتـح بي باب النهـى وهـو مغلق

---

(١) لم يشب : لم يمازج أو يخالط .
(٢) عرض : لا قيمة لها بوجوده .
(٣) القرينة : الزوجة ، وهو يعني أنّه تام الفحولة . والقرن : البطل الذي ينازله .
(٤) أوازره : أساعده ، وعرى : ألمّ وحدث .

فيمنـايَ يمنـاه ولفظِـيَ لفظُهُ ... وعينـي له عينٌ بهـا الدهـرُ يرمق
ولـي فِقَرٌ تضحـي الملـوك فقيرة ... إليهـا لدى أحداثهـا حين تطرق
أردّ بهـا رأس الجمـوح فينثني ... وأجعلهـا سوط الحـرون فيعنق[1]
فـإن حاولـتْ لطفـاً فمـاء مروّق ... وإن حاولـتْ عنفـاً فنـار تألّق
يسلـم لي قسٌ وسحبـان وائلٍ ... ويرضى جريرٌ مذهبـي والفرزدق[2]
فيغضي لنثري خاطب وهـو مِصْقعٌ ... ويعنو لنظمي شاعـرٌ وهـو مُفْلِق[3]
معـال لو الأعشى رآهـن لم يقلْ ... «وبات على النار الندى والمخلق»

وله من قصيدة قالها في الحبس [من الطويل]:

يعيّرنـي بالحبس من لو يحلّه ... حلولي لطالت واشمخرَّتْ مراكبهُ[4]
وربّ طليقٍ أطلـق الـذلّ رقّه ... ومعتقـل عانٍ وقـد عزَّ جانبه[5]
وإنـي لقـرن الدهـر يومـاً تنوبني ... سطـاه ويومـاً تنجلـي بي نوائبه
ومـن مد نحـو النجـم كيمـا يناله ... يداً كَيَدي لاقتْـه أيدٍ تجاذبه
ولا بدَّ للساعـي إلـى نيل غاية ... من المجـد من ساع تدبُّ عقاربه
وإنـي وإن أودتْ بمـالي نكبة ... نظيريَ فيهـا كل قرم أناسبه
فما كنـت كالقسطـار يثـري بكيسه ... ويملق إن أنحى على الكيس سالبه[6]
ولـكن كليث الغـاب إن رام ثروةً ... حوتْهـا له انيابـه ومخالبه
يبيت خميصـاً طاويا ثم يغتدى ... مباحـاً له من كل طعـم أطايبه[7]

---

(١) الجموح : الشارد ، والحرون : المعاندة،فيعنق: يمشي ، وعنقه : ضربه .
(٢) أسماء لخطباء وشعراء مشهورين .
(٣) يغضي : يطرق ، ومصقع : مبرّز ، ومفلّق : محلق ومبدع .
(٤) اشمخرّت : اشتدّت وارتفعت .
(٥) العاني : الأسير .
(٦) القسطار : منتقد الدراهم ، والعارف بتَمييز الجيد والرديء منها ويملق : يفتقر .
(٧) الخميص الطاوي : الجائع .

كذلك مثلــي نفســه رأس ماله ... بهـا يدرك الربـح الــذي هو طالبه
وللمــال آفـات يهنـأ ربه ... بهـــا إن تخطّتــه إليه مصائبه
ومــن يكن السلطــان فيه خصيمه ... فلا عار في الغضب الذي هو غاضبه
وما ضرّني إن غاض ما ملكت يدي ... وفي فضل جاهي أن تفيض مذاهبه
إذا كان مالــي من طريفٍ وتالدٍ ... قتيل يدي فضلــي فمفنيه جالبه
ولـي بين أقلامــي ولُبِّــي ومنطقي ... غنىً قلّما يشكو الخصاصة صَاحبه[1]

***

ما أخرج من شعره في المدح

قال في المهلبي الوزير [من الكامل]:

قــل للــوزير أبــي محمــد الذي ... قد أعجــزت كلّ الــورى أوصافهُ
لك في المحافل منطق يشفي الجوى ... ويســوغ في أذن الأديب سلافه
فــكأنّ لفظــك لؤلــؤٌ متنخّلٌ ... وكأنمــا آنذاننــا أصدافه

وقال فيه من قصيدة [من الطويل]:

وكم من يدٍ بيضــاءَ حازت جمالها ... يدٌ لك لا تَسْــوَدُّ إلا من النِّقْسِ[2]
إذا رقشــت بيض الصحــائف خلتها ... تطــرّز بالظلمــاء أردية الشمس[3]

وله من قصيد فيه [من الخفيف]:

وتعلّقــت بالــرئيس الــذي صر ... ت رئيســاً مذ عدّني في العبيدِ
والــوزير الــذي غدا وزراء الـ ... ملك ركنــا لعــزّه الموطود

---

(١) الخصاصة : الفقر .
(٢) النقس : الحبر .
(٣) رقشت : زيّنت وكتبت .

أريحـــيٌّ مهلبـــيٌّ سعيد الـ ـجَدِّ صافي الجـدوى كريم الجدود
وإذا استنطـق الأنامـل جادت ببيـانٍ كالجوهـــر المنضود
فـي سطـورٍ كأنّمـا نشـرت يمـ ـناه منهـا عصائبـاً من برود[1]
فِقَـرٌ لم يزل فقيراً إليها كلّ مبـدي بلاغـةٍ ومعيد
يغتـدي البـارع المفيد لديها لاحقـاً بالمقصـد المستفيد
ببيانٍ شافٍ ولفـظٍ مصيبٍ واختصـارٍ كافٍ ومعنـىً سديد

وكتب إليه وهو بدجلة البصرة متوجهاً إلى عمان [من الطويل]:

لقد كنفت منـك السعـود موفّقاً مصـادره محمـودةٌ والموارِدُ
كأنيَ بالبحـر الـذي خيف هوله وقـد خاف حتّى ماؤه فيه جامد
يرى منك بحراً زاخراً فوق متنه فيصبح جاري موجهِ وهو راكد
كأنّ عصـا موسـى بكفّـك فوقه وقد خرَّ إعظاماً لها وهـو ساجد
ستعنو لما تبغـي ظهـور صفائه وتبلغ ما تهوى وجدّك صاعد[2]
فلا تخش من صرف النوائب نبوةً فنصـرك محتـومٌ عليه شواهد[3]
إذا عادة الله التـي أنــت عارف تذكّرْتها هانـت عليك الشدائد

وقال في فاصد من غير علة [من الطويل]:

تنبّــع جود لا دم من يمينه فأضحى لكي يعطي الأطباء فاصدا
وليس به أن يفصـد العــرق حاجةً ولكنــه ينحــو المحامــد قاصدا
يسبّــب أسبــاب النــدى لعفاتِهِ ويرقبهــا مستفْرصــاً ومراصدا[4]

---

(١) العصائب : الألوان .
(٢) الجدّ : الحظ .
(٣) النبوة : الجفوة .
(٤) العفاة : الطالبين الجدوى ومستفرصاً : أي متحيّناً الفرص .

وقوله في معناه [من الكامل]:

لهجـت يمينـك بالنـدى فبنانها ... أبـدا يفيض علـى العفـاة عطاءَ
حتى فصدت وما بجسمك حاجةٌ ... كمـا تسبـب للـطبيب حباءَ
ولقـد أرقـت دمـاً زكياً من يدٍ ... حقنـت بتـدبير الأمـور دماءَ
تجري العلافي عرقة جرْيَ النَّدى ... في عوده فهـو اللبـاب صفاء
لـو يقـدر الأحـرار حين أرقته ... جعلـوا له حب القلـوب وعاء
فانعـمْ وعشْ في صحـةٍ وسلامةٍ ... تحيي الولـيَّ وتكبـتُ الأعداء

وكتب إلى عضد الدولة عند مقدمه من الزيارة بالكوفة قصيدة منها [من الكامل]:

أهـلاً بأشـرف أوبـة وأجلِّها ... لأجـلِّ ذِي قدمٍ يلاذ بنعلِها[1]
فرشـتْ لك التـرب التـي باشرتها ... بشفاههـا من كهلهـا أو طفلها
لـم تخـطُ فيهـا خطـوةً إلاّ وقد ... وضعـت لرجلك قبلـة من قبلها
وإذا تذلّلـت الرقـاب تقرُّباً ... منهـا إليك فعزُّهـا في ذُلِّها

وله من قصيدة [من الكامل]:

لا تحسب الملك الـذي أوتيته ... يفضي وإن طال الزمـان إلـى مدى
كالـدَّوْح في أفـق السمـاء فروعه ... وعروقـه متولّجـاتٌ في النَّدى
فـي كلِّ عامٍ تستجـدّ شبيبةً ... فيعـود ماء العـود فيه كمـا بدا
حتّـى كأنّـك دائـرٌ في حلقةٍ ... فلـكيّةٍ في منتهاهـا المبتدا

وكتب إلى الوزير أبي عبد الله بن سعدان [من الطويل]:

ثنائـيَ لو طوّلتـه لك قاصر ... وطـولك لو قصَّرتـه لي باهرُ
فكيف نهوضي حين لا أبلغ المدى ... بجهدي وعفو الجود لي منك غامر

---

(١) الأوبة : العودة .

وما زلت من قبل الوزارة جابري فكن رائشي إذ أنت ناهٍ وآمر[1]
أمنت بك المحذور إذ كنت شافعاً فبلّغني المأمول إذ أنت قادر
لعمري لقد نلت المنى بك كلّها وطرفي إلى نيل المنى بك ناظر[2]

كأنه عكس قول محمد بن أبي يزيد المهلبي [من الطويل]:

بلغت الذي قد كنت آمله بكم وإن كنت لم أبلغ لكم ما أؤمِّلُ

وكتب إلى الصاحب [من مجزوء الكامل]:

لما وضعت صحيفتي في بطن كفّ رسولها
قبّلتها لتمسّها يمناك عند وصولها
وتودّ عيني أنّها قرنت ببعض فصولها
حتى ترى من وجهلك الـ ـميمون غاية سولها

وله من قصيدة [من الخفيف]:

نعم الله كالوحوش وماتأ لف إلا الأخاير النسّاكا[3]
نفرتها آثار قوم وصيّرْ تَ لها البِرَّ والتُّقى أشراكا

وله في عبد العزيز بن يوسف [من الطويل]:

أبو قاسمٍ العزيز بن يوسف عليه من العياء عينٌ تراقبُه
روى ورعى لما روى قول قائلٍ وشبْع الفتى لؤمٌ إذا جاع صاحبه

وقال لبعض الوزراء [من البسيط]:

أنت الوزير الذي الدنيا تناط به وأهلها تبعٌ من دونه خَوَلُ[4]

---

(١) الجابر: المعين، ورائشي: أي جاعلاً لي الريش الذي أستطيع به الحياة، يعني: المال.
(٢) أحسبه: «وطرفي إلى نيل المنى لك ناظر».
(٣) الأخاير: أي الأخيار الفضلاء.
(٤) تناظر به: توكل به، والخول: العبيد.

تظلّ بالعز ملء الأرض أجمعِها | كأنك النَّصلُ والدنيا لك الحلل

* * *

ما أخرج من شعره في التهاني والتهادي

كتب إلى عضد الدولة قصيدة يهنيه بالفطر . منها [من الخفيف] :

لم أطوِّلْ في دعوتي لمليك | طوّل الله في السّلامة عمرَهُ
بل تلطَّفْت باختصار محيط | بالمعاني لمن تأملَ أمرَه
فهي مثل الحروف من عدد الهنـ | ـد قليل قد انطوَتْ فيه كثره
جمع الله كلِ دعوة داع | مستجاب دعاؤه فيك صبره
وأعاد العيد الذي زاره العا | م بأمرٍ يحوزه مسرّه
وأراه الآمال فيه ولقا | ه سعادته ووفّاه أجره

وله من قصيدة يهنيه بالفطر. منها [من البسيط] :

يا ماجداً يده بالجود مفطرةٌ | وفوه من كلّ هجرٍ صائم أبدا
اسعد بصومك إذ قضيّت واجبه | نسكاً ووفّيته من شهره العددا
واسحب بذا العيد أذيالاً مجددةً | واستقبل العيش في إفطاره رغدا
وانعم بيومك من ماضٍ قررت به | عيناً ومنتظرٍ يفضي إليك غدا
وفزّ بعمرك ممدوداً وملكك مو | طوداً ونل منهما الحدّ الذي بعدا
حتى ترى كرة الأرض البسيطة في | يمناك مملوءةً أرجاؤها رشدا
وحولك الفَلَك الدوّار متّبعاً | أوطار نفسك لا يألوك مجتهدا[1]

وله في الوزير المهلبي قصيدة عيدية [من الطويل] :

أسيِّدنا هُنِّئْت نعماك بالفطر | ووُقِّيتَ ما تخشاه من نُوَبِ الدهرِ[2]

---

(١) يألوك : لا يقصّر عنك .
(٢) نوب الدهر : مصائبه .

مضى الصوم قد وفَّيْتَه حقّ نسكه ووفّاك مكتوب المثوبة والأجر
كلفت بذكر الله فيه فلا تزلْ من الله فيما ترتجيه على ذكر
هجرت هجود الليل فيه تهجداً وصبرا على طول القراءة للفجر
فلو نطقت أيامنا باعتقادها لناجتك لفظاً بالدّعاء وبالشكر
وللفطر رسمٌ للسرور وسنَّةٌ ومثلك من أحيا لنا سنّة الفطر[1]
ولابّد فيه من سماعٍ وقهوةٍ نقضّي بها الأوطار من لذّة السكر
نواصل قصفاً بين يومٍ وليلةٍ دراكاً فنستوفي الذي فات في الشهر[2]
فمرْ بالذي نبغي وكن عند ظننا فلا زلت فينا نافذ النّهي والأمر
وعاد إليك العيد حتى تملَّه بأقصر يوم طاب في أطيب العمر

أخذه من قول ابن الرومي [من مجزوء الرمل]:

وليطل عمرك مسرو راً بأيامٍ قصار

وله في بعض الوزراء [من الطويل]:

يصوم الوزير الدهرُ عن كلّ منكرٍ وليس لهذا الصوم عيد ولا فطرُ
ويفطر بالمعروف والجود والندى وليس لهذا الفطر صومٌ ولا حظر[3]
فأكرم به من صائمٍ مفطرٍ معا توافى لديه الأجر والحمد والشكر

وله [من البسيط]:

إذا دعا الناس في ذا العيد بعضهمُ لبعضهم وتمادى القول واتَّسعا
فصيَّر الله ما من فضله سألوا فيه لسيدنا الأستاذ مجتمعا
حتى يكون دعائي قد احاط له بكلّ ذلك مرفوعاً ومستمعا

---

(١) السنّة : العادة .
(٢) داركاً : لحاقاً .
(٣) الحظر : المنع .

وله في المطهر بن عبد الله [من الكامل]:

عيد إليك بما تحبّ يعود ... بطوالعٍ أوقاتهنّ سعودُ
متباركاتٌ كلّ طالع ساعةٍ ... يوفي على ما قبله ويزيد
يأتيك من ثمر المنى بغرائبٍ ... معدومها لك حاصلٌ موجود
قضّيت شهر الصوم بالنّسك الذي ... هو منك معروف له معهود
أكثرت فيه من تهجد خاشع ... ما يطمئنّ بمقلتيه هجود
فاشرب وسَقٍّ عصابةً قد مسّها ... عطشٌ وجهدٌ في الصيام جهيد(1)
أرويتها جوداً فروّ مشاشها ... راحاً فمنك الجود والناجود(2)
وتملّ عيشك في سرور دائمٍ ... سرباله أبداً عليك جديد

وقوله [من مجزوء الكامل]:

يا سيداً أضحى الزّما ... نِ بأسره منه ربيعا
أيام دهرك لم تزل ... للناس اعياداً جميعا
حتى لأوشك بينها ... عند الحقيقة أن يضيعا
فاسلم لنا ما أشرقَتْ ... شمسٌ على أفقٍ طلوعا
واسعد بعيدٍ ما يزا ... ل إليك معتقداً رجوعا

وله من قصيدة في عضد الدولة [من الكامل]:

إسلَمْ ودُمْ للرتبة العلياء ... وتملّ ملكك في أمدٍّ بقاءِ
واستقبلِ العيد الجديد بغبطةٍ ... ومسرّةٍ وزيادةٍ ونماء
وكفاك من نحر الأضاحي فيه ما ... نحرت يمينك من طلا الأعداء(3)

---

(1) الجهيد : المضني .
(2) المشاش : النفس . والناجود : الخمر .
(3) طلا الأعداء : دماءهم .

بهـم تعفَّـرُ كالبهائـم جعجعتْ أشلاؤهـا في حومـة الهيجاء[1]
حرَّمْـتَ مأكلهـا علينـا واغتدت حلاًّ لوحش القفـر والبيداء
هـذي مناسـكك التـي قضَّيْتها بالسَّيف او بالصَّعـدة السمراء[2]
ووراء ذلك للعفـاة منائحٌ هطلـت هطـول الديمـة الوطفاء[3]
ومواهـبٌ ومناقـبٌ ومفاخرٌ ومآثـرٌ أوفـت علـى الإحصاء

وقوله من أخرى [من الخفيف]:

صلِّ ياذا العـلا لربِّـك وانحرْ كلُّ ضدٍّ وشانـىء لك أبترْ[4]
أنـت أعلـى من [أن] تكون أضاحيـك قرومـاً من الجمـال تعفَّر
بل قرومـاً من الملوك ذوي السؤ دد تيجانهـا أمامك تنثر
كلّمـا خرّ ساجـداً لك رأسٌ منهـمُ قال سيفـك الله أكبر

وكتب الى الشريف الموسوي في الأضحى [من الهزج]:

مـرجّيك وصابيك بذا الأضحـى يهنّيكا
ويدعـو لك والله مجيبٌ ما دعا فيكا
وقـد أوجـز إذ قال مقـالاً وهـو يكفيكا
أرانـي الله أعداء ك في حالِ أضاحيكا

وكتب إلى صمصام الدولة يهنئه بالأضحى [من مخلع البسيط]:

يا سنَّـةَ البـدر في الدياجي وغـرَّةَ الشـمسِ في الصباحِ
صمصـام حربٍ وغيث سلمٍ ناهيك في البـأس والسماح

---

(١) جعجعت : صوّتت والهيجاء : الحرب .
(٢) الصعدة : القناة المستوية التي لا تحتاج إلى تقويم .
(٣) الوطفاء : الممطرة التي أرخت أدياها .
(٤) الشانىء : المبغض . والأبتر : الأقطع الذي لا ولد له .

اسعد بفطرٍ مضى وأضحى ... وافاك باليمن والنجاح
وانحر أعادي بني بويهِ ... بالسّيف في جملة الأضاحي
فالكلُّ منهم ذوو قرون ... يصلح للذبح والنِّطاح

وكتب في يوم مهرجان مع اصطرلاب أهداه إلى عضد الدولة [من البسيط] :

أهدي إليك بنو الآمال واحتفلوا ... في مهرجانٍ جديدٍ أنت مبليهِ
لكنَّ عبدك إبراهيم حين رأى ... علوًّ قدرك عن شيءٍ يدانيه
لم يرضَ بالأرض مهداةً إليك فقد ... أهدي لك الفَلَكَ الأعلى بما فيه

وكتب إليه مع زيج أهداه [من البسيط] :

أهديت محتفلاً زيجاً جداوله ... مثل المكاييل يستوفي بها العمرُ[1]
فقس به الفلك الدوار واجركما ... يجري بلا أجل يخشى وينتظر

وكتب إليه في يوم نيروز مع رسالة هندسية من استخراجه [من الطويل] :

أيا ملك الأرض الذي ليس بينه ... وبين مليك العرض مثلٌ يقارنُهُ
رأيت ذوي الآمال أهدوا لك الذي ... تروق العيون الناظرات محاسنه
وحولك خزّان يحوزونه وما ... له منك إلا لحظ طرف يعاينه
ولكنّني أهديت علماً مهذباً ... يروق العقول الباحثات بواطنه
وخير هدايانا الذي إن قبلته ... فليس سوى تامور قلبك خازنه[2]

وكتب إليه من الحبس ، وقد أهدى إليه درهمين خسروانيين وكتاب المسالك والممالك في دفترين [من مجزوء الكامل] :

---

(١) زيجاً : جدولاً يدلّ على حركة الكواكب ومنه يستخرج التقويم .
(٢) التامور : وعاء القلب والنفس .

أهــدي إليك بحســب حا لي في الخصاصــة درهميْنِ[1]
وبحســب قدرك دفتريــــــن همــا جميع الخافقين
فــإذا فتحتهمــا رأيـــــت بيان ذاك بلحــظ عين

وكتب إليه من الحبس مهرجانية مع درهم خسرواني وجزء من كتاب [من الطويل]:

تصبَّــحْ بعــزٍّ واعتــلاء جدود وأبشــرْ بخير واطِّــراد سعودِ
وقــل مرحبــاً بالمهرجــان وحَيِّه بطلعــة بسَّــام أغــرٌّ مجيد
له زورةٌ في العــام ما زال يومها كفيلاً بحظَّــيْ سيدٍ ومسود
فيحظــى بفخــرٍ من علاك مجددٍ وتحظــى بعمــرٍ في مداه جديد
تراه إذا ما جاء طامــح مقلةٍ إليك وإن ولَّى فثانــىَ جيد[2]
أتتــك الهــدايا فيه بين موفَّرٍ علــى قدر المُهْــدَى وبين زهيد
فبــان علــى يمنــاك حين مددْتها تكلّف فياض اليدين مفيد
تقــاعس عن بسـط القبـول ولـم تكن لهــا عادةٌ إلا ببسطــة جود
ولــكن إذا أهــدى لك الله نعمةً مددت لهــا كفَّيْك مدَّ رشيد
وقــد نزلــت منــه إليك هديةً بجرجــانَ ما محصولهــا ببعيد
ومــا بيننــا إلاّ المسافــة فانتظرْ ورود بشيرٍ فوق ظهــر بريد
ولمــا رأيت الله يهــدي وخلقه تجاســرْت واستفرغْــت جهــد جهيد
فكان احتفالــي في الهــدية درهماً يطير من الأنفــاس يوم ركود
وجــزءاً لطيفــاً ذرعــه ذرع محبسي وتقييده بالشــكل مثــل قيودي[3]

(١) الخصاصة : الفقر والحاجة .
(٢) ثنى جيده : لوى عنقه .
(٣) ذرعه : مقداره .

ألاطِفُ مولانـا وكالمـاء طبعه ... تسلسـل من عذب النِّطاق برود[1]
زلالاً علـى المستعـطفين وجلمداً ... علـى كلّ عرِّيضٍ ألـدَّ مريد[2]

وكتب إليه في يوم نيروز [من الطويل]:

تهـنَّ بهـذا اليوم واحـظ بخيره ... وكن أبـداً بالعـود منـه علـى وعدِ[3]
أرى النـاس يهـدون الهـدايا نفيسةً ... إليك ولـم يتـرك ليَ الدهـر ما أهدي
سوى سكَرٍ يحلـو لك العيش مثله ... وآسٍ أخـي عمـر كعمـرك ممتدّ
وبينهمـا من ضرب قومـك درهمٌ ... وأبيات شعـرٍ من ثنائـي ومـن حمدي
فإن كنت ترضـى مابـه انبسطتْ يدي ... وتقبلـه منّـي فهـذا الـذي عندي

وكتب إليه [من الطويل]:

تعـذر دينـاري علـيَّ ودرهمي ... فلاطفْـت مولانـا ببيتين من شعري
وكم بيت شعـرٍ زاد بالشـكر قدره ... علـى بيت مالٍ من لجيْنٍ ومـن تبرِ

وكتب إلى صمصام الدولة [من السريع]:

دامـت لمولانـا سعادته ... موصولـةٌ دائمـةٌ تترى[4]
ونـال ما أمَّـل من ربه ... في هذه الـدار وفـي الأخرى
وزاده النيروز في ملكه ... عزّاً وفـي دولتـه نصرا
لمـا رأيت النـاس لم يتركوا ... فيمـا ادعـوا نظمـاً ولا نثرا
أعملـت فكري في دعـاء له ... يجمـع ما جاءوا به طُرّا
فقلـت بيتـاً واحـداً كافياً ... لم يعـدُ في مقداره سطرا

---

(١) النطاف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي والبرود : البارد .
(٢) الزلال : الصافي . والعرّيض : الكثير المعارضة والعناد ، والألد : الشديد العداوة ، والمريد : الكثير التمرّد .
(٣) العود : العطاء وغيره .
(٤) تترى : متتابعة بعضها بعد بعض .

لا زالــت الــدنيا له منزلا يأويه والدهــر له عمرا

وكتب إليه مع اصطرلاب أهداه [من الوافر] :

يعزُّ علــي أن أهــدي نحاساً إلــى مَنْ فيضُ راحتــه نضارُ[1]
ولــكنَّ الزمــان اجتــاح حالي وأنــت عليه لي إذ جارَ جار

تب إلى بعضهم مع فنجان صفر [من البسيط] :

نهـدي النحــاس إلــى مولــى أنامله تهـدى النضــار إلــى العــافين منتهبا
وكان يلزمنــا لولا التعــذّر أن يكون إهداؤنــا من عين ما وهبا
لكن بعــديَ عن جدواه أصفرني من كل خيرٍ فصار الصفـر لي نشبا[2]
وســوف أظفــر من أخــلاط نائله بالــكيمياء فيضحــي صفرنــا ذهبا[3]
فليبســط الآن عذراً لســت أسأله في قابــل إن أنــل من خدمــةٍ سببا
فقــد جرى المــاء في عودي بدولته وكان من قبلــه مستيبســاً حطبا
وأقبلــت نحويَ الآمــال آتيةً من بعدما أزمعتْ من ساحتـي هربا[4]

وكتب في يوم نيروز وقد أهدى بطيخة كافور [من الكامل] :

أسعــدِ وزير الملك بالنيروز ما سجعــت مطوّقــة علــى أعوادها
وافــى فأنجــز وعــد عام أول بميامــن ستــكرّ من ميعادها
تهــدي إليك به هدايا كلها من راحتيك حقيقــة استمدادها
فتمــدّ كفّــاً نحوهــا نشــأت على إرفــاد أيدي النــاس لا استرفادها[5]

---

(١) النضار : الذهب .
(٢) أصفرني : أخلاني ، والصفر : النحاس والنشب : كل ما يملك الانسان .
(٣) أظفر : أفوز ، وأخلاط نائله : مختلف عطاياه .
(٤) أزمعت : صممت وقرّرت وعزمت .
(٥) الإرفاد : الاعطاء ، والاسترفاد : الإستعطاء .

عاداتهـا إعطـاء ما قد أعطيتْ ... أكرِمْ بعادتهـا وبالمعتادها
ولقـد طلبت فلـم أجـد شيئـاً سوى ... كافـورةٍ لم آلُ في إعدادها[1]
وبـديع أبياتٍ إذا هي أنشدتْ ... نفقـت بضاعتهـا علـى نقّادها
فالصبـح من تلك ابيضاض أديمها ... والليل من هذي اعتـكار مدادها
ولـو انني مكّنـت من عينـي التي ... هي بعض حقّـك يا معيد رقادها
لسكبـت كافـوري بشحـمِ بياضها ... وكتبـت أبياتـي بذوْب سوادها

وكتب إلى المطهر بن عبد الله يهنئه باليوم الأجود [من السريع] :

نل المنـى في يومـكِ الأجود ... مستنجحـاً بالطالـع الأسعد
وارْقَ كمرقـى زحـلٍ صاعداً ... إلـى المعالـي أشـرف المصعد
وفضْ كفيض المشتـري بالنّدى ... إذا اعتلـى في برجـه الأبعد
وزدْ علـى المـريخ سطـواً بمن ... عاداك من ذي نخـوةٍ أصيد[2]
واطلـع كمـا تطلـع شمس الضحى ... كاسفـةً للحنـدس الأسود[3]
وخـذْ من الزهـرة أفعالها ... في عيشـك المقتبـل الأرغد
وضـاهِ بالأقـلام في جريها ... عطـارد الكاتـب ذا السؤدد
وبـاه بالمنظـر بدر الدجى ... وأفضلـه في بهجتـه وازدد
واسلـم علـى الدهـر ولا تخش من ... مكروهـه الرائـح والمعتدي
ذا مهجـةٍ آمنـةٍ للّادي ... ما أمّنتـه مهجـة الفرقد

وكتب إلى بعض الرؤساء يهنئه بخلعة سلطانية [من الكامل] :

قرمٌ علتـه ملابس العلياء ... فعـلا علـى النظـراء والأكفاءِ

---

(١) لم آل : لم أقصّر .
(٢) الأصيد : السيد والملك .
(٣) الحندس : الظلام الشديد السواد .

أهــدت إلــيَّ سرورهــا مثــل الذي   أهــدي مساءتهــا الــى الأعداء
ومــن العجائــب أنّنــي هنأتُه   وأنــا المهنــأ فيه بالنعماء
لا زال يفتــرع المراتــب صاعداً   حتــى يجــوز محلّــة الجوزاء[١]

وكتب إلى الوزير أبي نصر سابور بن أردشير يهنئه بالخروج من الاستتار [مـن الخفيف] :

صحّ أنّ الــوزير بدرٌ منير   إذ توارى كمــا توارى البدورُ
غاب لا غاب ثم عاد كمــا كا   ن علــى الأفــق طالعــاً يستنير
لا تسلنــي عن الــوزير فقــد نبــــئْــتُ بالــوصف أنّــه سابور[٢]
لا خلا منــه صدر دســتٍ إذا ما   قرَّ فيه تقــرُّ منــه الصدور[٣]

وكتب إليه وقد أعيد إلى الوزارة بعد أن صرف عنها [من الكامل] :

قد كنــت طلقــت الــوزارة بعدما   زلّــت بهــا قدم وســاء صنيعُها
فغــدت لغيرك تســتحيل ضرورة   كيمــا يحــلّ إلــى ذراك رجوعها
فالآن آلــت ثم آلــت حلفةً   أن لا يبيت سواك وهــو ضجيعها[٤]

* * *

ما أخرج من شعره في الهجاء

قال [من المجتث] :

يا جامعــاً لخلالٍ   قبيحــةٍ ليس تحصى

يفترع : يمتلك .

(٢) سابور : ملك ، معرّب شاه بور .

(٣) الدست : البيت .

(٤) آلت حلفةً : أقسمت قسماً وضجيعها : راقدٌ معها .

نقصْتَ من كل فضلٍ ... فقد تكاملت نقصا
لو أن للجهل شخصاً ... لكنت للجهل شخصا

وقال [من الخفيف]:

أيها النابح الذي يتصدّى ... بقبيحٍ يقوله لجوابي
لا تؤمّل أنّي أقول لكَ اخسأ ... لست اسخو بها لكلّ الكلاب

وقال [من السريع]:

ياذا الذي صام عن الطعم ... ليتك قد صمت عن الظلمِ
هل ينفع الصوم امرأً ظالماً ... أحشاؤه ملأى من الإثم

وقال [من الهزج]:

أبو الفضل إذا يحصل ... فيما بيننا فضلُ
وما نؤثر أن يدخل ... في شطرنْجنا بغل

وقال في إنسان ساقط لبس عمامة سرية [من الكامل]:

يا من تعمّم فوق رأس فارغٍ ... بعمامةٍ مرويَّةٍ بيضاءِ
حسنت وقُبِّح كلّ شيءٍ تحتها ... فكأنها نورٌ على ظلماء
لما بدا فيها أطلْتُ تعجبي ... من شرّ شيءٍ في أجلٍّ إناء
لو أنني مكّنت ممّا أشتهي ... وأرى من الشهوات والآراء
لجعلت موضعها الثرى وجعلتها ... في رأس حرٍّ من ذوي العلياء

وقال [من الطويل]:

ألا قل لأهل الدولة النذلة التي ... ثوى داؤها فينا وأعيا دواؤها
لقد كبت الدنيا على أمّ وجهها ... فنحن لها أرضٌ وأنتم سماؤها
فلا تفرحوا بالحظِّ منها فإنهُ ... قليلٌ على هذا المحال بقاؤها

وقال [من المجتث]:

وراكبٍ فوق طرفٍ كأنّه فوق طرفي[1]
له قذالٌ عريض يجلُّ عن كل وصفِ[2]
يذوب شوقاً إليه نعلي وخفّي وكفّي

وقال [من مخلع البسيط]:

قرنُ ابن هارون قد تمادى علوه فالغيور غيرُهْ
فكاشفته البظراء جهراً بفسقها حين قلّ خيره[3]
خلت به للنكاح يوماً فقام حِرُّها ونام أيره[4]

وقال [من الكامل]:

يبدي اللواط مغالطاً وعجانه أبداً لأعراد الورى مستهدفُ[5]
فكأنه ثعبان موسى إذ غدا لحبالهم وعصيّهم يتلقّف

وقال [من الرجز المشطور]:

يا رب علجٍ أعلج مثل البعير أهوجِ[6]
ذي فيشة عظيمة إن دُخلت لم تخرج[7]
رأيته مطّلعاً من خلف باب مرتج
وتحته دنيّةٌ تذهب طوراً وتجي

---

(١) الطرف : الحصان الجيد .
(٢) القذال : القفا ، موضع الصفع .
(٣) البظراء : الطويلة البظر .
(٤) الحرّ : بضع المرأة .
(٥) العجان : الإست . الأعراد : جمع عرد ، ويعني به القضيب عند الإنسان .
(٦) العلج : الكافر .
(٧) الفيشة : رأس الذكر .

فقلت : فاضي أيدجٍ ؟ فقال : قاضي أيدج

وقال في رئيس أمرد [من الطويل] :

وأرعنَ من سكر الحداثة ما صحا دفعنا إلى تعظيمه وهو ما التحى
له همّةٌ لكنّها في حتاره فما يطلب العلياء إلاً لينكحا[1]
فلو أن ما قاسى من الأير دبره يقاسيه من سير المعلم أفلحا

وقال في إنسان شريف الأصل وضيع النفس [من مجزوء الكامل] :

قل للشريف المنتمي للغرّ من سرواتِهِ
آبائه وجدوده والزهر من أماته
وهو الوضيع بنفسه وعيوبه وهناته
والظاهر السوءات في أخلافه وصفاته
لا تجرينّ من الفخا ر إلى مدى لم تاته
شاد الألى لكَ منصباً قُوِّضْتَ من شرفاته[2]
وأبوك متصلٌ به فعققتهم ببتاته[3]
إنّ الشريف النفس ليـ ـست تلك من فعلاته
والعود ليس بأصله لكنه بنباته
والماء يفسد إن خلطْ تَ أجاجه بفراته[4]
وأحق من نكّسْته بالصفع من درجاته
من مجده من غيره وسفاله من ذاته

(١) الحتار : يعني الإست ، وهو الإطار المحيط بالغربال أو المنخل أو نحوهما .
(٢) قوّضت : هدمت وخربت .
(٣) بتّه : قطعه .
(٤) الأجاج : المالح ، والفرات : العذب .

وقال في هجاء أبخر [من البسيط] :

إنـــي بليت بقرنانٍ يساررني سيّان عنـــدي مجشّـــاه ومفْساهُ[1]
القبـــر نكهتـــه ، والسـّــمّ ريقته والمـوت عشرتـــه ، والبخـــر نجواهُ[2]

وفي المعنى [من مجزوء الرمل] :

فـي أبـي الفضـــل من النقـــــــص ضروب وصنوفُ
رجـــلٌ في وعـــده خِلْـــــــفٌ ، وفـــي فيه خلوف
فـــإذا قاوضـــك القو ل فقـــد فاض كنيف[3]

وقال [من مجزوء الخفيف] :

لـــم تر العين أبخراً كابـــن نصـــرٍ ولا ترى
مدخـــل الخبـــز منـــه أخـــــــبث من مخـــرج الخرى

وقال [من الكامل] :

قد أبصـــرت عينـــي العجائـــب كلّها ما أبصـــرت مثـــل ابـــنِ نصـــرٍ أبخر
ما شم نكهتـــه أمـــرؤٌ متعطّرٌ إلا استحـــال مخاطـــه منهـــا خرى

وقال [من الكامل] :

نطـــق ابـــن نصـــرٍ فاستطـــارت جيفةً في الخـــافقين لنتـــنِ فيه الفاسدِ
فكأنّ أهـــل الأرض كلّهُـــمُ فسوا متـــواطئين علـــى اتفـــاق واحد

وقوله [من الخفيف] :

يا ابـن نصـــرٍ تِهْ كيف ما شئْـتَ بالبَخْـــــــرة إذ بلَّغَتْـــكَ حالاً شريفَهْ

---

(١) القرنان : الدّيوث المشارك في قرينته لزوجته ، المجش : ما يتجشأ منه ، وهو فمه .
(٢) البخر : الرائحة الكريهة من الفم .
(٣) الكنيف : المرحاض .

لك في الناس مثلُ معجزةِ الخضــــــرِ ، وإن كنْتُ منـه بئس الخليفة
لا يشمّـون حين تجتـاز طيباً ويشمـون حين تجتـاز جيفة

وقال [من مجزوء الرجز] :

مـا مرَّ بي في عُمُري مثـلُ سرارِ القنطرى
مكّنتـه من أذني فبـال فيهـا وخـرى

وقال من قصيدة لأبي الفضل الشيرازي يوصيه بغلمانه ويعلمه بحالهم ويحذره من شخص عرض به [من مجزوء الرمل] :

نـبَّ هذا التيس نبّا وعلـى الغلمـان هبّا[1]
كلّمـا نادى غزالاً منهـم للنيك لـبّى
مـا رأينـا قبـل هذا رشـأ طاوع كلبا
ليس فيهـم صغيرٍ وكبيـرٍ يتـأبّى
وغَـدَتْ دار أبـي الفضـ ـل لهـذا التيس زربـا
وهـو يزداد علـى ذا ك بـه ضنـاً وعجبـا
يا أبـا الفضـل استمـع نصـ ـح امرىء يصْـفيك حبّا
سـرْحُ غلمانـك للسرّ حان قد أصبـح نهبا[2]

* * *

ما أخرج من شعره في الشعر

قال [من الوافر] :

أحـبُّ الشعـر يبتـدع ابتداعاً وأكره منـه مبتـذَلا مشاعا

---

(١) نبّ : صاح .
(٢) السّرح : الأنعام التي تسرح للمرعى والسرحان : الذئب .

ولــي رأيٌ غيورٌ في المعاني فمــا آتــي بهـا إلاّ افتراعا
وقِدْماً كانــت الأبــكار أحظى من العــون التــي انتهبــت شعاعا[1]

وقال [من الخفيف] :

رب شعــرٍ أطالــه طول معنا ه وإن قلَّ لفظــه حين يروي
وطـويل فيه الــكلام كثير فاذا ما استعدتْه كان لغوا[2]
عرض البحــر وهــو ماءُ أجاجٌ وقليل المياه تلقــاه حــلوا

وقال [من الطويل] :

لقــد شان شأن الشعــر قومٌ كلامهم إذا نظمــوا شعــراً من الثلــج أبردُ
فيا ربّ إن لم تهدهــم لصوابه فأضْلِلْهــمُ عن وزن ما لم يجوّدوا

وقال من قصيدة في الصاحب [من الخفيف] :

لو تراخيت عن مديحــك لاستجـــــــررت من كلّ نعمــةٍ لك هجوا
فتأمّــل وانظــر إليه إذا ما طبــق الخــافقين حضــراً وبدوا[3]
كيف تحــدو به عفاتــك حدواً ثم تشــدو به قيانــك شدوا

* * *

ما أخرج من شعره في العتاب

قال من قصيدة [من الوافر] :

وأيامٍ تعـدّ علــيّ عـدّا وحظّــي من رغائبهــا يفوتُ
يظــنّ النــاس لي فيهــا ثراءً وحسبـي من ظنـون النــاس قوت

---

(١) العون : المرأة صارت وخادمة مساعدة .
(٢) اللغو : الكلام الذي لا طائل وراءه .
(٣) الحضر : سكان المدن ، والبدو : سكان الصحارى .

كأنّـي من تخاصمهـم مكينٌ وحالـي من خصاصتهـا تموت
ولـم آل اجتهـاداً واحتفالاً ولـكنْ أعيتِ الحيلَ البخوت
إذا رام الـكريم شكاةَ بثٍّ فغايتُـهُ التحمُّـلَ والسكوت

وقال من قصيدة في عبد العزيز بن يوسف [من الطويل]:

كفانـي علاءً حين أفخـر أنّني أضـاف إلـى عبـد العـزيز وأنسبُ
حنته علـيٌّ الحـانيات فصـرت في كفالتـه كالابـن وهـو له أب
فهـا أنـا كالأولاد والفـرع أشمطٌ وهـا هو كالآبـاء والفـرع غيهب[1]

ومنها:

عممتم جميع النـاس حسنـاً لمحسنٍ وعفـواً لذي جرمٍ فغيثـوا واخصبوا
فمـا بال إبـراهيم إذ ليس قبله ولِـيٌّ عراقـيٌّ غداً وهـو مجدب
مجلّيهـم في حلبـةٍ أرسلوا وسِكِّيتهـم في رتبـةٍ حين رتّبوا
ومـالك يا عينـي البصيرة غمضت جفونـك عنـي حين أبـكي وأندب
وكيف استطبـت العيش في ظلّ نعمةِ غلامـك عنهـا بالعـراء يعذّب
أتضـرب صفحاً وادع الجـأش ساكناً وجنبـي علـى رمضائـه يتضرّب[2]
متـى لم يكن ترياق جاهـك ضامناً نجاتي إذا دبّت إلـى الحـال عقرب[3]
ومالي إذا لم أسـق ريّاً من الحيا ولـم ترو منـي غلـة الـروح أخصب
ولكنـه التقـويم إن كان طعمه أمـرّ فعقبـاه الحميدة تعذب
ومـن ذا الـذي أهّلتمـوه لنكبةٍ تقوّمـه إلاّ العـذيق المرجّب[4]

---

(١) الأشمط: الذي خالط بياض شعره سواده. والغيهب: الأسود المظلم.
(٢) الرمضاء: شدّة الحرّ، ويتضرّب: يتقلّب.
(٣) الترياق: دواء السمّ.
(٤) العذيق: اللبق الماهر والمرجّب: المعظم.

إذا منصلٌ بالغتمُ في صقالِهِ فما هو إلا المشرفيّ المجرّب
ولم تشحذوا حدّيه حيفاً وإنمّا تريدون أن تسطوا به وهو مُقْضَب[1]
تجرّعت هذا الشرْيَ كالأرْيِ عالماً بأنْ سوف يحلو لي جنى فيه طيِّب
ويا سوء حالي لو جريت لديكمُ بمجرى الذي لا يصطفى فيهذّب
فصبراً على بؤسي قليلٌ بقاؤها لنعمى لنا فيها مراد ومرحب
لئن غمّني التأنيب فيكم وساءني لقد سرّني أن كنت ممن يؤنّب
وعِلميَ باستحكام حقي لديكمُ يحقق ظنّي أنّ جرمِي سيوهب
وإنك للحرّ الذي ليَ عنده وديعة ودٍّ خيرها مترقّب

وقال [من الطويل]:

صديقٌ لكم يشكو إليكم جفاكمُ وفي قلبه داء من الشوق قاتل
تناسيتموه وهو للعهد ذاكرٌ وللغيب مأمونٌ وللحبل واصل
يقول لكم والوجد بين ضلوعه مقيمٌ وقد جمّتْ عليه البلابل[2]
أكابرَنا عطفاً علينا فإننا بنا ظمأٌ بَرْحٌ وأنتم مناهل[3]

وقال [من الخفيف]:

ومن الظلم أن يكون الرضا سرّا ويبدو الإنكار وسط النادي
ومن العدل أن يشاع بهذا مثل ما شاع ذاك في الأشهادِ
كي يسرّ الصديق بالعفو عنّي مثل ما سرّ بالنكير الأعادي

* * *

---

(١) الشرى : الحنظل ، أي الشراب المرّ . والأري : العسل .
(٢) جمّت : كثرت وتزاحمت والبلابل : الهموم .
(٣) برحٌ : مؤلم .

ما أخرج من شعره في الشكوى والحبس

قال [من البسيط] :

قد كنــت أعجــب من مالــي وكثرته ... وكيف تغفــل عنــه حرفــة الأدب
حتى انثنت وهـي كالغضبى تلاحظني ... شزْراً فلم تبق لي شيئاً من النشب[1]
فاستيقنــت أنّهــا كانــت علــى غلطٍ ... فاستدركته وأفْضت بي الـى الحرب[2]
الضّب والنــون قد يُرجــى التقاؤهما ... وليس يرجى آلتقـاء اللّب والذهب[3]

وقال أيضاً [من الوافر] :

كأنّ الدهــر من صبــري مغيظٌ ... فليس تغبنّــي منــه الخطوبُ[4]
يحــاول أن تلين له قناتي ... ويأبــى ذلك العــود الصليب
ألاقــي كلّ معضلةٍ نآدٍ ... بوجــهٍ لا يغيّره القطوب[5]
وأعتنــق العظيمــة إن عرتنى ... كأنْ قد زارنــي منهــا حبيب
وبين جوارحــي قلــب كريم ... تَعجّــبُ من تماسكه القلوب
تلــوح نواجذَي والــكأس شربي ... وأشربهــا كأنّــي مستطيب[6]
ففــوق الســرّ لي جهــرٌ ضحوكٌ ... وتحــت الجهــر لي سرٌّ كئيب
سأثبــت إن يصادمنــي زماني ... بركنيْه كمــا ثبــت النجيب
وأرقــب ما تجــيء به الليالي ... ففــي أثنائــه الفــرج القريب

---

(١) شزراً غاضبةً .
(٢) الحَرب : الهلاك .
(٣) النون : الحوت من السمك والضبّ : حيوان معروف يشبه الهر .
(٤) تغبّني : تزورني .
(٥) النآد : الشديدة الوقع .
(٦) النواجذ : الأضراس ، وهي أربعة .

وقال [من مجزوء الكامل]:

قاسيت من دهري سفيهاً ... ما إن رأيت له شبيها
ثبتتْ نصال سهامه ... في ثغرة لي تنتحيها
فكأنّني استقبلته ... بمقاتلي إذ أتّقيها

وقال [من الطويل]:

إذا لم يكن بدٌّ من الموت للفتى ... فأروحه الأوحى الذي هو أسرعُ[1]
وما طال عمرٌ قطُّ إلاّ تطاولت ... بصاحبه روعات ما يتوقّع
فكن عرضاً بالعيش لا تغتبط به ... فمحصوله خوفٌ وعقباه مصرع

وقال [من الطويل]:

إذا جمعت بين امرأين صناعةٌ ... وأحببت أن تدري الذي هو أحذقُ
فلا تتفقّدْ منهما غير ما جرت ... به لهما الأرزاق حين تفرّق
فحيث يكون النقص فالرزق واسعٌ ... وحيث يكون الفضل فالرزق ضيّق

وقال [من المنسرحِ]:

عهدي بشعري وكلّه غزلُ ... يضحك عنه السرور والجذلُ
أيام همّي بحبّةٍ بهم الـ ... ـقلب عن النائبات مشتغل
فالآن شعري في كلّ داهيةٍ ... نيرانها في الضلوع تشتعل
أخرج من نكبةٍ وأدخل في ... أخرى فنحسي بهن متصل
كأنها سنةٌ مؤكدةٌ ... لابدّ من ان تقيمها الدول
فالعيش مرٌّ كأنّه صبرٌ ... والموت حلوٌ كأنّه عسل

---

(١) الأوحى : الأسرع .

وقال في الاستتار من قصيدة [من الخفيف] :

ليس لي منجدٌ على ما أقاسي   من كروبي سوى العليم السميع
دفتري مؤنسي وفكري سميري   ويدي خادمي وحلمي ضجيعي
ولساني سيفي وبطني فريضي   ودواتي عيني ودرْجي ربيعي
أتعاطى شجاعةً أدَّعيها   في القوافِي لقلبِيَ المصدوع
بمقالٍ أعزَّ من ليث غابٍ   وفعالٍ أذلّ من يربوع[1]
كلما هرَّ في جواري هرٌّ   كاد يقضي إلى فؤادي المروع[2]
وإذا اجتاز في السطوح فمن قبـ   ـل قبوع الجرذان منه قبوعي

وكتب من الحبس قصيدة منها [من الطويل] :

كتبْتُ أقيكَ السُّوءَ من محبسٍ ضَنْكِ   وعينُ عدوّي رحمةً منه لي تبكي
وقد ملكتني كفُّ فظٍّ مسلّطٍ   قليل التقي ضارٍ على الفتك والإفك
صليت بنار الهم فازددت صفوة   كذا الذهب الإبريز يصفو على السبك

وكتب إلى صديق له وهو محبوس [من الكامل] :

نفسي فداؤك غير معتدٍّ بها   إذ قد مللْت حياتها وبقاءَها
ولو انّ لي مالاً سواها لم أكن   أرضى لنفسك أن تكون إزاءها
لكن صفرْت فلم أجد إلا التي   قد آن لي أن أستطيل ذماءها[3]
فإذا شكرت لمن فداك فإنّني   لك شاكرٌ أنْ قد قبلت فداءها
وكأنني المفديُّ حين أرحْتَني   من ناثباتٍ ما أطيق لقاءها

---

(١) اليربوع : حيوان قاضم يشبه الفأر ، قصير اليدين ، وطويل الرجلين والذنب .
(٢) هرّ : صوّت .
(٣) صفرت : خليت . والذماء : بقية الروح وقوّة القلب .

وكتب وهو في الحبس الى أبي العلاء صاعد بن ثابت [من مجزوء الرمل]:

أيهـا السيد قد كنـــت إلى الوصـل تسارعُ
وتـراعينـا ببـرٍّ مـوالٍ متتابـع
فلمـاذا قـد تسربلـت لنـا سربـال قاطع
نحن كالنسريْن في الصّحبة لـكنّـي واقـع[1]
وعلـى الطائـر ان يغشى أخـاه ويطـالـع[2]

وكتب إلى قاضي القضاة أبي محمد بن معروف ، وقد كان زاره في معتقله رقعة هذه نسختها :

لقد قوي دخول سيدنا قاضي القضاة إلى نفسي ، وجدد أنسي . وأعـزب نحسي ، ووسع حبسي . فدعوت الله تعالى بما قد ارتفع إليه ، وسمعه له . فإن لم أكن أهلاً لأن يستجاب مني ، فهو أيده الله أهل لأن يستجاب فيه ، وأقول مع ذلك [من البسيط]:

دخلـت حاكم حكاّم الزمـان على صنيعـة لك رهـن الحبس ممتحنِ
أخنتْ عليه خطوبٌ جارَ جائرها حتـى توفّـاه طول الهـمّ والحَزَنِ[3]
فعـاش من كلمـاتٍ منـك كنٍّ له كالـروح عائـدة منـه إلـى البدن

وقال في مستخر مال كان يرفق به حال مصادرته ويتشكر منه في تلك الحال [من الكامل]:

لله درّ أبـي محمـدٍ الذي ضمنـتْ إساءتـه بنـا إحسانا
طـويت جوانحــه علـى خيريَّة مكتومـةٍ تبـدو لنـا أحيانا

---

(١) النسرين : مثنّى نسر ، والواقع : اسير : أو الذي لا يستطيع التحليق .
(٢) يغشى : يؤم داره ويتفقّد أحواله .
(٣) أخنت : حلّت .

حـرّ تكلف غير ما في طبعه   من قسـوةٍ تكسـو العـزيز هوانا
عـكس النفـاق لنـا فأخفـى باطناً   حسنـاً وأظهـر ضدَّه إعلانا
ولـه خلال العسف رفـقٌ ربما   سغشى الضعيف الرازح الحيرانا[1]
مستخرجٌ للمـال مضطرٌ إلـى اسـتعمال ما يرضـي بـه السلطانا
متلـطفٌ في فقرنـا ولـو أنه   وجـد السبيل إلـى الغنـى أغنانا
يتطـرق الأستـار لا عن نيّةٍ   ولـو استطاع لهـا الصيانـة صانا
متوعّـر الجنبـات في استخراجه   وإذا تعطّـف للفتـوة لانا
فتـراه في ديوانـه مستأسداً   ليثـاً وفـي خلواتـه إنسانا
رجـل يؤدّبنا ونحـن مشايخٌ   مثـل المعلـم يضـرب الصبيانا
عدنـا وقـد شبنـا إلـى حال الصِّبا   في مكتـب يستشهـد الولدانا
نهـواه علمـاً أنـه خير لنا   من غيره ان قلّـد الديوانا
عجبـاً له إذْ هذِهِ آثارُهُ   فينـا وهـذا شكرُنـا وثنانا
فـالله يحفظـه علينـا راضياً   ويعيدنـا من بأسِـهِ غضبانا

وقال أيضاً في الحبس [من الطويل]:

إذا لم يكن للمـرءِ بدٌّ منّ الردّى   فأسهلُـهُ ما جاءَ والعيش أنكد
وأصعبـه ما جاءه وهـو رائعٌ   تُطيفُ به اللـذات والحـظ مسعد
فإنِ أك شرَّ العيشتين أعيشها   فإنـي إلـى خير الممـاتيْن أقصد
وسيّان يومـا شقْوةٍ وسعادةٍ   إذا كان غبـاً واحـداً لهمـا الغد[2]

وكتب إلى عضد الدولة وقد خرج إلى الزيارة بالكوفة [من الطويل]:

توجّهْتَ نحـو المشهـد العلـم الفرد   على اليمـن والتـوفيق والطائـر السعد
نزور أمـير المؤمنـين فيالهُ   ويالك من مجـدٍ مسيخٍ على مجد

---

(١) العسف : الظلم .
(٢) الغبّ : الذي يزور يوماً ويترك آخر .

فلـــم يـر فوق الأرض مثلك زائراً ... ولا تحتهــا مثــلُ المزور إلى اللحد
مددت إلى كوفــانَ عارضَ نعمةٍ ... بصــوتٍ بلا برقٍ يروع بلا رعد[1]
وتابعــت أهليهــا ندىً بمثوبةٍ ... فرحــت إلى فوزٍ وراحــوا إلى رفد[2]
أمَــولاي مولاك الــذي أنــت ربّه ... إليك على جور النوائــب تستعدى
وهــذي يدي مُدَّتْ إليك بقصةٍ ... أعيذك فيهــا من إبــاءٍ ومــن ردّ
أتانــي شتــاءً ليس عنــدي دثارُهُ ... سوى لوعةٍ في الصدر مشبوبة الوقْد[3]
فلــو أن برد الجلــد عاد الى الحشا ... وفــار الحشــا الحــران منــي على الجلد
أزيحــت لنفسي علّتاهــا فأعرضتْ ... عن البثّ والشكوى الى الشكر والحمد
وداويْتُ داءَيَّ النّقضــين ذا بِذا ... أعــدّل إفراطــاً من الضِّــد بالضد
ولكنــي أستبطــن الحــرّ كربةً ... وأستظهــر الضرَّ الشــديد من البرد
وكم تثبــت الحوْبــاء في شبــحٍ به ... جروحٌ دوامٍ من مناحســة النكد[4]
أليمات وقــعٍ لو تكون بيذبل ... تضعضــع ركنــاه تضعضــع منْهدِّ[5]
فلــولا رجــاءٌ ملء أرجــاء أضلعي ... وعلــم يقــين بالرعــاية والعهد
وأنّ نسيم الانعطــاف تهــبّ لي ... هبــوب نسيم النــرجس الغضِّ والورد
قضيت بإحداهــن نحبــي حسرة ... ولــو كان لي قلــب من الحجــر الصّلد
وهبنــي قد حملتهــا فأطقتها ... إطاقــة صلــب العــود مصطبــر جلد
فمــن لي بصبــرٍ عن جبينــك لامعاً ... إذا شيم ما بـين السّماطـين من بعد[6]
برانــي بَريَ القــدْح شوقٌ مبرِّحٌ ... إليه ووجــد جلّ عن صفــة الوجد[7]

---

(١) العارض : الغيم الممطر .
(٢) الرفد : العطاء .
(٣) المشبوبة : المستعرة .
(٤) الحوباء : النفس أو الروح .
(٥) يذبل : إسم جبل .
(٦) شيم : أبصر ونظر إليه والسّماطين : الصفّين ، والجانبين .
(٧) براني : أنحلني .

إذا أبصرت عيناي خدا معفّراً — لديك نقلت الترب منه إلى خدي
وإن سمعَتْ أذناي عنك محدثاً — لهجت بتكرير الحديث الذي يُبدي
فذكراك جهري حين يطرق زائري — ونجواك سري حين أخلو بها وحدي
فلا تبعدنّي عنك من أجل عثرةٍ — فإن جياد الخيل تعثر إذ تخدي[1]
ولو كنت تنفي كلّ من جاء مخطئاً — إذا لَعَمَمْتَ الناس بالنّفي والطرد
ومن زل يوما زلة فاستقالها — فذاك حقيق بالهداية والرشد
ولي عند مولانا وديعة حرمةٍ — وشكر أياديه وديعته عندي
فإن عشت كانت عدتي وذخيرتي — وإن لم أعش فهي التراث لمن بعدي
توالت سنيٌّ أربعٌ ومدامعي — لها أربعٌ كالسّلك سلّ من العقد
أحوم إلى رؤياك كما أنالها — حيام العطاش الناظرات إلى الورد[2]
فيا أيها المولى الذي اشتاق عبده — إليه أما تشتاق يوماً إلى العبد ؟
فإن كان لم يبلغ إلى رتبة الرضا — فبلّغه فيما قبلها رتبة الوعد
ومر أمرك العالي بتغيير حاله — وتخفيف ما يلقى من البؤس والجهد
لعلك ترضى عودةً بعد بدأةٍ — فيغدو بوجه أبيضٍ بعد مسودٍّ
فقد يجبر العظم الكسير وربما — تزايد بعد الجبر شدّة مشتد

وقال [من الطويل]:

هجرت دواتي بعد تصريف حلّها — وواصلت كالورّاق قارورة الحبرِ
وعاشرْتُ من دون الأخلاّء دفترا — يحدّث عما مرّ في سالف الدهر
فطوراً يسلّيني التعلّلُ بالمنى — وطوراً يكون الموت مني على ذكر

* * *

(١) تخدى : تسير مسرعة وتعثر : تزلّ .
(٢) الورد : منهل الماء .

ما أخرج من شعره في الحكمة

قال [من مجزوء الرمل]:

جملـةُ الإنسـان جيفَهْ وهيولاه سخيـفه[1]
فلماذا ليتَ شعري قيلَ للنفس شريفه ؟
إنمـا ذلك فيه صنعـة الله اللطيفـه

وقال أيضاً [من مجزوء الكامل]:

أتهـاب في العزمـات ظـلما ربمـا وقيت عنهُ
وأمامـك الموت الذي أيقنـت أن لا بدّ منه
هـذي سبيل الخائـب الكـابـي الزنـاد فلا تكنه[2]
الدهـر خوّان ولـكن كم سعيدٍ لم يخنه !
وشقـيٌّ جدٍّ قد تحرّ ز بالتصـوّف لم يصنه
فاحـذرْ مراراً أن يخو ن ومـرة لك فأْمَنْه
واستبـرْ لحظـك بالتقلـب في المطالـب وامتحنه
وابسـط رجـاءً قد قبضـتَ وثـق بربـك واستعنه

وقال أيضاً [من الطويل]:

ألا أيهـا الإنسـان لأنـك آيساً من الدهـر ان تصفـو عليك مشاربُهْ
فإنّ له حتماً من الشر واجباً وحتماً من الخـير الهَنِـيِّ عواقبه
وإن تلـق من حتميْه ما كنـت تبتغي فأولى بك الحتـمُ الـذي أنـت طالبه
ستكَسـب ما ترجـو ولـو كنـت كارهاً ككسيْـكَ ما تخشى وأنـت مجُانبه

---

(١) الهيولي : في الفلسفة ، المادة الأولى ، تنفعل وتحمل الصورة فتتولّد الموجودات .
(٢) الكابي الزناد : الذي لا يستعر ، كناية الحظّ السّيء .

وقال [من الخفيف]:

قـد تحابـى الجـواد نائبـة الدهــــر وفيهـا على البخيل وقاحَهْ
كم رأينا من نعمة قادها البخـــل وأخـرى تذود عنهـا السماحه
ربمـا ضرّهـا التشـدّد والضبّـــط فأضحـتْ من أصلهـا مجتاحه
فهـي محميَّة إذا نيل منها وإذا عزَّ نيلهـا مستباحه
وخصـوم الشـحيح يسعـون فيما غضّ من طرفـه وهـاض جناحه[1]
وبنـات القلـوب تصغـي إلى من كان أسخى نفسـاً وأطلـقَ راحه

* * *

ما اخرج من شعره في الشيب والكبر وذكر آخر أمره

قال [من الوافر]:

يقـول النـاس لي في الشيب عن يزيد به جلال المرء ضعفا
ولـولا أنـه ذلٌّ وهون لما احتـكم المزين فيه نتفا

أخذه من قول الأول [من البسيط]:

كفـاك من ذلتـي للشيب حـين بدا أنـي توليت نتفـي لحيتـي بيدي

وقال [من المتقارب]:

لقـد أخلقـت جدّتـي الحادثات ومـن عاش في ريبهـا يخلقِ[2]
وبدّلنـي صـلعـاً شامـلا من الشعـر الفاحـم الأغسق[3]
وقـد كنـت أصلـعَ مِنْ عارضي فقـد صرت أصلـعَ منْ مفرقي

(١) الشحيح : البخيل . وهاض جناحه : جعله ضعيفاً .
(٢) أخلقت : أبلت ، وجدّتي : فتوتي وشبابي .
(٣) الأغسق : الأسود .

وقال [من المنسرح]:

لما دهتْني السنون بالصَّلعِ وقل مالي وضاق متَّسعي
حاسبت عن لمّتي مزيّنها حسابَ شيخٍ للحزم متبع[1]
قلت له اقنع عن قسط نابتها بالربّع ممّا به عملت معي
واعمل على أنها مزارعةٌ شكوت فيها شكاةَ متَّضع
فاحطط خراج الذي أصبت به واستوف منّي خراج مزدرع[2]

وقال [من مجزوء الكامل]:

وَجَعُ المفاصل وهو أيـ ـسر ما لقيت من الأذى
جعلَ الذي استحسنْته واليأس من حظي كذا
والعمر مثل الكأس ير سب في أواخره القذى

وكتب إلى أبي الحسن النقيب الموسوي [من الخفيف]:

أَقْعَدَتْنا زمانةٌ وزمان عائقٌ من قضاء حق الشريفِ[3]
فاقتصرنا فيما نؤدي من الفر ض على الكتْب والرسول الحصيف[4]
والفتى ذو الشباب يبسط في التقـ ـصير عذر الشيخ العليل الضعيف

وكتب إليه يمدحه ويشكو إليه زمانته، وسوء أثر السن عليه، وحاجته إلى الجلوس في المحفة إذا أراد التصرف في حوائجه. وذلك في رجب سنة أربع وثمانين وثلاثمائة [من الطويل]:

إذا ما تعدّت بي وسارت محفّةٌ لها أرجلٌ يسعى بها رجلانِ[5]

---

(١) اللّمة: الشعر الذي يعلو الرأس.
(٢) الخراج: الضريبة واحطط: خفّف عنّي.
(٣) الزمانة: المرض الطويل.
(٤) الحصيف: العاقل.
(٥) المحفَّة: مركب كالهودج، أو ما يشبه السرير يحمل عليه المسافر والمريض.

وما كنت من فرسانها غير أنها ... وفت لي لما خانت القدمان

نزلت إليها عن سراة حصان ... بحكم مشيي أو فراش حصان[1]

فقد حملت منّي ابن تسعين سالكاً ... سبيلاً عليها يسلك الثقلان

كما حمل المهد الصبيُّ وقبلها ... ذعرت ليوث الغيل بالنزوان[2]

ولي بعدها أخرى تسمى جنازة ... جنيبة يومٍ للمنيّة داني

تسير على أقدام أربعة إلى ... ديار البلى معدودهنّ ثماني

وإني على غيث الردى في جوانبي ... وما كفّ من خطوي وبطش بناني

وإن لم يدعْ إلا فؤاداً مروّعا ... به غير باق من أذى الخفقان

تلوم تحت الحجب ينفث حكمة ... إلى أذن تصغي لنطق لسان

لأعلم أني ميّتٌ عاق دفنه ... ذماء قليل في غدٍ هو فاني[3]

وإن فماً للأرض غرثان حائماً ... يراصد من أكلي حضور أوان[4]

به شره عم الورى بفجائع ... تركن فلاناً ثاكلا لفلان

غدا فاغراً يشكو الطوى وهو راتع ... فما تلتقي يوماً له الشفتان[5]

فكيف وحدّ القوت منه فناؤنا ... وما دون ذاك الحدّ رد عنان

إذا عاضنا بالنسل ممن يعوله ... تلا أوّلاً منه بمهلك ثاني

إلى ذات يومٍ لا ترى الأرض وارثاً ... سوى الله من إنسٍ يراه وجان

ألا أبلغا فرعاً نمتْه عروقه ... إلى كلّ سامٍ للمفاخر باني[6]

محمداً المحمود من آل أحمد ... أبا كلّ بكر في العلا وعوان[7]

---

(١) فراس حصان : فراش زوجةٍ عفيفة .

(٢) الغيل : الغاب ، والنزوان : الوثب .

(٣) الذماء : بقيّة الروح .

(٤) الغرثان : الجائع .

(٥) الفاغر : الفاتح ، والطوى : الجوع .

(٦) الفرع : الأصل .

(٧) العوان : المرأة التي ليست بكراً .

أبـا حسـن قطّعـت أحشـاء حاسد طواهـا علـى البغضـاء والشنآن
يراك بحيث النجـم تصـدع قلبه بحـدّ لسـان أو بحـد سنان
جرى جاهـداً والعفـو منـك يفوته فكان هجينـاً طالبـاً لهجان[1]
وأنـت سمـاء في الذؤابـة صاعداً وذاك حضيضٌ في القـرارة عاني[2]
أقيك الـرد إنـي تنبّهـت من كرىً وسهوٍ على طول المدى اعتوراني[3]
فأثبـتُّ شخصـاً دانياً كان خافياً على البعـد حتى صار نصب عياني
هو الأجـل المحتـوم لي جد جدُّهُ وكان يرينـي غفلـة المتواني
له نذُرٌ قد آذنتنـي بهجمةٍ له لسـت منهـا آخـذاً بأمان
ولا بدّ منـه ممهـلاً أو معاجلاً سيأتـي فلا يثنيه عنِّـي ثاني
هنـالك فاحفـظْ في بنـيّ أذمتي وذدْ عنهـمُ روعـات كل زمان
فإنـي أعتـدُّ المـودة منـك لي حسامـاً به يقضـون في الحدثان
ذخـرت لهـم منـك السجـايا وإنّها لأنفـع ممـا يذخـر الأبوان
وفـاءً ومـدّاً للجنـاح عليهم وضنّـاً بهـم عن مس كل هوان[4]
وحرمـة أسـلافٍ كرامٍ حقوقها ديون علـى الخلّين يصطحبان
وحظـك منهـا حسـب شأنـك إنّه تعاظـم قدراً أن يقـاس بشان
وقـد ضمـن الله الجـزاء المحسن وحسبـك من وافٍ وَفَـى بضمان
وهـذا قريضـي وهـو همٌّ بعثته إلـى همّـةٍ عذراء ذات بيان
فكنـت كمـن جارى جواداً بمفرق قوائمـه مشكولـة بحـران[5]
فإن لثمتنـي بالغبـار سوابقاً قوافيه من لفـظٍ وحسـن معاني

---

(١) الهجين : المتولد بين عربي وأمة .
(٢) الذؤابة : أعلى الرأس ، والحضيض : الأسفل .
(٣) اعتوراني : لازماني وداخلاني .
(٤) ضناً : حفظاً ومنعاً .
(٥) المشكولة : المشدودة بالشكال ، وهو الحبل الذي تربط به الدابة .

فلا عار إن قصّـرْتُ دون مبرّز | شأن النـاس قبلـي سعيه وشآني
وعــذري إليه خاطـرٌ كلٌّ بعدما | ثوى وهـو ماضـي الشفـرتين يماني [1]
كذا الدهــر إمّــا عاد ينقض ما بنى | وإمــا بنـى ما ينقض الملوان [2]
وإن أخرتنـي اليوم سنٌّ تقدمتْ | فقـد أسلفتنـي حوز كلّ رهان
ليالـيَ طارت بي عقـابُ بلاغتي | وبـذّتْ بغاثـا ما استطـاع يراني [3]
أبـابيل جابـت دون إدراك غايتي | علـى أنّهـا لم تألُ في الطيران [4]

فأجابه أبو الحسن بقصيدة منها [من الطويل] :

ظمانـي إلـى من لو أراد سقاني | وديْنـي علـى من لو يشـاء قضاني
ولـو كان عنـدي معسـراً لعذرته | ولكنّـه وهـو الملـيُّ لواني
رمى مقلتـي واسترجـع السهـم دامياً | غزالٌ بنجـلاويْن تنتضلان [5]
أأرجـو شفائـي منـه وهـو الـذي جنى | علـى بدنـي داء الضنـى وشجاني
أبيت فلـم أستسـق من كان غلّتي | ولـم أسترش من كان قبـل براني [6]
فإن أسرِ فالعلياء همّـي وإن أقم | فإنـي علـى بكر المـكارم باني
وإن أمض أترك كلّ حيّ من العدى | يقــول ألا لله نفسُ فلان
أكرر في الإخـوان عينـا صحيحةً | علـى أعينٍ مرضـى من الشنآن
فلـولا أبـو إسحـاق قل تشبثي | بخـلٍّ وضربـي عنـده بجران
هو اللافتـي عن ذا الزمـان وأهله | بشيمـة لا وانٍ ولا متواني
إخــاءٌ تسـاوي فيه ودّاً وألفةٌ | رديع صفـاء لا رضيع لبان

(١) كلّ : ضعف .
(٢) الملوان : الليل والنهار .
(٣) بذّت : فاقت وتقدّمت والبغات : طائرٌ ضعيف .
(٤) أبابيل : يقال طيراً أبابيل : أي متجمّعة يتبع بعضها بعضاً ، قطيعاً خلف قطيع .
(٥) النجلاوين : العينين الواسعتين وتنتضلان : أي تتبارى في رمي السهام .
(٦) الغلّة : الظمأ ، ولم أسترش : أطلب الريش كناية عن المال ، وبراني : أنحلني .

تمــازج قلبانــا تمــازج إخوةٍ وكلّ طلوبــي غاية أخوان
وربّ قريبٍ بالعــداوة ساخطٌ وربٌ بعيد بالمــودة داني
وغيرك ينبــو عنــه طرفــي مجانباً وإن كان منــي الأقــرب المتداني
لئــن رام قبضــاً سن بناتــك حادث لقــد عاضنــا منــك انبســاط جنان
وإن بزّ من ذاك الجنــاح مطاره قربّ مقــالٍ منــك ذي طيران
وإن أقعدتْــك النائبــات فطالما سرى موقــراً من مجــدك الملوان
وإن هدمــت منــك الخطــوب بمرّها فثــمّ لســانٌ للمناقــب باني
مآثــر تبقــى ما رأى الشــمس ناظرٌ ومــا سمعــتْ من سامــعٍ أذنان
وموسومــةٌ مقطوعــة العقــل لم تزل شواردُ قد بالغــن في الجولان
وما زلّ منك الــرأي والحــزم والحجى فتأســى إذا ما زلّــت القدمان
ولـو أن لي يومــا علــى الدهــر إمرةً وكانت لي العــدوى على الحدثان[1]
خلعــت علــى عطفيْك برد شبيبتي جواداً بعمــري واقتبــال زماني
وحمّلـت ثقـل الشيب عنــك مفارقي وإن فلّ من غربــي وغضّ عناني[2]
ونــاب طويلاً عنــك في كلّ عارضٍ وخــط بخطــوٍ أخمصــي وبناني
علــى أنــه ما انفــلّ من كان دونه حميم يرامــي عن يدٍ ولسان
ومــا كلٌ من لم يعــط نهضــاً بعاجزٍ ولا كلّ ليثٍ خادرٍ بجبان[3]
وإنــك ما استــرعيت منــي سوى فتىً صبــورٍ علــى رعــي المــودة حاني
حفــيّ إذا ما ضيع المــرء قوله وفــي إذا ما خوّن العضدان
من الله أستهــدي بقــاك وأن ترى محــلاً لأيام العــلا بمكان
وأسألــه أن لا تزال مخلّداً بمـلـقــى سمــاعٍ بيننا وعيان

---

(١) الحدثان : الليل والنهار .

(٢) الغرب : السهم ، وفلّ : قطع .

(٣) الخادر : المسترخي .

إذا ما رعاك الله يوماً فقد قضى مآرب قلبي كلها ورعاني

وكتب إليه أبو إسحاق أيضاً، وكان بين إنفاذه إليه هذه القصيدة وبين موته اثنا عشر يوماً، ولعلها آخر شعره [من الطويل]:

أبا كل شيء قيل في وصفه حسن إلى ذاك ينحو من كناك أبا الحسنْ

فوحّدها للاختصار إشارةً إلى جملةٍ تفصيلها لك مرتهنْ

تخولّتها في خلقةٍ وخليقةٍ وإن لم تكن أنت الخليق بها فمنْ[1]

وما هي إلا كنية لك إرثها وإن مسّها من غير أربابها الدّرن

ولو أنّ في تحريمها لي قدرةً لما أصبحت في غير بيتك تمتهن

ألست لها بعد الموصي وآله وأنتم اناسٌ فيكمُ المجد قد قطن

ولكنَّ هذا الدهر جار عليكمُ وبالغ حتى في الكنى لكمُ محن

يجاذبكم علياءكم كلّ حاسدٍ به مرضٌ بين الحيازم قد كمن[2]

فيجري إلى غاياتكم طالباً لها على غير منهاجٍ وأنتم على السنن

مناقبكم حقٌّ بدتْ بيّناته ودعواه أضغاثٌ يراهنّ في الوسنْ[3]

لكم في الثريا خطّةٌ وهو في الثرى فيا بعدها من أن يلزّهما قرنْ[4]

وقد تستوي الأشخاص في عين من رأى وتفترق الأعيان في فهم من فطنْ

وبين وسيمات الوجوه تشابهٌ فكن فاصلاً بين التهيُّج والسّمن

وإنْ جلدة الوجه الوسيم تغضّنَتْ فلا تحسبَنْ تلك الغضون بها عكن[5]

توقّلتمُ في كلِّ هضبة سؤددٍ فأوفيت واستعليت منها على القنن[6]

---

(١) الخليق : الجديد .

(٢) الحيازم : الصدور ، وكمن : استتر .

(٣) الأضغاث : الأحلام ، والوسن : النوم والنعاس .

(٤) يلزّهما : يجمعها ، وقرن : سلك .

(٥) تغضّنت : تجعّدت ، والعكن : السُّمنة في الجسد .

(٦) توقّلتم : صعدتم ، والقنن : القمم .

تقسّـم هذا الفضـل بين طوائف وأقسامـه مجموعـة فيك تختزن

غدوْا لك كالأبعـاض إذ أنـت كلهم كمـالا عجيبـا مثلـه قط لم يكن

تراهـم إذا غابـوا عن المنـزل الذي تحـلّ به كانـوا حضـوراً له إذن

وإن غبـت عنهـم ظاعنـاً بان فقرهم إلى الواحـد الفـذّ الـذي عنهـمُ ظعن

وإمـا يبـاريك المباري بهيئة وزيٍّ وملبـوسٍ علـى جسمـه حسن

ففـي درعـك الإنسـان تمـت صفاته وجمـت معـاليه وفـي درعـه الوثن

كتبـت إلـى ابـن الموسـوي رسالةً بلا دَخَـلٍ يدنـو إليهـا ولا دخن[1]

بأنّـي مذ بايعتنـي الـودّ جاعـلٌ سوادي من قلـبٍ وعـينٍ له ثمن

فإن رمتـه من صادقٍ غير ماذقٍ فدونك صدري مسكناً تحتـه شجن[2]

إذا اغتربـت منـك المـوالاة عنـد من ينافـق فيهـا فهـي عنـدي في الوطن

صفت مثل ما تصفو المدام من القذى وطابـت كمـا طابـت من الغبـر الدّخن

ولـم لا وأنـت الماجـد السيّد الذي له منـنٌ لم تستطـع حملهـا المنن

أقيك الردى ليس القـلا عنـك مقعدي ولـكن دهانـي بالزّمانـة ذا الزمن[3]

وغادرنـي حلف المضـاجـع راهـناً على خلّـةٍ في الحـال والنفس والبدن

فإن تنأمنـك الـدار فالـذكر ما نأى وإن بان مني الشخص فالفـكر لم يبن

وإن طال عهـد الإلتقـاء فدونه عهـودٌ عليهـا من رعايتنـا جنن[4]

وأيسـر حدٍ يلـزم النـازح الفتى من الحقّ بسط العذر للدّالف اليفن[5]

وقال الشريف يجيبه عن هذه القصيدة ، وجعل الجواب على رويها دون وزنها لأن ذلك الوزن المقيد لا يجيء الكلام فيه إلا متقلقلا ، ولا النظم

---

(١) الدخل : سوء النية ، والدخن : الحقد وغيره .

(٢) الماذق : المخادع الكاذب .

(٣) القلى : البغض ، والزمانة : المرض المزمن .

(٤) جنن : حفظٌ وستر .

(٥) الدّالف : السائر بالحمل الثقيل واليفن : المسنّ ، والشيخ الكبير .

بزعمه إلا مختلا [من البسيط]:

دع من دموعك بعد البين للدّمن غداً لدارهمُ واليوم للظّعن[1]
هل وقفةٌ بلوى خبتٍ مؤلّفةٌ بين الخليطين من شامٍ ومن يمن
عجنا على الربع أنضاءً محرّمةً أثقالها الشوق من بادٍ ومكتمن[2]
موسومةٌ بالهوى تدري برؤيتها أنّ المطايا مطايا مضمري شجن
ثم انثنينا على بأسٍ وقد شرقت نواظرٌ بمجاري دمعها الهتن[3]
من ملبغٍ لي أبا إسحاق مألكةً عن حنو قلبٍ سليم السرّ والعلن[4]
جرى الوداد له مني ، وإن بعدت منا العلائق ، مجرى الماء في الغصن
لقد توامق قلبانا كأنهما تراضعا بدم الأحشاء لا اللبن[5]
مسوّدٌ قضبَ الأقلام نال بها نيل المحمر أطراف القنا اللّدن
إن لم تكن تورد الأرماح موردها فما عدلت إلى الأقلام عن جبن
والطاعن الطعنة النجلاء عن جلد كالقائل القولة الغرّاء عن لسن
ما قدر فضلك ما أصبحت ترزقه ليس الحظوظ على الأقدار والمهن
قد كنت قبلك من دهري على حنقٍ فزاد مابك في غيظي على الزمن
أنت الكرى مؤنساً عيني ، وبعضهمُ مثل القذى مانعاً عيني من الوسن
قد جاءت النفثة الغراء ضامنةً ما يوثق النفس في سرٍّ وفي علن
أنِطت من حسنها ماءً بلا نضبٍ وحزت من نظمها دراً بلا ثمن
فاقتد إليك أبا إسحاق قافيةً قود الجواد بلا حبلٍ ولا رسن
أنشدتها فحدا سمعي غرابتها إلى الضمير حداء الركب بالبدن

---

(١) الدّمن : الآثار والطلول والظعن : الرحيل .
(٢) عجنا : ملنا .
(٣) الهتن : المتتابع .
(٤) المألكة : الرسالة .
(٥) توامق : من الومق : وهو الحب والعشق .

كانـت تقـاعس لو ما كنـت قائدها تقاعس البازل المحبـوب في شطن[1]
تستـوقف الـركب إن مرَّتْ معارضُه يهـدي عقيلتهـا العـذراء من لمـن

* * *

ذكر وفاة أبي إسحاق وما رثاه به الموسوي

توفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة وكانت سنوه إحدى وتسعين سنة قمرية . فرثاه ابو الحسن بهذه القصيدة الفريدة التي أفصح بها عن بعد شأوه في الشعر . وعلو محله في كرم العهد ، وقد كتبتها كلها لحسن ديباجتها وكثرة رونقهـا ، وجودة ألفاظها ومعانيها ، واستهلالها [من الكامل] :

أعلمْـتَ من حَمَلـوا علـى الأعواد أرأيْتَ كيف خبـا ضياءُ النّادي ؟
جبـلٌ هوى لو خرّ في البحـر اغتدى من وقعـهِ متتـابعَ الإِزباد
ما كنـت أعلـم قبـل دفنـك في الثرى أنّ الثـرى يعلـو علـى الأطواد[2]
بُعـداً ليومـك فـي الزمـان فإنه أقـذى العيونَ وفـتَّ في الأعضاد[3]
لا ينفـد الدمـع الـذي يبـكي بـه إن القلـوب لـه مـن الأمداد
كيف انمحـى ذاك الجنـاب وعُطِّلت تلك الفجـاجُ وضـلَّ ذاك الهادي
طاحـتْ بتلك المكرمـات طوائح وعَـدَتْ علـى ذاك الجـلال عوادي[5]
قالـوا أطـاع وقيدفـي شطـن الردى أيدي المنـون ملـكت اي قياد ![5]
من مصعـب لـو لم يقـده إلهـه لقضـائـه مـا كـان بالمنقـاد
هذا أبـو إسحـاق يغلـق رهنـه هـل ذائـدٌ أو مـانـع أو فـادي[6]

(١) البازل : الفتيُّ من الإبل والشطن : الحبل الطويل ، أو الحبل مطلقا .
(٢) الأطواد : جمع طود وهو الجبل .
(٣) فتَّ : الإضعاف والتوهين .
(٤) طاحت : قضت ، والعوادي : المصائب .
(٥) القياد : حبلٌ تقاد به ، والشطن : الحبال .
(٦) غلق الرهن : استحق ، يريد أنه مات .

لو كانت تُفدى لافتدتك فوارسٌ مطروا بعارضِ كلِّ يومِ طراد[1]
وإذا تألق بارق لوقيعةٍ والخيل تفحص بالرجال بداد[2]
سلّوا الدروع من العياب وأقبلوا يتحدثون على القنا الميّاد[3]
لكن رماك مجبن الشجعان عن إقدامهم ومضعضع الأنجاد[4]
كالليث يهون بالتراب ويمتلي غيظاً على الأضغان والأحقاد
والدهر تدخل نافذات سهامه مأوى الصّلال ومربض الآساد
ألقي الجران على عنطنطٍ حميرٍ فمضى ومدَّ يداً لأحمر عاد[5]
أَعْزِزْ عليَّ بأن أراك وقد خلتْ من جانبيك مجالس العوّاد
أعزِزْ عليَّ بأن أراك بمنزلٍ متشابه الأمجاد والأوغاد
أعزز علي بأن يفارق ناظري لمعان ذاك الكوكب الوقّاد
في عصبةٍ جنبوا إلى آجالهم والدهر يعجلهم عن الإرواد[6]
ضربوا بمدرجة الفناء قبابهم من غير أطناب ولا أعماد
ركبٌ أناخوا لا يرجّى منهمُ قصدٌ لإتّهامٍ ولا إنجاد[7]
كرهوا النزول فأنزلتْهم وقعةٌ للدهر نازلةً بكل مقاد
فتهافتوا عن رجل كلّ مذلّلٍ وتطارحوا عن سرْج كلّ جواد
بادون في صور الجميع وإنّهم متفردون تفرّد الآحاد
مما يطيل الهمّ أن أمامنا طولَ الطريق وقلّةَ الأزواد
عمري لقد أغمدت منك مهنداً في الترب كان ممزّق الأغماد

---

(١) مطروا : كثروا .

(٢) البداد : الدعوة للمبارزة .

(٣) العياب : الصدور والقلوب .

(٤) يعني بالذي رماه هنا « الموت » .

(٥) الجران : باطن عنق الجمل أو الفرس والعنطنط : الطويل .

(٦) جنبوا : مالوا . والإرواد : الإكتحال .

(٧) أناخوا : حلّوا ، والاتهام : قصد تهامة والإنجاد : قصد نجد .

قد كنت أهــوى أن أشاطــرك الردى | لكن أراد الله غــير مــرادي
ولقــد كبــا طرف الرقــاد بناظري | منــذ افتقــدت فــلالعــاً لــرقادي[1]
ثكلتْــكَ أرضٌ لم تلــدْ لك ثانياً | أنّــي ومثلك معــوز الميــلاد
مَنْ للبلاغــة والفصاحــة إنْ هَمَى | ذاكَ الغمــام وعــبٌّ ذاك الــوادي[2]
من للملــوك يحــزّ في أعناقهــا | بظبــاً من القــول البليغ حــداد
من للممــالك لا تزال تــلمّهــا | سدّاد ثغــرٍ ضائــعٍ وســداد
مـن للمحــافـل يستــزلّ رمــاحهـا | ويــردّ رعـلتهــا بغير جـلاد[3]
من للممــارق تســترقُّ قـلوبهــا | بزلازل الإبــراق والإرعــاد[4]
وصحــائفُ فيهــا الأراقــم كُمَّنٌ | مرهوبــة الإصــدار والإيــراد
تدمــي طوابعهــا إذا استعرضتها | مــن شدّة التحــذير والإيعــاد
حمرٌ علــى نظــر العــدو كأنهــا | بدمٍ تخــطّ بهــنّ لا بمــداد
يقدمــن إقــدام الجيوش. وباطلٌ | أن يهزمــنّ هــزائــم الأجنــاد
فِقَــرٌ بهــا تمسي الملــوك فقيرةٌ | أبــداً إلــى مبــداً لهــا ومعــاد
وتــكون سوطــاً للحــرون إذا ونى | وعنــاق عنــق الجــامـح المتمادي[5]
نزقي وتلــدغ في القلــوب، وإن تشا | حط النجــوم بهــا مـن الإبعــاد
أمّــا الدمــوع عليك غير بخيلة | والقلــب بالسلــوان غيـر جـواد
سوّدت ما بين الفضــاء وناظري | وغسلــت مـن عينــيٍّ كلٍّ سواد
ريُّ الخــدود من المدامــع شاهد | أن القلــوب من الغليل صوادي
ما كنــت أخشــى أن تضــنّ بلفظةٍ | لتقــوم بعــدك لى مقــام الزاد

---

(١) كبا : سقط. فلالعاً : دعاء على العاثر يعني « لا أنعشه الله » .
(٢) العبّ : ارتفاع الماء ، وهمى الغمام : أمطر .
(٣) الرعلة : الجماعة التي تتقدم غيرها .
(٤) المارق : المخارج والكوى التي تنفذ منها الرّيح .
(٥) الحرون : المعاند .

ماذا الـذي منـع الفنيق هديره ... من بعـد صولتـه علـى الأذواد[1]
ماذا الـذي حبس الجـواد عن المدى ... من بعـد سبقتـه إلـى الآماد
ماذا الـذي منـع الهمـام بوثبةٍ ... وعـدا علـى دمـه وكان العادي
قل للنوائـب عدّدي أيامه ... لغنـىً عن التعـديد بالتعـداد
حمّـال ألـوية العـلاء بنجدةٍ ... كالسيف يغنـي عـن منـاطِ نجاد
قَلُصَتْ أظِلَّـة كلُّ فضـلٍ بعـده ... وأمـرّ مشـربهـا علـى الورّاد[2]
فقضـي لسانـك إذ ذوتْ ثمراته ... أن لا دوام لنضـرة الأعواد
وقضـى جنانـك مذ خبـتْ وقداته ... أن لا بقـاء لقـدح كلِ زناد[3]
بقيتْ أعيجـانٌ يضـلّ تبيعها ... ومضَـتْ هوادٍ للرجـال هوادي[4]
يا ليت أنـي ما اقتنيتـك صاحباً ... كم قنيةٍ جلبـتْ أسـىً لفؤادي
من لم يسفّ إلـى التناسـل نفسه ... كُفِـيَ الأسـى بتفاقـد الأولاد[5]
برد القلـوب بمـن تحـب بقاءه ... ممَّـا يجـر حرارة الأكباد
ليس الفجائـع بالذخائـر مثلها ... يا ماجـد الأعيان والأفـراد
ويقـول من لم يدر كنهَـكَ إنّهم ... نقصـوا به عدداً من الأعداد[6]
هيهـات أدرج بين برديك الردى ... رجـل الرجـال وأوحـد الآحاد
لا تطلبـي يا نفس خِلاً بعده ... فلمثلـه أعيا علـى المقتاد
فقـدت ملاءمـة الشـكول لفقده ... وبقيت بين تبـاين الأضداد
مـا مطعـم الـدنيا بحلـوٍ بعده ... أبـداً ولا ماء الحيا ببراد

---

(١) الفنيق : الفحل من الإبل .
(٢) قلصت : أي تقلّصت وصغرت .
(٣) خبت : انطفأت .
(٤) أعيجان : من العوج ، وهو الالتواء وعدم الاستقامة .
(٥) يسفّ : يركن الى الشهوة .
(٦) الكنه : المعنى .

الفضل ناسب بيننا إذ لم يكن شرفي مناسبة ولا ميلادي
إن لا تكنْ من أسرتي وعشيرتي فلأنت أعلقهم يداً بودادي
أو لا تكن عالي الأصول فقد وفى عظم الجدود بسؤدد الأجداد
لادرٌّ دريٍّ إن مطلْتكَ ذمةً في باطن متغيّب أو بادي
إن الوفاء كما اقترحت فلو تكن حياً إذاً ما كنت بالمزداد
ليس التنافس بيننا بمعاود أبداً وليس زماننا بمعاد
ضاقت عليَّ الأرض بعدك كلُّها وتركت أضيقها عليَّ بلادي
لك في الحشا قبرٌ وإن لم تأوه ومن الدموع روائح وغوادي
سلّوا من الأبراد جسمك فانثنى جسمي يسلّ عليك في الأبراد
كم من طويل العمر بعد وفاته بالذكر يصحب حاضراً أو بادي
ما مات من جعل الزمان لسانه يتلو مناقب عوّد وبوادي
فاذهب كما ذهب الربيع وإثره باقٍ بكلّ مهابطٍ ونجاد
لا تبعدنَّ وأين قربك بعدها إنّ المنايا غاية الإبعاد
صفح الثرى عن حرّ وجهك إنّه مغرىً بطيًّ محاسن الأمجاد[1]
وتماسكت تلك البنان فطالما عبث الردي بأنامل الأجواد
وسقاك فضلك إنه أروى حياً من رائح متعرّض أو غادي[2]
جدثٌ على أن لا نبات بأرضه وقفت عليه مطالب الرواد

ومر يوماً بقبره وهو بالجنينة من أرض كرخايا فقال [من الطويل] :

أيعلم قبر بالجنينة أننا أقمنا به نبغي الندى والمعاليا ؟
عطفنا فحيّنا مساعيه إنها عظام المساعي لا العظام البواليا

---

(١) مغري : مولع .
(٢) الحيا : المطر .

مررنـــا به فاستوقفتْنـــا رسومُهُ كما استوقف الروض الظباء الجوازيا[1]

ومـــا لاح ذاك التـــرب حتـــى تخيّلتْ من الدمـــع أوشـــالٌ ملأن المـآفيا[2]

نزلنـــا إليه عن ظهور جيادنـــا نـكـــــفكف بالأيدي الدمـــوع الجواريا

ولمـــا تجاهشنـــا البـكـاء ولـم نطق عن الوجـــد إقلاعـــا عذرنـــا البواكيا

أقـــول لركب رائحين تعرجوا أريكم به فرعـــاً من المجـــد ذاويا

ألمّـوا عليه عاقـــرين فإنّنا إذا لم نجـــد عقـــراً عقرنـــا القوافيا

وحطـــوا به رحـــل المـــكارم والعلا وكبّـــوا الجفـــان عنـــده والمقاريا[3]

فلـــو أنصفـــوا شقـــوا عليه ضمائراً وجـــزّوا رقابـــاً بالظُّبـــا لا نواصيا

وقفنـــا فأرخصنـــا الدمـــوع وربّما تكون علـــى سوم الغـــرام غواليا[4]

ألا أيهـــا القبـــر الـــذي ضم لحدَهُ قضيبـــاً علـــى هام النوائـــب ماضيا[5]

هل ابـــن هلالٍ منـــذُ أودى كعهدنا هلالاً علـــى ضوء المطامـــع باقيا

وتلك البنـــان المورقـــات من الندى نواضـــب ماءٍ أم بواقٍ كمـــا هيا ؟

فإن نيل من ذاك اللســـان مضاؤه فإن به عضـــواً من المجـــد باليا

مجيب الدواعـــي حائـــداً أو مدافعاً هنـــاك مـــرمٍ لا يجيب الداعيـــا[6]

ومـــا كنـــت آبـــى طول لبـــث بقبره لَوَ أنـــي إذا استعديتـــه كان عاديا

صفائـــح تستسقـــي الدمـــوع روائحاً علـــى جانبيهـــا والغمـــام غـواديـا

ترى الكلـــم الغـــرّان من بعـــد مـوته نـــوافـر ممـــن رامهـــن نـــوائيا[7]

---

(١) الجوازيا : من جاز الشيء : أي قطعه وسار فيه .

(٢) الأوشل : من الوشل وهو الماء القليل .

(٣) الجفان : القصع التي يوضع بها الطعام والمقاريا : من القرى ، أي الطعام .

(٤) السوم : المفاصلة في الشراء .

(٥) القضيب : السيف .

(٦) مرمٍّ : مقيمٌ وماكث .

(٧) نوافر : شوارد ، ونوائياً : مبتعدة .

هو الخاضب الأقلام نال بها علاً تقاصر عنها الخاضبون العواليا[1]
معيدُ ضرابٍ باللسان لوانّه بيوم وغىً فلّ الجراز اليمانيا[2]
مرير القوى نال المعالي واثباً إذا غيره نال المعالي حابيا[3]
مضى لم يمانع عنه قلب مشيّع إذا همَّ لم يرجع عن الهمّ نائيا[4]
ولا المسندوه بالأكفّ إلى الحشى على جزعٍ والمفْرِشوه التراقيا
ولا ردّ في صدر المنون براحة يرد بها سمر القنا والمواضيا
خلا بعدك الوادي الذي كنت أنسه وأصبح تعروه النوائب واديا
أرحتَ علينا ثلّة الوجد ترتعي ضمائرنا أيامها والليالیا
ولولاك كان الصبر منّا سجيةً تراثاً ورثناه الجدودَ الأواليا
رضيت بحكم الدهر فيك ضرورةً ومن ذا الذي يغذو بما ساء راضيا
وطاوعت من رام انتزاعك من يدي ولو أجد الأعوان أصبحت عاصيا
تطامنتُ كيما يعبر الخطب جانبي فألقي على ظهري وجرَّ زماميا
ملأت بمحْياك البلاد مساعياً ويملأ مثواك البلاد مناعيا
كما عمّ عالي ذكرك الخلق كلَّه كذاك أقمت العالمين نواعيا
رثيتك كي أسلوك فازددت لوعةً لأن المراثي لا تسد المرازيا
وأعلم أن ليس البكاء بنافعٍ عليك ولكنّي أُمنّي الأمانيا

---

(١) أي هو الذي نال بالقلم ما لم ينله غيره بالسيوف .

(٢) الجراز : السيوف القاطعة ، واليمانيا : المنسوبة الى اليمن .

(٣) مرير القوى : شديدها .

(٤) همّ : قصد وأراد .

الباب الرابع
في ذكر ثلاثة من كتاب آل بويه يجرون مجرى الوزراء

١١٦ ـ أولهم أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف

أحد صدور المشرق ، وفرسان المنطق ، وأفراد الكرم الكبار، الحسان الآثار ، والأخبار ، وأعيان الممدحين المقدمين في الآداب والكتابة ، والبراعة والكفاية، وجميع أدوات الرياسة . وكان مع تقلده ديوان الرسائل لعضد الدولة طول أيامه معدوداً في وزرائه ، وخواص ندمائه، وتقلد الوزارة بعده دفعات لأولاده .

وأنا أورد من غرر نثره التي تعرب عن أدب فضفاض، وخاطر بالإجادة والإحسان فياض . ومن لمع شعره التي هي أحسن من زهر الرياض ، وأسلس من الماء على الرضراض، ما هو من شرط هذا الكتاب ، المشتمل على ملح الآداب .

* * *

ما أخرج من سلطانياته

فصل من كتاب عن الطائع لله ، إلى ركن الدولة ، لما ورد عضد الدولة العراق :

فأنت وعضد الدولة كلأكما الله يدا أمير المؤمنين فيما يأخذ ويذر ، وناظراه

فيما يقرب ويبعد . بكما افترش مهاد الملك بعد إقضاضه ، ورفع منار الدين بعد انخفاضه . فأبشرا من الله تعالى بالحسنى ، إن الله لا يضيع أجر المحسنين .

ومن كتاب عنه إلى عضد الدولة

وراع الشرف الذي أفرعك أمير المؤمنين ذروته ، وعقد بك ذؤابته . وتوقل في فلك الفخر كيف أردت ، ومس في حلل المجد أنى شئت . واستدم النعمة عليك بالتقوى لله تعالى ، وبحسن الطاعة لأمير المؤمنين، فإنهما جنتاك وعدتاك وذريعتاك المشفعتان عند الله تعالى في أولاك وأخراك . وأحسن كما أحسن الله إليك .

ومن كتاب عنه إلى أهل الشام

قد علمتم بشهادة الآثار ، وتظاهر الأخبار ، ما أعد الله لأمير المؤمنين بطاعته وليه المنصور، وصفيه المبرور . وعضد الدولة ايده الله تعالى من حام حقيقته ، ساد خلته ، راع سدته ورعيته . لا يثنيه عن غاياته عارض الشام ، ولا يلهيه عن هماته راحة الحمام [من الطويل]:

مضاميرهُ أَعْيَتْ على من يرومُها ... وكلٌّ مدى عن غايتيْه قصيرُ
فهو عين أمير المؤمنين إذا نظر ، ولسانه إذا نطق ، ويده إذا لمس

فهو عين أمير المؤمنين إذا نظر ، ولسانه إذا نطق ، ويده إذا لمس ، ألانت أم أمضت . ووطأت أم أقضت .

ومن كتاب إلى عضد الدولة في فتح كرمان

وتآمروا على الوقوع إلى ناحية الجروم ، وأجنهم الليل فادرعوه مقتادين بخزائم أنوفهم ، إلى مصارع حتوفهم .

ومن كتاب عنه في عود الطائع
إلى بغداد والتقائه معه

ولما ورد أمير المؤمنين النهروان . أنعم بالإذن لنا في تلقية على الماء فامتثلناه وتقبلناه، وتلقانا من عوائد كرمه ، ونفحات شيمه . والمخائل الواعدة بجميل آرائه، وعواطف إنحائه ، ورعاية ما كنفنا يمنه ، وشايعنا عزه ، إلى أن وصلنا إلى حضرته البهية ، شرفها الله تعالى في الجديدية التي استقبلت منه بسليل النبوة وقعيد الخلافة، وسيد الأنام، والمستنزل بوجهه درر الغمام، فتكفأت علينا ظلال نوره وبشره ، وغمرتنا جهات تفضله وفضله . وقرب علينا سنن خدمته ، وأنالنا شرف القعود بين يديه ، على كرسي أمر بنصبه لنا عن يمينه ، وأمام دسته، وأوسعنا من جميل لقياه، وكريم نجواه ، ما يسم بالعز أغفال النعم ، ويضمن الشرف في النفس والعقب ، ويكفل من الفوز في الدين والدنيا بغايات الأمل . وكانت لنا في الوصول إليه ، والقعود بين يديه ، في مواقع ألحاظه ، وموارد ألفاظه، مراتب لم يعطها أحد فيما سلف ولم تجد الأيام بمثلها لمن تقدم . وسرنا في خدمته على الهيئة التي ألقى شرفها علينا ، وحصل جمالها مدى الدهر لدينا ، إلى أن سار إلى سدة دار الخلافة والسعود تشايعه . والميامن تواكبه . وطلائع الآمال تشرف عليه . وثغر الإسلام يبتسم إليه . فعزم علينا بالانقلاب معه على ضروب من التشريف ، لامورد بعدها في جلال، ولا موقف وراءها لمذهب في جمال. واجتلت الأعين من محاسن ذلك المنظر ، وتهادت الألسن من مناقب ذلك المشهد ، ما بهر بصر الناظر ، وعاد شمل الإسلام مجموعاً ، ورواق العز ممدوداً ، وصلاح الدهماء مأمولا ، ونور الدين والدنيا مرقوباً .

ومن كتاب عنه إلى أخيه مؤيد الدولة لما فتح جرجان :

وصل كتاب مولاي بذكر الفتح الذي ألبسه الله جماله ، والنجح الذي قرب

الله عليه مناله . والنعمة التي نبت عن متعاطيها فانتقلت إليه ، والمملكة التي اضطربت بمالكيها فقرت لديه .

ومن كتاب عنه إلى أخيه مؤيد الدولة أيضاً في ذكر علة نابته من الحمى .

ورد على الخبر بعارض من الحرارة ، وعك له سيدي مؤيد الدولة أيده الله تعالى، بعقب دواء تناوله، واتصال ذلك بمليلة أزعجته، وحمى نابته. فتصرفت في الأفكار، وملكني الإشفاق، وخلص إلى قلبي ـ من ألم ما عراه وإلى نفسي من وجل ما شكاه ـ ما كاد يوحش جناب الأنس ، ويخل بشيمه الصبر ، لولا أن المعهود في مثل هذا العارض يعقب الاستفراغ أكثر الأمر ، ثم تفضي عقباه إلى استقبال الصحة والإبلال والقوة ، حرس الله ساحته ، وحمى مهجته ، وأحسن الدفاع عنه !

ومن كتاب عنه في ذكر وفاة ركن الدولة :

وقد كانت المصيبة نفرت سرب النعم ، ورنقت شرب الأمل ، وأوحشت رباع المجد والكرم، لولا ما عصم الله به ، وهدى له من تذكر النعمة في ثروة العدد ، والبقية الحسنى في الأخوة الولد ، ثم في العزة والقدرة والسلطان والبسطة ، وفيما شد به الأعضاد ، في إخوان الصفاء الذين سيدي أيده الله تعالى ناظم شمل محاسنهم ، وفائت سبق أفاضلهم .

ومن كتاب في ذكر أبي تغلب :

وقد كان الغضنفر بن حمدان ، حين نفضته المذاهب، ولفظته المهارب . وأقلقته عن مجاثمة المكايد والكتائب ، وتطوح إلى بلاد الشام ، يتنقل بين مصارع ، يحسبها مراتع . ومجاهل يعدها معالم ، يروم انتعاشاً والجد خاذله ، ويبغي انتعاشاً والبغي طالبه .

ومن كتاب إلى الأمير خلف بن حمدان :

وأما ما صحب فلاناً من ألطاف وأتحاف ، فقد وصل وكان البعض منه كافياً

في البر ، وافياً بالحق . إلا أن سيدي يأبى إلا الإغراق في اللطف قائلاً وفاعلاً ، لا أعدمه الله شمية الفضل ، ولا أخلاني فيه من كلام العهد ، ومما أقف فيه موقف العذر في مخاطبة سيدي ان فلاناً ورد علي ، وقد ضاق الوقت عن توفيته واجب حقه لا ستمرار العزائم في قصد نواحي العراق ، لإعادة ما نضب بها من ماء السياسة ، ومال في جنباتها من رواق الأمر والنهي ، بضعف المنن ، وانتكاث المرر . وكتبت كتابي هذا وقد استقل بي المسير ، مقدما بعون الله كتائب الرعب مستصحباً مفاتح النصر .

ومن كتاب في فتح ميا فارقين :

فأمرنا أبا الوفاء أن يلين مسه لأهل البلد ، إبقاء على ذلك الثغر من ان تصاب له ثغرة، واتقاء لاراقة دم فيه شبهة .

ومن كتاب آخر :

ولما ضاق عن هذا المخذول حلمنا باتساع غوايته ، ووعر الطريق إلى استبقائه . استخرنا الله تعالى في استرجاع ما ألبسناه من النعم.

ومن كتاب عن نفسه إلى مؤيد الدولة :

وصل كتاب مولانا جواباً عما خدمت به حضرته المحروسة ، مهنئاً، فحسبتني وقد تأملت عنوانه ـ مغلوطاً بي ، أو معنياً به غيري ، إعظاما لتلك الأيادي الغر ، والنعم الزهر ، التي اعددتها في الشرف مناسب ، وإلى الأيام والليالي ذرائع .

ومن كتاب عن عضد الدولة :

وزيد الآن عادة الألطاف بدواب تستكرم مناسبتها ، وتحمد نجابتها . ويعرف عتقها في المنظر، وسرها في المخبر ، نرضاها لركابنا ، ونعتمدها باختيارنا عائدة بإحمادنا واعتدادنا .

* * *

ما اخرج من إخوانياته

كتب الى الصاحب : كتابي أدام الله عز مولانا وحالي ـ فيما أعاينه من تمثيل حضرته وتذكر خدمته ، والمواقف التي سعدت فيها برؤيته . وأفدت من مشاهدته حظها ومقابلة نعم الله عليه وعلى الأدب وحزبه ، والكرم وأهله فيه ـ حال امرىء هب وقد أوردته الأحلام مناهل أمله ، فهو يتلهف تذكراً . ويتلذذ تحَيُّراً . ويناجي النفس تمثلاً ، ويراقب المنى تعللا . وأحمد الله تعالى على الأحوال كلها ، وأسأله قرب الإدالة ، والعقبى السارة ، وأقول [من الطويل] :

أقول وقلبي في ذراك مخيِّمٌ ... وجسمي جنيبٌ للصَّبا والجنائبِ[1]

يجاذب نحو الصاحب الشوقِ مقْودي ... وقد جاذبتني عنه أيدي الشوّاذب[2]

سقي الله ذاك العهد عهداً من الحيا ... وتلك السجايا الغرَّ غُرَّ السّحائب

تذكّرت أيامي بقربك والمنى ... يقابلني بالعزّ من كل جانب

وفي ربعك الدنيا تزفّ محاسناً ... وتفْترُّ منك عن ثنايا مناقب

وقد لحظتْ عيناي من شخصك العلا ... ومن فرعك الفيْنان أعلى المناسب

ومن لفظك الدّر المصون ، ومن حَيا ... محيّاك ما لم تُجْرِهِ كفٌّ خاطب

وأخلاقك الغرّ التي لو تجسّمت ... لكانت نجوماً للنجوم الثواقب

ففاضت على خدي سوابق عَبرةٍ ... كما أسلمتْ عقدا انامِلُ كاعب

سلامٌ على تلك المكارم والعلا ... تحيّة خلٍّ عن جنابك غائب

يكابد ما لو كان بالسيف ما مضى ... وبالمزن لم تبللْ لهاةٌ لشارب[3]

وإني وإن روّعت بالبين شائمٌ ... طوالع عتبي من طلاع العواقب

---

(١) الجنيب : المبعد ، والغريب . والجنائب : من الجنابة وهي النجاسة ، أو هي الريح التي تهبّ جنوباً .

(٢) الشواذب : الشاذب : المتنحّي عن وطنه .

(٣) يكابد : يعاني ، والمزن : المطر . واللهاة : اللّحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم .

وما أنا بالناس صنائعك التي   كتبْنَ عليَّ الرقّ ضربة لازب[1]

ابتدأت أطال الله بقاء مولاي الصاحب بكتابي هذا . وفي نفسي إتمامه نثراً ، فمال طبعي إلى النظم ، وأملى خاطري على يدي منه ما كتبت ، ونعم المعرب عن الضمير مضمار القريض، وقد اقتصرت عليه من الكتاب ناطقاً عني ، واثقاً بما عنده لي ، وأنا أسترعيه غيبه ، واستغطيه عيبه ، وكنت كتبت إلى حضرته من أول منزل أو ثانيه بذكر ما أودعه حر الفراق قلبي ، وأزالته أيدي الأشواق من عزائم صبري، وتوقعت الجواب عنه فأبطأ ، وورد هذا الركابي خالياً من كتابه وكانت عادة كرمه جارية عندي بخلافه ، ولولا الثقة به وبما استفدته من اللقاء والخدمة ، وحرمة الوفادة والهجرة من أذمة عهده لأبديت ما أخفيت من قلق وانزعاج ، لاختلاف العادة على ، ومولادي ولي صوني عن موقف الظن والرجم بالغيب ، فإني مهتم في خدمته على حسب الضن بها ، ومنافسة كل احد عليها ، إن شاء الله تعالى .

ومن كتاب له إليه :

قد كان وردلمولانا الصاحب أدام الله عزه [من الطويل] :

كتابٌ لَوَ آن الليل يرمي بمثله   لألقت يداً في حجرتيْه ذكاءُ[2]
تهادى بأبكار المعاني وعونها   وأعيان لفظ ما لهنّ كفاء
شوارد لولا أنهن أوالفٌ   ضرائر إلا أنهنّ سواء
لبسنا بها نعمى وألبست الربا   خمائل روضٍ جادهنّ سماء
بنان ابن عبادة تعلين نوءه   وما صوبه إلا حياً وحياء[3]

(١) ضربة لازب : أي ضربة لازم .
(٢) ذكاء : الشمس .
(٣) النوء : المطر ، والنجم . والصوب : المطر والعطاء .

وثلاث كتب تناظرت في الحسن والإحسان ، وتقابلت في البر والإنعام . لا زالت أياديه قلائد الأعناق، ومرامية مضامير السباق . ولا انفكت عين الله حامية له ، وكافلة به !

ومن كتاب له إليه :

وقف مولانا على ما كتبت به معرضا بخدمته ، ومجلياً عن نيته ، فصدقه وحققه ، وقال أدام الله سلطانه : إن لسان أثره في الفصاحة كلسان قلمه . يتجاريان كفرسي رهان . وناهيك بالأول اشتهارا ووضوحا ، وبالثاني غرراً وحجولاً . وكنا لمثل هذه الحال نعده ونعتمده ، وننتجز عدات الفضل عنه ، وحسبنا ما أفادتناه التجارب فيه كافلاً بالسعادة، ودرك الإرادة ، وما زالت مخائله وليداً وناشئاً. وشمائله صغيراً ويافعا ، نواطق بالحسنى عنه وضوامن النجح فيه ، فقد أصبح الظن أيقانا ، والضمان عيانا ، والتقدير بيانا ، والاستدلال برهانا ، ونرجو أن الله بحسن الامتاع به ، والدفاع عنه ، كما أحسن الظن به وحقق الأماني فيه .

ومن كتاب :

وقفت على الأبيات التي أتحفني بها سيدي ، وتكلفت لجوابها، على ظلع في خاطري لطول السفار، واتصال حالي بالحل والترحال ، ومولاي يأخذ العفو ويرضى بالميسور ، ويعذر مستأنفاً على التقصير في جواب ما يأتيني من أمثاله ما دمنا في ملكة الهواجر وتعب البكر والأصائل.

ومن كتاب له إلى الصاحب في فتح عمان وإبادة الزنوج بها ، وما وصل إلى عضد الدولة من الغنائم .

وكانت لأولئك الكفرة عادة اشتهرت منهم في استباحة الناس وأكل لحومهم ، وبلغ من كلبهم على ذلك أنهم كانوا يتنقلون بينهم إذا شربوا بأكف الناس ، وسأل مولاي عن هذا النقل الغريب فحكى له عنهم أنه لا شيء في

الإنسان ألذ من كفه وبنانه ، وكان في ذلك اليوم الذي شارف فيه طلائع العسكر المنصور باب عمان ثار من بعض المكامن طوائف من أولئك الكلاب فكبا ببعض الغلمان دابته فاختلسوه واقتسموه بينهم وأكلوه في الوقت ، وتعجب الناس من ضراوتهم وقساوتهم، وقد أبادهم الله تعالى جده وطهر البر والبحر من عبثهم ومعرتهم ، فانقاد أهل جبال عمان باخعين بالطاعة، معتصمين بذمة الجماعة ، وتمت نعمة الله على مولانا في هذا الفتح وكملت له مغانم الأجر ، ووصل أمس غنائم تلك الناحية وفيها فيل صغيره بقدر الفرس . ما عهد ألطف ولا أظرف منه ، وفي الغنائم كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، والله تعالى يجني مولانا ثمار الأرض برا وبحرا ، سهلا ووعرا ، بمنه وكرمه آمين .

ومن كتاب له إلى ذي الكفايتين أبي الفتح :

فأما استبطاؤه لعبده في تراخي ما كان مستشرفاً من جهته ، لعلمه من أخبار حضرة مولانا الملك وما عليه حاله في مساورة الإشفاق، ومسامرة الأفكار. إلى أن يعرف خبر الخيل المنصورة المصاحبة ركاب مولانا في سلامتها من وقدة تلك الهواجر ، ووعورة تلك المسالك ، وما تولى الله تعالى مولانا به من كفايته، وأفاء عليه من ظل حفظه وحراسته ، فقد وقفت عليه وكنت طالعت حضرته بكتب جمة تقر بها العيون، ويفاد بمثلها السكون . وانتظرت بالشرخ حال الاستقرار، واستجماع الدار . ليكون ما أطالع به ناهضاً بما أنحوه ، ومغنيا عما يتلوه، من غير فكر في عوادي الأسفار ، وعواقب الحل والترحال ، إلى ما اعتمدته من التخفيف لتكافؤ الأحوال بنا وبه في المسير ، ومناصبة الهجير . وأنا الآن أعود لعادتي في خدمته ، واستعمار عهدي من رأيه بمواصلة حضرته .

ومن كتاب له إلى أبي إسحاق الصابي :

علمت كيف تنتظم فرق البلاغة ، وتلتقي طرق الخطابة، وتتراءى أشخاص البيان ، وتتمايل اعطاف الحسن والإحسان. وقرأت لفظا جليا ، حوى معنى

خفيا ، وكلاما قريبا ، رمى غرضا بعيداً وفصولاً متباينة ، كساها الائتلاف صور المشاكلة ، ومنحها الامتزاج صيغة المضارعة ، ولحمة الموافقة ، فصارت لدلالة الأول منها على الثاني ، وتعلق العجز بالهادي، فيها أولاد أرحام مبرورة ، وذوات قربى موصولة، تتعاطف عيونها ، وتتنصف أبكارها وعونها .

ومن كتاب له إليه :

وصل كتاب سيدي بكلام شرف في نفسه، وكرم في جنسه ، فهو جوهر الفضل والألفاظ اعراض ، وعنصر الأدب والمعاني أغراض . وفهمته فهم من قعدت به الاستطالة عن موقف الشكر فاستسلم، واكتنفه العجز فسلم وسلم ، وأعيته العبارة عن موجب البر فلاذ بأكناف العجز ، واعترف بالقصور عن مفترض الحق .

ومن كتاب له إليه :

وصل كتاب مولاي بما قرب الى جناه ، وبعد على مداه ، من محاسن لفظه ونظمه ، ومباره التي ما زال يؤثرني فيها بالرغائب ، ويصفيني منها بالعقائل . فوقفت منه بين اعتبار واقتباس ، واعتذار واغتباط، واستبصار في موضع الفضيلة . وشكر لما جمع الله لي في وده من المنح الجزيلة ، ووجدت خطابه مفتتحا بشكوى الأيام في انحرافها ومكاره أحداثها، فاستوحشت منها لاستيحاشه ، واستعديت عليها لاستعدائه ، وشايعت المهجنين لآثارها ، والزارين على أحكامها ، لإعراضها دون آماله ، وقدحها في أحواله . ولم يستبق الجمال لنفسه والفضل لأهله دهر اناخ على مولاي بصرفه ، واختزله دون واجب حقه ، وقد أجبت عن القصيدة وإن كنت اعملت فيها خاطراً قدمته السفر ، وكده الحل والرحل، وعلى مولاي المعول في ضم نشره ، وتسديد مختله ، وحفظ غيبي فيه [من الطويل]:

وقيتَ أبا إسحاق من حافظٍ عهداً ... وراعٍ لمن يمنى بفرقته ودّا

ومنفــردٍ بالمكرمــات تألّفتْ عليه المعالــي فاستقــلّ بهــا مجدا
بلــوت أخــلاّءَ الــزمــانِ وكلُّهم سواءٌ فلا ذمًّا منحْــت ولا حمدا
ومن يبغِ صفـو الـودّ من كلٍّ صاحبٍ يكن صبحــه ليلاً ومسعاتــه كدًّا
سواك أبــا إسحــاق إنــك والنّدى لأوفاهُــمُ عهــدا وأصفاهُــمُ عقدا
وأبعدهــم في كل مكرمــةٍ مدى وأنظمهــم في جيد مأثــرةٍ عقدا
تلاقــت بنــا الآداب في خير منسبٍ عليه تساقينــا علــى ظمإٍ بردا
وألّفْــنَ أرواح الصناعــة بيننا فنحــن معــاً والــدار نازحــةٌ جدا[1]
ضلالاً لدهــر أنــت من حسناته ولمــا تكنْ في نيل إحسانــه الفردا
لعاً إنه الدهر العثور وإنه لسيّان من أجْدى عليه ومن أكدى
يميل علـى ذي الفضـل للجهـل ضلّةً يجرّعــه سمــاً ويُبْــدي له شهدا
علـى أنــه سَلْــمٌ لمــن حلّ بالحمى حمى الملك المدعـوِّ للدولـة العضدا

* * *

ما أخرج من شعره في عضد الدولة

قال من قصيدة أولها [من البسط]:

ما للنــوى وقفـت دمعـي علـى الطّلل واستودَعَتْنــي مطــايا الحــلِّ والرِّحلِ
ترمــي بطرفــك في أطرافهــا فترى ما في الضّمائر من غشٍّ ومــن دَغَل[3]
أريتنــا النقص في رأي الأولـى وضعوا كرْمــان من خوَلٍ عنهــا ومــن فشل
بمائهــا الوشِــلِ معْ تمرهــا الدّقلِ ولصِّهــا البطــلِ وأهْلهــا الهمل[4]
وكم تركْت بهــا للنــاس من مثلٍ وكم نصبْـت علـى الأنصـاب من مثل

(١) النازحة : البعيدة .
(٢) لعاً : دعاء على العاثر « أي لا أنعشه الله » وأكدى : ضنّ وبخل .
(٣) الدغل : الافساد .
(٤) الوشل : القليل ، والدقل : أردأ أنواع التمر والبيت ليس بشيء .

يفــدي مقامــك فيه الخلــق قاطبةً ... ونحــن نفــديك بالأرواح والمقل
وليس يثبــت في فرع العــلا قدمٌ ... إلا إذا ثبتَتْ في موضــع الزّلل
خلائــق هَذّبَتْهنَّ العــلا فغدتْ ... بين الخلائــق كالإِســلام في الملل
اسعِـدْ بوافــدِ نيروزٍ تقابله ... باليمــن والعــزِّ والتــأييد والجذل
واستــأنف العيش مســروراً بجدّته ... في ظلِّ عزٍّ مدى الأيام متّصل

ومن قصيدة قال في آخرها [من الوافر] :

وهــاك تهــز عطفيْهــا اختيالاً ... وتعجــب كلَّ مستمــع ثناكـا
تسير بهــا الــرواة بكلّ أرضٍ ... وتُطْـرِبُ من أحبَّـك أو قلاكا(١)
نظيرة تربهــا لفظــاً ومعنى ... فدى لك من يقصِّــر عن مداكا
وكلّ الشعــر زورٌ ما خلاه ... وكلّ النــاس زورٌ مـا خلاكا

ومن أخرى فيه [من البسيط] :

الله أكبــر والإِســلام قد سلما ... وعـاد شمــل العــلا والمجــد ملتئما
وظــلّ ملْك بنــي العبــاس معتلياً ... لمــا غدا ببغــاة الحــق مدَّعما
بآل بويه أعلــى الله رايتَهُ ... وشــدّ من عقــده ما كان منفصما
سادوا الملوكَ وشادوا المجدَ وابتدروا ... إلـى ذرى أمـدٍ نال السُّهــى شمما(٢)
همُ قلادة عزٍّ أنــت واسطةٌ ... فيهــا ، وكلٌّ بمــا قد قلتــه علما

ومنها في وصف السيوف [من البسيط] :

بيضٌ تصافــح بالأيدي مقابضها ... وحدُّهــا صافــح الأعنــاق والقمما
ضحــكْن من خلل الأغمــاد مصلتةً ... حتـى إذا اختلفَــتْ ضربــاً بكَيْنَ دما

---

(١) القلى : البغض .
(٢) السُّهى : نجم في السماء .

حنَّتْ خراسانُ شوقاً إذ حننْت لها حتى كأنكما نازعتما رحما
واهتزّ منبرها يهفو إليك ، ولو أطاق لاخترق القيعان والأكما
رفعت راياتك اللاتي خفقْن على أسدٍ نقلْن على أكنافها أجما[1]
لا تنتحي بلداً إلا أفضْتَ به عدلاً وأجليت عنه الظّلم والظّلما
سامتْك أبناء سامانٍ فما بلغوا مدى من العزّ لم ترفع له علما
وناضلوك عن العليا فكنت بها أولى وأثبتَ منهم في العلا قدما
وصاولوك فكانوا في الوغى نقدا يأبى الصّال وكنت البازل القطما[2]

ومن عضدية في وصف مجلس [من الطويل] :

فيا مجلساً عزّ الخلافة محدقٌ بأقطاره والندّ والنّور والخمرُ
وقد أرجت أرجاؤه وتعطّرتْ بساطع نشرٍ ما يقاس به نشر
وفتّح فيه النرجس الغضُّ أعيناً محاجرها بيضٌ وأحداقها صفر
كأن الشموع المشعلات خلاله ثواكل عبري ما ينهْنهها الزّجر
إذا قطعت منها الرؤوس تضاحكت وكان على قطع الرؤوس لها بشر
ألا يا أمير المشرقين ومن به تفاخرت الدنيا وكان له الفخر
ولم تخلق الدنيا لغيرك فانتظرْ فهذا هو الفأل المحقّق لا الزّجر

وقال من سذقية [من المنسرح] :

ما لي لما بي من الهوى رمق كأنما سدّ دوني الطّرقُ
كأنّ نار الأمير ساطعةً من نار قلبي استعارها السذق[3]
في ليلةٍ باتت النجوم بها حائرةً تنمحي وتنمحق

(١) الأجم : الشجر الكثير الملتف .

(٢) الصيال : المواثبة والقتال ، والبازل : الجمل في سنته التاسعة ، والقطم : المتشهي للضراب .

(٣) السذق : ليلة الوقود .

ونخرط الليل في النهار فما يؤنس إلاّ الصباح والشّفق
بكلّ منشورةٍ ذوائبها محمرّةٍ من شواظها الأفق[1]

وقال في السكر المبني بشيراز، ويروي لغيره [من الهزج]:

شربنا ذهباً يجري بشاطىء فضّة تجري
وما زلنا على السِّكر نداوي السُّكر بالسُّكر[2]
درينا كيف أصبحنا وأمسينا وما ندري
وفاض الماء فيض البحر منصبّاً إلى بحر
كجدوي عضد الدولة في نائله الغمر[3]

* * *

١١٧ ـ أبو أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي

روضة مجد وشرف ، وحديقة فضل وأدب ، وكان أحد أركان الدولة الديلمية ، يكتب لمعز الدولة أبي الحسين برسم المطيع لله ، ويتصرف بالعراق في جلائل الأعمال، ويلاحظ بعين الإعظام والإجلال ، وكان آخذاً بطرفي النظم والنثر . فمن مشهور شعره وجيده ما كتبه إلى القاضي التنوخي [من الكامل]:

شوقي إلى القاضي المنيف بمجده شوقٌ يفوت الوصف أيسر حدِّهِ
وبحسب فرط الأنس كان بقربه قلقي لما قد ساءني من بعده
ولو أنّني مما أحبّ ممكّنٌ لم أعْدُ إغذاذاً أسير لقصدهِ[4]
ووصلت آصال السرى بغدوِّها وقرنْت إرقال المطيِّ بوخده[5]

---

(١) الشواظ : لهبٌ لا دخان معه .
(٢) السِّكر : بالكسر ـ بناء من صخرٍ وحجاره .
(٣) الغمر : الكثير .
(٤) الإغذاذ : الإسراع في السير .
(٥) الإرقال والوخد : ضربان من سير الابل والمطي : جمع مطيّة ، وهي الدابة .

ولئن عدمت سعادتي بلقائه فلقد أقمت على رعاية عهده
وشكرت سالف برّه وأشعت محـكم ودّه وقضيت واجب حمده
وعلمت أني إن طلبت مشاكلاً لعلاه لم تظفر يداي بندّه
فقصرت إخلاصي عليه ممسكا بإخائه محظى بمطلع سعده
من ذا يقاس إليه في آدابه أو علمه أو هزله أو جدّه
والمكرمات بأسرها في حزبه والصالحات جميعها من عنده
بجميل شاهده سالم غيبه وكريم صحبته وخالص وده
أفديه من حرٍّ حليفِ مناقبٍ لولا تكامل فضله لم أفْده
لم تجر أمجاد الرجال إلى مدىً للسّبق إلا حاز نيل أمدّه
وكأنّ أضواء المحاسن كلّها مقدوحةٌ نيرانُها من زنده
فالله يبقيه ويرغد عيشه ويعزّه ويعيذنا من فقده

فأجابه القاضي بقصيدته وهي قوله [من الكامل]:

روحي فداؤك والورى من بعده جرّدت سيف صبابتي من غمدِهِ
عين الإمام وكفّه اليمني وحـدّ حسامه الماضي ووسْطى عقده
كلفٌ ببذل المال يحسب غنْمه في عزمه ونموّه في حصده
وجه يجول البشْر فيه برونقٍ ماء السّماح يفيض من إفرنْده[1]
متنقّبٌ بحيائه فكأنما شقّ الربيع شقيقه في خدّه
ومقابلٌ من فارس في دوحةٍ أوفت على قحطانه ومَعَدّه
هو شدّ من أزر المكارم والعلا حدثاً ولم يبلغ أوان أشدّه[2]
يفديه من نوب الزمان معاشر أحرارهم لا يلحقون بعبده
أبدت مقابحهم محاسن فعله والضّدّ يظهر حسنُه في ضدّه

(١) الإفرند والفرند سواء : وهما ماء السيف ورونقه .
(٢) الأزر : القوة والمساعدة . والحدث : اليافع .

ما كنت أعرف قدر ما خوّلته ... حتى بليت بقربه من بعهده
جاءت ألوكته إليّ كأنها ... وصل الحبيب اعتضْتَهُ من صدّه[1]
ففتحت حين فتحتها عن روضة ... متفتحٌ حوذانها في ورده[2]
فقرأتها عوداً على بدءٍ كما ... عاد الموليّ في قراءة عهده
يا جنّة الخلد التي أنا نازلٌ ... ما بين كوثرها وطوبى خلده
لو أستطيع ركبت متن الريح أو ... أسريت نحو ذراك مسرى وفده
وهو الزمان فإن يساعد صرفه ... فبجدّه يسعى الفتى لا كدّه

ولأبي أحمد المذكور في وصف سحابة أدركته فاكتسى بكساء حتى أقلعت [من المنسرح]:

خرجت من عندكم فأدركني ... سحابة ذات منظرٍ صلفٍ
غمامةٌ كالعمامة انتلفت ... فوق رؤوس المشاة في السُّدف[3]
تنالها كفّ من يزوالها ... تقول للمرء ويك لا تقف
يختطف الأرض وقع صيِّبها ... مثل اختطاف المخالب العقف[4]
فوقعه والكساء يدفعه ... وقع سهام الأتراك في الهدف
كأنّما كلّ قطرةٍ وقعت ... عليه درٌّ بدا من الصّدف
لو أن ما ذاب منه يجمد لم ... يصلح لغير العقود والشّنف[5]
فيها من الرعد كالدبادب والصّنج إذا ما ضرْبنَ في شرف[6]
واشتعل البرق في جوانبها ... مثل السيوف انتضيْن من غلف

(١) الألوكة : الرسالة .
(٢) الحوذان : نبات .
(٣) السدف : الظُّلَم .
(٤) الصيّب : المطر ، والعقف : المعقوفة .
(٥) الشّنف : الحلي والأقراط .
(٦) الدبادب : الصياح والضجّة .

قد جمعــت حالتين في طلقٍ صوت عذولٍ ودمــع ذي لهف
لو كان كلّـي لســان ذي نصرٍ بوصفــه واحتشــدْتُ لـم أصف

وكتب إلى الصاحب يشكو إليه علـة النقـرش وعلـو السـن ، فقـال [مـن المتقارب] :

إلــى الله أشــكو ضنــى شفنّي وكم قبلـةٍ من ضنــى قد شفاني
وسقمــاً ألــحّ فمــا لي بما أحــاط برجلــي منــه يـدان
ترانــي وقــد كنــت ثبــت الجنان إذا الليل جنّ سليب الجنان
أقطــع آناءه بالأنيــن وأرقــب للصبــح وقــت الأذان
أنقّل في موضــعٍ موضع فحيث حللــت نبــا بـي مكاني
أؤمـل روحــاً فيأتــي النهار بأضعــاف مــا بــتّ فيه أعاني
أقــول أقيـل فلا استطيــــــع من ألــمٍ ملحفٍ غير واني[1]
فمـن ليلـةٍ أرونـانيــة ويوم بمــا ســاءنـي أرونانــي
أرجيّ تقضّــي مــا أشتكيــه من مرضٍ بتقضّــي الزمان
وإنــي قد جزت حدّ الكهول وناهــزت مــا عَمَّــر الوالدان
وجرّمــت ستين شمسيّــة فسُــدَّتْ علــيَّ طريقُ الأماني
وأوهــتْ عراي ، وهــدّت قواي، وليس لمــا يهــدم الدهــر باني
وإن كان لا يهتــدى صرفه إلــى أجــل منسإ غير داني[3]
وكنــت علــى ثقــة أنــه إذا شاء أبرأنــي مَـن براني
فيا من له الخلــق والأمــر من بعــافيةٍ منــك تشفــي ضماني
وجــدْ لي نأي أجــلُ أو دنا بعفــو وسعْــتَ به كل جاني

---

(١) الملحف : ملحٍ ومتجدّد .

(٢) أروناني : نسبة الى الأرونان ، وهو الصعب من الأيام ، والشديد في كل شيء .

(٣) المنسأ : المؤخّر .

وهبنـي لأحمـد والمصطفيـ ـن من آلـه أهـل بيت الجنان
همُ عدّتـي وبهـم أتـقـي الـ ـعقـاب وأرجـو خلـود الجنان

فكتب إليه الصاحب مجيباً [من المتقارب] :

عنانـي من الهـمّ ما قد عناني فأعـطيت صرف الليالـي عناني
ألفْـتُ الدمـوع وعفْـت الهجوع فعينـاي عينـان نضّاختان[1]
لسقـمٍ ألـحَّ علـى سيّدٍ بد قد غفـرْت ذنـوب الزّمان
أحـاط برجليه جوراً عليه وأنـي ونعـلاهمـا الفـرقدان
وكيف سطـا بهمـا واستطال وأرض بساطهمـا النِّيـران
وهلاّ تجاوزه قـاصـداً إلى عصبةٍ عصبت بـالهوان
إذا ما سعـى لطـلاب العـلا فـكلٌّ أوانٍ همُ فـي توان
وسـوف توافيه كفّ الشفاء بمـا أنشـأتُ باسمـه من أمان
وتفقـأ فيه عيون الـزمان عزيز المحـل رفيع المـكان
ويبقـى جمـالا لأقـرانـه وقـد قصـروا عنـه ألفـيْ قران
أتتنـي بالأمس أبيـاتـه تعـلّـل روحـي برَوح الجنان
كبـرد الشبـاب وبـرد الشراب وظـل الأمـان ونيل الأمـاني
وعهـد الصّبـى ونسيم الصّبا وصفـو الدّنـان ورجـع القيان
فلـو أن ألفاظهـا جسّمت لكانـت عقـود نحـور الغواني
فيا ليت عمـري في عمـره يـزاد ولـو أنـه حقبتان
فيا مهجـة قـدمـت دونـه بغـانيةٍ عنـد ذكر الغواني
أجيب عن الشعـر مسترسلاً بطبـع شجـاعٍ وقلـب جبان
فـلـولا سكونـي إلـى فضـله قبضـت بنانـي بقبضـي لساني

* * *

(١) عفت : ملّيت وتركت ونضاختان : دامعتان فائرتان .

١١٨ ـ أبو القاسم علي بن القاسم القاشاني

بقية مشيخة الكتاب المتقدمين في البراعة ، المالكين لأزمة البلاغة المتوقلين في هضاب المجد ، المترقلين في درجات الفضل . وقد أخرجت من نظمه ونثره ما هو ثمرة العقل . وعين القول الفصل .

فصل ـ كتابي أطال الله بقاء مولاي وأنا متردد بين جذل لتجدد بره في خطابه . وبين خجل من قوارع زجره وعتابه . فإذا خليت عنان انسى في رياض مباره ، فرتعت جاذبيته لاعج الإشفاق . فلو كان سوء ظنه بي صادقاً لا اعترفت ، ولعدت منه بحقوي كريم لا يبهظه اغتفار الجرائم ، ولا يتعاظمه الصفح عن الجرائر .

فصل ـ علقت هذه المخاطبة والأشغال تكنفني ، وكد الخاطر بأسباب شتى تقتسمني . ووراء ذلك كلال الذهن ، بارتقاء السن ، ونقصان الخواطر ، بزيادة الشواغل . واستمرار البلادة ، لمفارقة العادة . وهو والله يعيذه من السوء مقتبل الشباب ، زائد الأسباب ، مؤتنف المخايل ، إلى علم لا يدرك مضماره ، ولا يشق غباره . فإذا حملني على مساجلته . فقد عرضني للتكشف ، وإن عرضني على محنة التتبع ، فقد سلبني ثوب التجمل .

فصل ـ أظلني من مولاي عارض غيث أخلف ودقه ، وشامني منه لائح غوث كذب برقه ، فقل في حران ممحل أخطأه النوء . وحيران مظلم خذله الضوء .

فصل ـ وصل كتاب مولاي [من الطويل] :

فكم فرحةٍ أدَّى وكم غلةٍ جلا وكم بهجةٍ أوْلى وكم غمة سلّى

وسألت الله واهب خصال الفضل له ، وجامع خلال النبل فيه ، وحائز جمال المروءة للزمان ببقائه ، ومانح كمال المزية للإخوان بمكانه ، أن يتولى حفظ النعم النفسية . ويديم حياطة المهج الخطيرة ، بصيانة تلك الشيم العلية ، حتى تستوفي

المكارم أعلى حظها في أيامه ، وتحوز الفضائل أقصى غايتها في مضماره [من الطويل]:

فينجح ذو فضلٍ ويكمد ناقصٌ ويبهج ذو ودٍّ ويكمد حاسدُ

فصل ـ وما أرتضى نفسي لمخاطبة مولاي إذا كنت منفي الشواغل، فارغ الخواطر ، مخلى الجوارح ، مطلق الإسار ، سليم الأفكار. فكيف بي مع كلال الجد ، وانغلاق الفهم ، واستبهام القريحة ، واستعجام الطبيعة، والمعول على النية ، وهي لمولاي بظهر الغيب مكشوفة . والمرجع الى العقيدة ، وهي بالولاء المجض معروفة . فلا مجال للعتب بين هذه الأحوال، كما لا مجال للعذر وراء هذا الخلال .

فصل ـ مراتع أهل الفضل موبئة . ووجوده مطالب النزاع مظلمة غير مضيئة، إلا في محل الشيخ الخصيب ، وفنائه المألف الرحيب ، لا جرم أن الآمال عليه موقوفة ، وأعنة الوراد إليه معطوفة ، وداره مقصودة ، وحاله مكدودة، والمنهل العذب كثير الزحام .

فصل ـ إن كان أوداؤه في فضله مستهمين ، وأولياؤه في إحسانه فوضى مشتركين . فلي بحمد الله عفو صنائعه ، وصفو شرائعه. لا أسبق إلى جمامها ، ولا أنازع ثني زمامها، فعلى حسب ذلك تصرفي وتجملي من أقسام ما يحدث عنده ويعرض له ، هذا. وقد بلغني من تشريف الأمير المؤيد إياه بالعيادة ، وإطالته عنده الاقامة ومعه المفاوضة، ما أمكن في نفسي، وقوى ثقتي وأنسى ، فإنه لم يكن إلا سبباً لتجدد هذه النعمة ، وذريعة إلى لباس هذه الرتبة . فالله الذي قرن لمولاي تيسير ما قد قاسى عظيم المجد الذي لا يوازي، وعميم الفخر الذي لا يسامي، ودل بقليل ما مسه على كثير ما وعدت تباشير السعادة من مزيد الكرامة .

فصل ـ قد كان منزله مألف الأضياف ، ومأنس الأشراف ، ومنتجع الركب ،

ومقصد الوفد . فاستبدل بالأنس وحشة ، وبالنضارة غبرة ، وبالضياء ظلمة . واعتاض من تزاحم المواكب تلازم المآتم ، ومن ضجيج النداء والصهيل ، عجيج البكاء والعويل .

وله من كتاب إلى الصاحب أوله هذه الأبيات [من المنسرح]:

إذا الغيوم آرجفن باسقها وحفّ أرجاءها بوارقها[1]
وغيّبت للثرى كتائبها وانتضيت وسطَها عقائقُها
وجلجل الرعد بينها فحكى خفقَ طبولٍ ألحّ خافقها
وابتسمت فرحةً لوامعها واختلفت عبرةً حمالقها[2]
وقيل طوبى لبلدةٍ نتجت بحقّ أكنافها فوارقها[3]
أية نعماء لا تجلّ بها وأيّ بأساء لا تفارقها
فليسق غيث الندى أبا القاسم الـمقرم وزير الأيام وادقها
تحكي سجاياه هزّةً وندىً وأين من خلقه خلائقها
ولتهد ريح الصبا محمّلةً أنفاس طيب أمست تعانقها
في روضة لا النعيم سابقها ولا نسيم الرياض لاحقها
جاور حوذانها بنفسجها وزان ريحانها شقائقها[4]
هبت رخاء مريضة فشفت مرضي وشاق النفوس شائقها
لم تبق منه النوى سوى كبدٍ تدمي وعينٍ تجري سوابقها
إني وإن غالب الهوى جَلَدي صبراً لصادي الأحشاء خافقها
ذكري لأيامنا التي غفلت عنها العوادي ونام رامقها[4]

---

(١) أرجفن : حرّكن ، والباسق : العالي .
(٢) الحمالق : العيون.
(٣) الفوارق : جمع فارقة ، وهي الناقة يأخذها المخاض.
(٤) الحوذان : نبات.
(٥) الرامق : المتطلّع.

إذ النـوى لا تـروعنـا وإذ الـ ... أيام مأمـونـةٌ بـوائقهـا[1]
والله لـو أنَّ مـا أكابده ... بهضـب رضْـوى خرّت شواهقها

هذه أطال الله بقاء مولاي نتائج أريحية ، أثارها مخاطبات مولاي التي هي انقع لغلتي من برد الشراب، وأعذب إليّ من برد الشباب. فجاش الصدر بما أبرأ إليه من عهدته، وأسكنه ظل أمانه وذمته ، ليسبل عليه ستـر مودتـه ويتأمـل بعين محبته . نعم وقد محا الزمان آثار إساءته إليّ ، بما أسعفني به من إقبـال مولاي علي ، وتتابع بره في مخاطباته لدي . فكل ذنب لهذه النعمة مغفور ، وكل جناية بهذا الإحسان معمور.

فأجاب الصاحب بكتاب صدره هذه الأبيات [من المنسرح]:

بدت عذارى مدَّتْ سُرادقها ... وأقسـم الحسـنُ لا يفارقها
كـواعـبٌ أخـرسـتْ دمـالجها ... عنّـا وقـد أنطقـت مناطقها[2]
خراعـبٌ حـقّهـا وصـائفُـهـا ... تشـي بـأبـدانهـا قـراطقـهـا[3]
صينـت عـن العـطـر أن يطيبها ... إلا الـذي حملـت مخانقـهـا
أم روضـة أبـرزت محـاسنـهـا ... ومـايـنـي قطـرهـا يعـانقـهـا
فأورد الـورد غصنهـا بدعا ... وشـقّ عـن أرضـهـا شـقائقها
وأعشـت النـاظـرين حـليتها ... وشـاق أحـداقَهـم حـدائقهـا[4]
أم أشرقـت فقـرة بـدائعها ... حـديقـة زانهـا طـرائقهـا[5]
أتـى بهـا بالـكـمـال نـاسجها ... وزانُـهـا بـالجمـال نـاسـقها

(١) البوائق : المصائب والشدائد.
(٢) المناطق : من النطق ، أو جمع منطقة وهي ما يشدّ بها الوسط.
(٣) الخرعبة : الحسناء في بياضٍ وسمن وطراوة والقراطق ضربٌ من الثياب.
(٤) أعشت : أضعفت
(٥) الفقرة : نبات.

لله حــلف العــلا أبـو حسن ‌‌ وقـــد جـرت للعـلا سوابقها
فحـاز خصــل الـرهـان عن كثب ‌‌ وفرّجــتْ عنــده مضايقهــا
لله تــلك الألفـاظ حــامــلةً ‌‌ غـرٌ معــانٍ تُعْيي دقــائقها
يكـاد إعجـازهـا يشكـكها ‌‌ في ســوَرٍ أنهـا تـوافقهــا
أهـدي سلامــاً حكى السلامــة من ‌‌ أسقــام سـوءٍ يخـاف طـارقها[1]
كــأنّــه دارنـا ولـم يــرها ‌‌ نــاعبهـا للنـــوى ونـاعقـها
كأنّهـا غفـلــة الـرقيب وقـد ‌‌ مكنــتْ من نظـرةٍ أسـارقها
أهــديت منــه مـا لــو تحمّلــه الـ ‌‌ أيام لـم يستقــلّ عــاتقها[2]
تحـدو بــه صبـوةً ركـائبها ‌‌ راتـكةً لا يميل سـائقـها[3]
خذهــا وقــد أحصــدت وثائقها ‌‌ وأُلحقــت بالسّهــى سـواهقـها
نـاشدتــك الله حين تنشدها ‌‌ وخلَّـةً لا يخيـل صــادقها
إلاّ تعمّـدت رفـع رايتها ‌‌ ليمــلأ الخـافقيـن خــافقها
نعــم وعش في النعيم ما طلعت ‌‌ شمس نهـارٍ وذرَّ شارقها[4]

هذه أطال الله بقاء مولاي أبيات علقتها والروية لم تعتلقها ، واعتنقت فيها والفكرة لم تعتنقها، لا ثقة بالنفس ووفائها ، وسكونا إلى القريحة وصفائها ، بل عِلماً بأني وإن أعطيت الجهد عنانه ، وفسحت للكد ميدانه . لم أدان ما ورد من ألفاظ أيسر ما أصفها به الامتناع عن الوصف ان يتقصاها . والبعد عن الإطناب ان يبلغ مداها ، ولقد قرع سمعي منها ما أراني العجز يخطر بين أفكاري، والقصور يتبختر بين أقبالي وإدبـاري . إلـى أن فكرت أن فضيلـة المولـى يشتمـل عبـده ويخيم ، وإن تصرفت عنده ، فثاب الى خاطر نظمت به ما إن طالعه صفحاً وجوداً

(١) الطارق : النازل ليلاً.
(٢) العاتق : ما بين المنكب والعنق.
(٣) رتك البعير : قارب بين الخطا.
(٤) ذرَّ شارقها : ظهرت أشعتها .

رجوت ان يحظى بطائل القبول ، وأن يتبعه نقداً تراجع على أعقاب الخمول ، هذا ولا عار على من سبقه سباق الزمان ، المستولي على قصب الرهان .

* * *

ومن مشهور شعر علي بن القاسم وجيده قوله [من الطويل] :

وإنـي وإن قصـرت عن غير بغضةٍ لراعٍ لأسـبـاب المـودّة حافظُ
ومـا زال يدعونـي إلـى الصدّ ما أرى وآبـي فتثنينـي إليك الحفـائظ
وأنتظـر العقبـى وأغضـي علـى القذى ألاين طـوراً فـي الهـوى وأغـالظ
وأسـتمطـر الإقبـال بالـودّ منكمُ وأصبـر حتـى أوجعتنـي المغايظ
وجرّبت ما يسلي المحـب عن الهوى وأقصـرت والتجـريب للمـرء واعـظ

الباب الخامس

في ذكر شعراء البصرة ومحاسن كلامهم

١١٩ ـ القاضي التنوخي أبو القاسم علي ابن محمد بن داود بن فهم

من أعيان أهل العلم والأدب وأفراد الكرم، وحسن التسيم ، وكان كما قرأته في فصل للصاحب : إن أردت فإني سبحة ناسك ، أو أحببت فإني تفاحة فاتك . أو اقترحت فإني مدرعة راهب ، أو آثرت فإني نخبة شارب . وكان يتقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين ، وحين صرف عنه ورد حضرة سيف الدولة زائراً ومادحاً، فأكرم مثواه ، وأحسن قراه ، وكتب في معناه إلى الحضرة ببغداد، حتى أعيد إلى عمله ، وزيد في رزقه ورتبته ، وكان المهلبي الوزير وغيره من وزراء العراق يميلون إليه جداً . ويتعصبون له ويعدونه ريحانة الندماء، وتاريخ الظرفاء. ويعاشرون منه من تطيب عشرته ، وتلين قشرته، وتكرم أخلاقه ، وتحسن أخباره ، وتسير أشعاره، ناظمة حاشيتي البر والبحر، وناحيتي الشرق والغرب.

وبلغني أنه كان له غلام يسمى نسيما ، في نهاية الملاحة واللباقة ، وكان يؤثره على سائر غلمانه ، ويختصه بتقريبه واستخدامه، فكتب إليه بعض من يأنس به يقول [من الرمل] :

هل على من لامه مدغمٌ   لاضطرار الشعر في ميم نسيمِ

فوقع تحته : نعم ولم لا ؟!

ويحكى أنه كان في جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي، ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة، والتبسط في القصف والخلاعة. وهم ابن قريعة، وابن معروف، والقاضي التنوخي وغيرهم . وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها، وكذلك كان الوزير المهلبي، فإذا تكامل الأنس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه، وهبوا ثوب الوقار، وتقلبوا في أعطاف العيش، بين الخفة والطيش، ووضع في يد كل واحد منهم كأس ذهب من ألف مثقال إلى دونها مملوء شراباً قطربلياً أو عكبريا فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره، ويرش بها بعضهم على بعض، ويرقصون أجمعهم، وعليهم المصبغات ومخانق البرم[1] والمنثور، ويقولون كلما يكثر شربهم هرهر . وإياهم عنى السري بقوله [من المنسرح]:

مجالسٌ ترقص القضاة بها ... إذا انتشوا في مخانق البرمِ

وصاحبٍ يخلط المجون لنا ... بشيمةٍ حلوةٍ من الشّيم

تخضب بالراح شيبة عبثاً ... أناملٌ مثل حمرة العنم[2]

حتى تخال العيون شيبته ... شيبة فعلانَ ضرّجتْ بدم

فإذا أصبحوا عادوا لعادتهم في التزمت والتوفر والتحفظ بأبهة القضاة وحشمة المشايخ الكبراء .

وقد أخرجت من غرر شعر التنوخي ما هو من شرط الكتاب فمن ذلك وصف الليل والنجوم بقوله [من الخفيف]:

ربّ ليلٍ قطعته بصدود ... وفراقٍ ما كان فيه وداعُ

---

(١) البرم : نوع من الثياب.

(٢) العنم : شجرة صغيرة دائمة الخضرة لها ثمر أحمر تتخذ للصباغ .

موحشٍ كالثقيل تقذى به العيـ ـن وتأبى حديثه الأسماع
وكأنّ النجوم بين دجاه سننٌ لاح بينهن ابتداع[1]
مشرقاتٌ كأنّهن حجاجٌ تقطع الخصم والظلام انقطاع
وكأن السماء خيمة وشيٍ وكأنّ الجوزاء فيها شراع
كان ليلاً فصيّرتْهُ نهاراً كتبٌ تكبِتُ العدى ورقاع[2]

وقوله [من السريع]:

كأنّما المرّيخ والمشتري قدامه في شامخ الرفعَهْ
منصرف بالليل عن دعوةٍ قد أسرجوا قدّامه شمعه[3]

وقوله (وعهدي بأبي بكر الخوارزمي يستظرفه) [من الرجز]:

وجاء لاجاء الدّجى كأنه من طلعة الواشي ووجه المرتقبْ
وفعل الظّلام بالضياء ما يفعله الحرف بأبناء الأدب

وقوله [من الطويل]:

كأنّ النجوم الزهر في غلس الدجى سنا أوجه العافين في سنَة الردِّ[4]
وقد أبطأت خيل الصباح كأنّها بخيلٌ تباطا حين سيل عن الرّفد[5]

وقوله أيضاً [من الطويل]:

وليلة مشتاقٍ كأنّ نجومها قد اغتصبتْ عين الكرى وهي نوّمُ
كأنّ عيون الساهرين لطولها إذا شخصت للأنجم الزهر أنجم[6]

---

(١) السنن : الشرائع والابتداع : من البدعة التي ليست من الشريعة.
(٢) تكْبتهمْ : تحيرهم فلا يدرون جوابا.
(٣) أسرجوا : أوقدوا وأشعلوا وأناروا .
(٤) سنة الردّ : سنة الدّخل والريع ، أي السنة المخصبة .
(٥) الرفد : العطاء .
(٦) شخصت : نظرت وتطلعت .

كأنّ سواد الليل والفجر ضاحكٌ يلوح ويخفي أسودُ يتبسّم

وقال في غور الكواكب عند الصباح [من البسيط]:

عهدي بها وضياء الصبح يطفئها كالسُّرج تطفأ أو كالأعين العور
أعجب به حين وافى وهي نيرةٌ فظلّ يطمس منها النور بالنور

وقال من سائر الأوصاف والتشبيهات [من مجزوء الرمل]:

بات يسقيني ويشربْ ذهباً للهم مذهبْ
شادنٌ يحمل ماءً فيه نارٌ تتلهّبْ
وردةٌ ضاحكةٌ عن أقحوانٍ حين يقطب
لو أدرناها على ميتٍ لكان الميت يطرب
ليت شعري أسروراً أم مداماً بتُّ أشرب
صبّ في الكاسات منها كالشّهاب المتصوّب[1]
فرأيت الرّاح شرقاً ورأيت الهمّ مغرب
غُصُنٌ فوق كثيبٍ ونهارٌ تحت غيهب
لك منه مطربٌ يرضيك إن شئت ومضرب
جنّةٌ عذِّبت فيها بتجنٍّ وتجنّب[2]
هل رأيتم أحداً قبليَ بالجنّة عُذِّب ؟
بأبي أنت وأمي من بعيدٍ حين تقرب
ليَ قلبٌ كيف ما قلّبه الله يقلب.
وجفونٌ يغضب الغمض عليها حين يغضب
ربّ ليلٍ كتجنيك مقيمٌ ليس يذهب

---

(١) المتصوّب : الهابط والمنطلق.
(٢) التجنّب : الهجر.

قـد قطعنـاه بـعـزمٍ كـالحريـق المتـلهِّـب
وكـأنّ البـرق لمـا لاح فيـه يتنصّب
كـاتـبٌ من فوق فرع الـــغيم بالعقيان يـكتب
وكـأنّ الـرعـد حـادٍ أو منـادٍ أو مثـوّب
ونجـومُ الليـل وقـفٌ كـلآلٍ لـم تثقـب
وبـدر البـدر كسيـفٍ فـي يـد الجـوزاء مُـذْهب

وقال ، وهو من قلائده [من المتقارب] :

وراحٍ من الشـمس مخلوقـةٌ بدت لك في قدحٍ من نهارِ
هـواءٌ ولـكنّـه ساكـنٌ ومـاءٌ ولـكنّـه غير جاري
إذا ما تأملتهـا وهـي فيه تأمّلـت نـوراً محيطـاً بنـار
ومـا كان في الحـق أن يجمعا لبعـد التدانـي وفـرط النّفار[1]
ولـكن تجـانس معناهمـا الـــبسيطـان فاتفقـا في الجوار
كأنّ المـدير لهـا باليمين إذا مال للسقـي أو باليسار
تدرّع ثـوبـاً من الياسمين لـه فـرد كمٍ من الجلنار[2]

وقال في وصف دجلة والقمر [من الكامل] :

لم أنس دجلة والدجى متصوّب والبـدر في أفق السماء معرّبُ
فكأنها فيـه بسـاطٌ أزرقٌ وكأنّه فيهـا طرازٌ مُذْهب

وقال أيضاً في الروض [من الخفيف] :

ورياضٍ حاكت لهـنّ الثريا حلـلاً كان غزلهـا للرعودِ
نثـر الغيث درّ دمـعٍ عليها فتحلّـت بمثـل درّ العقود

---

(١) فرط النّفار : كثرته .

(٢) تدرّع : أي لبس.

أقحوانٌ معانقٌ لشقيقٍ كثغور تعضّ ورد الخدود
وعيونٌ من نرجس تتراءى كعيونٍ موصولة التسهيد
وكأنّ الشقيق حين تبدي ظلمة الصدع في خدود الغيد
وكأنّ الندى عليها دموعٌ في جفونٍ مفجوعةٍ بفقيد

وقال في البرد [من البسيط] :

وليلةٍ ترك البرد البلاد بها كالقلب أشعر بأساً وهو مثلوجُ
فإن بسطت يداً لم تنبسط خصراً وإن تقلّ فقل لي فيه تثليج(١)
فنحن منه ولم نخرسْ ذوو خرسٍ ونحن منه ولم نفلج مفاليج(٢)

وقال فيه أيضاً [من البسيط] :

أما ترى البرد قد وافتْ عساكره وعسكر الحر كيف انصاع منطلقا
والأرض تحت ضريب الثلج تحسبها قد ألبست حبكاً أو غُشِّيت ورقا(٣)
فانهضْ بنارٍ إلى فحمٍ كأنّهما في العين ظلمٌ وإنصافٌ قد اتفقا
جاءت ونحن كقلب الصبّ حين سلا برداً فصرنا كقلب الصّب إذ عشقا(٤)

وقال من قصيدة كثيرة العيون ، وكان الصاحب يفضلها على سائر شعره ، ويرى أنها من أمهات قلائده [من الكامل] :

أحببْ إليّ بنهرِ معقلٍ الذي فيه لقلبي من همومي معقلُ(٥)
عذبٌ إذا ما عبّ فيه ناهلٌ فكأنّه في ريق حبٍّ ينهل(٦)

---

(١) الخصر : البارد.
(٢) الفلج : من الفالج الذي يصاب به المرء وهو نوعٌ من الشلل .
(٣) الضريب : الصقيع ، والصنف.
(٤) الصبّ : العاشق ، وسلا : نسي وتصبّر.
(٥) المعقل : من العقال وهو السجن والتقييد .
(٦) عبّ الماء : شربه بشوق.

متسلسلٌ وكأنّه لصفائه دمعٌ بخدَّيْ كاعبٍ يتسلسل
وإذا الرياح جريْن فوق متونه فكأنه درعٌ جلاها صيقل
وكأنّ دجلة إذ يغطمط موجها مللٌ يُعظّم خيفةً ويبجّل[1]
وكأنها ياقوتةٌ أو أعينَ زرقٌ تلائم بينها وتوصل
عذبتْ فما تدري أماءٌ ماؤها عند المذاقة أم رحيقٌ سلسل
ولها بمدٍّ بعد جزرٍ ذاهبٍ جيشان يدبر ذا وهذا يقبل
وإذا نظرت الى الأبلّة خلتها من جنة الفردوس حين تخيّل[2]
كم منزلٍ في نهرها آلى والسرو ر بأنه في غيره لا ينزل
وكأنما تلك القصور عرائسٌ والروض فيه حليٌّ خودٍ ترفل
غنّتْ قيان الطير في أرجائها هزجاً يقل له الثقيل الأول
وتعانقت تلك الغصون فأذكرت يوم الوداع وغيرهم يترحل
ربع الربيع به فحاكت كفّه حللاً بها عقد الهموم تحلل[3]
فمدبّجٌ وموشّحٌ ومدنّرٌ ومعمّدٌ ومحبرٌ ومُهلْهَل
فتخال ذا عيناً وذا ثغراً وذا خدًّا يعضّضُ مرةً ويقبَّل

وكتب إلى الوزير المهلبي ، وقد منعه المطر من خدمته [من الطويل] :

سحابٌ أتى كالأمن بعد تخوُّفِ له في الثرى فعل الشفاء بمدنفِ[4]
أكبّ على الآفاق إكباب مطرقٍ يفكّر أو كالنادم المتلَهّفِ
ومدّ جناحيه على الأرض جانحاً فراح عليها كالغراب المرفرف
غدا البرُّ بحراً زاخراً وانثنى الضّحى بظلمته في ثوب ليلٍ مسجَّف[5]

---

(١) يغطمط : يموج ويضطرب.
(٢) الأبلّة : الشجر المثمر الذي تسقيه المياه وخلتها : حسبتها.
(٣) حاكت : نسجت .
(٤) المدنف : المريض المشرف على الهلاك .
(٥) السجفة : شدة الظلام.

يعبّس عن برقٍ به متبّسمٍ عبوس نحيلٍ في تبسّم معنف
تحاول منه الشمس في الجوّ مخرجاً كما حاول المغلوب تجريد مرهف[1]

أين هذا من قول ابن المعتز [من الوافر]:

تحاول فتق غيمٍ وهو يأبى كعنيّنٍ يريد نكاح بكرِ[2]

رجع :

فأترع ماءً وارد حوضه أسلسال ماءٍ أم سلافة قرقفِ[3]
أتى رحمةً للناس غيري فإنه عليّ عذابٌ ماله من تكشّف
سحابٌ عداني عن سحابٍ وعارض منعت به من عارضٍ متكفْكف

أخذه من قول الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك وهو [من الخفيف]:

لست أدري ماذا أذمّ وأشكو من سماءٍ تعوقني عن سماءِ
غير أني أدعو على تيك بالثكل وأدعو لهذه بالبقاء

الجواب من الوزير المذكور [من الطويل]:

أتت رقعةُ القاضي الجليل فكشّفتْ وساوس محزون الفؤاد ملهّفِ
فأهدت نظاماً من قريضٍ كأنه نظام لآلٍ أو كوشيٍ مُفوَّف[4]
تكامل فيه الظرف والشكل مثلما تكامل في مُهديهِ كلُّ التظَّرفُ
حوى منتهى الحسنى بأول خاطرٍ يكلّفه في الشعر ترك التكلّف

---

(١) المرهف : الماضي من السيوف.
(٢) العنّين : العاجز في فحولته .
(٣) أترع : أشرب ، والقرقف : من أسماء الخمر.
(٤) النظام : العقد ، والقريض : الشعر والمفوّف : المزيّن والمنمّق.

قال في وصف قصيدة [من مجزوء الكامل]:

وقصيدةٍ ألفاظها في النظم كالدرّ النثيرِ
جاءت إليَّ كأنها التوفيق في كلّ الأمور
بأرقَّ من شكوى وأحسن من حياةٍ في سرور
لو قابلتْ أعمى لأضحى وهو ذو طرْفٍ بصير
فكأنّها أملٌ تحقّق بعد يأسٍ في الصدور
أو كالفقيد إذا أتت بقدومه بشرى البشير
أو كالمنام لساهرٍ أو كالأمان لمستجير
أو كالشفاء لمدنفٍ أو كالغني عند الفقير
وكأنّما هي من وصا لٍ أو شبابٍ أو نشور[1]
لفظٌ كأسر معاندٍ أو مثل إطلاق الأسير
وكأنه إذ لاح من فوق المهارق والسطور[2]
ورد الخدود إذا انتقلت به على درّ الثغور
غررٌ غدت وكأنّها من طلعة الظبيّ الغرير[3]
من كلّ معنى كالسلا مة أو كتيسير العسير
كتبت بحبرٍ كالنّوى أو كفر نعمى من كفور
في مثل أيام التوا صل أو كاعتاب الدهور
أهديتها ياخير من يختار في كرمٍ وخير

وقال في ثوف كتاب [من مجزوء الكامل]:

وافى كتابك مثلما وافى لمفقودٍ بشيرُ

---

(١) النشور: البعث من جديد.

(٢) المهارق: جمع مهرق، وهي الصحيفة.

(٣) الغرير: الجميل، والخَلْق الحسن.

وكأنّه الإقبال جا ء أو الشّفاء أو النّشور
كأنّه شرخ الشبا ب وعيشه الغضّ النضير
وافى وعير الليل وا قفةٌ الركائب لا تسير
فأضاء لي من كلّ فجٍ منه فجرٌ مستنير
وارتدّ طرف الدهر عنّي وهو مطروفٌ حسير[1]
ورأيت أفلاك السرو ر بكلّ ما أهوى تدور
وفضّضته فكأنّه أثواب وشيٍ أو حبير[2]
خطٌّ وقرطاسٌ كأنّهما السوالف والثغور
وكأنّه ليلٌ يلو ح خلاله صبحٌ منير
ما بين خطٍ كالحيا ة إذا استتبَّ لها السرور
وبدائعٍ تدع القلو ب تكاد من طربٍ تطير
في كل معنى للغني يحويه محتاج فقير
أو كالفكاك يناله من بعد ما يأسٍ أسير[3]
أو كالسعادة أو كما يتيسر الأمر العسير
فاسلم ودم ما دام ذو سلمٍ وما أرسى ثبير[4]

وكتب إلى أبي أحمد بن ورقاء قصيدة أولها مستحسن جداً وهو [من الطويل] :

أسيرٌ وقلبي في هواك أسير وحادي ركابي لوعةٌ وزفيرُ
ولي أدمعٌ غزرٌ تفيض كأنّها جَداً فاض في العافين منك غزير[5]

(١) الحسير : المنكفىء الخائب.
(٢) الحبير : الناعم الجديد من الثياب.
(٣) الفكاك : التحرّر من القيد وغيره .
(٤) ذو سلمٍ : اسم مكان ، وثبير : إسم جبل.
(٥) الجداء : العطاء .

وطـرفٌ طريفٌ بالسّهـاد كأنه لهـاك وجيش الجـود فيه مغير.
رياضـكمُ خضرٌ يرفٌ نباتها ونـوءكم رطـبُ السّحـاب مطيـر
وجوهٌ كـأكبـاد المحبين رقّةً ولـكنهـا يـوم الهياج صخور

وكتب إلى بعض أصدقائه قصيدة منها [من الطويل]:

كتبـت وليـلـي بـالسّهـاد نهـار وصـدري لورّاد الهمـوم صدارُ[1]
ولـي أدمعٌ غزَرٌ تفيض كأنها سحائـب فاضـت مـن يديك غزارُ
ولـم أر مثـل الدمـع ماءً إذا جرى تلهّب منـه فـي المدامـع نار
رحلـت وزادي لـوعـةٌ ومطيتي جوانـح من حرّ الفـراق حرار
مسيرٌ دعـاه النـاس سيراً توسّعاً ومعنـىً آسمـه إن حقّقـوه إسار
إذا رمـت أن أنسى الأسـى ذكّرتْ به ديارٌ لهـا بين الضلـوع ديار
لك الخير عن غير اختياري ترحّلي وهـل لي علـى صرف الزمـان خيار
وهـذا كتابـي والجفـون كـأنّما تحـكّم فـي أشفارهـنّ شفار[2]

الغـزل من شعره

قال [من الكامل]:

حَوَرٌ بعينيْه أطـال تحيّري ترك الـدمـوع كخـدّه المتعصفرِ
غصـنٌ تأوّد فوق دعصٍ من نقا ليلٌ تبلّـج عـن نهـارٍ مسفر[3]
كالشـمس إلا أنـه متنفّسٌ عـن مسـكةٍ متبسّـمٌ عن جوهر
وأطـال من ليلـي وقصّر ليله أنّـي سهرت وأنـه لم يسهـر

---

(١) الصدار : ثوب بلا كمّين يغطي الصدر فوق القميص الخارجي.
(٢) الشّفار : السيوف القاطعة ، أو كلّ حدٍّ قاطع.
(٣) التأوّد : الميل والانعطاف.

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل] :

بأبي وجهك لو أشـــبهه منك الضيعُ
أنت بدرٌ ماله في فلك الوصل طلوع

وقال أيضاً [من الطويل] :

رضاك شبابٌ لا يليه مشيب وسخطك داءٌ ليس منه طبيبُ
كأنك من كلّ النفوس مركّبٌ فأنت إلى كل النفوس حبيب

وقال في أمرد جسيم [من البسيط] :

قالوا عشقت عظيم الجسم قلت لهمْ الشمس أعظم جرمٍ حازه الفلكُ
من أين أستر وجْدي وهو منهتكٌ ما للمتيَّم في فتك الهوى درك[1]

وقال فيه [من الوافر] :

لبستْ نحافة الغصن النحيف وذبْت سوى ذماءٍ في ضعيفِ
يحوريٍّ المحاسن والمعاني وإنسيٍّ المخايل والأليف
له في كلّ عضوٍ دعصُ رملٍ ثقيل الجسم ذو روحٍ خفيف
أأعشق لا عشقت أخا نحولٍ سوى أني أخو الخلق الظريف
إذا لمستْه كفّي لم تلامس سوى جلدٍ على عظمٍ نحيف

ومما أنشدت له ، ولم أجده في ديوانه [من السريع] :

قلت لأصحابي وقد مرّ بي منْتقباً بعد الضّيا بالظّلمْ[2]
بالله يا أهل ودادي قفوا كي تبصروا كيف تزول النعم

* * *

(١) المتيّم : العاشق ، والدرك : من تدارك الشيء : تلافاه قبل وقوعه .
(٢) المنتقب : المستتر .

١٢٠ ـ ابنه أبو علي المحسن ابن القاضي [التنوخي]

هلال ذلك القمر ، وغصن هاتيك الشجر ، والشاهد العدل لمجد أبيه وفضله ، والفرع المثيل لأصله ، والنائب عنه في حياته . والقائم مقامه بعد وفاته ، وفيه يقول أبو عبد الله بن الحجاج [من الوافر] :

إذا ذكر القضاة وهم شيوخ تخيّرت الشباب على الشّيوخِ
ومن لم يرضَ لم أصفعْه إلاّ بحضرة سيدي القاضي التّنوخي

وله كتاب الفرج بعد الشدة، وناهيك بحسنه. وإمتاع فنه . وما جرى من الفأل بيمنه ، لا جرم أنه أسير من الأمثال . وأسرى من الخيال .

أخبرني أبو نصر سهل بن المرزبان أنه رأى ديوان شعره ببغداد أكبر حجما من ديوان شعر أبيه ، وان بعض العوائق حال بينه وبين تحصيله حتى فاته . واشتد الأسف عليه ، ولو تقدر له استصحابه كسائر الدواوين البديعة لكنت اتفسح في الانتخاب منه . ولكني الآن مقل من شعره . وسيقع لي ما أتكثر به وألحق المختار منه بمكانه من هذا الباب بمشيئة الله تعالى وعونه ومما علق بحفظ أبي نصر المذكور وأنشدنيه للقاضي أبي علي قوله ، وهو معنى ظريف ما أراه سبق إليه، وهو [من الطويل] :

خرجنا لنستسقي بين دعائه وقد كاد هدب الغيم أن يبلغ الأرضا[١]
فلما ابتدا يدعو تقشّعت السما فما تمّ إلا والغمام قد انفضّا[٢]

---

(١) يمن الدعاء : خيره وبركته .
(٢) تقشّعت : أي انكشفت وزال الغمام عنها وانفضّ المجلس: تفرّق بعد عقده.

وأنشدني غيره له ، وأنا مرتاب به لفرط جودته ، وارتفاعه عن طبقته ، [من الطويل] :

أقول لها والحيّ قد فطنوا بنا ... وما لي على أيدي المنون براحُ[1]

لِما ساءني أن وحّشتني سيوفهم ... وأنك لي دون الوشاح وشاح

ومما أنشده لنفسه في كتاب الفرج بعد الشدة [من الطويل] :

لئن أشمت الأعداء صرفي ورحلتي ... فما صرفوا فضلي ولا ارتحل المجدُ

مقامٌ وترحالٌ وقبضٌ وبسطةٌ ... كذا عادة الدنيا وأخلاقها النكد

كأنه نسج على منوال المتنبي حيث قال [من الطويل] :

على ذا مضي الناس : اجتماعٌ وفرقةٌ ... وميتٌ ومولودٌ ، وقالٍ ووامقُ[2]

ومما ينسب إليه قوله لبعض الرؤساء في التهنئة بشهر رمضان [من الخفيف] :

نلت في ذا الصيام ما ترتجيه ... ووقاك الإلّه ما تتّقيهِ

أنت في الناس مثل شهرك في الأشهـ ... ـر بل مثل ليلة القدر فيه

وأنشدني له غير ثقة وهو متنازع [من الكامل] :

قلْ للمليحة في الخمار المذْهبِ ... أفسدْتِ نسكَ أخي التّقي المترّهبِ[3]

نور الخمار ونور وجهك تحته ... عجباً لوجهك كيف لم يتلهّب

وجمعت بين المذهبيْن فلم يكن ... للحسن عن ذهبيْهما من مذْهب

فإذا بدتْ عينٌ لتسرق نظرةً ... قال الشعاع لها اذهبي لا تذهبي

* * *

---

(١) البراح : المتسع من الأرض ، أو الظهور والبيان .
(٢) القالي : المبغضص ، والوامق ، المحبّ .
(٣) النسك : التعبّد والزهادة .

وأما ابنه أو القاسم علي فلم يبلغني بعد شعره ، وقد بلغني ذكره على لسان أبي الحسن علي بن موسى الكرخي . وقد أوردت ما أنشدنيه عنه لأبي المطاع ذي القرنين ابن ناصر الدولة أبي محمد في باب الأمراء من بني حمدان فليراجع .

* * *

١٢١ - ابن لنكك البصري ، أبو الحسن محمد بن محمد

فرد البصرة وصدر أدبائها وبدر ظرفائها في زمانه ، والمروع اليه في لطائف الأدب وظرائفه طول ايامه . وكانت حرفة الأدب تمسه وتجشمه ، ومحنة الفضل تدركه فتخدشه ، ونفسه ترفعه ، ودهره يضعه ، واتفق في أيامه هبوب الريح للمتنبي[١] ، وعلو رتبته ، وبعد صيته ، وارتفاع مقدار ابي رياش اليمامي ، وسمو نجمه ، ونفاق سوقه ، وفوزهما بالمراتب والحظوظ دونه وسعادتهما من الأدب بما شقي به ، وحصل أبو الحسن على ثلبهما ، والتشفي بذمهما ، والقعود تحت المثل السائر « أوسعتهم ذما وأودوا بالإبل » وأكثر شعره ملح وظرف ، خفيفة الأرواح ، تأخذ من القلوب بمجامعها . وتقع من النفوس أحسن مواقعها . وجلها في شكوى الزمان وأهله ، وهجاء شعراء أهل عصره ، وما أشبه شعره في الملاحة وقلة مجاوزة البيتين والثلاثة ، إلا بشعر كنية أبي الحسن بن فارس . وأقدر أنه في الجبال، كهو في العراق، وكان يقال في منصور الفقيه : إذا رمى بزوجته قتل ، وكذلك ابن لنكك إذا قال البيت والبيتين والثلاثة أغرب بما جلب ، وأبدع فيما صنع ، فأما إذا قصد القصيد فقلما يفلح وينجح ، وبلغني ان الصاحب كتب على ظهر جزء من شعر ابن لنكك [من المجتث] :

شعر الظّريف ابن لنكك ۝ مهذّبٌ ومحكّكْ[٢]

---

(١) كناية عن الشهرة .

(٢) المحكّك : المراجع والمتقن .

مـذهّـبٌ وممســكٌ بمثــلـه يتمسّــك

* * *

ما أخرج من شعره في الشكوى، وذم الزمان وأهله

قال [من مجزوء الرمل]:

يـا زمـانـاً ألبس الأحــــرار ذلاً ومهـانَـهْ
لســت عنـدي بـزمـانٍ إنّمـا أنـت زِمانهْ[1]
كيف نرجــو منــك خيراً والعـلا فيـك مهـانه
أجنــونٌ مــا نــراه منــك يبــدو أم مجـانه[2]

وقال أيضاً [من الطويل]:

زمــانٌ رأينــا فيه كلّ العجائب وأصبحــتِ الأذنــاب فـوق الذّوائبِ
لو انَّ علــى الأفــلاك ما في نفوسنا تهافتــتِ الأفــلاك مـن كلّ جانب

وقال أيضاً [من الوافر]:

عجائــب فـي زمانــك شاهـدات علــب خـرف مـن الفَلَك المحيطِ
يـرى متيقظــاً مـا لا يـراه إذا مـا نـام آكـل قنَّبيط

لأن له خاصية في توليد السوداء، ويرى أحلاماً ردية .

وقال [من المنسرح]:

عجبــت للـدهـر فـي تصرِّفِـهِ وكـلّ أفعــال دهـرنـا عجبُ
يعانــد الدهــر كل ذي أدبٍ كـأنّمـا نـاك أمَّــه الأدب

---

(١) الزِّمانة : المرض المزمن .
(٢) المجانة : من المجون، وهو العبث والتلهّي .

وقال أيضاً [من الطويل]:

يقولون لي أصبحت في العلم واحداً ... وفي الشعر والآداب مالَكَ ثاني
فقلت صدقتمْ أيّها الناس إنّني ... كذاك ولكن في حرِ أمِّ زماني

وقال أيضاً [من الوافر]:

مضى الأحرار وانقرضوا وبادوا ... وخلّفني الزمان على علوجِ
وقالوا قد لزمْت البيت جدّاً ... فقلت لفقد فائدة الخروج
لمن ألقى إذا أبصرت فيهم ... قروداً راكبين على السروج
زمانٌ عزّ فيه الجود حتّى ... تعالى الجود في اعلى البروج[1]

وقال في المعنى [من البسيط]:

جار الزمان علينا في تصرّفهِ ... وأيُّ دهرٍ على الأحرار لم يجرِ
عندي من الدهر ما لو أنْ أيسرَهُ ... يُلقي على الفلك الدوّار لم يدر

وقال أيضاً [من الخفيف]:

نحن والله في زمانٍ غشوم ... لو رأيناه في المنام فزعْنا
يصبح الناس فيه من سوء حالٍ ... حقّ من مات منهم أن يُهَنّا

وقال أيضاً [من البسيط]:

لا مكّث الله دنيانا فقيمتها ... ليست تفي عند ذي عقل بقيراطِ[2]
دنيا تأبّتْ على الأحرار عاصيةً ... وطاوعَتْ كلَّ صفعانٍ وضرّاط

---

(١) عزّ: ندر.

(٢) لامكّث: لا أبقى، والقراط يختلف وزنه حسب البلاد، في مكة ربع سدس الدينار، وفي العراق نصف عشر.

وقال [من الوافر]:

زمانٌ قد تفرّغ للفضول   يسوِّدُ كلَّ ذي حمقٍ جهولِ
فإن أحببتمُ فيه ارتياحاً   فكونوا جاهلين بلا عقول

وقال أيضاً [من البسيط]:

إن أصبحتْ هممي في الأفق عاليةً   فإن حظّي ببطن الأرض ملتصقُ
كم يفعل الدهر بي ما لا أسرُّ به   وكم يسيء زمانٌ جائرٌ حنِق
كم نفخةٍ لي على الأيام من ضجرٍ   تكاد من حرِّها الأيام تحترق

وقال أيضاً [من المنسرح]:

نحن من الدهر في أعاجيب   فنسأل الله صبر أيوبِ
أقفرت الأرض من محاسنها   فابكِ عليها بكاءَ يعقوب

وقال أيضاً [من الكامل]:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم   وبقيت في خلف بلا أكنافِ[1]
بطيالسٍ وقلانسٍ محشوّةٍ   يتعاشرون بقلّة الإنصاف[2]
ما شئت من حللٍ وفرْه مراكبٍ   أبواب دورهمُ بلا أجواف[3]

وقال أيضاً [من المنسرح]:

لا تخدعنْكَ اللّحى ولا الصور   تسعة أعشار من ترى بقرُ
تراهمُ كَالسّحاب منتشراً   وليس فيه لطالبٍ مطر
في شجر السّرو منهمُ مثلٌ   له رواءٌ وما لَه ثمر[4]

---

(١) في خلفٍ : أي في قومٍ .
(٢) الطيالس : الثياب التي تستر الجسم جمع طيلسان .
(٣) الأفره : الجميل ، والنشيط الخفيف.
(٤) الرواء : المظهر .

كأنه أخذه من قول ابن الرومي [من الخفيف] :

فغدا كالخلاف يورق للعين ويأبى الإثمار كلَّ الإباءِ

وقال أيضاً [من الكامل] :

يا طالباً بالعلم حظاً مسْعدا في ذا الزمان رأيت رأي مخرنقِ

إنفاق علمٍ في زمان جهالةٍ ترجو ودهر عَمىً وسخفٍ مطبقِ

كن ساعياً ومصافعاً ومضارطاً تنلِ الرّغائب في الزّمان وتنفق

أو ما رأيت ملوك عصرك أصبحوا يتجمّلون بكل قاصٍ أحمق

لا تلق أشباه الحمير بحكمةٍ موّه عليهم ما قدرت ومخرق[1]

وقال أيضاً [من المنسرح] :

لم يبق حرّ إليه يختلف بل كلّ نذلٍ عليه مختلفُ[2]

يا فلكاً دار بالنذالة والجهل إلى كم تدور يا خرف

فعاقلٌ ما يبلّ أنملةً وجاهلٌ باليدين يغترفُ[3]

وقال أيضاً [من الطويل] :

لعنتم جميعاً من جوهٍ لبلدة تكنّفهم جهل ولؤمٌ فأفرطا

وإنَّ زماناً أنتمُ رؤساؤه لأهلٌ لأنْ يُخرى عليه ويُضرطا[4]

أراكم تعينون اللئام وإنني أراكم بطرْق اللؤم أهدى من القطا

وقال أيضاً :

عدنا في زماننا عن طريق المكارمِ

---

(١) المخرقة : التلاعب والاحتيال .

(٢) النذل : الخادم ، والوسخ .

(٣) يبلُّ أنملة : كناية عن الكسب ، أي أن العاقل فقيرٌ معدم ، والجاهل يغترف المال اغترافاً .

(٤) لأهلٌ : أي مستحقٌ وجدير .

من كفى الناس شرّه فهو في جود حاتم

* * *

ما أخرج من شعره في الهجاء لأبي رياش

كان أبو رياش باقعة في حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها ، غاية بل آية في هذ[1] دواوينها وسرد أخبارها ، مع فصاحة وبيان ، وإعراب وإتقان ، ولكنه كان عديم المروءة ، وسخ اللبسة ، كثير التقشف ، قليل التنظف . وفيه يقول أبو عثمان الخالدي [من الرجز] :

كأنّما قمل أبي رياش ما بين صئبان قفاه الفاشي[2]
وذا وذا قد لجّ في انتفاش شهدانج بُدِّدَ في حشْحاش[3]

وكان مع ذلك شرها على الطعام، رجيم شيطان المعدة ، حوتي الالتقام ، وثعبان الالتهام، سيء في المواكلة ، دعاه أبو يوسف اليزيدي والي البصرة الى القصعة ، فكان بعد ذلك إذا حضر مائدته أمر بأن يهيأ له طبق ليأكل عليه وحده .

ودعاه يوماً الوزير المهلبي الى طعامه ، فبينا هو يأكل معه إذ امتخط في منديل الغمر ، وبزق فيه ، ثم أخذ زيتونة من قصعة فغمزها بعنف حتى طفرت نواتها فأصابت وجه الوزير ، فتعجب من سوء شرهه ، واحتمله لفرط أدبه .

وفي شره أبي رياش يقول ابن لنكك ما هو في نهاية الملاحة وحسن التعريض [من الوافر] :

يطير إلى الطعام أبو رياشٍ مبادرةً ولو واراه قبرُ[4]

---

(١) الهذّ : هنا سرعة القراءة .
(٢) الصئبان : بيض القمْلِ والبراغيث .
(٣) الشهدانج : حبُّ القنّب ينفع من الحمى والبرص .
(٤) واراه : ستره وأخفاه .

أصابعــه مــن الحلــواء صفــرٌ ولـكنَّ الأخــادع منـه حمـرُ[1]

وأنشدني أبو عبد الله محمد بن حامد الخوارزمي . قال : أنشدني الصاحب لابن لنكك في أبي رياش وكان يطعن على أبي نواس وأبي تمام [من الطويل] :

يقول : ابن هانـي أفسـد الشعـر ضلَّةً وشعـر أبــي تمّــامكم هــو أضيعُ
أبا الريش ،يا صفعان ،صفعات واجبٌ ولـكن مضــى من كان في الله يصفع

وقال أيضاً [من البسيط] :

أبــو رياشٍ بغــى والبغــي مهلكةٌ فشـدّدوا العين تـرمـوه بـآبدتِهْ[2]
عبــدٌ ذليلٌ هجــا للحين سيِّدَهُ تصــحيف كنيتــه في صدغ والدته

وقال فيه أيضاً [من الكامل] :

أأبــا رياش يا قبيح المنظر يا منــكـراً يُنْمــى إلـى مستنـكرِ
تصــحيف كنيتــك التــي كنّيتها في استْ التي حملتك تسعة أشهر

وقال فيه أيضاً [من الكامل] :

نبئــت أن أبــا رياشٍ قد حوى علــم اللغــات وفـاق فيمــا يدّعي
من مخبــري عنــه فإنــي سائلٌ من كان حنَّــكَهُ بـأيْرِ الأصمعي

وقال فيه أيضاً [من الوافر] :

علــى القبــح الفــظيع أبـو رياشٍ يعاشــرنـا بـأخـلاقٍ مـلاحِ
يبيح أكفّنــا أبـداً قفاه فنصــفعـه علــى جهـة المزاح

---

(١) الأخادع : عروق في العنق .
(٢) الآبدة : الداهية ، والقافية الشاردة.

وقال فيه وقد وليَ عملاً بالبصرة [من الكامل] :

قل للـوضيع أبـي رياشٍ لا تبلْ ... تِهْ كلَّ تيْهـك بالـولاية والعملْ[1]
ما ازددت حين وليتَ إلا خِسَّةً ... كالكلـب أنجس ما يكون إذا اغتسل

* * *

ما أخرج من هجائه لجماعة من الأدباء والشعراء

أما هجاؤه للمتنبي فقد أوردته في أخباره ، ولا وجه لإعادته . وقد كان ورد البصرة من ديار ربيعة شاعر يكنى أبا الهيذام كلاب بن حمزة ، وكان ابن لنكك يتولع به ويبدع في هجائه ، كقوله فيه [من البسيط] :

نفسـي تقيك أبـا الهيذام كلَّ أذىً ... إنّـي بكلّ الـذي ترضـاه لي راضي
مـا بال جعسـك مركوبـاً علـى ذكري ... يا أكرم الناس من باقٍ ومـن ماضي[2]
ما كان أيري فقيهـاً إذ ظفـرْتَ به ... فكيـف ألبستـه دنيّةً ألقاضي ؟[3]

وقال فيه ايضاً [من الوافر] :

حوِي يومـاً أبـو الهيذام أيري ... وذاك بمثلـه أبـداً حَرِيٌّ
فبـرنَسَ رأسـه بالجعس حتى ... تنـكّر منـه لي خلـقٌ وزي[4]
فقلـت هديت لم برنسْـت أيري ... فقـال لأن أيـرك قـرمطي

وقال أيضاً [من البسيط] :

أنـت ابـن كل البـرايا لكن اقتصروا ... على اسـم حمـزة وصْفِـاً غير تشميخِ
كدار بطيخ تحـوي كلّ فاكهةٍ ... ومـا اسمهـا الدهـر إلاَ دار بطيخ

---

(١) تهِ : افتخرْ .
(٢) الجعس : الرّجيع .
(٣) الدنيّة : الخسّة .
(٤) برنس : إي ألبسه البرنس ، وهو ثوب رأسه منه ملتصق به ، أو القلنسوة ، الطويلة .

وقال أيضاً [من الكامل]:

يا من تطيَّبَ وهـو من حرق استْه ... قلـقٌ يكابـد كلَّ داءٍ معضلِ
فشـل الصّيال ومـا عهدنـا دبره ... مذ كان يفشـل عن صيال الفيشل[1]
وأراه في الكتب الجليلـة زاهداً ... لا يسـتجيد سوى كتاب المـدخل
قبّلتـه ولثمـت فـاه مسلّما ... لثم الصديق فم الصـديق المجمل
فدنـا إلـيَّ علـى المـكان وقـال لي ... أفـديك مـن متشـوّقٍ متغزّل
إن كنـت تلثمنـي بحـقٍ فاسقني ... بلسـان بطنـك فـي فمـي من اسفل

وقال في الرملي الشاعر[من الوافر]:

لأمٍّ الشاعـر الرملـيٍّ صدغٌ ... صبـورٌ مـا علمـت علـى الدّباغ
فرغـت ولـم تكن فَرَغَـتْ فرامتْ ... إدامـة نيْكهـا حتـى الفـراغ
فقلـت لهـا فديتـك لا تجـوري ... فليس علـى الرّسـول سوى البلاغ

وقال فيه أيضاً [من الرجز]:

إن الرميلـيَّ بليدٌ خـاطرُهْ ... يشعـر مـا دامـت لـه دفاترُهْ

* فالشعراء كلّهم خواطره *

وقال فيه إيضاً [من مجزوء الرمل]:

حـلف الرملـيُّ فيمـا اقـتص عنّـي وحـكاه
يـدّعـي يـوم اصطلحـنـا أننـي قبّلـت فـاه
لـم أقبّـل فـاهُ لكـن قبّلـت نعـلـي قفـاه

(١) الصيال: التوائب والقفز. والفيشل: الضخم الرأس يعني به الذّكر.

وقال في المبرمان النحوي [من الوافر]:

صداعٌ من كلامك يعترينا وما فيه لمستمعٍ بيانُ
مكابرةٌ ومخرقةٌ وبهتٌ لقد أبرمْتنا يا مبرمان[1]

* * *

ما أخرج من شعره في الغزل والشراب

قال [من الوافر]:

حبيبٌ جفْوتي فرضٌ عليه مفرٍّي في الهوى منه إليهِ
إذا لحظاته قتلتْ محبّاً تَشَحَّطَ منه في دم وجنتيه[2]

وقال أيضاً [من الوافر]:

أتطمع أن تحبّ ولا جفونٌ مؤرّقةٌ ولا قلبٌ جريحُ
فأين هوىً تذوب به وتبلى أراك تظنُّ أنَّ الزمر ريح[3]

وقال أيضاً [من الوافر]:

وروضٌ عبقريّ الوشي غضٌّ يشاكل حين زخْرف بالشقيقِ[4]
سماء زبرجدٍ خضراء فيها نجومٌ طالعاتٌ من عقيق
خليليَّ اسْقياني الراح صرفاً إذاً وحريق قلبي بالرّحيق
ذراني قبل أن ألقى حمامي أشوب بريق من أهواه ريقي

---

(١) البهت : الزور والكذب ، والبرم : القرف والملل .
(٢) تشحّط : تخبّط واضطرب .
(٣) الزمر : صوت المزمار.
(٤) الشقيق : زهرٌ أحمر .

وقال أيضاً [من الخفيف]:

قد شربنا على شقائق روضٍ شربت عبرة السّحاب السكوبِ
صبغتْ من دم القلوب فما تبـ ـصر إلاّ تعلّقت بالقلوب

وقال أيضاً [من المنسرح]:

أمرُ غدٍ أنت منه في لبس وأمس قد فات فاله عن أمسِ
وإنما العيش عيش وقتك ذا فبادرِ الشمس بابنة الشمس

وقال أيضاً [من الوافر]:

أقول لصاحبي والراح روحٌ لجسم الكأس في كفّ النديمِ
وقد حبس الدجى عنّا بواكٍ تسيل نفوسها فوق الجسوم
ونحن من المسرّة في سماءٍ فمن سارى الضياء ومن مقيم
شموعك والكؤوس مع الندامى نجومٌ في نجومٍ في نجوم

وقال في قلة شربه وسرعة سكره [من الوافر]:

فديتك لو علمت ببعض ما بي لما جرّعتني إلاّ بمسعطْ[1]
فحسْبك أنَّ كرماً في جواري أمرّ ببابه فأكاد أسقط

وله في مثل ذلك [من المجتث]:

لو أنني مسعيٌّ شربت ما شئت حيناً
لكنني عهديٌّ فاعرف حديثي يقينا
قرأت عهدة كرمٍ فكان سكري سنينا

---

(١) المسعط: الإناء الذي يجعل فيه السَّعوط.

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل]:

أيهـا الشيخ الـذي برّ ... ز قدمـاً في السيـادهْ
والـذي أعطـاه أهـل الـ ... أرض في السّبـق المقاده
وأقـرّ الـكلُّ منهـمْ ... أنّـه عيـن القـلاده
أنـا يكفينـي مـن المشـ ... روب مـا يكفـي جراده
وحديثـي طـال فيـه ... مثـل تفسـير قتاده[1]
وهـو إبـرامٌ ونقضٌ ... فاكفِنـي فيـه الإعاده[2]

* * *

ما أخرج من ملحه في سائر الفنون

قال [من الطويل]:

تولّـى شبـابٌ كنـت فيه منعّماً ... تروح وتغـدو دائـم الفرحاتِ
فلسـت تلاقيه ولـو سرت خلفه ... كمـا سار ذو القـرنين في الظّلمات

وقال [من الطويل]:

فراقُ أخلائـي الـذين عهدتهم ... يوكِّلُ قلبـي بالهمـوم اللّوازمِ
ومـا ذا أرجّي من حياةٍ تـكدَّرتْ ... ولو قد صفَتْ كانت كأضغاث حالم[3]

وقال أيضاً [من الكامل]:

نكرتْ نحولـي وهـو من فرط الأسى ... لفـراق إخـوانٍ علـيَّ كـرامِ
وتعجّبـتْ للشيب ، لا تتعجّبي ... هـذا غبـارُ وقـائـع الأيّام

---

(۱) قتادة : أحد رجال الحديث والمفسرين .
(۲) الإبرام : العقد ، والنقض : التحلّل منه .
(۳) الأضغاث : الأوهام .

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز [من الكامل]:

قالت كبرْتَ وشبتَ قلت لها ... هذا غبار وقائع الدهرِ

وقال أيضاً [من الوافر]:

إذا خفق اللواء عليٌّ يوماً ... وقد حمل امرؤ القيس اللِّواءَ[1]
رجوت الله لا أرجو سواه ... لعلّ الله يرحم من أساءَ

وقال أيضاً [من البسيط]:

إذا أخو الحُسْن أضحى فعله سمجاً ... رأيت صورته من أقبح الصورِ[2]
وهبْك كالشمس في حسنٍ ألم ترنا ... نفرٌ منها إذا مالت الى الضَّرر

أخذه الصاحب فقال [من المتقارب]:

يقال تركت الذي حسنه ... يكاد يخجِّل شمس الضحى
فقلت وشمس الضحى تحتمي ... إذا بسطتُ في المصيف الأذى

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل]:

نحن بالبصرة في لو ... نٍ من العيش ظريفِ
نحن ما هبَّتْ شمال ... بين جنّاتٍ وريف
فإذا هبّت جنوبٌ ... فكأنّا في كنيف

وقال أيضاً [من مجزوء الرمل]:

ليس في البصرة حرٌّ ... لا، ولا فيها جوادُ

---

(١) خفق : أي ظلّله وعلاه ، وخفقت الأعلام : ارتفعت وتحرّكت بالهواء .
(٢) السمج : المكروه المستثقل .

إنّما البصرة أنشا بٌ ونخلٌ وسماد[1]

* * *

١٢٢ ـ ابنه أبو إسحاق إبراهيم

شاعر مجيد ، لم يتصل بي من شعره غير ما أنشدته له معارضاً قول أبيه [من السريع]:

وعصبةٍ لمّا توسطتهم ... صارت عليَّ الأرض كالخاتمِ
كأنّهم من سوء أفهامهم ... لم يخرجوا بعدُ إلى العالم
يضحك إبليسُ إذا زارهم ... لأنهم عارٌ على آدم

بقوله [من السريع]:

لا تصلح الأرض ولا تستوي ... إلا بكم يا بقر العالمِ
من قال للحرث خلقتم فلم ... يكْذب عليكم لا ولم يأثم
ما أنتمُ عارٌ على آدمٍ ... لأنّكم غير بني آدم

وقال أيضاً [من السريع]:

وليلةٍ أرّقني طولها ... فبتّها في حيرة الذاهلِ
كأنما اشتقت لإفراطها ... في طولها من أمل الجاهل

وقال أيضاً [من المنسرح]:

يا سفلاً أوقظوا بخسّتهم ... لكنْ عن الجود والنّدى ناموا
لا تكذبوا صحّ أنكم نعمٌ ... عندكم للزمان أنعام[2]

* * *

(١) الأنشاب : جمع نشب ، وهو الحطب وشجر القسي.
(٢) النعم : الحيوانات الداجنة .

١٢٣ ـ أبو عبد الله الحسين بن علي النمري

صاحب أبي رياش وابن لنكك ، وكان من صدور البصرة في الأدب والشعر ، وقد جمع الحفظ الكثير الغزير ، والعلم القوي القويم ، والنظم الظريف المليح .

فمما سار من ذلك قوله من قصيدة في ذي الكفايتين أبي الفتح ، وكان ورد عليه الري فأحسن إليه ووصله بصلة حسنة فيها دراهم في كل درهم منها خمسة دراهم وفيها أيضاً دنانير كل دينار منها بخمسة دنانير ، واستهلالها [من الكامل] :

واهاً لأيام الصبابة واها ... بل آه من تذكارهنّ وآها[١]
فالى الحرينة فالجنينة فالربى[٢] ... مغنى الأحبة حبّذا مغناها[٣]
روضٌ كلفْتُ بنوره وبنوْره ... وربى ألفت هواءها وهواها
أصبو إلى أترابها وترابها ... ومهاة عيشي في ظلال مهاها
فيهنّ شمسٌ لا تروم عيوننا ... حذر العيون سناءها وسناها
نمريّة من دونها متنمّر ... أخشى شباه تارةً وشباها[٤]
ماذا على النمر الكرام عشيرتي ... لو ضمّ بين فتاتها وفتاها
فتيان صدقٍ كالشموس تعوّدت ... قنص النفوس ظباؤها وظباها
يا من لنفسٍ شطرها في بلدةٍ ... بذرى العراق وشطرها بسواها
ظمئي إلى حوِّ الشفاه ، وإنما ... حوّ الشفاه سقامها وشفاها[٥]
ظمأ الهمام إلى المكارم والعلا ... وقد ارتوى منها كما أرواها

---

(١) واهاً : كلمة تلهّف على مافات من الأيام الطيّبة .
(٢) الحرينة والجرينة : موضعان .
(٣) المهاة الأولى : البلور الصافية ، والمِهى الثانية : كناية عن النساء .
(٤) السِّبا : اشتعال النار ، أو الحدُّ القاطع .
(٥) حوّ الشفاء : أي تميل الى السّمر والسواد

وجلست في النادي الـذي حاز الندى | من جنّـةٍ دانٍ إلـيَّ جنـاها
دارٌ عـرفـت معانقـة الـكرى | وأخـذت حظّـي لهـوهـا ولهاهـا
عاتبـت مـكرمـة الزمـان فأعتبت | فيهـا ونـاجيت السـرور شفاها
ملكٌ أغـرّ وبـركةٌ لجيّـةٌ | في روضـةٍ تعـطـي العيون رضاهـا
يحبـوك ذا المـال الجـزيل وهــذه الــــماء المعين وهــذه رياها
روضٌ إذا جـرت الـرياح مريضةً | في زهـرة استشْفَـتْ به مرضاها
وإذا تقابلـت النـدامـى وسطـه | سكر الصّحـاة كمـا صحـا سـكراهـا
يتسلسـل المـاء الـزلال خـلاله | فتخالـه الحيّات خفّ سـراها
تنسـلّ أو تنسـاب غـير لواذعٍ | فكأنّمـا وشـى الحبـاب رقاها[1]
وأخـذْت من أقمـاره وشموسه | من تبـره ولجيْنـه أشبـاها
من أبيضٍ يقـقٍ وأصفَـر فاقعٍ | لو مِعْـنَ كنَّ سلافـةً ومياها[2]
قد ضوعفـت زنـةً فزادت زينةً | يجلـو القـذى عنّـا جلاء قذاها
خيفـت عليهـن العيون فعوّذت | باسـم الإله وباسـم شاهنشاها
يا ابـن العميد عميد دولتـه الذي | بلسانـه وسـنـانه سنّـاهـا
ما أنـت إلاّ صحّـةٌ مكـلوءةٌ | تتقـاصـر الأفهـام دون مـداها
فإذا مرضـت ولا مـرضـت فإنّه | مـرض الـريـاح يطيب فيه ثناها
لم تنسِـكَ الأمـراض ذكر صنائعٍ | تُوْلـي وشـكر صنائـعٍ تـولاها
فاسلـم لدولتـك التـي وطّـدتها | ورعيت أولاهـا علـى أحـراها[3]

وله من قصيدة كتب بها إلي وبأختها التي تقدمتها أبو سعيد بن دوست كعادته.

---

(١) رقاها : صعودها .
(٢) اليقق : الشديد البياض ، والفاقع : الذي لا يخالطه لون آخر ، ومعن : ماضٍ مسند لنون النسوة ، ماع يميع : أي سال .
(٣) وطّدتها : أرسيت دعائم ملكها .

المشكورة في مهاداتي بطرائف الآداب التي تصلح لهذا الكتاب [من مجزوء الكامل]:

سرت النجائب بالنجائبْ ترمي الكواكب بالكواكبْ[1]
ترمي تجاهات المشا رق من تجاهات المغارب
رغباً إلى ملكٍ تحكّم في رغائبه الرغائب
ملكٌ تبوّأ من علا ه في النواصي والذوائب
حيث السوابغ والسوا بق والنجائب والجنائب[2]
يهب المنعّمة الكوا عب والمطهّمة السلاهب[3]

ومنها:

زرناك من أرض البصيـ ـرة شاحبين على شواحبْ[4]
نرد المناهل كالمجا هل والسباسب كالسبائب[5]
لاريّ دون الريّ والـ ـبحر الغطامط ذي الغوارب[6]
بحرٌ جواهره طوا فٍ في سواحله رواسب
لا دونها اللجج الكوا رب لا ولا اللجج الكواذب[7]
كم من ظباءٍ بالبصيـ ـرة في المقاصر والسباسب[8]
إنس ووحشٌ يشتبهـ ـن سوى الذوائب والحقائب

---

(١) النجائب: النوق، والنجائب من القوم: السادة وقد جانس هنا جناساً تاماً.
(٢) السوابغ: الدروع.
(٣) المطهّمة: الخيول، والسلاهب: الطويلة.
(٤) الشواحب: النوق الهزيلة.
(٥) السباسب: القفار.
(٦) الغطامط: كثير الأمواج وغزير الماء.
(٧) الكوارب: التي تحدث الغمّ والكرب.
(٨) المقاصر: الأخبية.

أدمٌ يقاسمن الأرا ك جناه والقضب الرطائب
فلإنسها أغصانه تجلو به برد السحائب
ولوحشها غضّ الجنى عبث المعازف والملاعب
نصطاد وحشياتها وتصيدنا الإنس الخراعب [1]
يا ربّ يومٍ لي كظلّك أو كظنّك أو يقارب
رقّت حواشيه وغضّت عين واشيه المراقب
قصرت لنا أطرافه قصر القناع عن الذوائب [2]
وتبرّجت لذّاته للخاطبين وللخواطب [3]
نزلت به حاجاتنا بين المحاجر والحواجب
وكسونني حللاً صقلن خواطري صقل القواضب [4]
حللاً قديباج الخدو د مطّرزات بالشوارب
فلتشكرنّ رياضنا جدوى سحائبك الصوائب
ولتنظمنّ لك القصا ئد كالقلائد للكواعب [5]

* * *

١٢٤ - المفجع البصري

هو أبو عبد الله الكاتب ، له مصنفات كثيرة، وهو صاحب ابن دريد والقائم مقامه بالبصرة في التأليف والإملاء، وفيه قيل [من مجزوء الكامل] :

إن المفجّع ويله شرٌّ الأوائل والأواخرْ

---

(١) الخراعب : جمع خرعبة ، وهي الشابة الحسنة الخلق البيضاء الجسيمة .
(٢) الذوائب : خصلات الشعر في أعلى الجبين .
(٣) تبرّجت : تزيّنت وأسفرت .
(٤) القواضب : السيوف القواطع .
(٥) القلائد : جمع قلادة ، وهي ما تضعه الفتاة في عنقها من عقد أو حليّ والكواعب الفتيات النواهد .

ومن النوادر أنّه يملي على الناس النوادر

كأنه من قول أبي تمام [من الوافر] :

ومالك بالغريب يدٌ ولكنْ تعاطيك الغريب من الغريب

أو من قول الآخر [من مجزوء الكامل] :

ومن المظالم أن قعدت على المظالم يا فزارهْ

وأما شعره فقليل كثير الحلاوة. يكاد يقطر منه ماء الظرف ، حكى أبو بكر الخوارزمي قال : قال لي اللحام : أنشدني المفجع لنفسه [من الخفيف] :

ليَ أيرٌ أراحني الله منه صار همّي به عريضاً طويلا
نام إذ زارني الحبيب عناداً ولعهدي به ينيك الرسولا
حسبت زورةً عليَّ لحيني فافترقنا وما شفينا غليلا

فقلت فيه [من الكامل] :

إنّ المفجّع فالعنوه مؤنّثٌ نغلٌ يدين ببغض أهل البيت[1]
يهوى العلوق وإنّما يلقاهم بمؤخَّرٍ حيٍّ وقُبْلٍ ميت[2]

وأنشدني أبو الحسين الشهرزوري الحنظلي . قال : أنشدني المفجع لنفسه في غلام له يكنى أبا سعد [من الخفيف] :

زفراتٌ تعتادني عند ذكرا ك وذكراك ما يريم فؤادي
وسروري قد غاب عنّي مذ غبـ ـتَ فهل كنتما على ميعاد
حاربتْني الأيام فيك أبا سعـ ـدٍ بسيف الهوى وسهم البعاد

---

(١) النغل : ابن الزنى .
(٢) العلوق : الأولاد.

ليس لي مفزع سوى عبراتٍ من جفونٍ مكحولةٍ بالسّهاد
في سهادي لطول أنسي بذكرا ك اعتياضٌ عن الكرى والرقاد[1]
وبحسبي من المصائب أنّي في بلادٍ وأنتمُ في بلاد

وأنشدني أبو نصر الروذباذي الطوسي للمفجع [من الهزج]:

ألا يا جامع البصرة لاخَرَّبَكَ اللّهُ
وسقّى صحنك المزن منَ الغيث فروّاه
فكم من عاشق فيك يرى ما يتمناه
وكم ظبي من الإنس مليحٍ فيك مرعاه
نصبنا الفخّ بالعلم له فيك فصدناه
بقرآنٍ قرأناه وتفسيرٍ رويناه
وكم من طالبٍ للشعر بالشعر طلبناه
فما زالت يد الأيام حتى لان مثناه
وحتى ثبّت السرج عليه فركبناه
ألا يا طالب الأمرد كذْبٌ ما ذكرناه
فلا يغررْك ما قلنا فما بالجدّ قلناه
ولو كان من البعض بريًّا حين نلقاه
فرح بالدرهم الضرب إليه تتلاقاه
فبالدرهم يستنزل ما في الجو مأواه

ومن ملحه المشهورة قوله لإنسان أهدى إليه طبقاً فيه قصب السكر وأترج ونارنج وأراه أبا سعد غلامه فقال [من مجزوء الرمل]:

إنّ شيطانك في الظرف لشيطانٌ مريدُ[2]

---

(١) الكرى : النعاس .
(٢) المريد : الخبيث المتمرّد الشرّير .

فلهــذا أنــت فيـه تبتــدي ثم تعيــدُ
قــد أتتنـا تحفــةٌ منـــــك علــى الحســن تزيدُ
طبــقٌ فيــه قــدودٌ وخــدودٌ ونهــود

وقوله في غلام مغن جدر فازداد حسناً [من السريع] :

يا قمــراً جدّر حيـن استوى فزاده حسنــاً وزادت همومُ
كأنمـا غنّــى لشـــمس الضحى فنقّطتــه طـربـاً بالنجـوم

وقوله أيضاً [من الخفيف] :

سيدي أنــت إنَّ عبــدك أمسى خافقــاً قلبــه خفــوق الجناحِ
فاغتنـم غفلــة الــرقيب وزرْه في رداءٍ من الدجــى ووشاح

وقال ، ويروي لابن لنكك [من السريع] :

لنــا ســراجٌ نـوره ظلمةٌ ليس له ظلٌّ علــى الأرض
كأنّــه شخص الإمــام الذي تبغـي الهـدى منـه أولـو الرفض[1]

ومن ظريف قوله في الهجاء [من السريع] :

فسـا علــى قومٍ فقالــوا له إن لم تقـم من بيننــا قمنا
فقــال لا عـدت فقالــوا له من نتــن فيه ذا كمــا كنا

ووجدت بخط أبي الحسين علي بن أحمد بن عبدان في مجموعة المسمى حاطب ليل للمفجع البصري يقول [من الوافر] :

أداروهــا ولليل اعتكـارٌ فخلــت الليل فاجــأه النهارُ
فقلــت لصاحبــي والليل داجٍ ألاح الصبــح أم بدت العقار

(١) أولو الرفض : أي الشيعة .

فقــال هي العقــار تداولوها　　مشعشعــةً يطير لهــا شرار
فلــو لا أنني أمتــاح منها　　حلفت بأنهـا في الـكأس نار [1]

* * *

١٢٥ ـ نصر بن أحمد الخبز أرزي

كنت على طي شعره وذكره، إما لتقدم زمانه أو سفسفة كلامه ، ثم تذكرت قرب عهده وتكلف ابن لنـكك جمـع ديوان شعـره . فسنـح لي أن أضمـن هذا الكتاب. لمعاقد علقت بحفظي منه ، والإعراض عن التصفح لباقي شعـره وتـرك الفحص عما يصلح للإلحاق بها من ملحه ، وعلى ذكره. فقد بلغني من غير جهة أنه كان أمياً لا يكتب ولا يتهجى، وكانت حرفته خبز الأرز في دكانه بمربد البصرة، فكان يخبز وينشد أشعـاره المقصـورة علـى الغـزل والنـاس يزدحمـون عليه ، ويتطرفون باستماع شعره ، ويتعجبون من حاله وأمره . وأحداث البصرة يتنافسون في ميله إليهم وذكره لهم ، ويحفظون كلامه لقرب مأخذه وسهولتـه. وكان ابـن لنكك ـ على ارتفاع مقداره ـ ينتاب دكانه ويسمع شعره . فحضره يوماً وعليه ثياب بيض فاخرة فتأذى بالدخان وساء أثره على ثيابه، فانصرف وكتب إليه [من الوافر] :

لنصــرٍ في فؤادي فرط حبٍّ　　ينيف به علــى كلّ الصحابِ [2]
أتينــاه فبخّرنـا بخوراً　　من السّــعف المـدخّــن بالتهاب
فقمــت مبــادراً وحسبــت نصراً　　يريد بذاك طردي او ذهابي
فقــال متــى أراك أبــا حسينٍ　　فقلــت له إذا اتّسخــت ثيابي

فلما قرئت عليه الرقعة التي فيها هذه الأبيات، أملى على من كتـب له في

---

(١) أمتاح : أغرف .
(٢) ينيف : يزيد .

ظهرها هذه الأبيات [من الوافر]:

منحت أبا الحسين صميم ودّي فداعبني بألفاظٍ عذابِ
أتى وثيابه كالشيب لوناً فعدْن له كريعان الشباب
وبغضٌ للشيب أعدّ عندي سواداً لونه لون الخضاب
فإن يكن التفزز فيه فخراً فلم يكنى الوصيُّ أبا تراب [1]

ويحكى أنه ما كشف قناع الغربة قط لقصور همته على المذكر دون المؤنث وشعره شاهد بذلك : فمن النوادر أن شاعراً يكنى بزعمه أبا طاهر انتمى إليه وورد نيسابور بأشعار تناسب دعوته، وانتحل كثيراً من محاسن السري والخالديين وغيرهم من المحسنين، الذين لم تقع أشعارهم بعد إلى خراسان، حتى تقشر قلمه، وظهر عواره وخزيه ، وجرى أمره على ما قاله أحمد بن طاهر [من البسيط]:

أظنّ دعوته في الشعر جائزةً له عليٌّ كما جازت على النّسبِ

وفيه يقول أبو بكر الخوارزمي [من المنسرح]:

يقول تصرٌ أبي فقلت لهم عندي بهذا شهادة حسنَهْ
نعم ولكنْ أمّه حملتْ من بعد ما مات شيخه بسنه

فمن ملح نصر قوله [من الطويل]:

خليليّ هل أبصرتما وسمعتما بأكرمَ من مولىً تمشّى الى عبدِ
أتى زائراً من غير وعدٍ وقال لي أصونك عن تعليق قلبك بالوعد
فما زال نجم الكأس بيني وبينه يدور بأفلاك السعادة والسّعدِ

---

(١) التفزّز : فزته وبززته : إذا غررته وغلبته . والوصيّ : الإمام علي عليه السلام ، وقد كناهُ الرسول ﷺ بهذا اللقب فكان أحبّ الألقاب إليه .

فطـوراً علـى تقبيل نرجس ناظرٍ وطـوراً علـى تعضيض تفّاحـة الخدّ

وقوله [من مجزوء الرمل]:

مـن يكن يهـواه للخلـــــق فإنّـي عبـد خُلقِهْ
إن حســن الخلـق أبهى للفتـى من حسـن خَلقِهِ

وقوله [من البسيط]:

قالـوا عشقـت صغيراً قلـت أرتـع في روض المحاسـن حتـى يدرك الثمرُ[1]
ربيع حســنٍ دعانـي لافتتـاح هوى لمّـا تفتّـح منه النَّـوْر والزهر[2]

وقوله [من المنسرح]:

وددت أنّـي بكفّـه قلمٌ أو أننـي مدّة علـى قلمِهْ
يأخذنـي مرّةً ويلثمني إن علقـت منـه شعـرة بفمه

وقوله [من البسيط]:

قد قلت إذ خان صبري من كلفـت به ولـم يكن عنـه لي صبـرٌ ولا جلدُ[3]
إن كان شاركنـي في حبّـه وقحٌ فالنهـر يشـرب منـه الكلـب والأسد

وقوله [من الكامل]:

لا تعشقـنّ ابـن الـربيع فإنّه عنـد التجـرّد آية الآياتِ
وجـه كعبّـادانَ ليس وراءه لمحبّه شيءٌ سوى الخشبات[4]

---

(١) أرتع : أمرع وأتنعّم .
(٢) النّور : الأكمام من الزهر .
(٣) كلفت به : عشقته .
(٤) عبادان : جزيرة ، والخشبات : موضع وراءها .

وقوله [من الخفيف]:

تتجنّى عليّ ذنباً وتعتلّ بأنْ قد رأيت منّي ذلّهْ
لعن الله قَربةً ليس فيها لفتىً يطلب التعلّة علّه

وقوله [من الطويل]:

ألم يكفني ما نالني في هواكمُ إلى أن طفقتم بين لاهٍ وضاحكِ[1]
شماتتكم بي فوق ما قد أصابني وما بي دخول النار بل طنز مالك[2]

وأنشدني أبو القاسم الحسين بن محمد بن حبيب المذكور، قال: أنشدني عبد السميع بن محمد الهاشمي، قال: أنشدني نصر بن أحمد الخبز أرزي لنفسه [من الخفيف]:

شاقني الأهل لم تشقني الديارُ والهوى صائرٌ إلى حيث صاروا
جيرةٌ فرّقتهم غربة البين وبين القلوب ذاك الجوار
كم أناسٍ رعوا لنا حين غابوا وأناسٍ جفوا وهم حضّار[3]
عرضوا ثم أعرضوا، واستمالوا ثم مالوا، وأنصفوا ثم جاروا[4]
لا تلمْهم على التجنّي فلو لم يتجنّوا لم يحسن الاعتذار

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه له من قصيدة [من البسيط]:
ورد الخدود ورمان النهود وأغصان القدود تصيد السّادة الصّيدا[5]

---

(١) طفقتم: ظفرتم وجعلتم.
(٢) الطنز: السخرية والاستهزاء.
(٣) رعوا المودة: وصلوها وحنّوا إليها.
(٤) أعرضوا: صدوا وأشاحوا.
(٥) الصيد: الكرام السادة.

شرطي إذا ما رأيت الخصر مختصراً والردف مرتدفاً والقدّ مقدوداً

* * *

١٢٦ - أبو عاصم البصري

أنشدني أبو سعيد نصر بن يعقوب لأبي عاصم في اقتران الهلال والثريا والزهرة [من المتقارب] :

رأيت الهلال وقد أحدقته نجوم الثريا لكي تسبقَهْ
فشبّهته وهو في إثرها وبينهما الزّهرة المشرقه
بقوسٍ لرامٍ رمى طائراً فأتبع في إثره بندقه[١]

وله في اقتران الهلال والزهرة [من الخفيف] :

قارن الزهرة الهلال، وكانا في افتراقٍ ما بين صدٍّ وهجرهْ
فإذا ما تقارنا قلت طوقٌ من لجينٍ قد علّقت فيه درّه

وله في الغزل [من الرمل] :

يا بنفسي من إذا جمّشته نثر الورد عليه ورقه[٢]
وإذا مدت يدي طرّته أفلتت مني وعادت حلقه[٣]

* * *

١٢٧ - أبو الحسين الظاهر البصري

أنشدني أبو علي محمد بن عمر الزاهر . قال : أنشدني أبو الحسين الظاهر البصري لنفسه قوله [من البسيط] :

نفسي الفداء لمن جاءت تودّعني يوم الفراق بقلب خائفٍ وجلِ

---

(١) البندق : رصاص صغير كروي الشكل يستعمل في بعض القذائف للقتال والصّيد .
(٢) جمّشته : داعبته .
(٣) الطرّة : الخصلة من الشعر التي تعلو الجبين .
(٤) الوجل : الخوف .

قد كنت فارقتُ روحي خوفَ فرقتِها   لكن حييت بطيب الضّم والقبل

وله من قصيدة في مفصود [من البسيط]:

كأنّما دمه في الطست حين جرى   صرفٌ من الراح في قعبٍ من الذهبِ[1]
حتى إذا رجعت في كمه يده   كالشمس غابت عن الأبصار في الحجب
كانت كما قال في القرآن خالقنا   واضمم جناحك يا موسى من الرهب

وله في وصف حيّة قتلها في بعض أسفاره [من الرجز]:

عرفت في الأسفار ما لم أعرف   من كل موصوفٍ وما لم يوصفِ
آليت لا أنصف من لم ينصف   ولا أفي دهري لخلٍّ لا يفي
سرت وصحبي وسط قاعٍ صفصف   إذ أشرفت من فوق طودٍ مشرف[2]
رقشاء ترنو من قليبٍ أجوف   تومي برأسٍ مثل رأس المجدف[3]
في ذنب مندمجٍ معقّف   حتى إذا أبصرتها لا تنكفي[4]
علوتها بحدّ سيفٍ مرهف   فظل يجري دمها كالقرقف[5]

* أتلفتها لما أرادت تلفي *

(١) الصرف من الراح : الخمرة الصافية ، والقعب : الإناء .
(٢) الصفصف : المستوى المنخفض والطود : الجبل .
(٣) القليب : البئر .
(٤) تنكفي : تتراجع وتهرب .
(٥) المرهف : الحاد القاطع ، والقرقف : الخمرة .



الباب السادس

في ذكر نفر من شعراء العراق ونواحيها ، سوى بغداد
وسياق ملحهم ولطائفهم

١٢٨ ـ ابن التمار الواسطي

شعره يتغنى بأكثره ملاحة ورشاقة ، وإنما كان يقوله تطرباً لا تكسبا ، وقد بلغني به أبيات قلائل إلا أنها قلائد، كقوله [من البسيط]:

أما ترى اليوم في أثوابه الجدد ... يحكيك يا غرّة الأيام والأبدِ
فاشرب وسقّ الندامى من مشعشعةٍ ... كلون خدّك لم تنقص ولم تزد
على غدير إذا هبّ النسيم به ... أبصرته من حبيك الريح كالزّرد[1]

وله [من الكامل]:

الخمر شمسٌ في غلالة لاذٍ ... تجري ومطلعها من الخرداذي[2]
فاشرب على طيب الزمان فيومنا ... يوم التذاذٍ قد أتى برذاذِ
وانظر إلى لمع البروق كأنها ... يومَ الضِّراب صفائحُ الفولاذ

وقوله عفا الله عنه [من البسيط]:

قم فانتصف من صروف الدهر والنُّوَبِ ... واجمع بكأسك شمل اللهو والطربِ

---

(١) الحبيك : النسج .
(٢) اللاذ : حرير أحمر صيني والخرداذي : الخمر .

أمـا ترى الليل قد ولّـت عساكره | مهزومـةً وجيوش الصبـح في الطّلب
والبـدر في الجانـب الغربـيٍّ تحسبه | قد مدّ جسراً علـى الشـطّيْن من ذهب

* * *

١٢٩ ـ أبو طاهر الواسطي المعروف بسيدوك

شعره يروى حين يروي، ويحفظ حين يلحظ، وما لظرفه نهاية، ولا للطفه غاية ، ولا عيب فيه غير أن الذي وقع إليّ منه قليل يلتقي طرفاه ، وتجتمع حاشيتاه ، وديوان شعره ضالتي المنشودة، ودرتي المفقودة، ولا بأس من حصوله ، أنشدني كل من أبي طاهر ميمون بن سهل الواسطي الفقيه وأبي الحسن المصيصي ومحمد بن عمر الزاهر قال : أنشدني سيدوك لنفسه ، وهو أحسن وأبلغ ما سمعته في طول الليل [من البسيط]:

عهـدي بنـا ورداء الشمـل يجمعنا | والليل أطولـه كاللّمـح بالبصرِ
فالآن ليلـيَ مذ غابـوا فديتهمُ | ليل الضّـرير فصبحـي غير منتظر

وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان له [من الوافر]:

أراح الله نفسـي من فؤادٍ | أقـام علـى اللجّاجـة والخلافِ[١]
ومـن مملـوكةٍ ملـكت رقاها | ذوي الألبـاب بـالخـدع اللّطاف
كأن جوانحي شـوقـاً إليها | بنـات المـاء ترقص في حقاف[٢]

وأنشدني ميمون الواسطي، قال : أنشدني سيدوك لنفسه [من الوافر]:

أظـن بليّةً دهمـتْ فـؤادي | وأحسبهـا غـزال بنـي سليم
وإلاّ لم يغـبَّ فتعـتريني | مـذلّـة ضيمـه مـن غير ضيم ![٣]

---

(١) اللجاجة : الإلحاح .
(٢) الحقاف : جمع حقف ، وهو المعوج من الرمل .
(٣) يغبّ : يبتعد .

ولــي عينٌ إذا فقدتــه صارت كعين الشــمس مـلبســةً بغيم

وأنشدني له أيضاً [من مخلع البسيط]:

أنــت من القلــب في السواد وموضــع الســرّ من فؤادي
يا ساكنــاً في سواد عيني وبينُ جفــنــي والـرقـادِ
لــم تنــأ لمّـا نـأيت عنّي ولا تبــاعــدت بالبعــاد

وأنشدني أيضاً له [من الطويل]:

جنت صبحة الأضحـى علـيَّ فأذهبتْ فؤادي فلا ضرّي ملـكت ولا نفعي
فيا يوم عيد النحــر ما لك مهدياً لنحريَ سهم النحر نبّت عن الشّرعِ [1]

وله من أبيات [من مجزوء الكامل]:

حــذري عليك أشــدّ من حذري علـى بصــري وسمعي
إن كنــت تنـكر ما أقو ل فهـاك سـل سهـري ودمعي

ووجدت منسوباً إليه في بعض التعليقات [من المتقارب]:

جعلــت فداءك قـد زارني أخــلاّء أعظـم أقـدارهمْ
وعزمــي أكون لهــم ساقياً فكن بأبــي أنــت خمّارهمْ

* * *

١٣٠ ـ أبو عبد الله الحامدي

حامدة : من أعمال واسط ، ولم يبلغني ذكر هذا الرجل إلا ممـا أنشـدنيه ميمون الواسطي ، قال : أنشدني أبو عبد الله لنفسه بالحامدة [من البسيط]:

مشتاقــةٌ طرقــتْ في النــوم مشتاقا أهـلاً بمـن لم يخـنْ في العهـد ميثاقا

---

(١) نبّت : جاوزت وأعرضت .

أهلا بمـن ساق لي طيف الأحبّة من أرض الأحبة ، بل أهـلاً بمـن شاقا[1]
يا زائـراً زار من قربٍ علـى بعد آنسـت مستوحشـاً لا ذقـت ما ذاقا
الله يعلـم لو أنّـي استطعـت لقد أفرشـت ممشـاك احداقـاً وآماقا[2]
يا ليل عرِّجْ علـى إلفين قد جعلا عقـد السواعـد للأعنـاق أطواقا
ضاق العنـاق وضـمّ الشـوق بينهما ضمّ القـرينْين أعناقـاً فأعناقا

وأنشدني له أيضاً [من الكامل] :

قل للمليحـة في الخمـار المشمشي كم ذا الـدلال عدمـت كلّ محرّشِ[3]
يا من غدا قلبـي كنـرجس طرفها في الحـبّ لا صاحٍ ولا هو منتشي
هذا الـربيع بصحـن خدك قد بدا لمقبّـلٍ ومعضّـضٍ ومخمّشِ
فمتـى أبيـت معـانقـاً لبهـاره ولـورده المستـأنـس المستـوحش[4]

وأنشدني له أيضاً [من الطويل] :

سقانـي وحيّانـي وبـات معـانقي فيا عطف معشـوقٍ علـى ذلّ عاشقِ
ويا ليـلـةً باتــت سواعدنـا بها تدور علـى الأعنـاق دور المخانق
نبـثٌّ من الشـكوى حديثـاً كأنه قلائـد درٍّ في نحـور العواتق[5]

وأنشدني له [من الكامل] :

يا راحـلاً تـرك البـكاء مباحا مـا رحت أنـت ، بـل اصطباري راحا
إن اخلفتْنـي فيك أسبـاب المنى وغـدوْت لي سقمـاً وكنـت صلاحا

---

(١) شاق : أتعب .
(٢) الآماق : مجاري الدمع .
(٣) المحرّش : المفسد .
(٤) البهار : الضوء والبياض .
(٥) العواتق : الفتيات في أوّل نهادهن .

فلقد عهدتك مسعداً لي في الهوى وعهدت وجهك في الظلام صباحا

وأنشدني له [من الكامل]:

ما الرأي عندك أيّها البدر في عاشقٍ لك خانه الصبرُ
وقّع برأيك فوق قصّته يا منْ إليه النهي والأمر
لو أنّ حسناً زاد في عمرٍ لازددت عمراً بعده عمر

* * *

١٣١ ـ أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم المعروف بالأنباري

بلغني له قصيدة فريدة تدل على أن صاحبها من أفراد الشعراء ، وهي في ابن بقية لما قتل وصلب ، وقد أثبتها كما هي [من الوافر]:

علوٌّ في الحياة وفي الممات لحقٌ أنت إحدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا وفود نداك أيام الصِّلات(١)

وأخذه من قول ابن المعتز [من الطويل]:

وصلُّوا عليه خاشعين كأنّهمْ وفودٌ وقوفٌ للسلام عليه

رجع :

كأنك قائمٌ فيهم خطيباً وكلهمُ قيامٌ للصلاةِ
مددْت يديك نحوهمُ احتفالاً كمدِّهما إليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن يضمّ علاك من بعد الممات
أصاروا الجو قبرك واستنابوا عن الأكفان ثوب السافيات(٢)

---

(١) الصّلات : المنح والعطايا .

(٢) السافيات : جمع سافية ، وهي الريح تحمل غباراً .

لعظْمِك في النفوس تبيت ترعى بحرّاسٍ وحفّاظٍ ثقات
وتشعل عندك النيران ليلاً كذلك كنت أيام الحياة
ركبت مطيّة من قبل زيدٍ علاها في السنين الماضيات
وتلك قضيةٌ فيها تأسٍ تباعد عنك تعيير العداة
ولم أر قبل جذعك قطُّ جذعا تمكّن من عناق المكرمات [1]
أسأت إلى النوائب فاستثارت فأنت قتيل ثأر النائبات
وكنت تجير من صرف الليالي فعاد مطالباً لك بالترات [2]
وصيّر دهرك الإحسان فيه إلينا من عظيم السيئات
وكنت لمعشرٍ سعداً فلما مضيت تفرّقوا بالمنحسات
غليلٌ باطنٌ لك في فؤادي حقيقٌ بالدموع الجاريات

أخذه من قول ابن الرومي [من مخلع البسيط] :

لم يظلم الدهر أن توالى فيكم مصيباته دراكا
كنتم تجيرون من يعادي منه فعاداكم لذاكا

عاد :

ولو أنّي قدرت على قيامي بفرضك والحقوق الواجبات
ملأت الأرض من نظم القوافي ونحت بها خلاف النائحات
ولكنّي أصبّر عنك نفسي مخافة أن أعدّ من الجناة
ومالك تربةٌ فأقول تسقي لأنّك نصب هطل الهاطلات
عليك تحيّة الرحمن تترى برحماتٍ غوادٍ رائحات [3]

* * *

---

(١) الجذع : الأرومة .

(٢) الترات : جمع ترة وهي الثأر .

(٣) تترى : أي متتابعة بعضها بعد بعض .

١٣٢ ـ أبو الحسين محمد بن عمر الثغري الكاتب

أحد المقلين المحسنين، ولم أسمع له إلا ملحاً نادرة ، كقوله في خط العذار ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرته [من الخفيف]:

لـي حبيبٌ يزهـى بحسـنٍ عجيبٍ   وبقـدٍّ مثـل القضيب الرطيبِ
أحرقـت بالسـواد فضّـةَ خديـــه   فقـد أحرقـت سواد القلوب

وقوله في وصف التمر [من المجتث]:

أمـا ترى التمـر يحكي   في الحسـن للنظـارِ
مخـازنـاً مـن عقيقٍ   قـد قمّعت بنضـار[١]
كأنّمـا زعفـران   فيه مع الشهـد جاري
يشفّ مثـل كؤوسٍ   مملـوءةٍ مـن عقـار[٢]

وقوله في الباقلاء الرطب [من الوافر]:

فصـوص زبرجـدٍ في غلف درٍّ   بأقمـاعٍ حكتْ تقليـمِ ظفـرِ
وقـد صاغ الإلـه ثيابـاً   لهـا لونـان من بيضٍ وخضر
ربيعٌ للقلـوب بكلّ أرضٍ   ونقـلٍ مـا يمـلّ لشـرب خمر[٣]

وله في الرمان [من الوافر]:

ورمّـان رقيق القشـر يحـكي   ثـديَّ الغيـدِ في أثـواب لاذِ[٤]
إذا قشّرتـه طلعـتْ علينـا   فصـوصٌ مـن عقيقٍ أو بخاذ[٥]

* * *

(١) قمّعت : زيّنت ، والقمع ، التصق بأسفل التمرة أو نحوها حول علاقتها .
(٢) يشفّ : يرقّ .
(٣) النقل : ما يؤكل مع الخمر من فستق وغيره.
(٤) اللاذ : الحرير الأحمر .
(٥) البخاذ : فارسية ، وهي من الجواهر التي لونها احمر .

١٣٣ ـ أبو محمد بن زريق الكوفي الكاتب رحمه الله تعالى !

أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : أنشدني ابو سليمان المنطقي ببغداد ، قال : انشدني ابن زريق لنفسه [من البسيط] :

سافرت أبغي لبغدادٍ وساكنها مثلاً فحاولت شيئاً دونه الياسُ
هيهات بغدادُ الدنيا بأجمعها عندي . وسكان بغدادٍ همُ الناس

وأنشدني له غيره في شعر الصولي [من السريع] :

داري بلا خيشٍ ولكنّني عقدت من خيشيَ طاقَيْنِ(١)
دار إذا ما اشتد حرٌّ بها أنشدت للصوليٍّ بيتين

وله أيضاً في العيادة [من مجزوء الخفيف] :

يا مريضاً بسقمه مرض الحلم والوفا
لم يكن تركيَ العيا دة هجراً ولا جفا
لم أطق أن أراك ـ يا أكرم الناس ـ مدْنفا
طال خوفي عليك فا لحمد لله إذا كفى

وقال في قينة تسمى دبسية حسنة المخبر قبيحة المنظر [من المجتث] :

أبا سعيد أصخ لي يا سيدي ونديمي(٢)
منيت أمس بأمرٍ من الأمور عظيمِ
حصلت عند صديقٍ حرٍّ ظريفٍ كريم

---

(١) الخيش : نسيج من الكتّان الرديء .
(٢) أصخ لي : استمع وانتبه .

أسقي على شدو دبسيّة فتنفي هموممي[1]
فكنت حين تغنّي لدي جنان النعيم
وإن نظرت إليها ففي العذاب الأليم
وإن شربت بصوتٍ فالراح بالتسنيم[2]
وإن شربت بلحظٍ فالمهل بالزقّوم[3]
فكان سمعي بخير ومقلتي في الجحيم

وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان لأبي محمد بن زريق ، يخاطب به أبا عبد الله الكوفي لما قلد مكان أبي جعفر بن شيرزاد ، وحصل في الدار التي كان أبو جعفر يناظر الناس فيها وعلى دسته وفي مثل حاله . وقد كان حضره قبل ذلك فحجب [من البسيط]:

إنا رأينا حجاباً منك قد عرضا فلا يكن ذلّنا فيه لك الغرضا
اسمع لنصحي ولا تغضب عليّ فما أبغي بقولي لا مالاً ولا عرضا
الشكر يبقى ويفنى ماسواه ، وكم سواك قد نال ملكاً فانقضى ومضى
في هذه الدار في هذا الرواق على هذا السرير رأينا الملك فانقرضا

قال : فاعتذر إليه الكوفي ، وقال له : حسبنا، وقضى حوائجه .

* * *

١٣٤ - أبو الورد

بلغني أنه كان من عجائب الدنيا في المطايبة والمحاكاة ، وكان يخدم

---

(١) الدبسية : المغنيّة .
(٢) التسنيم : أي ترفع كؤوسها .
(٣) الزقوم : شجرة مرّة كريهة الرائحة يأكل أهل النار في جهنم ثمرها .

مجلس المهلبي الوزير ، ويحكي شمائل الناس وألسنتهم ، فيؤديها كما هي ، فيعجب الناظر والمسامع ويضحك الثكلان . وكان أبو إسحاق الصابي قد بلي به حتى قال فيه [من الطويل] :

ومن عجب الأيام أن صروفها ... تسوء امرأً مثلي بمثل أبي الوردِ
فيا ليتها اختارت نظيراً وأنّها ... رمتني بشنعاء الدّواهي على عمد [1]
فكم بين معقور الكلاب وإن نجا ... ذليلاً ومقتول الضّراغمة الأسد

وفيه يقول السري حيث يذكر صفعه للملحي الشاعر [من الطويل] :

وما خلت صفعان العراق يسومني ... لأمثاله ذمـاً يسيرا ولا حمدا [2]
إذا ما أبو الورد انتحاه بكفه ... حسبت قفاه روضةً تنبت الوردا

ولأبي الورد شعر لهو في الإضحاك مثل قوله [من مجزوء الرمل] :

أنا في كل سحيرٍ ... في مداراةٍ لا يرى
دائباً يطلب وجهاً ... حسناً من بيت غيري
قلت نِكْ يا أيرُ من ير ... تع في خيري وميري [3]
قال : لا أسطيع نيكاً ... لكسيرٍ وعوير

وقوله [من الوافر] :

طفيليٌّ يؤمّ الخبز أنّي ... رآه ولو رآه على يفاعِ [4]
ولا يروي من الأخبار إلاّ ... أجبت ولو دعيت إلى كراع [5]

---

(١) الشنعاء : القبيحة ، والداهية : المصيبة .
(٢) يسومني : يكلفني ، وسامه الخسف : أذله .
(٣) المير : الخيرات من طعامٍ وغيره .
(٤) الطفيلي : الحشري الذي يحضر المآدب دون دعوة واليفاع : المرتفع من الأرض .
(٥) يشير الى الحديث « ولو أني دعيت إلى كراعٍ لأجبت والكراع بضم الكاف : ما دون الكعب من قوادم الدواب .

وقوله [من مجزوء الرمل] :

وصديقٍ جاءني يسألني ماذا لديْك
قلت : عندي بحر خمرٍ حوله آجام نيك [1]

وقوله [من الطويل] :

ولي صاحب أفسى البرية كلّها يشكّكني فيه إذا ما تنفسا
تحولّتِ الأنفاس منه إلىَ استْه فما أحدٌ يدري تنفّس أم فسا

وقوله [من مجزوء الكامل] :

ليس اشتقاق أبي المظفّرْ من أن يرى ظفراً فيظفرْ
لكن تطاول ظُفْرُهُ فلذاك قيل أبو المظفر

---

(١) الآجام : جمع أجمَة ، وهي الشجر الكثير الملتف .



الباب السابع
في ذكر قوم من شعراء بغداد ومحاسن أشعارهم

١٣٥ - ابن نباتة السعدي : أبو نصر عبد العزيز ابن محمد بن نباتة

من فحول شعراء العصر وآحادهم ، وصدور مجيديهم . وأفرادهم الذين أخذوا برقاب القوافي، وملكوا رق المعاني ، وشعره مع قرب لفظه بعيد المرام ، مستمر النظام ، يشتمل على غرر من حر الكلام ، كقطع الروض غب القطر ، وفقر كالغنى بعد الفقر . وبدائع أحسن من مطالع الأنوار . وعهد الشباب ، وأرق من نسيم الأسحار ، وشكوى الاحباب ، وأول ما وقع شعره إلى خراسان إنما وقع على يد أبي نصر سهل بن المرزبان ، فإنه استصحبه من بغداد في جملة ما حصله بها ، من ظرائف الدفاتر ولطائفها ، وذخائرها وأخايرها ، وأتحفني به وهو بغبار السفر ، وجعلني فيه ابا عذرة النظر . فحسبته والطرف معقود به ، شخص المحبوب بدا لعين محبه ، وباكورة الأشعار، أرفع من باكورة الثمار ، فكم مرتع أنس فيه رعيت . وكم فص مختص منه وعيت . وأنا كاتب من عيونه ما يمتع الخواطر ، ويجلو النواظر ويصدق قوله ، وقد أحسن فيه كل الإحسان [من الوافر] :

وكم للّيل عندي من نجومٍ   جمعْت النثر منها في نظامي
عتاباً أو نسيباً أو مديحاً   لخلٍّ أو حبيبٍ أو همامِ

تفيد بهـا العقـول نهـىً وصحواً وقـد فعلـتْ بهـا فعـل المدام
لهـا في حلبـة الآداب ركضٌ إلـى حبّ القلـوب بلا احتشام

وقوله [من البسيط]:

خذها إذا أنشدت [في القوم] من طربٍ صدورها علمتْ فيها قوافيها
ينسى لها الـراكب العجـلان حاجته ويصبح الحاسـد الغضبـان يطريها[1]

وقوله أيضاً [من الخفيف]:

فات عبـد العـزيز سابقـة القو ل وإنّـي لـوصفـه فـي لحاقِ
طلعَـتْ في القلـوب ألفاظـيَ الغـرُّ طلـوعَ النجـوم في الآفاق

وقوله [من المنسرح]:

هذا الـكلام الـذي خصصـت به أخصّ في الخالـدات من أحدِ
قـولٌ هو المـاء لذّ مطعمه فـكل قـولٍ سـواه كالزَّبد

* * *

ما أخرج من غرره في الغزل والنسيب

قال من قصيدة [من الطويل]:

وبـدر تمـامٍ بتُّ ألثـم رجـله وأكبـره عـن أن أقبـل خـدَّه
تعشّقـت فيـه كلّ شيءٍ يودّه من الجور حتى كـدت أعشق صدّه[2]

البيت الأول كأنه مأخوذ من قول ابن طباطبا [من الرجز]:

وشـادن روحـي في يديهِ تبيت تهـمـي قبـلـي عليـهِ[3]

* يؤثـرن رجليه عـلى خـدّيه *

---

(١) يطريها : يمدحها .
(٢) الصدّ : الهجر والامتناع .
(٣) تهمي : تسقط بغزارة .

والبيت الثاني فيه رائحة من قول منصور الفقيه [من المتقارب] :

سررت بهجرك لمّا علمت ... بأنّ لقلبك فيه سرورا
ولولا سرورك ما سرّني ... وما كنت يوماً عليه صبورا
لأني أرى كلّ ما ساءني ... إذا كان يرضيك سهلاً يسيرا

وقال من أخرى [من الطويل] :

عجبت له يخفي سراه ، ووجهه ... به تشرق الدنيا وبالشمس بعدَهُ [1]
ولا بدّ لي من جهلةٍ في وصاله ... فمن لي بخلٍّ أودع الحلم عنده

ومن أخرى [من البسيط] :

يا من أضرّ بحسن الشمس والقمر ... فلم يدعْ فيهما للناس من وطرِ [2]
نفسي فداؤك من بدرٍ على غصنٍ ... تكاد تأكله عينايَ بالنظر
إذا تفكّرتُ فيه عند رؤيته ... صدّقت قول الحلوليّين في الصور [3]

ومن أخرى [من الطويل] :

سقى الله أرضاً لا أبوح بذكرها ... فتعرف أشجاني بها حين تذكرُ
سوى أنها مسكيّة التّرب ريحها ... ترفّ وتندي والهواجر تزفر
نعمت بها يجلو عليّ كؤوسَه ... أغرّ الثنايا واضح البشر أحور [4]
فوالله ما أدري أكانت مدامة ... من البدر تجني أم من الشمس تعصر ؟

---

(١) سراه : مسيره .
(٢) الوطر : الحاجة والمأرب .
(٣) الحلويّون : أي الذين يقولون بحلول الإلّه في الناس ، وهم من المتصوّفة .
(٤) الأحور : من الحور ، وهو شدّة سواد العين مع شدّة بياضها .

إذا صبّهـا جنـح الظـلام وعبّها رأيت رداء الليل يطـوي وينشر

ومن أخرى [من الكامل]:

دعهـم وقلبـي لا أريد رجوعه أبـداً فقلبـي كان أصـل فسادي
لو يعلمـون صلاح حـالـي بعدهمْ ما فرقـوا بينـي وبين فؤادي

ومن أخرى [من البسيط]:

إن كنت تمنـع سعـدي من مطالبها فلسـت تمنـع سعـدي من تمنّيها
لله نغمـة أوتـارٍ ومسمعـةٌ باتـت تـدل علـى شوقـي أغانيها
وقهـوةٌ كشعـاع الشـمس طالعةٌ أفنيت بالمـزج فيهـا ريق ساقيها
يا لذّةً بيمين الـدهـر أدفعها في صدره وهـو من أحشـاي يدنيها
لو كان يعلـم أنّـي عنـك أخدعه ثنـى أناملـه لـي حين أثنيها

* * *

الشكوى وذم الـزمان

قال [من البسيط]:

في كلّ يومٍ لنـا في الدهـر معركةٌ هام الحـوادث في أرجائهـا فلقُ[١]
حظـيّ من العيش أكلُ كلّـه غصصٌ مرّ المـذاق وشـربٌ كلّـه شرق[٢]

وقال [من الطويل]:

وكم من خليلٍ قد تمنّيت قربـه فجـرّبته حتـى تمنّيت بعـدَهُ
ومـا للفتـى في حادث الدهـر حيلةٌ إذا نحسـه في الأمـر قابـل سعده

---

(١) الفلق : الشجّ .
(٢) والشرق : مشرق بالماء : أي غصّ به .

أرى همـم المـرء اكتئابـاً وحسرةً عليه إذا لم يسعـد الله جدّه[1]

كأنه مأخوذ من قول المتنبي [من الطويل]:

وأتعـب خلـق الله من زاد همّه وقصّـر عمـا تشتهـي النفس وجده

وقال من قصيدة [من الكامل]:

ما بال طعـم العيش عنـد معاشرٍ حلـوٌ، وعنـد معاشـرٍ كالعلقمِ
من لي بعيش الأغبياء فإنّه لا عيش إلاّ عيش من لم يعلم

هذا معنى متداول، ومن احسن ما قيل فيه قول ابن المعتز [من الكامل]:

وحـلاوة الـدنيا لجاهلها ومـرارة الـدنيا لمـن عقلا

وقال من أخرى [من الكامل]:

يأبـى مقامـي فـي مكان واحدٍ دهـرٌ بتفـريق الأحبّـة مـولعُ
كفـكفْ قسيّك يـا فـراق فإنّه لم يبـق في قلبـي لسهمـك موضع

كأنه من قول المتنبي [من الوافر]:

رمانـي الدهـر بالأرزاء حتـى فؤادي في غشـاءٍ مـن نبالِ
فصـرت إذا أصـابتنـي سهامٌ تـكسّـرت النّصـال علـى النصال

وقال [من الوافر]:

برمـت من الحياة، وأيّ عيشٍ يكون لمـن مطاعمـه الخبـالُ ؟[2]
ولـو أنّـي أعـدّ ذنـوب دهري لضـاع القـطر فيهـا والـرمال[3]

---

(١) الجدّ : الحظّ .

(٢) برمت : مللت ، والخبال : الفساد ، .

(٣) القطر : يعني قطرات المطر .

وقال [من الوافر]:

سقـامٌ ما يصـاب لـه طبيبٌ وأيـامٌ محـاسنهـا عيـوبُ
ودهـرٌ ليس يقبـل من أديبٍ كمـا لا يقبـل التـأديـب ذيـب
يحـب علـى المصائـب والـرزايا فـلا كـان المحـبّ ولا الحبيـب

وقال [من الوافر]:

متـى أرجـو مسـالمـة الهموم وآمـل صحـة الجسـم السقيمِ ؟
وكـرّ الحـادثـات علـيّ تجني جنـايـات القـروف علـى الكـلوم[1]

وقال [من الطويل]:

طلاب المعالـي للمنـون صديق وطـول الأمانـي للنفـوس عشيقُ
تسربـلْ ثياب المـوت أو حلّل الغنى تعشْ ماجـداً أو تعتلقْـك علوق
ومـا الفقـر إلاّ للمذلـة صاحبٌ ومـا النـاس إلاّ للغنـيٍّ صديق
وأصغـر عيبٍ في زمـانـك أنّه به العلـم جهـلٌ والعفـاف فسوق
وكيف يسـرّ الحـر فيه بمطلبٍ ومـا فيه شيءٌ بالسـرور حقيق
إذا لم تكن هذي الحياة عزيزةً فمـاذا إلـى طول الحياة تتوق
ألا إنّ خوف المـوت مرٌّ كطعمه وخـوف الفتـى سيفٌ عليه ذلوق[2]
وإنـك لو تستشعـر العيش في الردى تحلّيت طعـم المـوت حين تذوق

وقال [من مجزوء الكامل]:

كيف السـبيل إلـى الغنى والبخـل عنـد النـاس فطنَهْ
خـذ مـن زمـانـك كلّ شيءٍ لا يجـرّ عليـك منّـه

---

(١) الكلوم : الجراح .
(٢) الذلوق : القاطع .

ونبتْ بنا أرض العراق فما محنّاها بمحنه
غير الرحيل، كفى البلاد بنقلة الفضلاء هجنه!

وقال رحمه الله [من الوافر]:

وتأخذ من جوانبنا الليالي كما أخذ المساء من الصباحِ
أما في أهلها رجلٌ لبيبٌ يحسّ فيشتكي ألم الجراح
أرى التشمير فيه كالتواني وحرمان العطيّة كالنجاح[1]
ومن لبس التراب كمن علاه فلا تخضعْك أنفاس الرياح
وكيف يكدّ مهجته حريصٌ يرى الأرزاق في ضرب القداح[2]

وقال سامحه الله [من البسيط]:

أراحني الله من قلبٍ منيت به يهوى القعود ويهوى أشرف الرتبِ
أطلبْ لصدرك هماً بالمنى كلفاً وخلّ صدري فما لي فيه من أرب
والمجد يطلب بالآفات طالبه لم يحظ بالمجد من لم يحظ بالنكب
ما للزمان سوى أولاده درنٌ إن لم يكونوا بنيه فالزمان أبي[3]

* * *

الفخر والحماسة

قال [من الطويل]:

خليليَّ قد لجّ الزمان ولجّ بي مرادٌ، وأحداث الزمان تعوقُ
وأيّ فتىً غنّيتما وسقيتما فتىً فيه نفث السحر ليس يحيق[4]

---

(١) التشمير: الجدّ والعمل.
(٢) يكدّ: يتعب.
(٣) الدّرن: الوسخ، أو الإبلاء والافناء.
(٤) يحيق: يؤثّر.

فتى تطرب الألحان من شرفٍ به ... ويسكر منه الخمر وهو مفيق

كأنه نسجه على منوال قول القائل [من المنسرح] :

ريحان ريحانه إذا ورد الـروض ، ومنه تأدّب الأدبُ

تشربه الكأس ليس يشربها ... يطرب من حسن وجهه الطرب

وبعد قوله «فتى تطرب الألحان» قوله :

ولو شئت علّمت المكارم شيمتي ... ولكنّني بالمكرمات رفيقُ

أخاف عليها أن تجود بنفسها ... إذا ما أتاها في الزمان مضيق

وقال أيضاً [من الوافر] :

ومغرورٍ يحاول نيل عرضي ... فقلت له : الكواكب لا تنالُ

يعاين في المكارم فيض كفّي ... ويزعم أنه ذهب النوال

ويعجب أن حويْت الفضل طفلاً ... ألا لله ثم ليَ الكمال

أحمّل ضعف جسمي ثقل نفسي ... ونفسي ليس تحملها الجبال

وأسمع كلّ قولٍ غير قولي ... فأَعْلمُ أنّه خطل محال[1]

وقال من قصيدة [من الطويل] :

رضينا وما ترضى السيوف القواضب ... نجاذبها عن هامكم وتجاذبُ[2]

فإيّاكم أن تكشفوا عن رؤوسكم ... ألا إنّ مغناطيسهنّ الذوائب

أقول لسعدٍ والركاب مناخةٌ ... أأنت لأسباب المنيّة هائب

وهل خلق الله السرور فقال لا ... فقلت أثِرْها أنت لي اليوم صاحب

وخلّ فضول الطيلسان فإنّما ... لباسك هذا للعلا لا يناسب

---

(١) الخطل : الفساد في الرأي .

(٢) القواضب : القواطع .

عمائــم طلاّب المعــالــي صـوارمٌ وأثــواب طــلاب المعــالــي ثعالب
ولـي عنـد أعنـاق المـلـوك مـآربٌ تقـولُ سيوفـي هـنّ لـي والـكواثب[1]
خلقنـا باطـرافٍ القنـا لظهورهم عيونـاً لهـا وقـع السيوف حـواجب
أؤمّـل مـأمـولاً يغيـر صـدورهـا فواخجلتـا إنّـي إلـى المجد تائب

وله من قصيدة في صباه [من البسيط]:

تضاءل الـدهـرُ حتى ضاع في هممي واستفحل المجدُ حتى صار من شِيمي
فلــو يكون سواد الشعــر في ذممي ما كان للشيب سلطـانٌ علـى اللّمم[2]
فالعيش من نِعَمي والمـوت من نقمي وحكمــة الفَلَك الــدوّار من حكمي
والحزم والعـزم في الأقـوام من خلقي كما الفصاحـة فـي الأقـوال من كلمي
لو يعلــم النـــاس قدري في زمانهمُ صلّـوا لوجهـيَ واشتاقـوا ثرى قدمي
ما زلــت اعــطف أيامــي وتمنحني نيلاً أدقّ من المعــدوم في العدم
حتى تخــوفَ صرف الدهــر بادرتي فرد كفّــي وأومــا أن يســدّ فمي[3]
أذمّ كلّ خليلٍ بات يحمدني أنــا الــذي ما لَهُ خلٌّ سوى الندم
وليس سؤلــي يا قلبــي سوى رهجٍ تجــوده من دم الفرســان بالدِّيَم[4]

وقال [من الطويل]:

وعنّفنــي في موكب المــوت معشرٌ وقالواأيهوى الجدبمن هو في الخصبِ
وإنــي لأدري أنّ في العجــز راحةً وأعلـم أن السهـل أوطـا من الصعب
ولــو طلــب النــاس المـكارم كلّهم لكان الغنـى كالفقـر والعبــد كالرّب

---

(١) الكواثب : الجموع ، والكثيب ، التلّ من الرمل .
(٢) اللمم : جمع لمّة أي شعر الرأس .
(٣) أوما : أصله أومأ بالهمز فسهل الهمزة بقلبها ألفا وهي بمعنى أشار .
(٤) الرّهج : الغبار .

ولـكن أشخـاص المعالـي خفيّةٌ		علـى كل عينٍ ليس تنظـر باللّب
لقـد زادنـي حـرب الزمـان تجارباً		فلا عشـت في يومٍ يمـرّ بلا حرب
ومـن يك يعتـاد الـكروب فؤاده		فإنـك يا قلبـي خلقـت من الكرب

وقال [من الكامل] :

وأنـا البصير بكل علـم غامضٍ		وإذا رأيت مذلّـة فأنـا العمي
والـذلّ أثقـل من جبـال تهامةٍ		عنـدي وأعـذب منـه سمّ الأرقمِ (١)

وقال [من المتقارب] :

إذا استـروح الغمـر مـن همّه		هـربْـت إلـى الهـمّ مستروحـا
وإنـي عـلـى شغـفـي بالمديـــح		لسـت أسـرّ بأن أمـدحا
ومـا ينقـم الدهـر شيئـاً علي		سـوى أنـفـي منـه أن أفـرحا

وقال من قصيدة [من الطويل] :

وإنّـي لأغضـي الطـرف عن كلّ منظرٍ		يصـبّ إليه النّـاسـك المتماسكُ (٣)
ومـا ذاك من جهـلٍ به ، غير أنني		عيوفٌ لأخـلاق الأراذل تـارك(٤)

وقال من قصيدة [من الطويل] :

وآخـذ عفـو العيش لا أستـكدّه		لحـى الله غنمـاً يستفـاد مـع الغرمِ (٥)
فإن كنـت أرضـى بالبشاشـة منكمُ		ويستـر عدْمي شيمتـي وتـكرّمي
فربّ جـوادٍ قيّـد الفقـر جـوده		ومبتسـمٍ تعبيسـه فـي التبسّـم

---

(١) الأرقم : الأفعى السّامة .
(٢) الغمر : الجاهل .
(٣) أغضي : أطرق حياءً وأغضُّ .
(٤) العيوف : التارك .
(٥) لحى : لعن ، والغنم : من الغنيمة ، والغرم : الذنب والإثم .

وله من أخرى [من الطويل]:

وهل ينفع الفتيان حسن جسومهم إذا كانت الأعراض غير حسانِ
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى فما كلّ مصقول الحديد يماني[1]

وله من أخرى [من البسيط]:

حتى م نقدم والأيام تغلبنا وغيرنا يغلب الأيام بالفشلِ
يا أهل بابلَ عزمي قبله فكري في النائبات وسيفي بعده عذلي
وعندكم نعمٌ عندي مصائبها لكم وصال الغواني والصبابة لي
قالوا حنيفة شجعانٌ فقلت لهم كلّ الشجاعة والإقدام في الدول
ما لي أغير على دهري فأسلبه ويحجمون وفي أيديهم نفلي[2]
إن لم تسلني المواضي عن جماجمهم إذا تطايرن فالتقصير من قبلي

* * *

غرر في المدح وما يتصل به

قال من قصيدة في سيف الدولة [من البسيط]:

يا أيّها الدهر إنّ العيَّ كالخطل ما دهرنا غير سيف الدولة البطلِ
نواله جعل الأرزاق من قبلي وعزّه صيَّر الأيام من خولي[3]
وما تمهّل يوماً في ندىً وردىً إلاّ قضيت للمح البرق بالكسل

ومنها في ذم الروم والأسرى منهم :

قد كنت تأسرهم بالسيف منصلتاً فصرت تأسرهم بالخوف والوهلِ[4]

---

(١) يماني : السيف المنسوب إلى اليمن.
(٢) النفل : العطايا .
(٣) الخول : العبيد .
(٤) الوهل : الخوف والرعب .

من يزرع الضرب يحصدْ طاعة عجباً ومن يربّي العلا يأمن من الثكل[1]
كانت سحابك فيهم كلٌّ بارقةٍ حمراء تهطل بالأيدي على القلل[2]
فاليوم سحبك فيهم كلّ بارقةٍ غرّاء تهطل بالأموال والحلل
حتى تمنّى مليك الروم حظّهمُ وأنّه معهم في الأسر لم يزل

كأنه أخذه من قول ابي دهبل الجمحي في قوله [من المنسرح]:

ما زلت في العفو للذنوب وإطلاق لعانٍ بجرمه غلقِ
حتى تمنّى البراء أنهم عندك أمسوا في القدّ والحلق[3]

ومنها في شكر صنائعه :

وما أريد عطاء غير ودّكمُ وبشركم ينجلي من جودكم بجلي
قد جدت لي باللهى حتى ضجرت بها وكدت من ضجرٍ أثني على البخل
إن كنت ترغب في بذل النوال لنا فاخلق لنا رغبةً ، أولاً فلا تنل
لم يبق جودك لي شيئاً أؤمله تركْتني أصحب الدنيا بلا أمل

وله إيضاً فيه [من الطويل]:

سيوفك أمضى في النفوس من الرّدى وخوفك أمضى من سيوفك في العدى
فتىً يتحامى لذّة النوم جفنه كأنّ لذيذ النوم في جفنه قذي[4]
أطرفك شاكٍ أم سهادك عاشقٌ يغار على عينيْك من سنّة الكرى
ومن سهرت في المكرمات جفونه رعى طرفه في جوّها أنجمَ العلا
فليس ينام القلب والجفن ساهرٌ ولا تغمد العينان والقلب منتضي[5]

---

(١) الثكل : الفقد .
(٢) القلل : يعني الرؤوس .
(٣) القدّ والحلق : أي في القيود والزرد ، يعني الأسر .
(٤) القذى : ما يقع في العين من أذىً .
(٥) منتضى : انتضى سيفه : شهره وسلّه .

ومن قصيدة في المهلبي الوزير [من الكامل] :

لا تأمنوا آراءه وظنونه ... إنّ العيون لها من الأمدادِ[1]
وتعوّذوا بالله من أقلامه ... إن السيوف لها من الحسّاد

ومن أخرى في علي بن دوست بن المرزبان [من الطويل] :

أما لو تخيّرتُ المنى لمنحته ... كمال عليٍّ أو سلوت عن الحبِ
ترى الشمس أمّاً والكواكب إخوةً ... وتنظر من بدر السماء إلى ترب[2]
غنيت عن الآمال حين رأيته ... فأصبح من بين الورى كلهم حسبي
فلم أطلب المعروف من غير كفّه ... وهل تطلب الأمطار إلاّ من السّحْب

ومن أخرى [من الوافر] :

فدتك بدائع الألفاظ طرّاً ... وأبكار القوافي والمعاني[3]
نزلت من المكارم والمعالي ... بمنزلة الشباب من الغواني
فلا زالت لياليك البواقي ... مواصلة بأيّام التهاني

وله من أخرى في المهلبي الوزير [من الطويل] :

وتطرق أقفال الغيوب بصارمٍ ... من الرأي يخشى الغيب منه ويرهبُ
وتطعن في صدر الكتائب معْلماً ... كأنك في صدر الدواوين تكتب[4]
ولست أرى كسب الدراهم نافعي ... إذا لم يكن لي في المكارم مكسب
ولي همّةٌ لا تطلب المال للغنى ... ولكنها منك المودة تطلب

---

(١) الأمداد : الأعوان .
(٢) الترب : الرفيق من عمرٍ واحد .
(٣) طرّاً : قاطبة .
(٤) المعْلَمْ : المكان الذي له خبرةً في طعنه .

وقال لأبي العلاء صاعد بن ثابت يمدحه ويستهدي منه شراباً [من الخفيف] :

أيّ يومٍ من صاعدٍ لم أرح فيه بخيلٍ كثيرة الأسلابِ
من نوالٍ يسري بغير سؤالٍ وعطاء يهمي بغير طلاب
جئته زائراً وقد ركب الأفلاك والنجم تحته في التراب
بمعانٍ سرقْتها من علاه فكأنّي قرأتها من كتاب
وأشارت ألحاظه بدنوّي فكأنّي سمعت فصل الخطاب[1]
ثم قبّلت ظاهر الكفّ منه فكأنّي قبلت وجه السحاب
يا جواداً أرواحنا من عطايا ه وأفهامنا مع الألباب
إن هذي الهموم تقدح فينا قدح كفيك في السِّلام الصلاب[2]
فاسْقنا صَيِّبَ المدام سقاك الله صوب الآمال والآراب
خندريساً كأنّها تتقي المز ج بدرعٍ مسرودةٍ من حباب[3]
خجلتْ من جلالكم فأتتنا في رداءٍ مؤزّرٍ ونقاب
تهب المال للفقير وتغزو شربها في عساكر الأطراب
سرقت حسن خلقها من سجايا ك وأخلاقك الكرام الرغاب
إنها في السحاب وبْل وفي الريح نسيمٌ ونشوةٌ في الشراب[4]
خلق الله صاعداً يوم خلق النـاس للكأس والندى والضراب
ما سؤال الدنيا له وهي في عيـنيه أدنى من ودّها الكذاب
قد ظلمناه في السؤال لأنّا ما سألناه ردّ شرخ الشباب[5]

---

(١) فصل الخطاب : الكلام الذي لا اعتراض عليه ولا جواب .
(٢) السِّلام : بكسر السين : الحجارة .
(٣) الخندريس : يعني الخمر ، والمسرودة : المصنوعة والحباب : ما يعلو الخمر من فقاع .
(٤) الوبل : المطر .
(٥) شرخ الشباب : ما تقضّى منه .

وقال من قصيدة لعضد الدولة [من المنسرح]:

يا عضد الدولة الذي قمعت دولته الدهر وهو جبّار
أنت نهارٌ والعالمون دجىً وأنت طرفٌ والناس أعيار[١]
ليس لنا في المديح محمدةٌ فعلك غيث والقول نوار

وله من أخرى فيه [من المتقارب]:

سلمت على عثرات الزما ن يا عضد الدولة المنتخبْ
ولا زلت ترفع من دولةٍ تواضعْتَ فيها بهذا اللقبْ
قسمْت زمانك بين الهمو م تنعم فيها وبين الدأب[٢]
فيوماً تمير عفاة النسور ويوماً تمير عفاة الأدب[٣]

وقال من قصيدة في عضد الدولة يصف فيها نار السذق [من الطويل]:

لعمري لقد أذكى الهمام بأرضه مشهّرةً ينتابها الفجر صاليا[٤]
تغيب النجوم الزهر عند طلوعها وتحسد أيام الشهور اللياليا
هي الليلة الغراء في كلّ شتوةٍ تغادر جيد الدهر أتلع حاليا[٥]

وقال وقد كثر الإرجاف بعلة عضد الدولة رحمه الله تعالى [من البسيط]:

إذا سمعت حديثاً عنك أحسبه يرتاع قلبي وما ألفي بمرتاعِ
تجلّد الحر لا ينسى حفيظته ولو رأى دمه يستنّ بالقاع
أرجوك أقرب ما قالوا به رمقٌ وحين يؤيس منك المؤيس الناعي[٦]

---

(١) الطرف : بكسرٍ فسكون ـ الفرس ، والأعيار : جمع عير ، وهو الحمار .
(٢) الدأب : العمل والمثابرة .
(٣) تمير : من المير ، وهو الطعام وغيره .
(٤) أذكى : أوقد .
(٥) الجيد : العنق ، والأتلع : المنتصب .
(٦) الرمق : بقية الروح .

وأســأل الـركب هـل أحسستُم فزعاً لو كان ميتــاً لضاعــت ثلّــة الراعي
أرضــى وأقنـع بالأطمـاع كـاذبـةً فمــا يضـرّك لــو أبقيت أطماعي
قـد كاد يعـرف وجـه الـذلّ في نظري ويظهر العجـز والتقصير فـي بـاعي [1]

* * *

غــرر الأوصاف

قال في وصف فرس أدهم أغر محجل، حمله عليه سيف الدولة أبو الحسن [من الكامل]:

يا أيهــا الملك الــذي أخـلاقه مـن خلقـه، ورواؤه مــن رائـه
قـد جاءنــي الــطرف الـذي أهـديته هـاديـه يعقــد أرضـه بسمائه
أولايــةً ولّيتنـا فبعثتـه رمحــاً سبيب العـرف عقــد لـوائه [2]
يختـال منه علـى أغـرَّ محجَّلٍ مـاء الدياج قـطرةٌ مـن مـائه
وكأنّمـا لطـم الصبـاح جبينـه فـاقتصّ منـه فخــاض فـي أحشـائه
متمهلاً والبــرق مـن أسمـائه متبــرقعـاً والبــدر مـن أكفـائه
مـا كـانــت النيران يـكمــن حـرّهـا لــو كان للنـيران بعض ذكـائه
لا تعـلــق الألحـاظ فـي أعطافه إلاّ إذا كفـكفـت مـن غـلوائه [3]
لا يكمـل الـطرف المحـاســن كـلها حتــى يـكون الــطرف مـن أسـرائـه

وقال أيضاً في وصف هذا الفرس [من الوافر]:

وأدهــمَ يســتمـدّ الليــل منـه وتطــلــع بين عينيـه الثـريّـا [4]
سرى خلف الصبــاح يطير مشياً ويطـوي خلفــه الأفـلاك طيّـا

---

(١) باعي : يعني الباع في الإنسان : الذراع والعضد .
(٢) السّبيب من الفرس : شعر الذنب والعُرف والناصية .
(٣) غلوائه : يقصد شدّة سرعته .
(٤) الأدهم : الأسود .

فلما خاف وشك الفوت منه تشبّث بالقوائم والمحيّا

وله في وصف سكين [من السريع] :

مرهفةٌ تعجز وصف اللسان للسيف معنى ولها معنيان
تخلفه في حدّه تارةً وتارةً تخلف حدّ السنان
ما أبصر الراءون من قبلها ماءً وناراً جمعا في مكان

* * *

فقر وملح وأمثال وحكم

قال في ذم العراق [من الوافر] :

بلادٌ أنفس الاحرار فيها كضبٍّ القاع تروى بالنسيمِ
يجوز بها وينفق كلّ شيءٍ سوى الآداب طرّا والعلوم

وقال يصف كماة الحرب [من الوافر] :

نسوا أحلامهم تحت العوالي ولا أحلام للقوم الغضاب
إذا كانت نحورهمُ دروعا فما معنى السوابغ في العياب [1]

وقال يصف طيب الهواء [من الوافر] :

ألا يا حبذا طيب الغبوق وملبوسٌ من العيش الرقيقِ [2]
إذا ما الصبح أسفر نبّهتْني جنوبٌ مسّها مسّ الشفيق [3]

---

(١) السوابغ : الدروع .
(٢) الغبوق : الخمر يشرب مساءً .
(٣) الجنوب : الريح تهبّ من الجنوب .

ألم فيه بقول ابن المعتز [من البسيط] :

والـريح تجـذب أطـراف الـرداء كمـا　　أفضـى الشـقيق إلـى تنبيه وسنانِ

(رجع) :

وفتيانٍ　تهمّهـمُ　هـمومٌ　　حديثهـمُ ألـذُّ من الـرحيقِ [1]

وقال [من الطويل] :

وكنـت إذا ما حاجـة حال دونها　　نهـارٌ وليـلٌ ليس يعتذرانِ
حملـت علـى حكم القضـاء مـلامها　　ولـم ألـزم الإخـوان ذنـب زمـاني

وقال من قصيدة في سيف الدولة [من الطويل] :

وأفلـت نفقـور يـرقّـع جـلده　　وفيه لآثـار السـلاح خـروقُ [2]
يجـرّ العـوالـي والسـهام بجسمـه　　كمحتـطـبٍ للحمـل ليس يطيق

سرقه من قول عنترة [من المتقارب] :

وغـادرن نضلـة فـي معـركٍ　　يجـرّ الأسـنـة كالمحتطبْ

وقال [من الطويل] :

ألا فاخْشَ ما يرجـى وجـدّك هابطٌ　　ولا تخش مـا يخشـى وجـدّك رافعُ
فلا نافـعٌ إلاّ مع النحس ضائرٌ　　ولا ضائـرٌ إلا مـع السعـد نـافع

سرقه من قول يزيد بن محمد المهلبي [من الكامل] :

وإذا جدْتَ فـكل شيءٍ نافعٍ　　وإذا حـدت فـكل شيء ضـائرُ

---

(١) الرحيق : الخمر .
(٢) نقفور : اسم امير من أمراء الروم .

وقال [من البسيط] :

سعـى رجـال فنالـوا قـدر سعيهمِ | لم يـأت رزقٌ بـلا سعـيٍ ولا طلبِ
حسن التأتـي مفـاتيح الغنـى ، وعلى | قـدر المطـالـب تـلقـى شدة التعب

وقال في نظم مثل من كتاب كليلة ودمنة [من المنسرح] :

أحْسـد قـومـاً عليك قـد غلبوا | وكـلٌّ مـن بـادرَ المنـى غلـا
وكنـت كالـكرْم فـي تـكرّمـه | تـلتـفّ أوراقـه بمـا قـربا

وقال [من الوافر] :

وإنـي لا أزال ألـوم نفسي | عـلـى طـول التجنّـب والبعـادِ
ومـا أعتـاض بالأقـوام منـكمْ | وهـل يعتـاض صـدرٌ مـن فـؤاد ؟[1]

وقال [من الوافر] :

ومـا استبطـأت كـفّـك فـي نـوالٍ | علـى عُـدواء نـأي واقتـرابِ[2]
ولـو كـان الحجـاب لغيـر نفـعٍ | لمـا احتـاج الفـؤاد إلـى حجـاب

هذا أحسن ما قيل في الحجاب ، وأحسبه بعد قول أبي تمام [من البسيط] :

ليس الحجاب بمقصٍ عنـك لي أملاً | إنّ السّمـاء لتـرجـي حين تحتجـبُ

وقال [من الكامل] :

مثـل خلعـت علـى الـزمـان رواءه | عوز الـدراهـم آفـة الأجـوادِ

وقال [من الكامل] :

من لم يذق غصص التفـرّق لم يمتْ | المـوت رمحٌ والفـراق سنـانُـهُ

---

(١) اعتاض : اكتفى واستبدل .

(٢) العدواء : المركب الذي لا يطمئن من قعد عليه ، أو الأرض الصلبة غير المطمئنة ، والنأي : البعد .

وقال [من الكامل] :

يهوي الثناء مبرّزٌ ومقصّرٌ حبّ الثناء طبيعة الإنسان

وقال [من الوافر] :

نعلّلُ بالدواء إذا مرضنا وهل يشفي من الموت الدواءُ ؟
ونختار الطبيب وهل طبيبٌ يؤخّر ما يقدمه القضاء ؟
وما أنفاسنا إلاّ حسابٌ وما حركاتنا إلاّ فناء

وقال ، وهو من قلائده البديعة ، لشرف الدولة أبي الفوارس [من المتقارب] :

أسرّ إليك مقال النصيح ولست إلى النصح بالمفتقرْ
عليك إذا ضاغنتك الرجال بضرب الرؤوس وطعن الثّغر[1]
ولا تحقرنَّ عدواً رماك وإن كان في ساعديه قِصَرْ
فإن الحسام يحزّ الرقاب ويعجز عما تنال الإبر
وينفع في الرَّوعْ كيد الجبان كما لا يضرّ الشجاعَ الحذر
شبِ الرعب بالرهب وامزج لهم كما يفعل الدهر حلواً بمر[2]

* * *

١٣٦ ـ أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي

من أشعر أهل العراق ، قولاً بالإطلاق ، وشهادة بالاستحقاق . وعلى ما أجريته من ذكره ، شاهد عدل من شعره والذي كتبت من محاسنه نزه العيون ، ورقى القلوب ، ومنى النفوس .

---

(١) ضاغنتك : من الضغينة أي إضمار الحقد والبغض .
(٢) شب : فعل أمر من شاب أي مزج .

ومن خبره أنه ولد في كرخ بغداد ، آخر نهار يوم الجمعة لست خلون من رجب سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ، ونسبته في بني مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب، وأمه شاعرة، وقال الشعر وهو ابن عشر سنين، فمن أول شعر قاله في المكتب قوله [من المنسرح]:

بدائع الحسن فيه مفترقة   وأعين الناس فيه متفقَهْ
سهام ألحاظه مفوّقةٌ   فكلّ من رام لحظه رشقه [1]
قد كتب الحسن فوق عارضه   هذا مليح وحقٍّ من خلقه

وركب في صباه سمارية ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك فقال [من الوافر]:

وميدانٍ تجول به خيولٍ   تقود الدارعين ولا تقاد
ركبت به إلى اللذات طِرفاً   له جسمٌ وليس له فؤاد [2]
جرى فظننت أنّ الأرض وجهٌ   ودجلة ناظرٌ وهو السواد

ورأى في يد غلام يميل إليه مرآة فقال [من المنسرح]:

رأيته والمرآة في يده   كأنها شمسةٌ على ملكِ
فقلت للصورة التي احتجبتْ   من غير زهدٍ فينا ولا نُسْك
يا أشبه الناس بالحبيب ألا   تخبرنا عنك غير مؤتفك [3]
قال أنا البدر زرت بدركم   وهذه قطعة من الفلك
قلت فإني أرى بها صدأً   فقال هذا بقية الحَبَك [4]

وخرج من مدينة السلام ، وورد الموصل وهو صبي حين راهق ، فوجد بها

---

(١) المفوّقة : يقال فوّق السّهم : أي أراشه وأمدّه .
(٢) الطرف : الجيد من الخيل .
(٣) المؤتفك : من الإفك ، وهو رمي الإنسان بحديث كذب.
(٤) الحبك : الحياكة والنسج، وحبك الشيء بالشيء : جمعه .

أبا عثمان الخالدي، وأبا الفرج الببغاء ، وأبا الحسين التلعفري ، وشيوخ الشعراء، فلما رأوه عجبوا منه واتهموه بأن الشعر ليس له ، فقال الخالدي : أنا أكفيكم أمره ، واتخذ دعوة جمع الشعراء فيها ، وحصل السلامي معهم ، فلما توسطوا الشرب أخذوا في ملاحاته ، والتفتيش على قدر بضاعته ، فلم يلبثوا أن جاء مطر شديد وبرد ستر الأرض، فألقى أبو عثمان نارنجا كان بين أيديهم على ذلك البرد، وقال : يا أصحابنا هل لكم في أن نصف هذا ؟ فقال السلامي ارتجالاً [من مجزوء الكامل]:

لله در الخالديٍّ ... الأوحدِ النَّدب الخطيرِ
أهدى لماء المزن عند ... جموده نارَ السعير
حتى إذا صدر العتا ... ب إليه عن حَنَق الصّدور
بعثتْ إليه بعذرهِ ... من خاطري أيدي السرور
لا تعذلوه فإنّه ... أهدى الخدود إلى الثغور

فلما رأوا ذلك أمسكوا عنه . وكانوا يصفونه بالفضل، ويعترفون له بالحذق إلا التلعفري فإنه أقام على قوله الأول حتى قال فيه السلامي [من الكامل]:

يا شاعراً بسقوطِهِ لم يشعر ... ما كنت أول طامعٍ لم يظفرِ
لو كنت تعرف والداً تسمو به ... لم تنتسب ضعةً إلى تلعفّر
تاهَ ابن بائعةِ الفسوق على الورى ... بقذال صفعانٍ ونكهة أبخر[1]
وبلادةٍ في الشعر تشهد أنّه ... تيسٌ ولو نصرت بطبع البحتري
يحلو بأفواه الأنامل صفعُه ... حتى كأنّ قذاله من سكرّ

وقال فيه أيضاً [من الوافر]:

سما التلعفّريُّ الى وصالي ... ونفس الكلب تكبر عن وصالهِ

---

(١) القذال : القفا ، والأبخر : من رائحة فمه كريهه .

ينافي خلقه خلقي فتأبى فعالي أن تضاف إلى فعاله
فصنعتي النفيسة في لساني وصنعته الخسيسة في قذاله
فان أشعرْ فما هو من رجالي وإن يصفعْ فما أنا من رجاله

ودخل يوماً إلى أبي تغلب وبين يديه درع فقال : صفها، فارتجل [من الكامل] :

يا ربّ سابغةٍ حبتني نعمةً كافأتها بالسوء غير مفنّدِ[1]
أضحت تصون عن المنايا مهجتي وظللت أبذلها لكلّ مهنّد

وورد حضرة الصاحب بأصبهان واستمطر منه بنوء غزير، وسرى في ضوء قمر منير، ولقيه بقصيدة منها [من الوافر] :

رُقى العذّال أم خدعُ الرقيبِ سقتْ وردَ الخدود من القلوب
وآباهُ الصبابة أم بنوها يروضون الشبيبة للمشيب[2]
وقفنا موقف التوديع نوطي نجوم الدمع آفاق الغروب
تعجب من عناقٍ جرّ دمعاً وتقبيلٍ يشيّعُ بالنحيب
وقد ضاق العناق فلو فطنّا دخلنا في المخانق والجيوب[3]
ونحن أولاك نطلب من بعيدٍ لعزتنا وندرك من قريب
تبسّطنْا على الآثام لمّا رأينا العفو من ثمر الذنوب

هذا البيت من إحسانه المشهور ، ولعله امير شعره .

ولولا الصاحبُ اخترع القوافي لما سهل الخلاصُ من النسيب
ومن يثني الى ليثٍ هصورٍ لواحظه عن الرشاء الربيب[4]

---

(١) مفنّد: من التفنيد وهو الكذب .
(٢) يروضون : راض الشيء : ساسه وكبح جماحه .
(٣) المخانق : القلادة والعقد .
(٤) الليث الهصور : الأسد المفترس ، والرشأ : ولد الغزال .

وكيف يمسّ حد السيف طوعاً قريب الكفّ من غصن رطيب
وشبّهنا فكنت أبا نواسٍ ولكن جلّ عن قدر الخصيب
ومن يك مثل عبّادٍ أبوه يعشْ بين الأنام بلا ضريب
أحرْز الخائف الجاني، وكنز الـمقلّ المعتفى ، وأخا الغريب[1]
أما لك غير بأسك من عتادٍ ولا غير العظائم من ركوب
ترُوض مصاعب الأيام قهراً وتحملها على عودٍ صليب
وتبذل دون تاج الملك نفساً متيّمة بتنفيس الكروب
وجرّبت الملوك فما أصابت لداءِ الملك غيرك من طبيب
فمن غصب الإمارة إذ حواها فما تحوي الوزارة بالغصوب
توارثها الكفاة وتقتضيها مناسب معرقٍ فيها نسيب[2]
تمائمكم مناطقكم إذا ما جفت بحضور شبّان وشيب
دعيتم في المهود بها وعدّت لكم قبل التصدّر والركوب
ولو صدَقَتْك جنّ الليل عنّي شغفت بفن إنسيٍّ عجيب
مع القرنين من قلمٍ وطرسٍ أو العبدين من طاسٍ وكوب[3]
أشقّ الفكر عن لفظٍ بديعٍ فيقْدم بي على معنىً غريب

ولقي مؤيد الدولة بقصيدة أولها [من الكامل] :

وصل الخيال ومنك رمت وصالا هذي الزيارة لا تعدّ نوالا
زار الخيال فلا تزرني في الكرى حاشا لحسنك أن يكون خيالا
قد كنت فيك شككت يا بدر الدجى حتى رأيتك في اللثام هلالا
وهواك علّمني القريض فزاد في حبّيك أني منه أكسب مالا

---

(١) الحرز : الأمان والملجأ ، والمعتفى : الفقير .
(٢) المعرق : الأصيل في النسب .
(٣) الطرس : الكتاب ، والصحيفة .

هو منهضي نحو الأمير وهمةٌ حملت إليه صلاته آمالا[1]

ووتيرة الشعراء في مدحٍ وفي منحٍ فتجمع مفخراً ونوالا

ضربوا لك الأمثال في أشعارهم لكنني بك أضرب الأمثال

ولقي الصاحب بأرجوزة حسنة ، منها [من الرجز] :

يا راقداً لولا الخيال ما رقدْ هل لك في عارية لا تستردْ[2]

موشيٌّ أثواب الجمال بالغيدْ وفّر حظ جيده من الجَيد

لو لم يفض ماء الشباب لاتّقد قد استدار صدغه حتى انعقد

وصين ورد خده عمن ورد إن أبا القاسم كالسيف الفرنَدْ[3]

ذو بدَهات لم تخلّد في خلد أغرّ ميمون به الملك اعتضد

فما تحل الوزراء ما عقد بجهدهم ما قاله وما اجتهد

شتان ما بين الأسود والنقد هل يستوى البحر الخضم والثمد[4]

أمنيتي من كلٌ خيرٍ مستعد أن يسلم الصاحب لي طول الأبد

حتى يقال لم يطل عمر لبد فما أبو ألفٍ رئيس معتمد[5]

كلّ غلام منهمُ رب بلد يا سعده من والد بما ولد

وشْم بروق سيفه إذا وقد وانساب ماء المزن فيه واطّرد

كالروح لا تكمن إلا في جسد يحمله عبل الشوى عبل الكبد[6]

ينجده وهو عريقٌ في النجد وإن جرى كانت له الريح مدد

---

(١) الصلات : العطايا .

(٢) العارية : الأمانة والقرض .

(٣) الفرند : السيف بالفارسية .

(٤) الثمد : القليل من الماء .

(٥) لبد : من كنى النسر ، وهو يعمر طويلاً .

(٦) العبل : الضخم ، والشوء .

خاض الدماء وتحلى بالزبد كأنّه إنسان عينٍ في رمد[1]

يا مجريَ الفكر إلى أقصى أمد اسمع فقد انجز حرٌّ ما وعد

عذراء لم يقرع بها سمع أحد لو عرضت على أبي النجم سجد

وخلّ من عاندني وما اعتقد فليس للحاسد إلاّ ما حسد

وكتب من أصفهان إلى ذي الكفايتين ابي الفتح بن العميد وهو بالري قصيدة منها [من الكامل]:

عَبَرَ الجواد بي الفراتَ ودجلةً وأتي نداك فليس يعرف معبرا

فالآن يرجع يا عليُّ القهقرى لم يستطع متقدّماً فتأخّرا

وأعيذها من أن يعارض مثلها بادٍ هواك صبرت أم لم تصبرا

قالت وقد بعث الملوك بمهرها مهري سواك فكن لغيري جوهرا

ما ضرّها إلاّ تواطؤ طيءٍ فيها على نحت المعاني بحترا[2]

جُمَلٌ غدا عنها جميلٌ مفحماً وكثرن في تفصيلهن كُثَيِّرا[3]

وكان بحضرة الصاحب شيخ يكنى بأبي دلف مسعر بن مهلهل الينبوعي يشعر ويتطبب ويتنجم ، ويحسد السلامي على منزلته ، فيتعرض له ويولع به . حتى ألقمه السلامي الحجر بأن قال له يوماً [من الخفيف]:

قال يوماً لنا أبو دلفٍ أبــرد من تطرق الهموم فؤادَهْ

لي شعر كالماء قلت أصاب الشيخ لكن لفظه برّاده

أنت شيخ المنجمين ولكنْ لست في حكمهم تنال السعاده

وطبيبٌ مجرّبٌ ما له بالنجح في كلٌ ما يجرب عاده

(١) إنسان العين : ناظرها .

(٢) بحترا : يعني البحتري الشاعر العباسي المشهور.

(٣) جميل : يعني جميل بثينة ، وكثيّر : يعني كثيّر عزّة ،وهما من شعراء الغزل والنسيب في العصر الأموي .

مـرّ يـومـاً إلــى عليلٍ فقلنا قرّ عينـاً فقــد رزقــت الشهاده[1]

ولم يزل السلامي بحضرة الصاحب بين خير مستفيض، وجاه عريض، ونعم بيض، إلى أن آثر قصد حضرة عضد الدولة بشيراز، فجهزه الصاحب إليها، وزوده كتاباً بخطه إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف نسخته:

قد علم مولاي أطال الله بقاه أن باعة الشعر أكثر من عدد الشعر، ومن يوثق بأن حليه التي يهديها من صوغ طبعه، وحلله التي يؤديها من نسج فكره. أقل من ذلك. وممن خبرته بالامتحان فأحمدته، وقررته بالاختيار فاخترته. ابو الحسن محمد بن عبد الله المخزومي السلامي أيده الله تعالى، وله بديهة قوية توفي على الروية، ومذهب في الإجادة يهش السمع لوعيه، كما يرتاح الطرف لرعيه، وقد امتطى أمله، وخيرله إلى الحضرة الجليلة رجاءأن يحصل في سواد أمثاله، ويظهر معهم بياض حاله. فجهزت منه أمير الشعر في موكبه، وحليت فرس البلاغة بمركبه، وكتابي هذا رائده الى القطر، بل مشرعه إلى البحر. فإن رأى مولاي ان يراعي كلامي في بابه، ويجعل ذلك ذرائع إيجابه، فعل إن شاء الله تعالى.

فلما وردها تكفل به أبو القاسم، وأفضل عليه، وأوصله إلى عضد الدولة، حتى أنشده قصيدته التي منها [من الطويل]:

إليك طوى عرض البسيطـة جاعل قصارى المطـايا أن يلـوح لهـا القصرُ
فكنـت وعزمـي في الظـلام وصارمي ثـلاثــة أشـبـاهٍ كمـا اجتمـع النسر
فبشّــرت آمـالــي بمـلكٍ هو الورى ودارٍ هـي الـدنيا ويومٍ هو الدهر

فاشتمل عليه جناح القبول، ودفع إليه مفتاح المأمول. واختص بخدمة عضد الدولة في مقامه. وظعنه الى العراق، وتوفر حظه من صلاته وخلعه، واللهى تفتح اللهى، وسير فيه قصائد كتبت عيون غررها، وكان عضد الدولة يقول: إذا

(١) قرّ عيناً: هدأ وسكن.

رأيت السلامي في مجلس ظننت أن عطارداً نزل من الفلك الي ، ووقف بين يدي. ولما توفي عضد الدولة تراجع طبع السلامي، ورقت حاله ، ثم ما زالت تتماسك مرة وتتداعى أخرى حتى انتقل الى جوار ربه ، في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة .

* * *

ما أخرج من غرره في النسيب والغزل

قال [من الوافر]:

مُنيتُ بمن إذا مُنِّيت أفضت — منايَ إلى بنفسج عارضيْهِ
وفاضت رحمةً لي حين ولّى — مدامعُ كاتبيً وكاتبيْه

وقال أيضاً [من المتقارب]:

ومختصر الخصر من بعده — هربت فألقيت في صدِّهِ
وقابلني وجهه مقبلاً — بحدّ الحسام وإفرنْده
فما زلت أعصر من خدّه — وأقطف من مجتنى ورده
أشمّ بنفسج أصداغه — وزهراً تعصْفر في خدّه
وأظما فأرشف من ريقه — فيا حرَّ صدريَ من برده
وما للحاظٍ سوى وجهه — وما للعناق سوى قدّه

وقال أيضاً سامحه الله تعالى [من الطويل]:

وفيهن سكرى للحظ سكرى من الصبا — تعاتب حلو اللفظ حلو الشمائلِ
أدارت علينا من سلافٍ حديثها — كؤوساً وغنّتنا بصوت الخلاخل

وقال من قصيدة شبب فيها بغلام بدوي كان معه [من المتقارب]:

تعلّقته بدوي اللسا — ن والوجه والزي ثبت الجنانِ[1]

(١) ثبت الجنان : ثبت العقل وراجحه .

أعانق من قده صعدةً ترى اللحظ منها مكان السنان[1]
أدار اللثام على ثغره فأهدى الشقيق إلى الأقحوان
ومِسْك ذوائبه سائلٌ على آس ديباجه الخسرواني[2]
يذوب اشتياقاً لنبح الكلاب إذا هاجنا طرب الغطْرفان[3]
أحييه بالورد والياسمين فيصبو إلى الشيّح والأيهقان[4]
ويشتاق فينا عواء الذئاب إذا هاجنا طرب العترفان[5]
فيا بدويٌّ سهامُ الجفون صر عن ضيوفك حول الجفان
فإن كان دينك رعيَ الذّمام فقل أنت من ذمتي في أمان

ومن قصيدة شبب فيها بغلام عيار من الشطار [من المنسرح]:

يا مرهفاً في لحاظة مرهفٌ ومخطف القدّ سهمه مخطفْ
من أودع الورد وجنتيك ومن نقّش طرز العذار أو غلّفْ
وما لهذا الصدغ المشوش قد عارض طرق التقبيل واستهدفْ
أطلع أفق العجاج لي قمراً بين نجومٍ تجول أو تزحف[6]
يقطر ماء الجمال منه وير تجّ إذا ارتج ردفه المردف
ومسرف الحسن لا يلام إذا جار على عاشقيه أو أسرف[7]
عقّف كلاّبه وأرهفه فقلت يكفيك صدغك الأعقف[8]

(١) الصعدة : القناة المستوية .
(٢) الآس : الريحان ، نبات ذو ثمار كروية بيضاء وسوداء ، ورقه عطر.
(٣) الغطرفان : الغطريف السيد الشريف ، والسَّخي السرّي ، والغطرفة : الخيلاء والتكبرُ .
(٤) الأيهقان : عشبٌ يطول وله وردةٌ حمراء ، وورقه عريض ، ويؤكل .
(٥) العترفان : الدّيك .
(٦) العجاج : الغبار والدخان .
(٧) أسرف : جاوز الحدّ .
(٨) الكلاّب : حديدة عقفاء يعلّق، وأرهفه : جعله ماضياً عليها .

تغنيك عن سهمك اللحاظ وعن صارمك العضب قدّك الأهيف
ومال كفي على سوالفه والموت من دون لمسها يسلف
فمرّ مرّ السحاب يسحب فضل الكم عجْباً وفاضل المطرف[1]
وقال والورد قد تعصفر في خديه غيظاً وآن أن يقطف
مثلك يلقي يداً عليّ أما يخاف من ناظري أن يتلف
لو مر بي الليث مات خوفاً ولو أبصر طيفي في النوم لم يطرف
أنا العذاب المذاب والأسد الأ سود بأساً والمقرب المقرف[2]
أشطر منّي فتىً إذا وقعت عليه عيني في الوقت لم يتلف
إذا شربنا بنت الكروم فبالبيض نحيا وبالقنا نتحف
لولا توقيٌّ أو مراقبتي أنّي عزيزٌ وأنت مستضعف[3]
نحرت حتى السماء واقعةٌ فوقي والأرض تحتنا تخسف
فقلت مهلاً فلست أول من أخطأ جهلا من قبل ان يعرف
البدر لا ينسخ الظلام على ديباجتيه والبحر لا ينزفْ
عزمت ان أدعي عليك فلا تصغ إلى من لحا ومن عنف
ولا تكلني إلى اليمين فلو شئت أكلت الزبور والمصحف[4]
فافترّ عن لؤلؤٍ وأسفر عنْ وردٍ وقبّلته فما استنكف[5]
وقال ما تشتهي فقلت له نقصف حسادنا بأن نقصف
فمال بي والظلام شملته وفجره في يمينه مرهف
إلى رياضٍ يغازل القطر ما دبّج من زهرها وما فوّف[6]

---

(١) العجب : التيه .
(٢) المقرف : الوجه القبيح ، أو المرض الممرض.
(٣) توقّي : احتراسي .
(٤) الزّبور : كتاب داود عليه السلام .
(٥) استنكف : اعترض وأشاح .
(٦) فوّف : زيّن وأبدع .

ما بين فتيان لـذةٍ عرفـوا الـــــعيش فنالـوا نعيمـه الألطف
هذا يحيّي وذا يغـار وذا يلثـم كـرهـاً وذاك يستعطف
بـرد الثـرى بـردنـا وقـد زرّر الـــــبـدر علينـا دواجـه المحصف[1]
وبيننـا خمـرتـان من ريقـة الـــــكرم وريقٍ أشهـى من القرقف
ولـطّف الله لـي بمـدرجـةٍ أمثـالهـا عنـد مثلـي تـلطف
أنشـدتـه شعـر مـكشفٍ فأتى يلثـم تـلك السطـور والأحـرف
ومـات سكراً فمـتٌ مـن فـرحٍ وكـاد سـتـر الغـرام أن يـكشف

وله في غلام عباسي التحى فازداد حسناً [من المنسرح] :

لما التحـى أصبحـت عمـامتـه الــــسـوداء تجلـي مخضـرّة الحبكِ
وصـار يختـال أن يلين بخلـق الـــــخـزّ عن ردفـه أو الفتك
في كلّ يـومٍ تـراه مـؤتزراً بالـروض بين الحيـاض والبـرك
ومـا علمنـا بأنّـه قمـرٌ حتـى اكتسـى قطعـة من الفـلك

وقال من أرجوزة [من الرجز] :

وليلـةٍ كـأنّها علـى حـذرٍ ممـرّهـا أسـرع مـن لمـح البصرْ
مـن قبلهـا لم أر ليـلاً مختصـر ولا زمـانـاً لم يبـن مـن القصـر
والليل لا يكرب إلاّ في غررٍ إذا وفـى أحبـابنـا فيه غـدر
زار ومـا اسودّ الدجـى ولا اعتكر أبيض إلاّ المقلتين والشّعـر
أغـر أوقـاتـي إذا زار غـرر فلـم يكـن إلا السـلام والنظـر[2]
أو قبلـة خالستهـا على خطـر حتى انتضى الصبح حسامـاً مشتهر
وانفـلّ من أهـواه في جيش البكر فبـتّ محـزونـاً كـأنّـي لم أزر

* واحسرتـا لليلنـا كـيف انحسر *

(۱) المحصف : المحكم ، أو المبعد .
(۲) زار غرر : أي على حين غفلة .

وقال [من المتقارب] :

عذارك جادت عليه الرياض بأجفانها وبآماقها
وطال غرام الغواني به فقد طرّزته بأحداقها

وقال [من الخفيف] :

فاض ماء الجمال في الأقطار كلّ بدرٍ مطرّزٌ بعذارِ
قد أرانا عقارب الشعر من خدّ يه تأوي مكامن الجلنار

وقال من قصيدة [من المتقارب] :

يفضُّ الغزال جفون الغزل وقد فضح الكحل فيها الكحلْ(1)
ولا وجني الورد في وجنتيه ما أوجب اللثم ذاك الخجل

وقال من أخرى [من الكامل] :

ما تسرع الألحاظ تخطف وردةً من خدّه إلا عثرن بخالهِ
مذ نقّبوه وزرْفنوا أصداغه ختموا بغاليةٍ على أقفاله(2)

وقال [من الرجز] :

تعرّض الشعر لعارضيه وأطلق العشاق من يديهِ
كأن الصبا يهتزّ في عطفيه والحسن تجري خيله إليهِ(3)
حتى إذا أبصر وجنتيه حجبتا بمثل حاجبيه
جاد عذاريه بعبرتيه كأنما يغسل من خدّيْهِ

* صحيفة قد كتبت عليه *

---

(1) يفض : يفت .
(2) الزُّرفين : حلقةٌ للباب ، والغالية : وعاء الطيب .
(3) عطفية : جانبيه .

وقال من قصيدة شبب فيها بغلام تركي [من الكامل] :

علقــت مفتــرس الضراغــم فارساً رحــب المــدى والصــدر والميـدانِ
قمـرٌ من الأتـراك تشهــد أنّـه الـــخود الحصـان على أقبّ حصان[1]
البـدر فـي ظل الغمامــة والنقـا فـي سرجـه والغصــن فـي الخفتان
ألِّفْــتُ طرّتـــه وغـرتـه ومـا كـان الـدجـى والصبــح يـأتلفان
ورمـى بـلحــظيه القلــوب وسهمــه فعجبــت كيف تشــابـه السهمـان
بطـلٌ حـمائلــه كعـارضـه وحـا جبـه الأزجّ كقـوسـه المـرنـان[2]
حيّيته فـدنـا وأمــطـر راحتي قبـلاً فليت فمــي مـكان بنـاني
وخدعتـه بالـكـأس حتى ارتـاض لي ودرأت عنّــي الحدّ بالـكتمـان[3]
والمـرء مـا شغلتــه فـرصـة لذّةٍ نـاســي العــواقب آمـن الحـدثان

وقال من قصيدة [من البسيط] :

وأعرضَــتْ إذ رأتْ في عارضــي درراً منظــومـة معهـا الأحـزان تنتظمُ
وللصــبابــة قـومٌ لا يسـرّهـمُ أن يلبســوا الـوشـي إلاّ تحتـه سقم
أشتــاق أهلــي لظبـي بين أرحـلهم والحـب يـوصل إذ لاتـوصـل الـرحم

ومن أخرى [من البسيط] :

مـا ضنّ عنـك بموجــودٍ ولا بخـلا أعـزّ مـا عنـده النفس التـي بذلا
يحـكي المطـايا حنيناً والهجير جوىً والمـزن دمعـاً وأطــلال الـديار بلى

---

(١) الخود الحصان : المرأة الجميلة العفيفة . والحصان الأقب : الضامر البطن الدقيق الخصر.
(٢) الأزج : الرقيق في الطول. والمرنان هنا : ذات الصوت ، ويقال على القوس ، تسمّى بذلك الرنين صوتها .
(٣) درأت : منعت وتوقّيت .

ومن أخرى [من البسيط]:

الحبّ كالدهر يعطينا ويرتجع ... لا اليأس يصدقنا عنه ولا الطمعُ
صحبتُهُ والصّبا يغري الصبابة بي ... والوصل طفلٌ غريرٌ والهوى يفع[1]
أيام لا النوم في أجفاننا خلسٌ ... ولا الزيارة من أحبابنا لمع
وليلةٍ لا ينال الفكر آخرها ... كأنما طرفاها الصبر والجزع
إذ الشبيبة سيفي والهوى فرسي ... ورايتي اللهو واللذّات لي شيع[2]
أحييتها ونديمي في الدّحا أملٌ ... رحب الذرى وسميري خاطر صنع[3]
حتى تبسّم إعجاباً بزينته ... لفظٌ بديع ومعنى فيك مخترع

ومن أخرى [من الطويل]:

رسولي إذا لم يغْشهنّ رسول ... صباً وقبولٌ بل صباً وقبولُ
وقلبٌ سوى قلب الكتيبة باسلٌ ... وحدّ سوى حد الحسام صقيل
وما حسن صبر ما ترين ولا رضا ... بنأيٍ ولكن المحبّ حمول

كأنه ألم فيه بقول المتنبي [من الطويل]:

وما عشت من بعد الأحبّة سلوةً ... ولكنّني للنائبات حمول

ومن أخرى [من الخفيف]:

أنُوارٌ وأين دار نُوار ... أظلم الناس في أشطّ الديارِ
ذات صدغٍ من البنفسج قد ما ... ل على وجنةٍ من الجلنار

---

(١) اليفع : الناشىء الحدث
(٢) شيع : أتباع.
(٣) الدحا : السعة ، والدفع ، والبسط.

ومن أخرى [من الوافر]:

ويغريني بذكر الربع غيدٌ به صيدٌ وحور فيه عينُ
سَلَلْنَ من الحداق السود بيضاً فما ندري قيانٌ أم قيون [1]

* * *

الخمريات وما يتعلق بها من سائر الأوصاف والتشبيهات

كتب إلى صديق له يصف النارنج [من الوافر]:

أتنشط للصبوح أبا عليٍّ على حكم المنى ورضا الصديق [2]
بنهر للرياح عليه درع تَذَهَّبَ بالغروب وبالشروق
إذا اصفرّت عليه الشمس صبّت على أمواجه ماء الخلوق [3]
وقفت به فكم خدٍّ رقيقٍ يغازلني على قدٍّ رشيق
وجمر شبّ في الأغصان حتى أضاع الماء في وهج الحريق [4]
فدُهْم الخيل في ميدان تبرٍ يصاغ لها كراتٌ من عقيق
فهل لك في ختام المسك فضّتْ نوافجه ومختوم الرحيق [5]

وكتب إليه في وصف الجلنار [من الوافر]:

أحنّ إلى لقاء أبي عليٍّ ويأبى أن يحنّ إلى جواري
وقد جلبتْ علينا الراح حتى مللنا جلوة البيض العذاري
وصفَّر أوجهَ العذّال يومٌ وجوه شموسة تحكي اصفرارى

(١) القيون : الحدّادين والصنّاع.
(٢) الصبوح : شرب الخمرة صباحاً .
(٣) الخلوق : الطيب .
(٤) شبّ : اتّقد واضطرم .
(٥) النوافج : أوعية الطيب .

ونهرٌ تمرح الأمواج فيه مراح الخيل في رهج الغبار
إذا اصفرت عليه الشمس خلنا نمير الماء يمزج بالعقار [1]
كأن الماء أرض من لجين مغشّاةٌ صفائحَ من نضار
وأشجارٌ محمّلةٌ كؤوساً تضاحك في احمرار واخضرار
إذا أبصرن في نهرٍ سماءً وهبن له نجوم الجلنار
فزرنا إن نار الراح تكفي الـندامى خيفتيْ عارٍ ونارٍ

وقال في الدير الذي بقنطرة النوبندجان، وقد شربوا هناك ولبسوا أكاليل الزهر ورموا البنادق [من الطويل]:

أقنطرة النوبنْدَجان وديرها وحور مهى لا تألف الحور غيرَها
شربنا بها والروض يخلع زهره على الشرب والأشجار تنثر طيرها

كتب يستهدي الشراب [من البسيط]:

أرسلت أشكو إليكم غدوة ظمئي وما شككت بأني سوف أغتبقُ [2]
فقد كتبت إلى أن خانني قلمي وقد ترددت حتى ملّني الطرقُ
أنت امرؤٌ جوده غمرٌ ونائله همرٌ ووبل نداه مسبلٌ غدق [3]
فابعث إليّ بصفو الراح يشبهه منّي قريضٌ ومنك العرف والخلق

وكتب إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف [من الوافر]:

أظنُّ اليوم يهطل بالمدام فإن الأفق محمرّ الغمامِ
وما عوّدت حمل الكأس إلاّ على سكر الكروم او الكرام
وعهد سماء جودك بالعطايا كعهد دم الأعادي بالحسام

---

(١) النمير : العذب الزلال .
(٢) أغتبق : أشرب الخمرة مساءً .
(٣) غمرٌ : كثير ، وهمرٌ : متتابع .

إذا طلعتْ شموس الراح فينا   وهبنا كلّ مسرجة اللجام
أبحر الجود في بحر الأماني   وبدر الملك في بدر التمام
ومن عبد ابن يوسف صير اسمي   وصيّره الندى مولى السلامي
إذا ركبت أناملنا كميتاً   من الحبب المفضّض في لجام[1]
تحيينا بذكرك وانتقلنا   بمدحك دون سادات الأنام
طربت فما أبالي ما ورائي   ونار الراح مشعلةٌ أمامي
جفون المزن مذ عدمت بواكٍ   لرحمتنا وخدّ الورد دامي
فأحْيِ بها فتىً أحلى مناه   تقدّم من فداك إلى الحمام

وكتب إلى صديق يستدعيه أبياتا منها [من الكامل]:

يوماً لبست به الخلاعة حلّةً   وسحبتها فسحبت خير لباسِ
في مجلسٍ زجل الغناء متوّج الـ   ـكاسات فيه مهذّب الجلاس[2]
والطير قد طربت بحسن غنائها   لو أنها فطنت لشرب الكاس
والشمس من حسد تغير لونها   أن لا تكون كغرّة العباس
أنا لا أبالي من فقدت من الورى   إما حضرت فأنت كلّ الناس

وقال من قصيدة [من البسيط]:

وظبيةٍ من بنات الإنس في يدها   ووجهها للصبا والحسن خاتامُ[3]
قد حللت لؤلؤ الأزرار عن دررٍ   لهنّ في ثغرها الفضّيّ أتوام[4]
وزارت الروض منها مقلتان لها   وحشيتان وعذب الريق بسّام
والكأس للمسكر التبريّ صائغةٌ   والماء للحبب الدريّ نظّام

(١) الكميت : الحصان الذي يميل لونه الى الحمرة مع السواد .
(٢) الزجل : الذي يرفع صوته بالغناء والطرب .
(٣) الخاتام : لغة في الخاتم ، وقال الراجز . يا هال ذات الجورب المنشقّ   أخذت خاتامي بغير حقّ .
(٤) الأتوام : جمع تومة وهي الكبيرة من اللؤلؤ .

بتنـا نـكفـكف بالـكاسـات أدمعنا   كـأننـا في حجـور الـروض أيتام[1]

هذا البيت من إحسانه المشهور في ابتداع الاستعارة .

وقال من أخرى [من المتقارب] :

نفـرغ أكياسـنـا في الـكؤوس   نبيع العقـار ونشـري العقـارا[2]
حمدنـا الهـوى ونسينـا الفـراق   ومـن يشـرب الخمـر ينس الخمارا

ومن أخرى [من الخفيف] :

اشـربـا واسـقيا فتـىً يصحـب الأيـــام   نفسـاً كثيرة الأوطـار[3]
والنفـوس الـكبـار تـأنف للسا   دة أن يشـربـوا بغيـر الـكبـار
فـي جـوار الصـبـا نحـلّ بيوتـاً   عمـرتْ بـالغصـون والأقمـار
ونصـلّي عـلـى أذان الطنـابيــر   ونصـغـي لنغمـة الأوتـار
بين قـومٍ إمـامهـم سـاجـدٌ للــكأس   أو راكـعٌ علـى المـزمـار

ومن أخرى [من الكامل] :

نسـب الـرياض إلـى الغمـام شريف   ومحلّهـا عنـد النسيم لطيفُ
فاشـرب وثقّـلْ وزن جامـك إنّه   يـومٌ علـى قلـب الـزمـان خفيف[4]
أو ما ترى طرز البـروق وتوسّطتْ   أفقـاً كـأن المـزن فيه شفوف
واليوم من خجـل الشـقيق مضرّجٌ   خجـلٌ، ومـن مرض النسيم ضعيف
والأرض طرسٌ والـرياض سطوره   والـزهـر شكلٌ بينهـا وحروف
وكأنّمـا الـدولاب ضلّ طريقه   فتـراه ليس يزول وهـو يطوف

---

(١) الحجور : جمع حجر وهو الحضن والمأوى .
(٢) العقار الأول : بفتح أوله هو المال الثابت كالدور،والعقار الثاني بضمّ أوله : وهو الخمر .
(٣) الأوطار : الحاجات .
(٤) الجام : الكأس من الفضة.

ومن أخرى [من الطويل] :

ولبّـاسةٍ حلـى الشبـاب لعوبـةٍ بطرق الهـوى عقـادة للـزمائمِ
غزال صريم في رجـومٍ صوارمٍ وبـدر تمـامٍ في نجـوم تمائم[1]
وكان رقـادي بين كأس وروضةٍ فصـار سهـادي بين طرفٍ وصارم
ولـولا نسيبٌ مطـربٌ من قصائدي لمـا احتـال طيفٌ في زيارة نائم

ومن أخرى [من الكامل] :

أنسيم هل للصلـح عنـدك مـوضعٌ فيزور طيـفٌ أو تهـبّ نسيـمُ
والشيب دونـك وهـو موتٌ مضمرٌ والهجـر وهـو تفـرّقٌ مـكتوم
بينـي وبين الـراح مثـل حبابها دمعٌ علـى وجناتهـا منظـوم

ومن أخرى [من الطويل] :

وقد خالـطَ الفجـر الظـلام كمـا التقى علـى روضـةٍ خضـراءَ وردٌ وأدهمُ
وعهـدي بهـا والليل ساقٍ ووصلنا عقـارٌ وفوهـا الـكأس أو كأسهـا فم
إلـى أن بدرنـا بالنجـوم وغربها يفضّ عقـود الـدرّ والشـرق ينظم[2]
ونبّهـت فتيـان الصبـوح للذّةٍ فلبّـوا ومـا فيهـم سوى الليل محرم
وفـي كلّ كـأسٍ للندامـى بقيّةٌ تلـوح كـدينـارٍ يغـطّيه درهم

* * *

ســائـر الأوصاف

نزل عضد الدولة شعب بوان والسلامي معه متوجهاً الى العراق، فقال له : قل في الشعب، فقد سمعت ما قال المتنبي، فعاد إلى خيمته وكتب [من البسيط] :

---

(١) العريم : بفتح الصاد ـ القطعة العظيمة من الرمل .
(٢) بدرنا : أسرعنا وعجّلنا .

اشرب على الشّعب واحلل روضة أنفا ... قد زاد في حسنــه فازددْ به شغفا[1]

إذ ألبس الهيف من أغصانــه حللاً ... ولقّــن العجــم من أطياره نتفا

وأثمــرتْ حســن الأغصــان مثمـرةً ... من نازع قُـرُطـاً او لابسٍ شنفا[2]

والمـاء يثنــي علــى أعطـافه أزرا ... والـريح تعقـد فـي أطرافهـا شـرفا

والشمس تخـرق من أشجارهـا طـرفاً ... بنــورهـا فتــرينـا تحتهـا طـرفا

من قائــلٍ نسـجـت درعــاً مفضّضة ... وقـائـل ذهبــت أو فضّضــت صحفـا

ظلّــت تـزفّ لـه الــدنيا محـاسنها ... وتستعـدّ لـه الألطـاف والتّحفـا

من عارضٍ وكـفـا ، أو طـائــرٍ هتفا، ... أو بـارقٍ خطفـا ، أو سـائــرٍ وقفا[3]

هذا مما قاله بديهاً وليس بمستحسن في الوزن إلا أن ابا تمام قال [مـن الطويل]:

يقـول فيسـمـع، ويمشــي فيسـرع، ... ويضــرب فــي ذات الإلّـه فيوجـع

رجــع :

ولست أحصي حصى الياقوت فيه ولا ... درّاً أصــادفـه فــي مـائــه صــدفا

يظـنّ من وقفــتْ فيه الشجــون به ... أنّ الصبابــة شابــت والهـوى خـرفا

تعسّف الشــوق فيه كلّ ذي شجنٍ ... والشــوق ألطفــه مـا كان معْتسفا[4]

فاحللْ عُرىَ الهـمّ واشربهـا مشعشعةً ... رقّ النسيم مبـاراةً لهــا وصفا

ماذا يقــول لك المـدّاح ؟ قد نفدت ... فيك المعاني وبحـر اللفـظ قـد نزفا[5]

لم يبــق لي حيلــةُ إلاّ الدعــاء فإن ... يسمـع ظللـت عليـه الـدهـر معتكفا

---

(١) الشغف : الحبّ والميل .

(٢) الشنُف : الحليّ تلبس في الآذان .

(٣) وكف : هطل .

(٤) العسف : الظلم والشجن : الحزن .

(٥) نزف : أي لم يبق منه شيء .

وقال من قصيدة سذقية في أبي الفوارس وأبي دلف [من البسيط] :

ما زلت أشتاق ناراً أوقدتْ لهما ... حتى ظننت عذاب النار قد عذبا
يعلو الدخان بسودٍ من ذوائبها ... قد عطّ فيها قناع التبر واستلبا[1]
قد كلّلتْ عنبراً بالمسك ممتزجاً ... وطوقت جلناراً واكتست ذهبا
فالنور يعلب في أطرافها مرحاً ... والخمر يرعد في أكنافها رهبا
وطار عنها شرارٌ لو جرى معه ... برقٌ دنا او تلقّى كوكبا لكبا[2]
لو كان وقت نثارٍ خلته دررا ... أو كان وقت انتصارٍ خلته شهبا[3]
والليل عريان فيه من ملابسه ... نشوان قد شقّ أثواب الدجى طربا
أقسمْت بالطّرْف لو أشرفت حين خبَتْ ... جعلْت أنفس أعضائي لها حطبا

وقال من قصيدة أخرى [من الخفيف] :

فسمونا والفجر يضحك في الشر ... ق إلينا مبشّراً بالصباحِ
والثريا كراية أو كجامٍ ... أو بنان أو طائر أو وشاح
وكأن النجوم في يد ساقٍ ... تتهاوى تهاويَ الأقداحِ
وجمعنا بين اللواحظ والرا ... ح وبين الخدود والتفاح
وشممنا بنفسج الصدغ حتى ... طالعتنا من الثغور الأقاح
زمن فات بين بهو وشربٍ ... وغناء وراحةٍ وارتياح
معقلي نهر معقل فإن ارتحْـ ... ـت إلى منزل فدير نجاح
وحياتي بما حوتْه إلى الخمّـ ... ـار مصروفةٌ أو المَلاّح
مركبي مثل لمّتي أدهم جو ... نٌ ويحكيهما نديمي وراحي[4]

---

(١) عطّ : شقّ.

(٢) كبا : سقط وتعثّر .

(٣) النثار : ما ينثر من الذهب .

(٤) الجون : من الأضداد وهو للأسود والأبيض .

مركبة السفينة والزورق وهما أسودان، ولمته سوداء لأنه شاب، ونديمه اسود لأنه عربي ، ونبيذه نبيذ التمر وهو أسود.

وقال ، وكتب بها إلى الشريف الرضي، وكان خرج من داره في المطر فأعطاه كساء استتر به [من الكامل]:

ما زال بي مهر الشبيبة جامحاً حتى حملت على المشيب الكابي[1]
فسمعْت أقبح ما سمعت نداءها ما بال هذا الأشيبِ المتصابي
إنّي حلفت بربٍّ أشرف كعبةٍ في مشهد النشوات والأطراب
وبكل مخلوع العذار مجرّرٍ فضلَ الإزار مسحّب سحّاب
وبمصرّع الدّنّ الجريح وحرمة الـ ـوتر الفصيح وذمّة المضراب
ومتى حلفت بمثلها متأولاً فصدقْت بالأزلام والأنصاب[2]
وأنا دعيّ في البلاغة ملْصق في الشعر منسلخٌ عن الآداب
ويباع في الأكراد شعري إنّه يغلو إذا ما بيع في الأعراب
لقد ارتقَتْ تبغي أبا الحسن العلي يطمحْن منه إلى الأبيّ الآبي
الموسويّ الناصريّ أبوّةً وخؤولة علويّة الأنساب
في حيث أرّثت النبوة نارها فخبا لنور الحقّ كلُّ شهاب[3]
لا أدعي لك ، إنما بك أدعي أنّي وصلت إلى أعز جناب
زاد الإلّه بكم قريشا رفعةً وأقرّ عين قُصَيِّها بن كلاب
متناسلين وأنت كنت مرادهم مترددين إليك في الأصلاب
حتى ولدت فأغفلوا أنسابهم وغدا وجودك أشرف الأنساب
ألسان هاشمٍ الذي بغروبه تفري وناظر غالب الغلاب

---

(١) الجامح : الشرود ، والكابي : الذي يحدّ من نزوة الشباب وجموحه ، وكبا الفرس سقط.
(٢) الأزلام والأنصاب : ما كان يعبد في الجاهلية .
(٣) خبا : ضعف وانطفأ.

أشكو إليك عشيّةً لم نفترق فيها على مللٍ ولا استعتاب
ما كنت إلاّ جنّةً فارقتها كرهاً فصبّ عليّ سوط عذاب
ودّعت دارك والسماء تجودني بيد الغمام فلا أرى بك ما بي
ما زلت أركض في الوحول مبارياً[1] فيها الخيول لواحق الأقراب
فجريت والعكاز أخصر شكّتي[2] قصراً ولكنّي أعزّ ركابي
ورأيت غالية الطريق ومسكه[3] طيناً معدّاً لي على الأثواب
وحمى كساؤك لا عدمت معيره درّاعتي وعمامتي وجبابي
فوليتَ يا بحر السماحة كسوتي وولي أخوك الغيث بلّ ثيابي
غيثان هذا ابن الذي من أجله خلق السحاب وذا سليل سحاب
فوصلت أشكو ذا وأشكر ذا وبالـغيثين ما بهما من التسكاب
وخريدة عذراء رحت أزفّها ما بين ألفاظ شرفْنَ عذاب
جاءتك يحملها الجمال، وربّما وقف الجباء بها دويْن الباب
أهديتها خجلاً إلى متغلغل الـ أفكار محصد مرة الآداب[4]
لأبي القريض ابن المعاني بل أخي الـ إعراب حين يفوه والإغراب
ضمن الحسين له وموسى رتبةً في الفضل نافرةٌ عن الخطّاب
انظر بعين رضاً إلى ما صغته وأعره سمع مسامحٍ وهّاب
وتجاوزِ الخطأ الشنيع وأخْفهِ عن ناظر المتفيهق المغتاب[5]
واجهر إذا أنشدتها في محفلٍ فعثرت بين عيوبها بصواب

وقال من قصيدة عضدية في يوم صب الماء [من مجزوء الكامل]:

---

(١) مبارياً : مسابقاً .
(٢) الأخصر : الأوجزَ والشكّة : السلاح .
(٣) الغالية : أخلاط الطيب.
(٤) المِرّة : الفتل والإحكام في الصنع .
(٥) المتفيهق : المتكبّر المتوسّع في تأويل الكلام .

عدل الحبيب فمن يجور ودنا فأين بنا يسيرُ
عوّضت من عيسٍ تدو ر بي الفلا كأساً تدور[1]
وشربت ما وسع الصغيـ ـر وزدت ما حمل الكبير
نبّهت ندماني وقد عبرتْ بنا الشعرى العبور
والبدر في أفق السما ء كروضةٍ فيها غدير
هبّوا فقد عيّي الرقيـ ـب ونام وانتبه السرور
وأشار إبليسٌ فقلنا كلّنا نِعْمَ المشير
صرعى بمعركةٍ تعفّ الوحش عنها والنسور
نوّار روضتنا خدو د والغصون بها خصوَر
والعيش أستر ما يكو ن إذا تهتّكت الستور
هبّوا إلى شرب المدا م فإنّما الدنيا غرور
طاف السقاة بها كما أهدت لك الصيّد الصقور
عذراء يكتمها المزا ج كأنّها فيه ضمير
وتظنّ تحت حبابها خدّاً تقبّله ثغور
حتى سجدنا والإما م أمامنا مثنى وزير[2]
وإذا صحونا فاللسا ن للعذب والفكر الغزير
نفتضّ معنىً أو يولّد بيننا مثلٌ يسير
أو يمدح الملك الجليـ ـل السيّد الفرد الخطير
ما عزه شيءٌ بغا ه فكيف أعوزه النظير[3]

ومنها :

(١) العيس : النوق.

(٢) مثنى وزير : من أوتار العود .

(٣) النظير : المثيل .

وغداة أنسٍ بشّرتـك بها المعازف والخمور
إذا ماء غيثنا والأرض تربتها عبير
تغري بصبّ الماء يا ملكاً أنامله بحور
ويقول سيبك هكذا صبّت على العافي البدور[1]
ويقول سيفك هكذا تجري ، إذا غضب ، النحور
هيهات تبتسم الثغو ر ولم تسدّ بك الثغور
قد أذعنتْ أرض العد و وجاء بالنصر البشير
هذي الأماني لي عبيدٌ والسرور معي أجير
لا قيته فغضضت طر في إذا بدا القمر المنير
وجررت أذيالي بمجـلسة وقلت فمن جرير
وكأن عاماً عشته في ظلّه يومٌ قصير

وقال يصف الفقاعة ، وألقاها على طريق الإلغاز [من الوافر] :

شغفْت بداية لي أشتهيها وما فيها عن الوصل امتناعُ
ببـاردة المجسّ وما اقشعرَّتْ معصّبةٌ وليس بها صداع[2]
تمنّع أو تحل ذؤابتاها ويحسر عن مفارقها القناع

وقال يصف سوداء [من البسيط] :

يا رب غانية بيضاء تصحبني من العتاب كؤوساً ليس تنساغُ
أشتاق طرّتها أم صدغها ومعي من كلها طررٌ سودٌ وأصداغ
كأننا لا أتاح الله فرقتنا يا لعبة المسك بازٍ تحته زاغ[3]

(١) السيب : العطاء، والعافي : الفقير .
(٢) المجسّ : التحسُّس باليد .
(٣) الزاغ : غراب صغير إلى البياض .

وأمره عضدة الدولة أن يعمل أربعة أبيات تكتب على خواتيم النساء فكتب [من الكامل]:

مرقومة الجنبات بالبدع التي ... لم يهدها قط الربيع لروضةِ
كتمت روائحها فلما عذّبتْ ... بالنار فاح نسيمها فأقرّت
وكأنّما الملك الأجلّ السيد الـ ... ـمنصور عضد الملك تاج الدولة
أذكي مجامرها بنار ذكائه ... وغدا الدخان على علوّ الهمّة[1]

وقال من قصيدة عضدية سذقية [من الطويل]:

ألست ترى الأوضاح في دهمة الدجى ... ومنشؤها بالناظرين رفيقُ
دخاناً سخاميّ الصفات شراره ... بروقٌ وعقد الريح فيه وثيق[2]
وليلاً كيوم الوصل أمّا رياضه ... فزهرٌ وأما مسكه ففتيق[3]
وبغداد بحرٌ ساحلاه جواهرٌ ... ودجلة روضٌ طرّتاه شقيق
وقد صار ياقوتاً حصاها وعنبراً ... ثراها وأمسى الماء وهو رحيق

وقال من أخرى [من المتقارب] :

ولم نر بحراً جرى بالعقار ... ولا ذهباً صيغ منه جبلْ
إلى أن جرت دجلة في الشعاع ... وطُنِّب بالنور أعلى القلل[4]
سحاب الدخان وبرق الشرار ... ورعد الملاهي وغيث الجدل
وما زال يعلو عجاج الدخا ... ن حتى تلوّن منه زحل
فكنا نرى الموج من فضةٍ ... فذهّبه النور حتى اشتعل

---

(١) المجامر : المواقد التي يوضع فيها الطيب والبخور .
(٢) السخام : السواد .
(٣) الفتيق : المشرق .
(٤) طُنِّب : أضيء بأشعة النور التي هي كالحبال ، والقلل : أعالي الجبال .

وقال من أخرى يستهدي مهراً ويصفه [من الطويل] :

إليك بعثناها شوارد ضمّنت ... معاني لولاها لما شرف الشعرُ
عروساً ولكن زوّجت بنت ليلةٍ ... مخدّرة لكنّ فكري لها خدر[1]
إذا قال جسمي تستحل بحلة ... تقول له رجلاي بل مهرها مهر
فمن لي به لا الدهم فازت بلونه ... ولا البرشُ خازت بردتيْه ولا الصفر
كميتٌ تذال الشهب والبلقُ إن بدا ... وتسمو بما نالته من شبهه الشقر
يخوض إذا لاقى دماً لونه ... ولا ماء إلا ماء رونقه الغمر[2]
فغرّته مبيضّةٌ وحجوله ... ولكنْ أريقت فوق سائره الخمر[3]
وأسبق من عافٍ إليك وشاعر ... قوافيه أفرادٌ محجلّةٌ غرُّ
فلو شامه في أرض فارسَ فارسٌ ... لما أمسيا إلاّ ومصرٌ له مصر[4]
نتاج فتى في الحرب تنتج خيله ... وبالدم تسقى والنزال لها ضمر

وقال من أخرى في وصف السكر المبني بشيراز [من الطويل] :

على نهر سلّ في دجى الليل من رأى ... كواكبه زهراً تأمل أم زهرا
إذا طلعت فيه النجوم فما ترى ... به العين إلا الثلج مستودعاً جمرا
ثريَ قد أعاد الليل مسكاً عبيره ... وماءٌ أعاد البدر فضته تبرأ

ومن أبيات يصف فيها ارتطامه في الوحل وتلوث ثيابه [من المنسرح] :

جملة أمري أني ركبت إلى ... دارك - لما أتيتها - الخطرا
لبست درّاعتي وعمّتي الـ ... ـخزّ فصارا كما ترى حبرا

(١) الخدر : الستار .
(٢) الغمر : الكثير .
(٣) الحجول : بياض الوجه .
(٤) شامه : أبصره وتطلع إليه .

أصبحت فـي الطين عقعقاً بلقاً وإن تـعـرّيت خـلتنـي نمـرا[1]

ومن أخرى في وصف عمامة [من البسيط]:

حسنـاء صافيةً بيضـاء ضافية كأنّ رونقهـا في صـارمٍ ذكر[2]
يزين أطـرافها طـرزٌ كمـا رقمت عـلـى المجـرّة طـرز الأنجـم الـزهر

وقال في وصف زنبور [من الطويل]:

ولابس لونـنٍ واحـد وهـو طائر ملـوّنـة أبـراده وهـو واقعُ
أغـرّ محشـيّ الطّيلسـان مُدَبَّجٌ وسـود المنـايا في حشـاه ودائع
إذا حـك أعلـى رأسـه فكأنما بسـالفتيه مـن يـديه جـوامع
يخـاف إذا ولّـى ويؤمـن مقبلا ويخفـي علـى الأقـران ما هو صانع
بدا فارسـيَّ الـزّيِّ يعقـد خصره عليـه قبـاء زيّنتـه الـوشائع
فمعجـره الـورديّ أحمر ناصعٌ ومئـزره التبـريّ أصفـر فـاقع[3]
يـرجّـع ألحـان الغـريض ومعبدٍ ويسقي كؤوسـا ملؤهـا السـم ناقع[4]

* * *

غرر من محدائحه العضدية وما يتصل بها

قال من قصيدة [من البسيط]:

يزور نائلك العافـي وصارمـك الـعـاصـي فتحويهمـا أيـدٍ وأعناقُ
في كلّ يوم لبيت المجـد منـك غنىً وثـروةٌ، ولبيـت المـال إمـلاق[5]

---

(١) العقعق : طائر كالغراب ذو لونين أبيض وأسود طويل الذنب . والبلق : ما كان في لونه سوادٌ وبياض .
(٢) الضافية : الطويلة . والذكر : القاطع .
(٣) المعجر : الرداء والثوب .
(٤) الغريض ومعبد : من كبار المغنّين ، والناقع ؛ القاتل .
(٥) الإملاق : الفقر والعفاء .

كم خضْت في لجّةٍ كالبحر زاخرةٍ ماء المنون بها حاشاك دفّاق
في فتيةٍ من ليوث الحرب قد حفظت بالمرهفات لهم في الرّوع أرماق[1]
من كلّ بعل حياةٍ لا يعاقدها إلاّ على أنه في الحرب مطلاق
أمام كل خميسٍ كل يوم وغى كأنه في صدور الخيل ألحاق[2]
رم أين شئت من الدنيا تنله فما للجوّ عرضٌ ولا للبحر أعماق
من شكّ أنك مخلوقٌ لتملكه كمثل من شكّ أن الله خلاّق
فللسماء سماءٌ من علاك وللآفاق من ذكرك المحمود آفاق

ومن أخرى [من البسيط]:

يا أهلُ لست بمشتاقٍ إلى وطني حتى أرى خيل فناخسر بينكمُ
أضحي يهنّأ في الأضحى بمنزلةٍ لا العرب نالت مراقيها ولا العجم
أصغِرْ بأضحيةٍ في غير يوم وغى فما أضاحيك إلا الخيل والبهم
وإنما أنت لطف الله جسّمه لنا وفي يدك الأرزاق والقسم
عدلت حتى هممنا أن نجور، وكم من شاكرٍ نعماً في ضمنها نقم
إنّ المسيح وقد بانت دلالته لولا هداه لما ضلّت به الأمم
في كلّ ناحيةٍ لم ترْعَها أممٌ الهديُ منها بعيدٌ والأذى أمم[3]
إن البلاد ومن فيها مروّعةٌ بها إليك وإن ما طلتها قرم[4]
وما نُبالي إذا ما كنت شاهدها إن غاب معتضدٌ عنها ومعتصم
عدها بنصرك أو قل سوف أدركها فإنّ قولك في أمثالها قسم

---

(١) أرماق : أرواح .
(٢) الخميس : الجيش من خمس فرق.
(٣) أمم : قريب .
(٤) القرم : الشهوة والشغف.

ومن أخرى [من الطويل]:

يشبهه المداح في البأس والندى لمن لو رآه كان أصغر خادمِ
ففي جيشه خمسون ألفاً كعنترٍ وأمضي وفي خزّانه ألف حاتم

ومن أخرى [من البسيط]:

ومدح غيرك ذنب لا يقال، وما نصوغه فيك تهليلٌ وتحميدُ

فعش أعش في ذري رحب ودم تدم الـ خيرات لي وابق يبق المجد والجود

وقال من أخرى يصف بها قصراً بني على دجلة ونقشت في حيطانه أشعاره [من الكامل]:

فالروض عقّفتِ الصبَّا أصداغه والموج صفّقت الشمال طرارَهْ[1]
وأظنّ دجلة أسلمت ، أو ما رأيـ ـت الجسر يقطع وسطها زنّاره
وحكى بناء المجد فيها غارسٌ غرس الصنائع حولها أشجاره
قد صوّر الفلك المدار كأنّه أنشاه قبل كيانه وأداره
وبنى على شرف الثريا قصره وطحا على فلك النعائم داره[2]
فالشّيد يصقل صانعوه لجينه والسّاج ينقش مخلصوه نضاره[3]
شغلت خواطرنا ولحظ عيوننا مذ صار يجعل طرزه أشعاره
أوسعْ مثالاً إن خطرت بباله ونلِ السماء إذا بلغْت دياره
ينسى العمالق واصفٌ أخبارَه ويهين مصرَ معدِّدٌ أمصاره

(١) الطرار : جمع طرّه بضم الطاء ، وهو شفير النهر .
(٢) طحا : بسط ، والنعائم : من منازل القمر .
(٣) الشيد : ما تطلى به الحائط من جصّ ونحوه والسّاج : شجر عظيم طويل عريض صلب الخشب وأسوده .

ومن أخرى في وصف الحرب ، وهو أحسن ما قيل فيها [من الكامل] :

يا سيف دين الله ما أرضى العدى ... لو أنّ سيفك مثل عدلك يعدلُ
ما إن سننت لهم سناناً في الوغى ... إلا أطلّ عليه منهم أيطل[1]
فالروض من زهر النجوم مضرّجٌ ... والماء من ماء الترائب أشكل
والنقع ثوبٌ بالنسور مطيّر ... والأرض فرشٌ بالجياد مخيّل[2]
يهفو العقاب على العقاب ويلتقي ... بين الفوارس أجدلٌ ومجدّل[3]
وسطور خيلك إنما ألفاتها ... سمرٌ تنقّط بالدماء وتشكل[4]

ومن أخرى في وصف يوم الفصح وإقامة رسمه [من الكامل] :

لولا اشتياق الماء كفك لم يكن ... قلب الندى وحشي السحائب تنزلُ
ولقد نثرت على الهوا أمثاله ... ذا سجسجٌ صافٍ وهذا سلسل[5]
وكأنّما ذهبيٌّ زَرّافاتنا ... ترمي بأسهم فضة تتسلسل[6]
من فوق كلّ ذؤابتين سحهابةٌ ... أو بين كلّ اثنين منّا جدول
فأرقت حتى ماء وجهي إنّه ... مع غير ماء الورد لا يتبدّل[7]
فاترك لنا ماء الشباب ولا ترقْ ... ماء الصوارم فهو فيها أجمل

ومن أخرى وقد دخل عضد الدولة إصبهان والتقى مع أبيه ركن الدولة وأخويه [من البسيط] :

---

(١) الأيطل : الخاصرة، قال الشاعر : «له أيطلا ظبي ».
(٢) النقع : الغبار .
(٣) الأجدل : الصقر ، ومجدّل : قتيل .
(٤) السمر : الرماح.
(٥) السجسج : المعتدل الطيّب .
(٦) الزرّافات : هي المنازف التي ينزف بها الماء للزرع وما أشبه ذلك.
(٧) أرقت : سكبت .

لم يدر حيٌّ وقد جاء البشير به إنّ الزمان لما نرجوه متّسعُ

فزارها ليث غابٍ فرسٌ وبدر تَمٍّ عليه التاج والخلع

لما تطلّع والرايات تكتمه في ظلها وشعاع الشمس مرتفع

أعدى بإقباله من أهلها نفراً لم يعلموا أن درّ السعد يرتضع

فليهْنها منه روض زهره درر فتن العقود ومزن قطره دفّع

لاحظ أباك فهذي مصر معرضةٌ وأنت يوسف والأسباط قد جمعوا

لكنهم ما نووا غدراً ولا نقضوا عهداً ولا أضمروا غلاً ولا ابتدعوا[1]

أيا أخا الجود وابن المجد لا بلدٌ إلاّ بذكرك أو بالسيف يفترع[2]

فدىً لجودك آمالي وسابقها ومطمعٌ من بحار الشعر ممتنع

فالقائلون بطاءٌ عن مداي ، وإنْ أبدْعت معنىً فهم في أخذه سرع

همُ إذا خلطوا شعري بشعرهم كالطير يهذون أو يحكون ما سمعوا

ومن أخرى يذكر فيها التقاه بالطائع لله بعد أن رده إلى مدينة السلام وكان فارقها وهو شاب وعاد وهو أشيب [من الكامل] :

واشتاق طلعتك الخليفة مظهراً لك شوقه المطويّ في أسرارِهِ

ودعا الملوك فلم يلبّ دعاءه إلاّ أحقهم بدار قراره

عظّمت أمر الله في تعظيمه وأقمت دين الله في استحضاره

وافاك في برد النبي محمدٍ بهدي النبي وسمته ووقاره[3]

يشكو إلى الإسلام وخط مشيبه ما كلّفته الترك من أسفاره

حتى بدا عضد الهدى وكأنّما كان الخضاب أحال شيب عذاره

حتى إذا أبدى الإمام أمامه ملكاً كبدر التمّ في أنواره

(١) الغلّ : الحقد .

(٢) يفترع : يفتتح .

(٣) برد النبي : عباءته .

خلنـا علـى الـكرسـي ليثاً غابه ... سمـر القنـا نبتـت بفيض بحـاره
وغـداة ظلـت مسـايـر الإقبـال في ... خلـع الإمـام وطـوقـه وسواره
متسـوّراً بأهـلّـةٍ متطـوقاً ... بالشـمس أو بـالبـدر أو بإطاره
في خلعـةٍ صبـغ الشبـاب بلونها ... فالخلـق قـد جبلـوا علـى إيثاره

هذا من أملح ما مدح به اللباس الأسود، وقد سبق إلى ذلك

* * *

غرر من سائر مدحه وما يتصل بها

قال من قصيدة في أبي الوفاء طاهر بن محمد [من الوافر]:

ركـوب الهـول أركبـك المـذاكي ... ولبس الـدّرع ألبسـك الغـلائلْ[1]
ويـومـك ضـامـنٌ لغـدٍ علواً ... وعـامـك مـلحـق البشـري بقابل

وله في عبد العزيز بن يوسف يذكر قدومه على الخليفة الطائع لله رسولاً من عضد الدولة وبلاغته فيما تحمله [من المتقارب]:

ولمـا وقفـت أمـام الإملم ... تـأخـر خلصـانـه والشيـعْ[2]
دنـوت إلـى تـاجـه والسرير ... فهـذا تعـالـى وذاك اتسـعْ
وضـاحـك بـرد النبـي القضيـ ... ـب أنساً بخوضـك فيمـا شرعْ
سـفـرْت فتيمّـه مـا رأى ... وقلـت فـأطـربـه مـا سمعْ
وأثنـت فضـائلك البـاهـرات ... على مـلك الـدهر فيما اصطنع
طلعـت فـكنـت كنجـم الصبا ... ح دلّ عـلى الشـمس لمـا طلع
ومـن كلف الـدهـر أمثالكم ... فقـد كلف الـدهر مـا لم يسع[3]

---

(١) المذاكي : جياد الخيل .
(٢) الخلصان : الأصدقاء المخلصون .
(٣) يسع : يستطع ويقدر.

ما أحسنها في دلالة الرسول على المرسل !

ومن أخرى له فيه [من الوافر] :

كرمْتَ وسدت فالجدوى انتهاب ... إذا زرناك والمدح اقتضابُ
أخزّانٌ وما أبقيت مالاً ؟ ... وأبوابٌ وقد رفع الحجاب ؟

ومن عيدية [من الخفيف] :

وإذا هنّىء الملوك فصبّحت ... من العيد أسعد التهنئاتِ
وفداك المحل فالنحر في أر ... ض منىً والمهل في عرفات
وتعجّلت أجر من خلع الإحرام ... عنه الأطمار في الميقات[1]
وأجاب الإله فيك دعائي ... غافر الذنب سامع الأصوات
زرته والغنى مني ويدي قد ... أتعب الناس عهدها بالصّلات
فكأني ملكت ناصية الدهر ... فصرّفتها على شهواتي[2]

ومن قصيدة أخرى [من الكامل] :

إن كان بالكرم الخلود فما أرى ... في العالمين سوى سعيدٍ يسلمُ
وله من الحسن البديع برافعٌ ... وعليه من بشر السماحة ميسم[3]
عبقٌ به مسك الثناء تكاد في النـ ... ـادي نوافج ذكره تتكلم[4]

ومن أخرى [من الكامل] :

قد قلت حين أفاض أحمد سيبه ... يا شقوة المتشبّهين بأحمدِ
يشرون مثل جياده وعبيده ... أفيقدرون على ابتياع السؤدد[5]

---

(١) الأطمار : جمع طمر وهو الثوب.
(٢) الناصية : أعلى الشيء، وهنا يريد أنه مُلِّك قياده .
(٣) الميسم : العلامة والطابع .
(٤) النوافج : أوعية الطيب .
(٥) السؤدد : المجد والرفعة .

ومن أخرى [من الخفيف]:

هو بحـرٌ من مائـة ذائـب التبـــــر وأدنـى أحجـاره اليـاقـوتُ
لي طعـامٌ مـن داره وشـرابٌ ومقيـلٌ فـي ظلـه ومبيـت[1]

ومن أخرى [من البسيط]:

أقبـلْ علـيَّ وقـلْ ضيفـي ومتّبعي وشاعـري قاصـدي راجـيَّ ممتاري[2]
أنت الإمام فمن أدعـو وحضرتـك الـــــدنيا فأين أقضّـي بعض أوطاري

ومن أخرى [من المتقارب]:

أفـارق بغـداد لا عــن قلىً وأسـري إلـى البين لا عــن كـرمْ
أروح وأغـدو ولـي قـائـدا ن عـزّ الإبـاء وذلُّ العـدم[3]
وأرجـو فتـىً مكْـرم للنـدى كمـا رجّـت الأرضَ صـوبُ الـديم

ومن أخرى [من البسيط]:

ليس الـوزراة إلاّ عنـدكم ولـكم ولا مغـارسـهـا إلا بـدوركمُ
لو أنصفـت كلّ أرضٍ في منابتها لكان في أرض قُمٍّ ينبـت الـكرم

* * *

الشـكوى والعتـاب

قال [من الكامل]:

أفـلا أجـاز ولـي ثلاثـة أشهرٍ لا تعلمـون بمـا أقيم تجمّلي[4]

---

(١) المقيل : حيث القيلولة وقت الظهر
(٢) ممتاري : قاصدٌ خيري وطعامي .
(٣) العدم : الفقر.
(٤) التجمّل : التصبر والتحمّل.

قد بعت حتى بعت طرفاً قائماً تحت القدور على ثلاثة أرجل
ورهنت حتى قد رهنت منادمي ومناشدي ومذكّري ومعلّلي
فرأيت حالة حاسديك كحالتي ورأيت منزل حاسديّ كمنزلي

ومن أخرى [من الوافر]:

لبست العدْم حتى صار ذيلي يضيق تقلّبي فيه كزيقي[1]
وكادحْت المطالب بعد ضرٍّ ودارأت المعيشة بعد ضيق[2]
فقد أوقدْت صندوقي ثيابي وصبّ الماء في حبّ الدقيق
فهل في الناس يا للناس حرٌّ يبيّض وجه ممتحنٍ مضيق ؟
أريد أخي إذا ماثل عرشي وصرت إلى المعيشة في مضيق
فأما حين يصلح بعض حالي فإنّ الناس كلّهمُ صديقي

ومن أخرى [من الوافر]:

قطعْتكُمُ برغم المجد شهراً أشدّ عليّ من شهر الصيامِ
وكيف أزوركم والمزن تبكي على داري بأربعةٍ سجام
وكانت منزلا طلق المحيا فصارت وادياً صعب المرام
وبحراً من عجائبه خلوصي إليكم ظامئاً والبحر طامي[3]
بناتي كالضفادع في ثراها وأهلي في الروازن كالحمام[4]
أنادي كلّما ارتفعت سحابٌ فأبكتنا البوارق بابتسام
حوالينا بذاك ولا علينا كفانا الله شرّك من غمام
تهافت ركّع الجدران فيها سجوداً للرعود بلا إمام

---

(١) الزيق : من القميص ، ما أحاط منه بالعنق.
(٢) كادحت : من الكدح وهو العمل ِوالجدّ. ودارأت : من ادّارأ الشيء أي توقّاه وتلافاه .
(٣) الطامي : المتلاطم الزاخر .
(٤) الروازن : جمع روزنة ، وهي الكوّة .

كأنّ مصون ما أحرزت فيها على أبواب مشرعة الخيام
فلا بابٌ يردّ ولا جدارٌ يرد الطّرف عن وجهٍ حرام
وكانت جنّة الفردوس عادت ملاعب جنّةٍ ووكور هام[1]

ومن أخرى [من الخفيف]:

زرت حتى حجبت وانتقب النا س نقابين طرّزا باحتشامِ
إن بوّابك القصير طويل الـ باع في سوء عشرتي واهتضامي
هو تعويذ ملكك البارع الحسـ ن وشيطان عبدك المستضام[2]
سمج الوجه لو غدا حاجب البيـ ت كفرنا بالحجّ والإحرام[3]

ومن أخرى في سابور الوزير يشكو حاله وسقطه في سكره [من الطويل]:

محاسن غضّت ناظري من تعتّبا وفضلٌ نهاني وصفه أن أشبّبا
ترى كبرياء الملك فوق جبينه فتقرأ سطراً بالمهانة معربا
وليس الذي آباؤه وجدوده الـ ملوك كمصنوع إذا ما تنسّبا
فيا ناظر الإسلام هل أنت ناظرٌ إلى خادمٍ أثنى عليك وأطنبا
إلى شاعر نادى وقد فغر الردى له فاه سابورٍ معي فتهيّبا[4]
ألم يخبر الشّرب النشاوي بقصتي ولم يتغنَّ الركب بي حين أهدبا[5]
ولم تتحدث في الخدور بسقطتي عذارى يقلّبن البنان المخضّبا
فدى الشعراء الشامتون بقصتي فتى في سماء الشعر يطلع كوكبا
فتى لم يسر إلا الذي صاغ أو روى وإن قعقع المغرور منهم وأجلبا

---

(١) الوكور : جمع وكر ، وهو الخباء .
(٢) المستضام : المظلوم والمنتقص حقه .
(٣) البيت : يعني الكعبة المشرفة .
(٤) فغر : فتح . وتهيّب : فزع وارتاع.
(٥) الأهداب : ضرب من سير الخيل فيه جدّ.

أظنــوا بأنــي إن سقطــت تكسَّرتْ ... فوافــيّ أو عاودت فــكري وقــد أبى

توهَّــنَ جسمــي فاشمتــوا أو تجملوا ... ولـكنَّ عضبــاً بين فـكيَّ ما نبا[1]

وكم سار شعــرٌ قاعــدٌ عنــه ربّه ... ودوّن قول مــن سطيح وصوّبا[2]

سلوا المــوت عنّي كيف فلّلـت غربه ... ونازعْتــه نفســي وقــد كرّ مغضبا

شربنــا وكان الشــرب بعــد سفورنا ... علــى نــرجسٍ قبـل الشبيبـة شيّبا

ودجلـة تجلــو في المصنــدل شاطئاً ... يـرقّ وطيّـاراً يحفـّ وربـربا[3]

وكانــت لنــا في جبهــة الدهــر ليـلةٌ ... كهمّــك لان العيـش فيهــا وأخصبا

عفــا الدهــر عنهــا بعدمــا كان ساخطاً ... وأحســن فيهــا بعدمــا كان مذنبا

فيا فرحتــا لو كنــت أصبحــت سالما ... ويا سوءتــا إنْ مركبــي زلَّ أو كبا

إذا لم أعربــد في أواخــر نشوتي ... فلا عار إن خطــبٌ علــيَّ توثبـا

وصبــراً علــى خير الخمار وشرّه ... بمــا قلـت أهـلاً للكؤوس ومـرحبا[4]

أروح وصبـغ الـراح يخضــب راحتي ... وأغـدو بعضـوٍ مـن دمـي قـد تخضّبا

فلــو بصــرت عين الــوزير بشاعرٍ ... علــى مركب قـد شانــه الله مركبا

رأى اللهــو ميتــاً والمجـون ممـدّدا ... صريعــاً وجثمــان السـرور معذّبا

وباكرنـي أشياخ قومــي فـأكثـروا الــــــفضـول لعمـري والأذى والتعجّبا

يقولــون لي تبْ لا تعــود لمثلها ... وهيهـات ضاع الوعظ عنـدي وخيّبا

وكم قبلهــا قد متّ بالسـكر مرةً ... وعـدت فكان العـود أحلــى وأطيبا

كـذا أبـداً إمـا ترانــي مجررا ... ذيـولــيَ سكراً او كسيرا مشعّبا

ولـكنْ علـى الأحــرار حمــل مؤونتي ... إذا ذهبَــتْ بي نبــوة الدهــر مذهبا[5]

---

(١) الـ ـب : السيف . ونبا : فارق ، ويريد بالعضب هنا لسانه .

(٢) دوّن سجّل ، وسطيح : أحد الكهنة في الجاهلية.

(٣) المصندل: من الصندل وهو شجرٌ طيب الرائحة والربرب : القطيع من بقر الوحش أو الغزلان.

(٤) الخمار : أثر الخمرة في الرأس .

(٥) النبوة : الجفوة.

ولمـا جفانـا من ألفنـا وصـالـهُ وأخلف عام كان يرجـى وأجدبا
رهنّـا وصَـرَّفْنا وبعنا منادلا وحليا ومذخـورا إلينـا محبّبا
رأيت ابنتي قد أحـرزت بعض حليها فأنشـدت تعـريضاً لهـا وتشبّبا
تجـول خلاخيل النسـاء ولا أرى لرملـةَ خلخـالاً فقالـت هيا أبا
سلبت الجـواري حليهـن فـلم تـدع سواراً ولا طـوقاً على النحـر مذهبا
فقلـت لهـا ظل الـوزير يبيحنا جنابـاً إذا رضنـا به الدهـر أعتبا
إذا كان بدر الملك سابـور طالعاً فلسـت أبالـي بعـده من تغيّبا

* * *

ما أخرج في وصف شعره

قال من قصيدة في أبي الريان [من الخفيف]:

لـيَ فيك التي ترى البحتـريَّ أمْـتـار في نظمهـا أبا تمّام
فهـي لفـظٌ سهـلٌ ومعنـىً بديعٌ غرّة الفـكر درّة [فـي] النظام
كلمـا أنشـدت شهـدت بأن الـشهـر أمـر مسلّـم للسلامي

ومن أخرى [من الكامل]:

وأزور دارك وهـي آنس جنّـةٍ فيفيض حـولـي من نـداك الـكوثرُ
وأقـول فيك فـلا تفـاخـر طيٍّءٌ إلا وتسـجـد لـي وتـركـع بحتر

ومن أخرى [من الطويل]:

وهنَّيتـه وحياً من الشعـر لم يلق بألفـاظ غيري عنـد غيرك درسـه
صحيفتـهُ قلبـي إذا مـا كتبتـه وأقـلامـه الأفـكار والـطبع نقسه[1]

---

(١) النقس : الحبر.

ومن أخرى [من المتقارب] :

وقـافيةٍ منـك أوضـاحها ولـكـنّ لفـظي فيها لمعْ
عـراقية اللفـظ شامية الـمحاسـن عـلْويّة المصـطنع
فيا واحـد المجـد صنهـا فمـن سـوى واحـد الشعر مـا تستمع
مدحتك حتى بلغـت المشيب وكنـت ببـابـك دون اليَفَع [1]

وقال من أخرى [من الطويل] :

وأعـطيت طبـع البحتـري وشعره فمـن بـالي بمـال البحتـري وعمـرهِ

وقال من أخرى [من المتقارب] :

ومضمومـةٍ تحـت حضـن الدجى مقبّلـة بشـفـاه الأمـاني
تـروق زهيـرا أزاهيـرُهـا ويعشـو إلـى ضوئـهـا الأعشيـانِ

ومن أخرى [من الوافر] :

وقـد زَعَمَـتْ رواة الشـعـر أنّي مـلـكـت عنـان أبلقـه العقـوق [2]

* * *

قد تمت ـ بحول الله تعالى وتيسيره ـ مراجعة الجزء الثاني من كتاب «يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر» لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري. ويليه ـ إن شاء الله تعالى ـ الجزء الثالث مفتتحا بترجمة «ابن سكرة الهاشمي» نسأل الله ـ جلت قدرته ـ أن يعين على إكماله ، بمنّه وفضله ، آمين .

---

(١) دون اليفع : دون الشباب.

(٢) الأبلق العقوق : مثلٌ يضرب لما لا يكون ولا يوجد قال رجل لمعاوية : افرض لي ولولدي ، قال : لا ، قال : ولعشيرتي فنمثل معاوية :

طلـب الأبلـق العقـوق فلما لم يجـده أراد بيض الأنوق

فهـــرس

الجزء الثاني من كتاب « يتيمة الدهر »
في محاسن أهل العصر ،
لأبي منصور عبد الملك بن محمد بم إسماعيل الثعالبي النيسابوري

البـاب العـاشر

في ذكر شعراء الموصل ، وغرر أشعارهم

القسم الثاني

في ملوك آل بويه ، وشعرائهم

الباب الأول : في الملوك الشعراء منهم

الباب الثاني

الباب الثالث

الباب الرابع

في ذكر ثلاثة من كتاب آل بويه يجرون مجرى الوزراء

الباب الخامس

في ذكر شعراء البصرة ، ومحاسن كلامهم

الباب السادس

في ذكر نفر من شعراء العراق ونواحيها ، سوى بغداد

الباب السابع

في ذكر قوم من شعراء بغداد